

مقالاتي

المنشورة في جريدة



أ.د. مسعود فلوسي



البيانات المرجعية لهذه المقالات

المنشورة في جريدة البصائر - السلسلة الرابعة

الرقم	العنوان	العدد	التاريخ	الصفحة
1	جمعية العلماء تنعي واحدا من رموزها: الشيخ عمر دردور في ذمة الله	436	26 ربيع الأول 1430 هـ 22 مارس 2009 م	3
2	وقفه مع ذكرى الاستقلال	608	18 شعبان 1433 هـ، 8 جويلية 2012 م	7
3	استقبال شهر رمضان	609	26 شعبان 1433 هـ، 16 جويلية 2012 م	14
4	رمضان شهر القرآن	610	4 رمضان 1433 هـ 23 جويلية 2012 م	21
5	مع الشيخ الغسيري في ذكره الثامنة والثلاثين (1)	611	11 رمضان 1433 هـ 30 جويلية 2012 م	14
6	مع الشيخ الغسيري في ذكره الثامنة والثلاثين (2)	612	18 رمضان 1433 هـ 6 أوت 2012 م	14
7	مكاسبنا في رمضان.. وكيف نحافظ عليها؟	613	25 رمضان 1433 هـ 13 أوت 2012 م	14
8	المدرسة وبناء الإنسان	617	23 شوال 1433 هـ 10 سبتمبر 2012 م	16
9	حقيقة المعرفة وأثرها في التصور والسلوك	618	1 ذو القعدة 1433 هـ 17 سبتمبر 2012 م	14
10	من وأصاف النبي عليه الصلاة والسلام في القرآن	619	8 ذو القعدة 1433 هـ 24 سبتمبر 2012 م	11
11	في رحاب فريضة الحج	622	28 ذو القعدة 1433 هـ 15 أكتوبر 2012 م	11
12	عيد الأضحى والمعاني الربانية	623	6 ذو الحجة 1433 هـ 22 أكتوبر 2012 م	22

13	ثورة نوفمبر ودور جمعية العلماء	626	27 ذو الحجة 1433 هـ 12 نوفمبر 2012 م	19
14	أستاذي الشيخ الطاهر حليس كما عرفته	630	26 محرم 1434 هـ 10 ديسمبر 2012 م	11
15	الفئات الرافضة للإصلاح في مجتمعنا	646	20 جمادى الثانية 1434 هـ 1 أبريل 2013 م	08
16	الرجل الذي عاش للإسلام وللجزائر	648	4 جمادى الثانية 1434 هـ 15 أبريل 2013 م	10
17	دور جمعية العلماء في مواجهة المشروع الاستعماري في الجزائر ح 1	651	25 جمادى الثانية 1434 هـ / 6 ماي 2013 م	5
18	دور جمعية العلماء في مواجهة المشروع الاستعماري في الجزائر ح 2	652	3 رجب 1434 هـ / 13 ماي 2013 م	11
19	دور جمعية العلماء في مواجهة المشروع الاستعماري في الجزائر ح 3	653	10 رجب 1434 هـ 20 ماي 2013 م	11
20	أين مؤلفات علمائنا وأدياننا؟	657	8 شعبان 1434 هـ 22 جوان 2013 م	8
21	الأديب الدبلوماسي الجزائري الأستاذ محمد يكن الغسيري ح 1	677	30 ذو الحجة 1434 هـ 4 نوفمبر 2013 م	15
22	الأديب الدبلوماسي الجزائري الأستاذ محمد يكن الغسيري ح 2	678	7 محرم 1435 هـ 11 نوفمبر 2013 م	15
23	جريمة الرشوة وخطرها على الفرد والمجتمع	681	28 محرم 1434 هـ 25 نوفمبر 2013 م	11
24	مع العلامة الدكتور عبد الحليم عويس في ذكره	682	5 صفر 1434 هـ 4 ديسمبر 2013 م	5
25	الهداية إلى الصراط المستقيم: فضلها ووسائلها	683	13 صفر 1434 هـ 16 ديسمبر 2013 م	11
26	جهود المؤرخ سعد الله في التعريف بعلماء الجزائر	684	20 صفر 1435 هـ 23 ديسمبر 2013 م	12
27	جمعية العلماء في الدراسات الجامعية والكتب الفكرية	703	5 رجب 1435 هـ 4 ماي 2014 م	14
28	الطبيب والأديب والمفكر الجزائري الدكتور أحمد عروة	703	5 رجب 1435 هـ 4 ماي 2014 م	15
29	الشيخ الإبراهيمي في البحوث الجامعية والمؤلفات الفكرية	705	19 رجب 1435 هـ 19 ماي 2014 م	16

30	المؤرخ الأستاذ إسماعيل العربي بين التحقيق والترجمة	707	4 شعبان 1435هـ / 2 جوان 2014م	15
31	مع التراث الفكري للشيخ أحمد الرفاعي شرفي	709	18 شعبان 1435هـ / 16 جوان 2014م	15
32	العلامة الفقيه الأصولي الشيخ أحمد الأطرش السنوسي	719	6 ذو القعدة 1435هـ / 1 سبتمبر 2014م	15
33	لمحات من إسهامات الإمام ابن باديس في الفقه وأصوله	751	23 جمادى الثانية 1436هـ / 13 أبريل 2015م	14
34	الإمام ابن باديس في الكتب والرسائل الجامعية	751	23 جمادى الثانية 1436هـ / 13 أبريل 2015م	15
35	تعريف موجز بأبرز علماء الجزائر عبر التاريخ	753	6 رجب 1436هـ / 27 أبريل 2015م	15
36	وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ضيافة السودان الشقيق	799	5 جمادى الثانية 1437هـ / 14 مارس 2016م	-11 13
37	في ملتقى "الشيخين" الدولي الثاني ببرج بوعريريج: جمعية العلماء تحتفي بالشهيد العربي التبسي والمجاهد إبراهيم اطفيش	809	16 شعبان 1437هـ / 23 ماي 2016م	-12 16
38	شيخنا الدكتور إسماعيل يحيى رضوان كما عرفته (1)	816	13 شوال 1437هـ / 18 جويلية 2016م	14
39	شيخنا الدكتور إسماعيل يحيى رضوان كما عرفته (2)	817	20 شوال 1437هـ / 25 جويلية 2016م	14
40	صفات الباحث ومؤهلاته العلمية	846	23 جمادى الأولى 1438هـ / 20 فبراير 2017م	6
41	وُجهة نظر في تجديد العلوم الشرعية	852	06 رجب 1438هـ / 03 أبريل 2017م	18
42	بسام العسلي.. مؤلف سوري أرّخ لجهاد الشعب الجزائري	897	25 جمادى الأولى 1439هـ / 12 فبراير 2018م	-20 21
43	نظرات في فكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله	902	1 رجب 1439هـ / 19 مارس 2018م	-20 21
44	وظائف الجامعة وواجبات الطالب الجامعي	929	21 محرم 1440هـ / 1 أكتوبر 2018م	11
45	ضرورة الالتزام الأخلاقي في حياة الطالب الجامعي	931	06 صفر 1440هـ / 15 أكتوبر 2018م	11

46	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الإمام عبد الحميد بن باديس	1041	20 ربيع الثاني 1442 هـ / 06 ديسمبر 2020م	08
47	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الإمام محمد البشير الإبراهيمي	1042	27 ربيع الثاني 1442 هـ / 13 ديسمبر 2020م	08
48	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الأستاذ عباس محمود العقاد	1043	05 جمادى الأولى 1442 هـ / 20 ديسمبر 2020م	08
49	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الشيخ محمد الخضر حسين	1044	12 جمادى الأولى 1442 هـ / 27 ديسمبر 2020م	08
50	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده	1045	19 جمادى الأولى 1442 هـ / 03 جانفس 2021م	08
51	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الشيخ طاهر الجزائري	1046	26 جمادى الأولى 1442 هـ / 10 جانفي 2021م	08
52	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الشيخ أبو يعلى الزواوي	1047	03 جمادى الثانية 1442 هـ / 17 جانفي 2021م	08
53	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الأمير عبد القادر الجزائري	1048	10 جمادى الثانية 1442 هـ / 24 جانفي 2021م	08
54	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الشيخ أحمد بن يوسف أطفيش	1049	17 جمادى الثانية 1442 هـ / 31 جانفي 2021م	08
55	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الشيخ محمد رشيد رضا	1050	24 جمادى الثانية 1442 هـ / 07 فيفري 2021م	08
56	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الشيخ جمال الدين القاسمي	1051	02 رجب 1442 هـ / 14 فيفري 2021م	08
56	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور	1052	09 رجب 1442 هـ / 21 فيفري 2021م	08
57	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الأستاذ محمد فريد وجدي	1054	23 رجب 1442 هـ / 07 مارس 2021م	08
58	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	1055	30 رجب 1442 هـ / 14 مارس 2021م	08
59	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الأستاذ محمد عزة دروزة	1056	07 شعبان 1442 هـ / 21 مارس 2021م	08
60	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الشيخ مبارك بن محمد الملي	1057	14 شعبان 1442 هـ / 28 مارس 2021م	08
61	مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم: الأستاذ أحمد توفيق المدني	1058	21 شعبان 1442 هـ / 04 أفريل 2021م	08

62	رمضان شهر القرآن(1)	1059	28 شعبان 1442 هـ / 11 أفريل 2021م	12
63	رمضان شهر القرآن(2)	1060	06 رمضان 1442 هـ / 18 أفريل 2021م	08
64	الصيام والدعاء	1061	13 رمضان 1442 هـ / 25 أفريل 2021م	12
65	إعلام الفضلاء بما كتب عن جمعية العلماء	1062	20 رمضان 1442 هـ / 02 ماي 2021م	-20 23
66	مع كتاب (رحلة عمر مناضل من الأوراس)	1066	27 رمضان 1442 هـ / 09 ماي 2021م	21
67	أربعة أعلام جزائريون رحلوا في صمت	1078	13 محرم 1443 هـ / 22 أوت 2021م	-12 13
68	حقيقة النجاح والفشل في الحياة(1)	1079	20 محرم 1443 هـ / 29 أوت 2021م	07
69	حقيقة النجاح والفشل في الحياة(2)	1080	27 محرم 1443 هـ / 05 سبتمبر 2021م	07
70	أصناف الناس تجاه الهداية التي بعث بها النبي ﷺ	1082	12 صفر 1443 هـ / 19 سبتمبر 2021م	07
71	أفضل المؤمنين عملا وأحسنهم كياسة(1)	1083	19 صفر 1443 هـ / 26 سبتمبر 2021م	07
72	أفضل المؤمنين عملا وأحسنهم كياسة(2)	1084	26 صفر 1443 هـ / 03 أكتوبر 2021م	07
73	لا تحقرن من المعروف شيئا(1)	1085	03 ربيع الأول 1443 هـ / 10 أكتوبر 2021م	07
74	لا تحقرن من المعروف شيئا(2)	1086	10 ربيع الأول 1443 هـ / 17 أكتوبر 2021م	07
75	شروط ضرورية لتذوق الحلاوة الإيمانية(1)	1088	24 ربيع الأول 1443 هـ / 31 أكتوبر 2021م	09
76	شروط ضرورية لتذوق الحلاوة الإيمانية(2)	1089	02 ربيع الثاني 1443 هـ / 07 نوفمبر 2021م	09
77	شروط ضرورية لتذوق الحلاوة الإيمانية(3)	1090	09 ربيع الثاني 1443 هـ / 14 نوفمبر 2021م	09
78	شروط ضرورية لتذوق الحلاوة الإيمانية(4)	1091	16 ربيع الثاني 1443 هـ / 21 نوفمبر 2021م	09

22	23 ربيع الثاني 1443 هـ / 28 نوفمبر 2021م	1092	حقوق الأخوة بين المؤمنين(1)	79
22	30 ربيع الثاني 1443 هـ / 05 ديسمبر 2021م	1093	حقوق الأخوة بين المؤمنين(2)	80
09	28 جمادى الأولى 1443 هـ / 02 جانفي 2022م	1097	حقوق الطريق في المجتمع المسلم	80
-16 17	06 جمادى الثانية 1443 هـ / 09 جانفي 2022م	1098	الشيخ حسن رمضان فحلة .. مسيرة حافلة بالعطاء	81
10	26 ذو القعدة 1443 هـ / 26 جويلية 2022م	1121	أستاذي الدكتور عبد العزيز شوحة كما عرفته	82

**رسالة التعزية التي أرسلها
فخامة رئيس الجمهورية
السيد عبد العزيز بوتفليقة**

**إلى أسرة المرحوم
الشيخ المجاهد بلقاسم
دردور حفظهم الله ورعاهم**



غنى إلحى نبأ التحاق المجاهد الشيخ بلقاسم دردور المدعو عمر، طيب الله ثراه، وأحسن مثواه، بعد عمر طويل قضاه في خدمة الإسلام والمسلمين منذ أن تخلق مع زملائه حول المغفور له الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1935، ويتشرب منه معاني الوطنية والتضحية في سبيل وطنه، إلى أن بدأ النضال في صفوف الحركة الوطنية مبكراً بانتتمائه لجمعية العلماء المسلمين، ويلتحق بعد الحرب العالمية الثانية بحركة انتصار الحريات الديمقراطية، إلى أن رفع التحدي في وجه الاستعمار، الذي ذاق على أيدي زبانيته الويلات، إلى أن أصبح واحداً من رجالات الجزائر الثائرة الذين يشاركون في الإعداد والدعم لثورة نوفمبر الخالدة، إلى أن انتصرت ثورة التحرير، وتستقل الجزائر، فيعود إلى عمله التربوي مدرسا ومربيا مساهما في ترقية وعي بنات وأبناء بلده.

لقد كان الفقيد من الرجال الأصفياء المخلصين، الذين تشبعوا بالأخلاق الحميدة، وسلكوا سبيل النضال عملا وقولا، فكان إلى جانب نضاله وجهاده، وعلمه وورعه، لين المعشر، لطيف الجانب، لا يفتأ ينافح بالكلمة الصادقة، من أجل إحقاق الحق، وإقامة العدل والمساواة بين الناس، ويدعو إلى المحبة والتراحم والتصالح بين أبناء البلد الواحد، إلى أن سطا عليه المرض، وقد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا، فلم يقدر على مقاومته، وأسلم الروح إلى بآرتها.

لقد رحل عن دنيانا في صمت وسكون وتواضع، تاركا لأبناء الجزائر وأجيالها المتعاقبة، مسيرة مرصعة بدرر الإيثار وعظيم الإقتداء، في سبيل العزة والكرامة، ورصيда لا ينتضب من أساليب العمل والتفاني في خدمة الواجب الوطني.

وإذ أعرب لكافة أفراد عائلة الفقيد عن تعازي الصداقة ومواساتي الخالصة، أبتهل إلى المولى العزيز الحكيم، أن يتغمد روحه بأنعام رحمته ومغفرته، وأن يجتبيه إلى جواره، وأن يدخله مدخل صدق مع الذين اصطفاهم من عباده الصالحين العاملين، وبوأهم جنات النعيم، كما أسأله تعالى أن ينزل في قلوب أسرته الكريمة، وذويه الأبرار، ورفاقه المجاهدين والمجاهدات، صبرا جميلا، وسلوانا عظيما، ويوفيهم أجرهم بما صبروا.

”وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون“.

عبد العزيز بوتفليقة



جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنعي واحدا من رموزها الشيخ عمر دردور في ذمة الله

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

ودعت الجزائر عامة، ومنطقة الأوراس خاصة، واحدا من أبنائها البررة ورموزها البارزة وعلمائها الأفاضل ورجالها الكبار الذين أبلوا البلاء الحسن وجهادوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ونفقوا الناس وتركوا بصماتهم في الحياة طيلة عقود من السنين، هذا الرجل الفذ هو الإمام الشيخ عمر دردور -رحمه الله- وأسكنه فسيح جناته، الذي فاضت روحه إلى بارئها صبيحة يوم الخميس 22 ربيع الثاني 1430 هـ، الموافق لـ 19 مارس 2009م.

1956.

انتقل بعد ذلك إلى القاهرة، أين التقى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وأعضاء قيادة الثورة في الخارج ابن بلة وأيت أحمد وخيضر. وهناك أسندت له مهمة التنقل بين البلدان العربية للتعريف بالثورة الجزائرية وجمع المساعدات لها، وهي المهمة التي أداها بكل نشاط وحيوية وحظي فيها بالتوفيق الرباني الذي مكّنه من تحقيق النجاح.

ظل الشيخ يؤدي عمله في القاهرة إلى غاية سنة 1960، حيث تم تحويله إلى تونس، أين كلف بمهمة تعليم وتوعية الجنود في الحدود الجزائرية. وقد استمر في هذه المهمة إلى غاية الاستقلال.

بمجرد عودة الشيخ إلى منطقة الأوراس، فكر فيما يمكن عمله لخدمة الجزائر والجزائريين، فهداه الله -عز وجل- إلى العمل على إنشاء معهد للتعليم الأصلي في مدينة باتنة، وقد تم البدء في المشروع في شهر نوفمبر 1962، وسرعان ما تم إنجازه ليقع تدشينه من قبل وزير الأوقاف حينذاك الأستاذ أحمد توفيق المدني -رحمه الله- يوم 1 ماي سنة 1963، وقد أطلق على المعهد اسم صلاح الدين الأيوبي. وما لبث هذا المعهد أن تشعبت منه فروع عديدة في كل من أريس ومنعة وبريكة ونقاوس ومروانة والمعذر والشمرة وإشمول وخنشلة. وقد بلغ مجموع طلبة المعهد في مدة وجيزة 7500 طالب وطالبة نظاميين، بالإضافة إلى الأحرار الذين انتظموا فيما سمي حينئذ بالجامعة الشعبية التي كانت تضمن الدروس اليلية.

ولم يتوقف الأمر عند منطقة الأوراس، وإنما امتد الإشعاع إلى كافة مناطق الوطن، حيث فتح في مدة وجيزة ستة وثلاثون معهدا للتعليم الأصلي عبر التراب الوطني. وبفضل هذه المعاهد وإشعاعها، وبفعل جهود الشيخ عمر وإخوانه قرر الرئيس الراحل هواري بومدين -رحمه الله- ترسيم التعليم الأصلي في الجزائر، وذلك لما شاهد بنفسه ما أنجزه المعهد وأساتذته عندما زار مدينة باتنة سنة 1969.

وبعد إلغاء معاهد التعليم الأصلي سنة 1978، اجتهد الشيخ وعمل على تأسيس المعهد الإسلامي لتكوين الأئمة في سيدي عقبة، سنة 1981، وقد تحقق له ذلك، وعين أول مدير له. وبعد وفاة الشيخ محمد الأمير صالح خلفه في مهمة مفتش الشؤون الدينية لولاية باتنة، ومحتفظا بمنصبه كمدير للمعهد الإسلامي بسيدي عقبة. وفي سنة 1986 عين مفتشا جهويا للشؤون الدينية في كل من باتنة وخنشلة وأم البواقي.

وقد ظل الشيخ يمارس مهامه في إطار الشؤون الدينية، ويساهم في أعمال الخير المختلفة في المجتمع المحلي بمنطقة الأوراس، إلى أن اضطر إلى لزوم بيته بسبب تقدم سنه وتراجع صحته.

رحم الله الشيخ عمر دردور وأسكنه فسيح جناته، ورحم الله علماءنا جميعا، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يبوئهم عنده أسمى المقامات وأرفع المنازل، كفاء ما بذلوا من جهود وما أنجزوا من أعمال وما قدموا من تضحيات.



سماحة الشيخ عبد الرحمن شيبان، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مع المرحوم الشيخ عمر دردور في بيته بباتنة.

في سنة 1936، أسس مع جماعة من زملائه الطلبة الأوراسيين، الشعبية الأوراسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد قاموا انطلاقا من هذه الشعبية بنشاط هام في ميادين التربية وبث الوعي الديني والوطني في النفوس. وفي سنة 1937، عاد إلى مسقط رأسه أين تفرغ كلية للجهاد والنضال ونشر الدعوة الإصلاحية ومقاومة الانحرافات والانحرافات، فأسس (مدرسة التربية والتعليم) وشرع في العمل لتكوين وتوعية الصغار والشباب والكهول، وأخذ ينفخ فيهم الروح الوثابة والفهم السليم والعلم الصحيح.

لكن نشاط الشيخ دردور سرعان ما أثار انتباه سلطات الاحتلال التي أدركت خطره، ولذلك سارعت إلى تفتيش همة له بررت بها القبض عليه والزج به في سجن مدينة باتنة، الذي قضى فيه أربعة أشهر.

بعد خروجه من السجن، واصل الشيخ نضاله العلمي في إطار الشعبية الأوراسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث أصدرت السلطات الاستعمارية قرارا بتوقيف نشاط جميع الحركات السياسية وحركة جمعية العلماء المسلمين، مما أجبر الشيخ على التخفيف من نشاطه، الذي أصبح مقتصرًا على التعليم المسجدي لا غير.

ظل الشيخ على دأبه ونشاطه النضالي والعلمي إلى حين اندلاع ثورة أول نوفمبر، حيث أصبح إلى جانب نشاطه التعليمي يتناحر الثورة بأفكاره ونضاله العملي. مما جعل سلطات الاحتلال تتحين الفرص للقبض عليه، ولذلك نصحه مسؤولو الثورة في منطقة الأوراس بالسفر إلى الجزائر العاصمة، وهناك أصدر له الدكتور هدام شهادة طبية تثبت حاجته إلى العلاج في الخارج.

سافر الشيخ إلى فرنسا، حيث استقر في مدينة فيشي، وهناك استأنف نشاطه في إطار جبهة التحرير الوطني، عاملا على التعريف بالثورة الجزائرية وأهدافها ومنجزاتها، منتقلا بين عدة مدن في الشمال الفرنسي مثل ليون وباريس. وقد امتد نشاطه هذا من جويلية 1955 إلى يناير

ودفن بعد صلاة الجمعة من اليوم الموالي في مقبرة مدينة تازولت (لامبيز)، وقد شارك في تشييع جنازته جموع غفيرة من المواطنين الذين كان في مقدمتهم ممثلو السلطات الوطنية والمحلية، ومثل جمعية العلماء نائب رئيسها الأستاذ الدكتور عمار طالبي الذي ألقى كلمة، نيابة عن رئيسها سماعة الشيخ عبد الرحمن شيبان، الذي منعه ظروف صحية من الحضور الشخصي في الجنازة، وقد أشاد الدكتور عمار طالبي بخصال الفقيد وأبرز مناقبه..

لقد توفي الشيخ عمر عن عُمر مديد ناهز السادسة والتسعين عاما، أفناه كله في خدمة الإسلام والجزائر. كان -رحمه الله- من العلماء العاملين الذين لم تشهم الصعوبات الجسدية والظروف القاسية عن أداء دورهم في الحياة والمساهمة في نفع الناس وإرشادهم إلى الخير وإعانتهم عليه، منذ أن تفتح وعيه وأدرك واجبه تجاه ما كان يعانيه الشعب الجزائري في ظل الاستعمار

الفرنسي من تجهيل وتفجير وحرمان من أبسط حقوق الحياة.

لقد ولد الشيخ عمر دردور في قرية حيدوس بدائرة ثنية العابد، يوم 13 أكتوبر سنة 1913، في أسرة معروفة في المنطقة بطلب العلم وخدمة الدين، وبمجرد أن بلغ سن التعليم وجهه أهله إلى كتاب قريته لتعلم القرآن الكريم وحفظه، وهو ما تحقق له في سن الحادية عشرة، ليتفرغ بعد ذلك لحفظ المتون المعروفة في العلوم الشرعية كالتهجويد والنحو والصرف والفقه والعقائد.

ولم يكتف بهذا الذي حصله في قريته المتواضعة، وإنما تطلعت نفسه إلى الاستزادة من العلم، ولذلك شد الرحال إلى مدينة طولقة، أين انخرط ضمن تلاميذ زاوية الشيخ علي بن عمر، والتي تلقى فيها العلم على عدد من المشايخ، ودرس الكتب المعتمدة في فنون العلم المختلفة من نحو وفقه وفرائض وفلك.

بعد قضاء سنتين من الدراسة في طولقة، وفي سنة 1932 تحديدا، أتيح للشيخ عمر أن يزور قسنطينة برفقة الشيخ عبد الحفيظ الهاشمي، وهناك قدمه هذا الأخير إلى الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، وأخبره برغبته في الالتحاق بمعهد في قسنطينة، فأبدى الشيخ ابن باديس موافقته المبدئية، واشترط إجراء امتحان لهذا الطالب الجديد، وقد نجح الشيخ عمر في الامتحان، ليصبح بذلك أحد تلاميذ الجامع الأخضر. وسرعان ما اكتشف فيه شيخه ابن باديس قوة الفهم وحدة الذكاء وسرعة التحصيل، فأسند إليه تدريس بعض المتون في أوقات فراغه. كما أسند إليه بعد ذلك أيضا إلقاء الدروس على الطلبة في مسجد سيدي قموش ومسجد سيدي بومعزة.

في هذه المرحلة، ونتيجة تأثير الإمام ابن باديس وما كان يثبه في دروسه من توعية وتوجيه، تفتح الوعي الإصلاحي والوطني في نفس الشيخ عمر، وهو ما جعله حين يزور بلدته في أيام العطل، يلتقي بالناس ويجتمع بهم، ويحرص على توعيتهم وإثارة حب العلم في نفوسهم، ويستحثهم لإنشاء المدارس لتعليم النشء وتربيته.

وقفه مع ذكرى الاستقلال

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

والشباب. ولذلك سمي الخامس من جويلية بعيد الاستقلال والشباب. وإنه لربط يحمل أكثر من مغزى ويوحى بأكثر من دلالة. ومن هذه الدلالات أن الشباب هم الذين جاء الاستقلال على أيديهم بما قدموا من تضحيات وما تحملوا من صعوبات ومشقات. وهم الذين يُرجى أن تنهض البلاد على أيديهم وتبنى على كواهلهم.

إن الشباب -كما هو معلوم للجميع- هم عماد الأوطان. وهم اللبنة الحية التي تُبنى بها الحضارات. وتقوم عليها النهضات. ولذلك تعتني الأمم والشعوب عادة بشبابها وتخصهم بمزيد الرعاية والتوجيه والتربية. وتعمل على أن توفر الظروف الكافية للاستفادة من طاقاتهم وطموحاتهم. لأن طاقات الشاب وطموحاتهم إذا لم يتم تصريفها فيما هو خير ومصلحة. فلا بد أن تتصرف بنفسها فيما هو شر ومفسدة.

والشباب الجزائري اليوم. كما نعلم جميعا. يعاني من كثير من المشكلات المعقدة. منها البطالة وال فراغ. وانتشار المفسدات الخلقية من مخدرات وشرب للخمر وانغماس في الرذيلة. وانخراط في الجريمة. وهذه المفسدات تصطاد هؤلاء الشباب وتغريهم بالوقوع فيها.

وها نحن نرى اليوم كثيرا من شبابنا يركبون الأخطار ويواجهون الأهوال في سبيل الهجرة إلى أوروبا وأمريكا وكندا. متوهمين أنهم سيجدون هناك من يتكفل بمشكلاتهم وطموحاتهم ويوفر لهم العيش الكريم. وكثيرون من هؤلاء الشاب يتلعبهم البحر وتأكلهم الحيتان قبل أن يصلوا إلى مقاصدهم. والذين يصلون منهم إلى هناك سرعان ما تتكشف لهم الحقيقة المرة حيث يدركون بعد فوات الأوان أنهم هربوا من البطالة ليقعوا في الذل والمهانة والعبودية.

إننا نرجو أن يلتفت ولاة الأمر في بلدنا إلى الشباب بمزيد من الرعاية والعناية. وبحرصوا على أن يوفرُوا لهم ظروف وأسباب العيش الكريم في وطنهم وأرضهم. حماية لهم من أنفسهم ومن الأخطار المحيطة هم. وليس ذلك بالأمر الصعب أو العسير إذا خلصت النيات وتكاثفت الجهود. ما دامت الوسائل مهيأة والإمكانات متوفرة.

كما نرجو أيضا أن يدرك شبابنا أن الحياة كفاح مستمر. وألا ينتظروا أن تهيأ لهم كل الظروف دون أن يبذلوا هم أي جهد. فهذا حلم بعيد المنال ولا يمكن أن يتحول إلى حقيقة أبدا.

وطننا وشعبنا. تستوجب منا نحن الجزائريين. مقابلتها بحمده سبحانه وتعالى بما هو له أهل من الحمد والشكر والثناء. وتتطلب منا المحافظة على هذه المكاسب وعدم التفریط فيها. والعمل على ترسيخها وجذيرها في الواقع العملي. وعدم الاكتفاء بالتغني بها دون أن يكون لذلك أثر في الواقع. وإنه ليُخشى علينا إذا لم نشكر الله عز وجل على هذه النعمة. ولم نعرف قدرها ولم ندرك عظيم منة الله بها علينا. يُخشى علينا أن نفقدها بأي صورة من الصور وفي أي مظهر من المظاهر. ماديا كان أو معنويا. ألم نسمع قول الله عز وجل: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ».

نحن وأصحاب السفينة

الواقع أن حالنا نحن الجزائريين اليوم. كحال أولئك الذين وصفهم النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَثَلُ الْفَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا: كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ. فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا. فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ. فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيْبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا ارَّادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ لَجُؤًا وَجُؤًا جَمِيعًا).

نعم. فسواء شئنا أم أبينا ينبغي أن نعترف أن هناك من الجزائريين اليوم. مع الأسف. من لم تعد تربطهم بالجزائر سوى رابطة المنفعة. فقد فسدت ذمهم وخربت ضمائرهم وأقفر قلوبهم من الإيمان وحب الوطن. وصار همهم الأكبر خدمة مصالحهم الشخصية الضيقة وتحقيق رغباتهم الانانية الصرفة. دون أدنى اعتبار للمصالح العامة للوطن والمواطنين. وهؤلاء. مع الأسف أيضا. عددهم يتزايد يوما بعد يوم. وهم بتصرفاتهم وسلوكياتهم ينشرون ثقافة جديدة على وطننا وشعبنا هي ثقافة السلب والنهب والثراء غير المشروع. وإذا لم يتم إيقاف هؤلاء عند حدودهم والأخذ على أيديهم ومحاسبتهم على أعمالهم. فإن الثمن سيدفعه الجميع الصالحون والطالحون على سواء.

الاستقلال والشباب

هذا وقد ارتبط في أدبيات الخطاب الوطني: الجمع بين الاستقلال

خمسون سنة تمر اليوم على حصول الجزائر على استقلالها وخررها من ربة أعنى استعمار عرفه التاريخ الحديث ألا وهو الاستعمار الفرنسي الذي ناء بكلكله الثقيل على هذا الوطن مدة قرن وثلاث قرن. أذاق خلالها الجزائريين صنوفا شتى من الظلم والعذاب وألوانا من الإذلال والاحتقار.

والحق أنه ما كان الاستقلال ليأتي. وما كانت الحرية لتتحقق. لولا ما بذل في سبيلهما من تضحيات. وما قدم لأجل الحصول عليهما من أثمان باهظة. عبر ثورات كثيرة امتدت خلال القرنين التاسع عشر والعشرين. وتكللت بأعظم ثورة عرفها التاريخ المعاصر ألا وهي ثورة أول نوفمبر الخالدة. التي قدم الجزائريون خلالها أروع صور التضحية والفداء وسجلوا بطولات قهرت جيوش الحلف الأطلسي وبهرت العالم كله وجعلته ينظر إلى هذا الشعب بعين الإعجاب والإجلال.

نعمة عظيمة

لقد كان التحرر من الاستعمار والتخلص من تسلط المحتلين. نعمة عظيمة ساقها الله عز وجل إلى الجزائريين. بعد أن بذلوا ما أمكنهم من جهد لاستحقاقها. فقد أتاحت لهم هذه النعمة أن ينعموا بالعيش الكريم في أرضهم. وأن يتفيؤوا ظلال الحرية ويستنشقوا نسيم العزة والكرامة. بعد عقود طويلة من الذلة والمهانة والعبودية والتسلط والقهر.

كما أتاحت لهم هذه النعمة. نعمة الاستقلال والحرية: أن يبدأوا مسيرتهم من جديد. فيبنوا المدارس لتعليم أبنائهم. ويشيدوا المستشفيات لداواة مرضاهم. وقيموا المصانع والمؤسسات لتشغيل عمالهم. ويهيئوا الثروات والإمكانات لتحقيق العيش الكريم لهم ولأبنائهم في أرضهم وديارهم.

كما أتاحت لهم هذه النعمة أيضا أن يعودوا إلى دينهم. فبنوا المساجد لعبادة ربهم وفتحوا المدارس والكتاتيب القرآنية لتعليم أولادهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومكنتهم من أن يعودوا إلى لغتهم وتاريخهم. فينطقوا باللغة العربية سليمة صافية من شوائب العجمة. ويعرفوا تاريخهم على حقيقته وانتمائهم التاريخي والحضاري في أصوله وفصوله.

إن هذه النعمة العظيمة. التي أنعم الله عز وجل بها على

بمناسبة ذكرى الاستقلال

سننسخ عام الخنوع بعام الشموع

وكانت ذنوبًا فهل تَغْتَفِر؟
ويَهوي الهلالُ بصلبانهم
ويعلو منايرنا تزدهر
فسبحان من شدَّ أزرَ الشرى
وأصفاه بالمقعد هاذي الغُمر
وخصَّ الشهيد بإحيائه
وإزراقه فَرَحًا مبتشر
حَيا لمن شدَّ من أزرنا
بمال. سلاح. وبجاء السُور
شعوبُ المغارب ما فَرطتْ
وسقى جُرحنا دَمُها المنهمر
ومن الشرقِ طمَّتْ أيادي الحِجاز
وشامَ النهى وفي القلب مصر
لك الحمد دوما فيا ربَّنَا
بلادي تناجيك رب البشر
تلطَّف بها في مقاديرها
وكن لها في غدها المُنتظر
عزيزة جنبِ بنوط القلوب
ولو دسَّ كل كذاب أشر
هَلْمي بلادي لتذكرك نصير
وإن صَعَرَ الدهرُ خدَّ الخطر
وضمي إليك بينك أنثري
قلائد عبقٍ على ما اعتكر
وخيَّ الخطى لربيع الذرى
ربيع الوفا. لا ربيع الحُفر
فأنت الشذا إن جفانا الزمان
وأنت الجمال إن تباهى زَهر
وأنت عناقيدُ عَرْنَا المستدام
وأنت هامُ السُهى إن سيوانا بَطر
نظم الشاعر: السعيد علي معريش
متمنة الأربعاء

وعَضَّتْ أناملها في "البِقار"
وخانها في "الزُفَرافِ" ضَعْفُ النظر
جبال الجزائر حُضن الأسود
وبركانها للعدا مستقر
فحَيَّ سلاسلنا كلَّها
وما بينها مدرا أو حضر
تَنادوا أجابوا نداء الجهاد
فلم يستكينوا لأمر قُدر
فكانوا جميعا عليها يَدًا
وقالوا لها: الآن أين المفر؟
نُفاديك فورًا بأحزاننا
وذاك الشُّقا من سنين الجُمر
سماؤنا ضجَّت لِكبر الطغاة
وأزكمها الأرضُ سفرَ زُخر
بأصنافٍ مسيخٍ يخالِف فسُخًا
وقالت إياكم: فهذا قدر
يعجُ "بقوانين" يندى لها
جبينٌ بدل العرقاتِ مَطَر
أخوه (جنسٍ) حرية (دين)
وسلَّ عن (مساواتها) تنبهر
فرنسا: سننسخ عام الخنوع
بعام الشموع سياأتي الخُبر
بحشدٍ الملايين ليس لها
سوى مَرَهقات النفوسِ ثَمَر
ولن يَنجيك الدهر من بأسنا
ولا "الحلفُ" هذا إذا ما قِدر
ولن يسعفك الكيدُ وا عجبًا

هَلْمي بلادي حياك القَدر
بنصر طوى قهرنا فانحسر
وسُوقي لجيل الصبا مَجْدنا
وصوغِها ذكرى إذا ما فتر
إحليله نحو المآثر بزمه
بما خط تاريخنا وادخر
أجل بصرا في تخوم الثرى
جَد كل شرٍّ يوارى أثر
لعطر شهيدٍ يقض الضميرَ
ويَجلي الغشاوات عَمَّن سَكر
وعمن تناسى موأثق عهد
وألهاهُ طول المدى فانسَحِر
ومن لا يُبالي خُفِق البنود
وكم ذا لألوانها من عبر
وسلَّ إن تغاضيت أوراُسنا
هنا دشنَ الدرسُ ثم انتشر
فعالج أحلامها المَفعمات
ففاضت إلى فيح نارٍ سقر
ومن ثم يأتيك رجَعُ الصدى
إلى الونشريس الأبى لا يَدُر
ولا يفلتن من أتى باغيًا
يُعيثُ فسادا ويَهينُ البشر
بجرجرة الفخم جرَّت ذبولا
وذكرها "الجُرف" حرقَ السعر
ونالها في "الصَّحن" ذل النكوص
فمالها في التاريخ من مزدجر

استقبال شهر رمضان

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

نستقبل هذه الأيام ضيفا كريما وزائرا عزيزا، لطالما اشتاقت النفوس إلى ملاقاته وتطلعت الأرواح إلى معانقته؛ إنه شهر رمضان المبارك.



اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ فِي الْقَالِ: (كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ). وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِرِضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

فأول ما يستقبل به المؤمن شهر رمضان إذن، هو تذكر حقيقة الحياة وهدف الوجود.. أما ثاني ما ينبغي أن يستقبل به المؤمن الصادق شهر رمضان الكريم: فهو التوبة النصوح التي أمر الله عز وجل بها عباده المؤمنين في قوله سبحانه: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ جَارِي مِنْ خَتَمِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَافْغِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).. والتوبة النصوح: أن يترك الإنسان ما هو فيه من ذنوب ومعاصي. وما يخوض فيه من لغو ولهو. وما يحرص عليه من متع وشهوات. ويندم على ما بدر منه من أخطاء وسيئات. ويعزم على عدم العودة إليها ما دام حيا.. كما أن من التوبة النصوح: الندم على التقصير في طاعة الله عز وجل وعبادته وحفظ حقوقه. والشعور بالإثم بسبب ذلك، والعزم على القيام بحقوقه سبحانه وتعالى والتفاني في ذلك في مقبلات الأيام.. هذه التوبة النصوح هي المدخل الكريم إلى استقبال شهر رمضان العظيم. إذ هي وحدها سبيل الفلاح والنجاح. كما قال تعالى: ((وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)).

وما ينبغي أن يستقبل به المؤمن شهر رمضان الكريم أيضا: العزم على اغتنام لحظاته وأوقاته بالتقرب إلى الله عز وجل وكثرة التوجه إليه سبحانه وتعالى بالعبادة والطاعة. من قراءة للقرآن وذكر لله عز وجل وحرص على صلاة التراويح ومطالعة لكتب العلم وبذل ما أمكن من الصدقات. وأن يحاول قدر استطاعته أن يتقن هذه الطاعات والعبادات. ذلك فرمضان فرصة لتعويد النفس على أنواع القربات والطاعات ليوافق عليها المؤمن في بقية شهور العام. فلا ينتهي رمضان إلا وقد أخذ حظه منه وتزود بزداد من الأعمال الصالحة التي تربت عليها نفسه وتدرت عليها جوارحه.

شهر رمضان فرصة عظيمة يجدر بالمؤمن أن يستغلها في التقرب من ربه عز وجل وتحقيق مرضاته ونوال مغفرته. وإضاعة هذه الفرصة معناه حرمان النفس من تصحيح العلاقة بالله عز وجل وتمتينها وتوثيقها. وهو ما يعني الانغماس في الشهوات وطاعة النفس الأمارة بالسوء والانسحاق وراء وساوس الشيطان وإملاءاته.

إن المقصد الأساس من تشريع الصيام هو تحقيق التقوى. كما قال سبحانه وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)). والتقوى هي الحرص على مرضاة الله عز وجل ومغفرته ورحمته. وسبيل ذلك الامتثال لأوامره والبعد عن نواهيه. ولا يتحقق ذلك إلا بمجاهدة النفس وحملها وتعويدها على فعل الطاعات واجتناب المنكرات. وشهر رمضان بما يهيئه من أجواء روحية عالية وما يبثه في النفس من سكينة وطمأنينة. من شأنه أن يكون بمثابة محطة للتزود برصيد من التقوى يعين الإنسان على الثبات على الطاعة والبعد عن المعصية خلال شهور العام الباقية حتى يعود شهر رمضان من جديد في السنة الموالية.

إلى درجة تمكننا من تلقي فيوضاته والنهل من أنواره وبركاته.

ولعل سائلا يسأل فيقول: وكيف لي أن أجدد إيماني. وما السبيل إلى أن أرفع مستواه في قلبي؟ والجواب: أن جدد الإيمان يكون أولا بأن نتذكر الهدف الذي خلقنا الله عز وجل وأوجدنا على ظهر الأرض من أجل تحقيقه. وهياً لنا من النعم والأسباب والخيرات والبركات ما يعيننا عليه. هذا الهدف الذي كثيرا ما نغفل عنه وننساه. بل ربما أغلقنا أبصارنا وبصائرنا حتى لا نراه أو سدنا آذاننا حتى لا نسمع من يذكرنا به. هذا الهدف الذي نص الله عز وجل عليه في كتابه الكريم. إذ قال سبحانه وقوله الحق المبين: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)).

كثيرون منا ينساقون وراء مطالب الدنيا إلى درجة يغفلون فيها تماما عن حقيقة وجودهم في هذه الحياة وعن المصير الذي ينتظرهم في الآخرة. والحقيقة أن مغريات الحياة الدنيا لا تنتهي. ولو حاول الإنسان طول حياته أن يجمعها أو يحصلها لم يمكنه ذلك أبدا ولهلك قبل أن يصل إليها. وقد وصف الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم هذه الدنيا الفانية. فقال عز من قائل: ((اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)).

ولذلك فمن الواجب على المؤمن أن يأخذ من الدنيا ما هو بحاجة إليه من طرق الحلال وأبواب الخير. أما أنقالها ومغرياتها وكمالياتها التي لا تنتهي فهذه عليه أن يتخفف منها ما استطاع إلى ذلك سبيلا حتى يدخر من وقته وجهده ما يمكنه من التقرب إلى ربه عز وجل بالطاعة والعبادة. ممتثلا أمر الله عز وجل: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي

لقد اختار الله عز وجل هذا الشهر واصطفاه من بين الشهور. وميزه بأن بدأ فيه تنزيل كتابه الخالد وكلامه المبين على رسوله الكريم محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. ثم ميزه ثانيا بأن ذكر اسمه صريحا في هذا الكتاب. وميزه ثالثا بأن كتب فيه على عباده المؤمنين عبادة الصيام. وهذه مزايا وخصائص لم يحظ بها شهر آخر من شهور العام. وهي المجموعة في قول الله تعالى: ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)).

إن هذا الشهر العظيم الفضيل المبارك. بما اصطفاه الله به من مزايا واختصه من خصائص. له علينا حق.. وحقه علينا؛ أن نفرح بقدومه ونستبشر بعودته. ونستعد لاستقباله استعدادا خاصا يليق بمكانته وخصائصه..

إن الاستعداد المطلوب من المؤمن الصادق لاستقبال شهر رمضان. هو الذي من شأنه أن يسمو بروحه إلى الأعلى ولا ينزل بها إلى الأسفل. الاستعداد الذي يرفعه إلى مقام الملائكة ويعلوه فوق عالم الشهوات والملذات الفانية. الاستعداد الذي يعوضه عن اللذات المادية التافهة بلذات روحية ملائكية علوية باقية خالدة. إنه الاستعداد بتجديد الإيمان وتوثيق الصلة بالله عز وجل. والإيمان دائما يحتاج إلى تجديد في نفس المؤمن حتى يظل تأثيره قائما في حياته وظاهرا في سلوكه ومعاملاته.. روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ)). قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ جَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: (أَكْثَرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

ولا شك أننا جميعا. نحن المؤمنون. بحاجة إلى أن نرفع مستوياتنا الإيمانية. فليس فينا من يمكنه أن يدعي أن إيمانه في مستوى عال يؤهله لأن يستقبل شهر رمضان الاستقبال الذي يليق به والذي هو في مستوى عظمة هذا الشهر ومكانته عند الله عز وجل.

ولذلك فليس أمامنا إلا أن نتواصى جميعا بتجديد الإيمان والرفع من درجاته في نفوسنا حتى نتأهل للاستعداد الأمثل لاستقبال شهر رمضان. ونترقى

رمضان شهر القرآن

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي*

من فضل الله عز وجل على عباده المؤمنين أن هيا لهم مناسبات خاصة تعينهم على التقرب منه سبحانه وتعالى، وتجعل حياتهم أقرب ما تكون إلى التطابق مع مراده منهم وهو أن يحققوا مقصوده من خلقهم؛ والمتمثل في عبادته عز وعلا وعمارة الأرض وتحقيق الصلاح. ومن هذه المناسبات؛ شهر رمضان الفضيل الذي اختصه الله سبحانه وتعالى بفضائل وخصائص لم يعطها غيره من شهور العام، وعلى رأس هذه الفضائل أنه شهر القرآن.

في رمضان نزل القرآن

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العظيم: ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)) [البقرة: 185].

في هذه الآية الكريمة، يمدح الله عز وجل شهر الصيام من بين سائر الشهور، باختياره لإنزال القرآن العظيم فيه. كما يمدح الله سبحانه وتعالى كتابه الكريم القرآن بأنه إنما أنزل له ليكون هداية ومرشدا لقلوب العباد من آمن به وصدقته واتبعه. وبأنه جعل نزوله في شهر رمضان إشعارا بأن من أعظم المقاصد من تشريع الصيام تصفية الفكر لأجل فهم القرآن.

ونزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم - كما هو معلوم - لم يتم جملة واحدة في شهر رمضان. وإنما ابتداء نزوله في هذا الشهر ثم ظل ينزل طيلة ثلاث وعشرين سنة. وهو عمر البعثة الحمدي والامتداد الزمني لنزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد كان ابتداء نزول القرآن في ليلة هي من أشرف الليالي وأفضلها، ليلة هي خير من ألف شهر. كما قال سبحانه وتعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ)) [الدخان: 3]. وقال عز من قائل: ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ)) [القدر: 3-1]. وروى الحاكم عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: «أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة».

هذا الربط بين فريضة الصيام في شهر رمضان ونزول القرآن الكريم في هذا الشهر الكريم بالذات، يحتاج منا إلى وقفة تدبر وتأمل، ومحاولة فهم دلالات هذا الارتباط.

القرآن هدى وبيّنات

لقد وصف الله عز وجل كتابه العزيز في قوله سبحانه: ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)). وصفه بأنه ((هدى))، أي منهاج والنور، والداعي إلى كل خير، والناهي عن كل شر. غذاء الأرواح، ومزكي النفوس. فيه بيان الحلال والحرام، وتفصيل التشريع والأحكام. من آمن به وصدقته واتبعه وتمسك به هداه الله لأرشد الأمور وأوصله إلى بر الأمان في الدنيا والآخرة. ومن أعرض عنه أو نبذه وراء ظهره فلا يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئا. قال الله تعالى: ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)) [الإسراء: 9]. وقال سبحانه وتعالى: ((فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى)) [طه: 123-124].



قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «تكفل الله لمن عمل بالقرآن ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة».

هذه الهداية القرآنية تكون استفادتها في شهر رمضان أيسر وأكثر منها في غيره من الشهور. فالزمان المناسب يساعد على تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية. ويزيد المسلم هدى على هدى، ونورا على نور. ورمضان أفضل الأوقات لتلاوة القرآن والتأثر به. لأن القرآن غذاء الروح، وفي رمضان يضعف سلطان النفس الأمارة بالسوء على البدن، فتستعلي الروح وتقوى بغذاء القرآن الكريم. فينتفع المسلم بكلام الله، ويتلذذ بتلاوة القرآن الذي هو غذاء روحه وحياتها. فالقرآن العظيم كالغيث النافع، والنفس كالأرض. ورمضان كالزمان الصالح لنزول الغيث، الذي تنبت الأرض فيه من كل زوج بهيج. قال الحق جل وعلا متنا على عباده المؤمنين: ((وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)) [الإسراء: 82]. فهو شفاء للأمراض والأسقام الحسيّة المادية، وهو شفاء لأمراض القلوب وعلل النفوس وأخطاء الأهواء.

كما أن الله عز وجل وصف قرآنه الكريم بأنه ((بيّنات من الهدى))، أي آيات واضحات، لا لبس في معانيها، ولا غموض في دلالاتها. ولا خفاء في حكمها وأحكامها، فهي من جنس الهدايات المعروفة التي جاء بها الرسل والأنبياء من قبل، ولكنها أكثر جلاء وبياناً. والصيام بتصفيته لقلب الصائم وتخفيفه من أثقال جسده، يعينه على ملاحظة هذه البيّنات ومشاهدتها وفهمها والعمل بها: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ)) [القمز: 17].

القرآن فرقان

أما الوصف الثالث الذي وصف الله عز وجل به كتابه الكريم، فهو أنه (فرقان): أي مفرق للمهتدي به بين الحق والباطل، والخير والشر، وفاصل بين الفضائل والردائل، ومميز بين الحلال والحرام، في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات، والعادات.. لكن هذا الفرقان، وهذه القدرة على التمييز بين الحق والباطل، والتفريق بين الخير والشر، لا

رمضان مناسبة لإصلاح علاقتنا بالقرآن بما هو معلوم أن قراءة القرآن الكريم أمر مطلوب بحد ذاته باعتباره عبادة قائمة يستحق عليها المؤمن الأجر والثواب. فالمطلوب من المؤمن أن يقبل على القرآن الكريم أكثر من تلاوته وتدبره تقرباً إلى الله تعالى وطلباً لمرضاته وتعرضاً لفضله وثوابه، وعملاً بما فيه من أوامر وتوجيهات، واستجابة لندائه عز وجل وامتنالاً لأمره في قوله: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ)) [القمز: 17]. وقوله: ((إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ. لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ)) [فاطر: 29-30]. وطلباً للأجر المرصود لقارئ القرآن، فقد روى أبو داود والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها). وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف).

وإذا كان مطلوباً من المؤمن أن يقرأ القرآن آناء الليل وأطراف النهار في سائر الشهور وفي كل يوم من أيام العام، فإن في شهر رمضان يزداد الأمر بقراءة القرآن الكريم ومدارسته تأكيداً، وخاصة إذا قرأه المؤمن وهو يقوم الليل راكعاً ساجداً، فإن لذلك فضلاً عظيماً وثواباً جزيلاً عند الله سبحانه وتعالى. روى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. يَقُولُ الصَّيَامُ: أَيُّ رَبِّ مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَعْنِي فِيهِ. وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ)).

وهذا ما كان عليه حال السلف الصالح إذا جاء رمضان، حيث يكثرون من تلاوة القرآن في رمضان في الصلاة وغيرها. فالإمام الزهري رحمه الله كان إذا دخل رمضان يقول إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام، وكان الإمام مالك رحمه الله إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالس العلم وأقبل على قراءة القرآن من المصحف.

نرجو أن يستثمر المسلمون فرصة شهر رمضان لإعادة ربط الصلة بالقرآن وإصلاح العلاقة به، وأن تنتهي حالة الهجر التي يتعاملون بها مع كتاب الله عز وجل الذي ما أنزل أصلاً إلا ليكون منهاجاً يحكم حياتهم ونظاماً يسير شؤونهم.

* أستاذ العلوم الإسلامية بجامعة باتنة

يحصل للإنسان إلا بعد أن يحقق التقوى، والتقوى إنما يتوصل إليها بفعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه، فتحصل في شهر رمضان بأداء الصائم لفريضة الصيام كما يحب الله عز وجل ويرضى، ومن لم يحققها لم يتمكن من تحصيل الفرقان في فكره وسلوكه. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)) [الأنفال: 29].

وهكذا تبين لنا الصلة المتينة العميقة بين الصيام والقرآن، وبذلك ندرك لماذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قراءة القرآن في رمضان. فقد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجُودَ النَّاسِ وَكَانَ أَجُودَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ وَكَانَ جَبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِّن رَّمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ أَجُودَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ).. فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يضاعف من إقباله على القرآن الكريم في هذا الشهر، ويضاعف من مدارسته له مع جبريل عليه السلام، والمدارسة ليست القراءة العابرة أو المطالعة المجردة، إنها الإدراك العميق لمعاني القرآن والتفهم الأكيد لهداياته.

هذه الهدايات والمعاني لا يصل إليها من يمر على الحروف والكلمات دون تدبر، أو من يقرأ القرآن وهو متلبس بالمعاصي الظاهرة أو الباطنة.. كلا، فهذه المعاني لا يصل إليها إلا من فتح لاستقبالها عقله وضميره، واستشرف إليها بنفس خاشعة راغبة، فإن كلمات القرآن لا تعطي مدلولها الحقيقي إلا للقلب المفتوح لاستقبالها وتقبلها. وإن هذا القرآن لا يفتح كنوزه ولا يكشف أسرارها ولا يعطي ثماره إلا لقوم يؤمنون ويتقون. قال تعالى: ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مّتَابِرًا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ)) [الزمر: 23].

مع الشيخ الغسيري في ذكراه الثامنة والثلاثين

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

الجلد الأول.

في الرابع والعشرين من شهر جويلية من سنة 1974م، فقدت الجزائر واحدا من أبنائها البررة الذين لم يألوا جهدا ولم يدخروا وسعا في العمل لمجدها ورفع مكانتها وإعلاء سمعتها؛ إنه الأستاذ الشيخ محمد المنصوري الغسيري، المعلم والمربي والدبلوماسي الجزائري، الذي مرت بنا منذ أيام الذكرى الثامنة والثلاثون لوفاته.

أنه يبدو أن جمعية العلماء لاحظت نبوغه والإمكانات العلمية والأدبية والأخلاقية التي يتوفر عليها. فقررت الاستفادة منه. وعينته سنة 1937 معلما بمدرسة باتنة. هذه المدرسة التي علم بها خلال أشهر صيف تلك السنة. لكنه سرعان ما غادرها عائدا إلى قسنطينة أين عين معلما في مدرسة التربية والتعليم بها. رفقة عدد من زملائه ومنهم: محمد العابد الجلاي. وعبد الحفيظ الجنان، والسعيد حافظ. ومحمد الصالح رمضان.

وفي هذه المدرسة كان له نشاط حثيث. وعناية بتدريس عدد من المواد للطلبة من الذكور والإناث. ومن بين المواد التي درسها: النحو والصرف. الإملاء والإنشاء. فقه العبادات. السيرة النبوية. تاريخ الخلفاء الراشدين. وغيرها من المواد اللغوية والشرعية.

نشاطه في إطار الكشافة:

إضافة إلى نشاطه في التربية والتعليم، انخرط الغسيري في صفوف الكشافة الإسلامية الجزائرية. وكان مرشدا لفوج (الإقبال) بقسنطينة لبضع سنوات قبل الحرب العالمية الثانية. وبعد استشهاد السيد محمد بوراس مؤسس الكشافة وانقسام الحركة الكشفية إلى جامعتين. تولى الغسيري قيادة إحدهما. إضافة إلى عضويته في القيادة العامة على مستوى العاصمة. وكان يشارك في مخيماتها وملتقياتها وجمعياتها. ويسهم في تمثيلها في مختلف التظاهرات.

وقد كتب عدة نصوص لفائدة الكشافة. منها: التقرير الديني والأخلاقي الذي كلف بإعداده من قبل السيد محمد فارس القائد العمالي للكشافة لعمالة قسنطينة سنة 1943م. وكذا لائحة المرشدين المقدمة للقيادة العليا للكشافة الإسلامية الجزائرية في مخيم تلمسان سنة 1944. وغيرها.

تعرضه للاضطهاد:

لم يكن نشاط الغسيري الدائب وعمله المستمر ليخفى على الدوائر الاستعمارية التي كانت ترصد كل نشاط وطني وتحتين الفرص للانقضاض على أصحابه. لذلك ما إن وقعت حوادث 8 ماي 1945. حتى سارعت القوات الاستعمارية إلى اعتقال قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسهم الإمام محمد البشير الإبراهيمي. كما اعتقلت نشطاء الجمعية ومنهم الغسيري. الذي تم اعتقاله وإيداعه السجن المدني بقسنطينة يوم 16 ماي 1945. ثم نقل منه إلى سجن الحراش. ومنه إلى معتقل جنين بورزق جنوب وهران بين بشار وعين الصفراء. وبعد إغلاق هذا المعتقل نقل إلى معتقل المشربة. الذي ظل به إلى غاية 27 مارس 1946. حيث صدر العفو بحقه وتم إطلاق سراحه. ليعود إلى مواصلة مهمته في ميدان التربية والتعليم.

عضويته في لجنة التعليم العليا

وعندما أنشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لجنة التعليم العليا. سنة 1946. أوكلت رئاستها إلى الأستاذ إسماعيل العربي. وعينت الأستاذ محمد الغسيري ضمن أعضائها. رفقة كل من المشايخ: محمد الصالح رمضان. عبد القادر الجاجوري. أحمد حماني. الصادق حماني. عبد الحفيظ الجنان. علي مرحوم. العباس بن الشيخ الحسين. أحمد بن ذياب. رحمهم الله جميعا. وقد قامت هذه اللجنة بدور بارز في توحيد التعليم وتطوير مدارس جمعية العلماء وإعطائها البعد المنهجي والتربوي والعلمي الذي رفع مستواها إلى أعلى المراتب.

كما اختير الغسيري كذلك لعضوية اللجنة الفرعية التي أوكل إليها وضع منهاج التعليم في المدارس العربية الحرة. وقد أعد في إطار أعمال هذه اللجنة: (خلاصة الدروس الفقهية). التي وُزعت على جميع المدارس الحرة ووضعت موضع التطبيق العملي فيها.

وفي السنة نفسها (1946). تم تعيينه كأول مفتش عام لمدارس جمعية العلماء على مستوى الوطن. وظل يؤدي هذه المهمة بكفاءة واقتدار إلى غاية سنة 1949.

عين بعد ذلك مديرا لمدرسة باردو بقسنطينة في السنة الدراسية (1949 - 1950). وفي السنة الموالية لها (1950 - 1951) مديرا لمدرسة الإرشاد بسكيكدة. والتي ظل بها إلى أوائل سنة 1956 حيث عاد إلى قسنطينة. مستأنفا من جديد مهمته في التفيتش.



الطلبة. فكانوا يتدربون فيه على فنون الخطابة والحديث. وذات مرة فاجأ الأستاذ الفضيل الطالب الجديد محمد الغسيري وطلب منه أن يقف ليلقي خطبة. فارتبك الغسيري ووقف يرتعد من الخجل لا يدري ما يقول. وسكت و طال صمته. ثم قال له الأستاذ الفضيل: تكلم عنك. اذكر اسمك وبلدك وأين تعلمت. ولماذا جئت إلى هنا؟ فقال: أنا محمد المنصوري الغسيري. ولدت بغسيرة. حفظت القرآن الكريم. وتعلمت في مدرسة الإخاء ببسكرة. وجئت إلى قسنطينة لأحصل على العلم والمعرفة لدى الأستاذ عبد الحميد بن باديس. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كانت هذه المفاجأة المربكة سببا لأن ينطلق لسان الغسيري بعد ذلك ويصدق بالخطب البليغة والأحاديث الممتعة. ويبوئ صاحبه مكانة الخطيب المصق بين خطباء جمعية العلماء.

انخراطه في النشاط الوطني

خلال مرحلة طلبه للعلم على يدي الإمام عبد الحميد بن باديس. تفتح وعيه الوطني. وأدرك خطورة الاستعمار على وطنه وبني قومه. ولذلك حرص على القيام بعمل من شأنه أن يخدم وطنه من خلاله. فكان أن أسس بقسنطينة في ربيع سنة 1934. رفقة عدد من زملائه منهم أحمد بن ذياب ومحمد الصالح رمضان وعلي شطاب وبلقاسم الزباني. خلية سرية ثورية. وكانت هذه الخلية تجتمع بعد صلاة العصر في مصلى الجامع الأخضر. بعد أن ينصرف المصلون. وقد روى الأستاذ أحمد بن ذياب رحمه الله أن الإمام ابن باديس كان يقول له ولزملائه في هذه الخلية: لو أني دعوتكم لثورة أنتم مستمعون؟ فيقولون جميعا بصوت واحد: نعم.

كما أسس الغسيري رفقة عدد من زملائه الأوراسيين. منهم عمر دردرور وأحمد السرحاني وبوزيد قارش. الخلية الأوراسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وكان لهذه الخلية نشاط اجتماعي وسياسي أقلق الاستعمار وأذنا به في المنطقة.

عمله في التربية والتعليم

بعد أربع سنوات من الدراسة. تخرج الغسيري على يدي الشيخ عبد الحميد بن باديس. وكان يمكن أن يلتحق بالزيتونة لإتمام الدراسة العليا بها كما كانت عادة الطلاب في تلك المرحلة. إلا

من هو الغسيري؟

هو محمد بن أحمد يكن المنصوري الغسيري. ينتمي إلى عرش أولاد منصور. أحد أعراش منطقة غسيرة. التابعة حاليا لدائرة تكوت بولاية باتنة. وهي منطقة تجمع عدة قرى هي: تفلفال. أريناش. أولاد عابد. غوفي. كاف لعروس. وأولاد منصور يقتسمون مع أولاد يحيى قرية كاف لعروس الحالية. وقبل أن تنشأ القرى الحالية. كان سكان غسيرة يعيشون على ضفتي الوادي الأبيض. وهو واد يبدأ من أريس وينتهي عند سيدي عقبة. وهذا الوادي كان دائم الجريان. وجمع مياهه من الأمطار والثلوج التي تهطل عادة على المنطقة. إضافة إلى المنابع المائية الكثيرة التي تلتقي مياهها لتصب في مجرى هذا الوادي.

وقد نشأت على ضفتي الوادي بساتين جمعت أصنافا مختلفة من الأشجار. لكن الصنف الغالب هو النخيل. وكان سكان المنطقة يعتمدون في غالب قوتهم على التمر. وهو وسيلتهم إلى شراء غيره من الحاجيات حيث يستبدلونه بغيره بما يحتاجون إليه. ولذلك كان غالب عمل أهل المنطقة في هذه البساتين. باعتبارها المصدر الوحيد لرزق بالنسبة لهم.

في هذه البيئة. ولد محمد يكن الغسيري. لأب هو أحمد بن محمد وأم هي أم الخير بنت أحمد يكن. وكان مولده في سنة 1915م. لكنه لم يسجل في سجلات الحالة المدنية بأريس إلا في سنة 1919م.

النشأة والتكوين

عندما بلغ السابعة من عمره. أي سنة 1922. أُدْخِلَ الكتاب لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. فتلقى تعليمه القرآني على أيدي عدد من المشايخ في بلدته. منهم: خلاف ورياشي. أحمد بن مخلوف بولطيف. حمودة حمودة. وفي شهر ماي من سنة 1927 التحق بزاوية الشيخ أحمد بن الصادق التي كانت قائمة في أولاد ميمون في الطرف الجنوبي من قرية غوفي. وفي هذه الزاوية أتم حفظ القرآن الكريم في أربع سنوات. حيث انتهى من حفظه حفظا جيدا سنة 1931.

شد الرجال بعد ذلك إلى بسكرة. أين التحق بزاوية الشيخ محمد الصغير الجواوي. ثم انخرط سنة 1932 في صف تلاميذ مدرسة الإخاء للشيخ محمد خير الدين التي كانت قد تأسست في تلك السنة. وهناك تلقى العلم على عدد من معلميه. منهم: الشيخ الطرابلسي الميزابي. الشيخ محمد خير الدين. الشيخ عمر البسكري. الشيخ بلقاسم الغسيري. وغيرهم من أفاضل العلماء. وكان يقيم في زاوية سيدي الجواوي مع الطلبة الجوالمة فترة. ثم تكفل به رجل صالح محب للعلم وأهله. مقابل أن يتولى الغسيري تحفيظ القرآن الكريم لأبيه وابن أخيه.

لكن مقام الغسيري في هذه المدرسة لم يطل. بسبب توقف الدراسة بها نتيجة المشاحنات الانتخابية والخصومات التي كانت قائمة في ذلك الحين.

مع الإمام ابن باديس

التحق بقسنطينة سنة 1933. رفقة زميله مسعود صحراوي. حاملا معه توصية خاصة من الشيخ محمد خير الدين. وعندما دخل على الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس في مقصوره وطلب منه السماح له بالجلوس بين يديه وأخذ العلم عنه. وافق الإمام على طلبه. ومنذ ذلك الحين لم يفارق الغسيري شيخه حتى وفاة هذا الأخير. حيث درس على يديه علوم الشريعة واللغة العربية. واقتبس من أدبه كما أخذ من علمه. كما درس أيضا على غيره من الأساتذة الذين كانوا يعينونه في إلقاء الدروس على الطلبة.

وقد كان الإمام عبد الحميد بن باديس. إلى جانب تعليم طلبته مبادئ العلوم العربية والإسلامية. حريضا على تدريبهم على الخطابة والكتابة والتدريس. حتى إذا حصلوا العلم صاروا متهيين لتبليغه بعد ذلك بسهولة. وكان يكلف قدامى تلاميذه بتدريب زملائهم الجدد.

وما يرويه الأستاذ محمد الحسن فضلاء رحمه الله في هذا الصدد: أنه في نفس السنة التي التحق فيها الغسيري بقسنطينة. أي سنة 1933. كان الأستاذ الفضيل الورتلاني أحد عرفاء الطلبة قد سن سنة حميدة بتوجيه من الإمام ابن باديس. وهي جمع طلبة الجامع الأخضر مرة في كل أسبوع في مكان أسموه (الماوي). وهو عبارة عن مرأب كبير استؤجر لفائدة

مع الشيخ الغسيري في ذكراه الثامنة والثلاثين

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

. الحلقة الثانية والأخيرة.

جوانب أخرى من نشاطه

لم يكن نشاط الغسيري مقصورا على العمل الإداري والتربوي بعيدا عما كانت توج به الساحة الوطنية حينئذ. بل كان يشارك بهمة كبيرة في أنشطة جمعية العلماء ويقوم بمهام كثيرة بتكليف منها. إضافة إلى مهمته كإطار قيادي في الكشافة الإسلامية الجزائرية. من ذلك أنه زار تونس سنة 1949. مندوبا عن الشيخ العربي التبسي. لتفقد أحوال الطلبة الجزائريين في الجامعة الزيتونية.

وقام في أواخر شهر جويلية من سنة 1950، بزيارة إلى المغرب الأقصى. بتوجيه من الأستاذ الشيخ محمد التبشير الإبراهيمي. فحل بفاس. وزار معظم مدارسها. كما زار مدارس مكناس. والرباط. وسلا. والدار البيضاء. وقد حظي في هذه الزيارة بالترحم والحنو من رجالات المغرب: مديري المدارس ومعلميها. وأعضاء حزبي الشورى والاستقلال. وأعضاء الحكومة.

كما قام في صائفة سنة 1951 برحلة إلى فرنسا. عن طريق البحر. ومنها انتقل إلى النمسا وحضر المؤتمر العالمي للكشافة. مثلا عن الكشافة الإسلامية الجزائرية ومرافقا لقائدها الأستاذ محمود بوزوزو.

وفي سنة 1953، توجه إلى جمهورية مصر العربية. ضمن وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية المكون من 28 كشافا. لحضور حفلات الذكرى الأولى لثورة يوليو 1952. استجابة لدعوة الكشافة المصرية. وقد استقبلوا أثناء مرورهم عبر ليبيا من قبل كشافة طرابلس والإذاعة الليبية وأعضاء من الحكومة. وشاركوا في استعراض بشارع عمر المختار منشدين (شعب الجزائر مسلم). وعند الوصول إلى مصر حظي الوفد الجزائري باستقبال حار من قبل الكشافة المصرية. وهيئت لهم جولات وزيارات واستقبالات على مدى عشرة أيام. حيث طوف بهم مضيفوهم في المدن. والمصانع. والمتاحف. والمعاهد. والمطابع. والمساجد. والقصور. والأهرامات. والمكتبات والإدارات. بما فيها قصر رئاسة الجمهورية. والبرلمان وجامعة الدول العربية. وغيرها.

وقد سجل الغسيري وقائع هذه الرحلة في مقال نشر على حلقتين في جريدة (البصائر) في شهر سبتمبر سنة 1953. بعنوان (مصر الشقيقة تحتل بالكشافة الإسلامية الجزائرية).

إسهامه في الثورة

ما كتبه الغسيري في مذكراته: أنه في زيارته السابقة الذكر إلى القاهرة حظي هو ورفاقه بلقاء المجاهد المغربي القائد السيد عبد الكريم الخطابي. وقد وصف لنا ما جرى في هذا اللقاء فقال:

«في صائفة سنة 1954 زرنا. في رحلتنا إلى المشرق العربي. بالقاهرة (الأمير عبد الكريم الخطابي) وذلك في منزله. وكنا كشافة يبلغ عددا 28 وصحافيين خمسة. ومنهم: فرحات عباس وأحمد بومنجل والطاهر التيجاني ومحمد الهادي جمام. وفي أثناء حدثه إلينا أعلن بأنه سيطلعنا على سر يجب كتمانها. وأنه ليعمد إلى أخذ الأيمان منا على المصحف الشريف ألا نذيع هذا الخبر أبدا حتى يتحقق العمل به. وأقسمنا جميعا أن لا نذيع السر. ثم قال. بعد أن سألت كلا منا عن مهنته التي يمتنها في البلد: إن عليكم أن تعلنوا الثورة المسلحة بعد عودتكم إلى الجزائر. ولقد أضحي مستحيلا أن تمنحك فرنسا أي حق بدون إعلان الجهاد والشروع فيه فورا. وإن لم تفعلوا لا قدر الله فإن هناك من يعلنه ومن هنا من القاهرة. ولست أنا بعيدا عن ذلك.. وعدنا إلى الجزائر على أمل تنفيذ العهد والمشاركة في العمل العظيم الذي سيجابهه شعبنا. وما هي إلا أشهر حتى أعلنت الثورة يوم غرة نوفمبر 1954. وبعدها مباشرة أعلننا تأييدنا لها والتحقنا جميعا بالفروع التي حددت لنا. وكنا نحن المعلمين في مدينة قسنطينة نعمل فرادى ومع وحدات الجيش في ميدان التمويل والتسليح. ثم ما لبثنا أن أعلننا نحن المعلمين الأحرار أي معلمي مدارس جمعية العلماء بواسطة منشور بجريدة (البصائر) أننا جميعا مؤيدون للثورة وملتحقون بصوفوها ونتحمل كل عواقب عملنا ذاك. وما هي إلا أيام حتى بدأت المدارس تغلق والإخوان



يسجون...».

كان للغسيري إذن نشاط كبير في إطار دعم الثورة وحشد الطاقات البشرية والإمكانات المادية للإسهام فيها. وقد دام نشاطه على تلك الحال قريبا من سنة ونصف. ما جعل الاستخبارات الاستعمارية تتابع أنشطته وتخصي عليه حركاته وتتحين الفرص للانتقام منه. وقد كانت حادثة اغتيال محافظ شرطة قسنطينة. فرصة سانحة للانتقام من رجال الفكر والثقافة الناشطين في إطار الثورة.

وقد كتب الغسيري في مذكراته عن هذه الحادثة وما نتج عنها من تداعيات. فقال:

«غرة أبريل 1956. وفي هذه الأيام حدثت أحداث في قسنطينة. قتل فيها رئيس قسم البوليس (رحبة الصوف) المدعو (سامار سيلي). وذلك على يد فدائي أطلق عليه رصاصة أردته صريعا في الحين (في رواق الجزارين قريبا من الجامع الأخضر). وكان أن عمدت السلطات الفرنسية إلى إلقاء القبض على جماعة من رفاق النضال في مدينة قسنطينة فأعدمتهم غيلة وغدرا. وكان بينهم الكاتب القصصي (أحمد رضا حوجو) كاتب (معهد ابن باديس). والحاج إسماعيل بوعلاق عضو جمعية التربية والتعليم الإسلامية. وعلي بودور. وعلي نزار. وعبد الملك بوزو. وعلاوة بوالصوف. وغيرهم. وقد قتلوهم دون محاكمة. كما أن ولد الكوميسار القاتل (سامار سيلي) حمل رشاشه في معية جمع من القتلة الفرنسيين. فخرجوا هائجين إلى الشوارع قرب (الكديّة) يطلقون الرصاص على كل من يجدره أمانهم. فقتلوا عديدا من سكان المدينة ثارا لقتيلهم».

وقد أُخبرَ الغسيري. من طرف محام اسمه عبد الحميد بن باحمد كان صديقا لواله قسنطينة. بأن اسمه مدون ضمن قائمة المعنّين بالاعتقال وربما الإعدام. ما اضطره إلى التخفي والخروج من قسنطينة متوجها إلى الجزائر العاصمة بواسطة القطار.

خروجه من الجزائر

وفي 9 أبريل 1956. تمكن من السفر إلى فرنسا باسم مستعار. حيث وصل إلى مرسيليا التي انتقل منها إلى

ليون. وهناك كلف بالعمل مع العمال الجزائريين بغية تأسيس خلايا جبهة التحرير الوطني بها. فقام بالمهمة التي أسندت إليه بنجاح.

وبعد مدة قضاها متنقلا في تلك المنطقة والمدن المجاورة لها. انتقل إلى باريس حيث التقى بقيادة شعبة جبهة التحرير فيها حينئذ: أحمد طالب الإبراهيمي وصالح الوانشي ومحمد ليجاوي.

وقد قضى شهر رمضان من تلك السنة في باريس. في اجتماعات متواصلة مع العمال الجزائريين في منازلهم وفي أماكن اجتماعاتهم السرية.

ثم دُبر له بعد ذلك أمر السفر إلى القاهرة عبر سويسرا. حيث غادر التراب الفرنسي متوجها إلى زوريخ. التي وصلها يوم 19 ماي 1956. وفي صبيحة يوم 20 منه حل بمطار القاهرة.

تمثيل جبهة التحرير في دمشق

أقام الغسيري في القاهرة مدة شهر. ثم جاءه التكليف من قيادة جبهة التحرير الوطني بالانتقال إلى دمشق. التي وصلها في 21 جوان 1956. حيث تم تعيينه ممثلا دائما للجبهة فيها. وقد عمل أولا مساعدا للأستاذ عبد الحميد مهري. ثم بعد استدعاء هذا الأخير إلى القاهرة صار هو الممثل الرسمي للجبهة في سوريا. وهناك ظل يقوم بمهمة حشد الدعم للثورة الجزائرية والتعريف بها والتبشير بقرب انتصارها. كما ظل يشرف على الحصص الإذاعية الموجهة من دمشق إلى الجزائر وثوارها. إلى غاية استقلال الجزائر سنة 1962.

وأثناء وجوده في دمشق. وبشهادة الأستاذ محمد مهري الذي عمل معه هناك. ربط الغسيري علاقات وطيدة مع أهل الشام حكومة وشعبا. وكان يحظى بحبة واحترام كبيرين. لما كان يتميز به من تواضع جم وصدق في المعاملة وتфан في خدمة القضية الوطنية والتعريف بها وجمع الناس على تأييدها.

عمله الدبلوماسي بعد الاستقلال

بعد الاستقلال عاد الغسيري إلى الجزائر ليستقر فيها. لكنه ما لبث أن تم تعيينه من قبل الحكومة الجزائرية سنة 1963 كأول سفير للدولة الجزائرية في المملكة العربية السعودية. وهو المنصب الذي ظل يشغله إلى غاية سنة 1970. وقد استطاع ببعده نظره وحنكته السياسية ومرونته الدبلوماسية أن يربط علاقات ممتازة بين البلدين. ما جعله محل تقدير بالغ واهتمام كبير واحترام عال من قبل القادة السعوديين. يظهر ذلك من خلال منحه السيف الذهبي لآل سعود. وهو تقدير من الدولة السعودية لم يحظ به أحد قبله.

وفي سنة 1970. انتقل إلى الكويت سفيرا للجزائر بها كذلك. ومثلا أيضا للجزائر في اليمن الجنوبية والإمارات العربية المتحدة. مع الإقامة في الكويت.

وفاته

في صائفة سنة 1974. عاد الغسيري إلى الجزائر لقضاء عطلة السّنوية بها. وقام بزيارة إلى مسقط رأسه غسيرة. واتصل بأهله وأقاربه في كاف لعروس. ومنها انتقل إلى تكوت. حيث بدأ يشعر بالآم في البطن.

وفي مساء 22 جويلية كان على موعد مع العشاء في أريس بدعوة من رئيس دائرتها. لكن الآلام المتزايدة منعه من تناول الطعام. ما جعله يسافر في الساعة الحادية عشرة ليلا إلى مدينة باتنة. حيث قضى ليلته تلك عند الشيخ الأمير صالح مدير الشؤون الدينية لولاية باتنة حينئذ.

وفي ضحى يوم 23 تعرض لنزيف داخلي. نقل على إثره إلى مستشفى باتنة ومنه إلى مستشفى قسنطينة. ثم نقل إلى الجزائر العاصمة أين أدخل المستشفى. ليوافيه أجله المحتوم يوم 24 جويلية 1974م. ودفن بمقبرة العالية. رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

وكان الذي أبناه هو زميله وصديقه الشيخ علي مرحوم رحمه الله. الذي ألقى كلمة مطولة أشاد فيها بخصاله وجهوده وأعماله.

مكاسبنا في رمضان.. وكيف نحافظ عليها؟

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

وَسَلَّمَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيَكَلِمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قَدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ مَرَّةٍ).

والصدقة ليست بالمال فقط، ولكنها أيضا بالجهد والعمل، فصورها كثيرة ومجالاتها غير محدودة. ولذلك كان المسلم مطالباً بأن يحصد ما استطاع من الأجر في كل يوم بعمل الصالحات؛ فالسعي في طلب الرزق صدقة، والإنفاق على الأهل صدقة، وإكرام الضيف صدقة، وصلة الرحم صدقة، وإفشاء السلام صدقة، وإغاثة الملهوف صدقة. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ سِلَاقٍ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ: كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَغْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ. وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَجْمَلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيَمِيطُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ).

والصلة بالقرآن مكسب

وفي رمضان يقبل أكثر المؤمنين على قراءة القرآن وتلاوته في الليل والنهار، وهو ما يوثق صلتهم بكتاب ربهم ويجعلهم أقرب إلى الهداية وأبعد عن الضلال. قال الله عز وجل: ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)). هذه الصلة بالقرآن هي الأخرى مكسب من المكاسب التي يحصلها المؤمن في رمضان، وإنه ليجدر به أن يحافظ عليها بعد رمضان، فيجتهد في قراءة القرآن وتلاوته وتدبر معانيه وحفظ ما أمكن من سوره في سائر أيام العام.

لقد دعا الله سبحانه وتعالى إلى تلاوة كتابه، فقال عز من قائل: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ)). وأثنى عز وجل على التالين لكتابنا فقال: ((إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ)). وبين النبي صلى الله عليه وسلم فضل تلاوة القرآن ومكانة صاحبه، فقد روى مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ). وروى البخاري عن أبي موسى الأشعري، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأَرْجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ).

فلا بد للمؤمن أن يحرص على قراءة القرآن وختمه مرة بعد مرة، حتى يكون من الذاكرين ولا يعتبر من الغافلين. وليتأس في ذلك بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما كان عليه السلف. فقد روى مسلم وغيره عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما. قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةَ، قَالَ: (فَاقْرَأْهُ فِي عِشْرِينَ لَيْلَةً)، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةَ، قَالَ: (فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ.. وقال مكحول رحمه الله: «كان أقوياء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك».

والصبر أبرز المكاسب

وهناك مكسب آخر المفروض أننا تزودنا بنصيب كافٍ منه في رمضان، ومن الواجب علينا أن نحافظ عليه في سائر أيام العام إلى أن يعود إلينا رمضان. هذا المكسب الثمين، هو خلق الصبر، فقد كان رمضان موسماً للصبر على الطاعة وتحمل مشاق الجوع والعطش والتعب، وتحمل مشاق قيام الليل والتهجد بالأسحار. واحتساب ذلك عند الله عز وجل، عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَقُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَ مُوسِمًا لِلصَّبْرِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، والبعد عن كل ما يجر إليها، امتثالاً لتحذير الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَيُشْرِبَهُ). وكان كذلك موسماً للصبر على الأذى حرصاً على العمل بتوجيه النبي عليه الصلاة والسلام: (وَالصَّيَامُ جَنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَضْحَكْ فَإِنْ سَاءَ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ)..

هذا الصبر الذي حرص عليه المؤمن في رمضان امتثالاً لأمر الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام، ينبغي أن يحرص على المحافظة عليه بعد رمضان، امتثالاً لذلك لأمر الحق سبحانه: ((إِنَّمَا إِلَهُ الْذِينَ آمَنُوا صَبْرٌ وَإِسَابٌ وَرَاطِبُوا وَأَقْبُوا اللَّهُ تَعْلَمُكُمْ تَفْلِحُونَ)). ورغبة فيما أعده الله عز وجل من جزاء للصابرين. في قوله سبحانه وتعالى: ((إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)). وهكذا يتبين أن حياة المسلم كلها موسماً للطاعات، وليس رمضان فقط، فما من سنة، أو شهر، أو أسبوع، أو يوم، أو ساعة، أو دقيقة من حياة المسلم، إلا وهي موسم من مواسم الخير وموعد من مواعيد الحصول على الأجر والثواب، أليس ذلك هو المراد من قول الله عز وجل: ((قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)).



((وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)). وروى مسلم عن جابر رضي الله قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا أثر الصلاة في حياة المسلم: (مَثَلُ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٌ عَلَى بَابٍ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ). وروى مسلم أيضا عن ابن عمر رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ سَبْعٌ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً).

وصلاة الجمعة موسم، والسعي إليها فرض عين على كل من وجبت في حقه. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)). وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ تَوَضَّأَ فَاحْبِسَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ).

والصلاة في جوف الليل موسم يعظم فيه الأجر ويستجاب فيه الدعاء، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ: الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ).

وهناك مواسم أخرى كثيرة يُستحب من المؤمن أن يتقرب فيها إلى ربه عز وجل بالصلاة، فيُنبدب مثلا صلاة ركعتين قبل الفجر، وصلاتا النشف والوتر بعد العشاء، وصلاة الضحى، والرواتب التابعة للصلوات المكتوبة، فهذه كلها مواسم لطاعة الله عز وجل والتقرب إليه بالصلاة، ويكفي في ذكر فضلها وبيان أهميتها وعظيم أجرها عند الله عز وجل، قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة، إلا بنى الله تعالى له بيتا في الجنة)، أو (إلا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ).

العطاء والصدقة مكسب

ومن المكاسب التي يَحْصِلُهَا الْمُؤْمِنُ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، إِلَى جَانِبِ التَّعَوُّدِ عَلَى الاجْتِهَادِ فِي الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ: الاجْتِهَادُ فِي الصَّدَقَاتِ. والصدقة في حياة المسلم لها أهميتها الخاصة في إطار علاقته بالله عز وجل. قال سبحانه وتعالى: ((لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبِّبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)). وروى الترمذي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتَطْفِئَ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَذْفُقَ عَنْ مِيَةِ السُّوءِ). وهي في رمضان لها مكانتها المتميزة وقيمتها العظيمة في ميزان الله عز وجل. فقد روى الترمذي عن أَنَسِ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ). وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل بنفسه، فكان يبالغ في الصدقة في رمضان، روى البخاري عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جَنَرِيلٌ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. وروى الترمذي عن رِزْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجَهَنِّيَّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا).

يفضل هذه التوجيهات، وحرصاً على الأجر والثواب، وشعوراً بالآلام الآخرين ومعاناتهم، يواظب المسلم على الصدقة في رمضان، ولا شك أن هذا مكسب ثمين ينبغي أن يحافظ عليه، ولذلك فهو مدعو إلى تجديد العهد مع الصدقة بعد رمضان وخلال سائر أيام العام، فيجتهد في التصديق بما هو زائد عن حاجته، رغبة فيما عند الله عز وجل، فقد وصف الله عباده المؤمنين فقال: ((الَّذِينَ يَنفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مِمَّا أَنفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)). وروى البخاري عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

علمنا ديننا الحنيف أن شهرَ رمضان محطة للتزود بالبر والتقوى وعمل الخير، لضمان حسن الاستمرار في الارتباط الوثيق بالله عز وجل في بقية أشهر السنة. ولذلك فإن انتهاء أيام شهر رمضان لا يعني أن زمن الطاعة والعبادة والصلة بالله عز وجل قد ولى، أو أن موسم البر والتقوى قد انقضى.. كلا، فإن مواسم الطاعات في حياة المسلم لا حد لها ولا نهاية، وما كان رمضان إلا محطة للتزود بالطاقة اللازمة للاستمرار، والوقود الضروري لمواصلة السير. واليوم، ونحن ننهياً لتوديع هذا الشهر الفضيل وهذا الموسم الكريم، من واجب كل واحد منا أن يتساءل بينه وبين نفسه عن الزاد الذي اكتسبه من هذا الشهر وعن الأرباح التي حققها فيه، وكيف يمكن المحافظة على هذه المكاسب والأرباح واستثمارها أحسن استثمار في بقية شهور العام؟

الصيام أول المكاسب

لعل أول مكاسبنا من هذا الشهر هو عبادة الصيام بحد ذاتها، فقد تعودنا على هذه العبادة واستمتعنا بممارستها وتمرت عليها نفوسنا وأجسامنا خلال شهر كامل، وهذا مكسب عظيم لا يقدر بثمن. ولذلك ينبغي أن نحافظ على هذا المكسب ولا نفرط فيه، فهذه المحافظة من شأنها أن تعود علينا بالخير

العظيم، والثواب الجزيل من الله الكريم، فقد روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا تَابَعَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ جَهَنَّمَ). وروى الترمذي عن أبي أمامة الباهلي قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِأَمْرٍ يَنْفَعَنِي اللَّهُ بِهِ. قَالَ: (عَلَيْكَ بِالصَّيَامِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ).

والمحافظة على هذا المكسب إنما تكون بتجديد العهد مع الصيام مباشرة بعد عيد الفطر، حيث سنَّ لنا النبي صلى الله عليه وسلم صيام ستة أيام من شوال، ووعدنا عليه بالأجر الوفير والثواب الجزيل، فقد روى مسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ)، وقد جاء تفسير ذلك في الحديث الذي رواه أحمد عن ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ فَشَهْرٌ بَعَثَ فِيهِ أَشْهُرُ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَ الْفِطْرِ، فَذَلِكَ تَمَامُ صِيَامِ السَّنَةِ).

ولا يتوقف الأمر في علاقة المسلم بالصيام عند هذا الحد، بل إنه مطالب بمصاحبة هذه العبادة وممارستها على مدار السنة كلها، بالإتيان بما سنَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوافلها، فمن كان مطيقاً وقادراً على الصيام وأراد الاجتهاد في طاعة الله وعبادته، فعليه بصيام داود عليه السلام، وهو صيام يوم وإفطار يوم، حيث روى البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أنه أهد أن يجتهد في الصيام فيصوم دائماً ما عاش، فقال له رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ وَهُوَ أَعَدَّلُ الصَّيَامِ) قُلْتُ: إِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ).

ومن لم يكن قادراً على هذا المستوى، فهناك مستوى دونه يمكن للمسلم أن يواظب عليه، ألا وهو صيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى صَوْمَ الْأِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ». وروى النسائي عن أَنَسِ بْنِ رِزْدٍ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صِيَامِهِ هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (ذَانِكَ يَوْمَانِ تَعْرِضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَاجِبٌ أَنْ يُعْرِضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ).

ومن عجز عن تحقيق هذا المستوى، فهناك مستوى آخر دونه، وهو صيام الأيام البيض من كل شهر قمري، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، فقد روى الترمذي عن هُوسَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا صُمِّتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةٍ).

ولا تتوقف المواسم التي يُستحب فيها الصيام عند هذه التي ذكرناها، بل تُضاف إليها مواسم أخرى موزعة على مدار السنة، منها صوم يوم عرفة لغير الحاج، وصوم التاسع والعاشر من شهر محرم (تاسوعاء وعاشوراء)، وصيام ما أمكن من الأشهر الحرم، وكذلك صيام ما أمكن من شعبان تهيئة لصيام رمضان.

المحافظة على الصلاة مكسب

وكما كان شهر رمضان موسماً للتعود على عبادة الصيام، فقد كان أيضاً مناسبة للتعود على الاجتهاد في الصلاة وقيام الليل والتهجد بالأسحار، وذلك - بلا شك - مكسب ثمين هو الآخر، لا يجوز التفريط فيه أو التهاون في المحافظة عليه، فإذا كنا نودع مع انقضاء أيام رمضان صلاة التراويح، فإن مواسم الصلاة متجددة في كل يوم وفي كل أسبوع، وهي أفضل وأعظم من صلاة التراويح، والمحافظة عليه أولى وأوجب.

فالصلاة المكتوبة موعد يومي مع الله، والاجتماع عليها والتعاون لإقامتها واجب شرعا، قال تعالى: ((إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)، وقال عز وجل في وصف عباده المؤمنين المفلحين:

المدرسة وبناء الإنسان

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

بمناسبة انطلاق السنة الدراسية الجديدة، والتحاق ملايين التلاميذ بمختلف المؤسسات التعليمية والتربوية، يجدر بنا أن نولي هذا الحدث ما يستحقه من تنويه واهتمام، ذلك أن الأمر لا يتعلق بحدث عادي عابر، وإنما يتعلق بحدث ذي أهمية خاصة في حياة كل تلميذ وفي حياة كل أسرة، وفي حياة المجتمع كله بصفة عامة.

اهتمام الأمر ببناء المدارس

تهتم الأم المختلفة ببناء المدارس وتشبيد المؤسسات التربوية والتعليمية وتقريبها من التلاميذ والطلاب وتيسير التحاقهم بها ووصولهم إليها واستفادتهم منها. وذلك انطلاقاً من الشعور بأهمية المدرسة في حياة الإنسان. وإدراكاً للوظائف التي تؤديها والتي لا يمكن أن تنوب عنها في أدائها أي مؤسسة أخرى.

ولذلك لا يوجد بلد في العالم تخلو حكومته من وزارة للتربية والتعليم. تتولى إقامة المدارس والإشراف على تسييرها ومتابعة عملها وتعيين المعلمين والمديرين لها ومراقبة مدى قيامهم بمهامهم وتحقيقهم للنتائج المطلوبة منهم. وحرص الحكومات المختلفة في العالم كذلك على استقرار قطاع التربية والتعليم وانتظام سيره وعدم تعرضه للاهتزازات والاضطرابات. حتى لا تختل وظائفه ويفشل في تحقيق الأهداف المنتظرة منه.

بناء الإنسان ووظيفة المدرسة

إن الوظيفة المحورية التي لأجلها تقام المدارس وتبنى المؤسسات التربوية والتعليمية هي بناء الإنسان بتدرج وعبر مراحل مختلفة. مع مراعاة خصائصه النفسية وعمره وتكيفه الاجتماعي في كل مرحلة.

ولذلك يقسم النظام التعليمي إلى مراحل متدرجة. تبدأ بالمرحلة الابتدائية. ثم المتوسطة أو الإعدادية. ثم الثانوية. وأخيراً المرحلة الجامعية التي قد لا يتسنى الالتحاق بها لكل طالب.

وتعتبر المراحل الثلاثة الأولى ضرورية في حياة كل تلميذ. وبصفة أكثر تأكيداً المرحلتان الأولى والثانية. اللتان أدمجتا في بعض الفترات تحت مسمى التعليم الأساسي.

وبناء الإنسان أصعب وأعسر وأعقد من بناء أي شيء آخر. لأن التعامل هنا لا يكون مع أشياء مادية يمكن تشكيلها وصهرها مع بعضها واستعمالها في إنتاج شيء ما. وإنما التعامل مع بشر ذي جسد وروح وخصائص نفسية وبدنية وأسرية واجتماعية تختلف من شخص إلى آخر. ووظيفة المدرسة أن تشكل شخصية هذا الكائن وتبني نفسه وترقي روحه وتعمل على تكيفه مع بني جنسه وتعلمه المهارات التي يحتاجها في مسيرة حياته.

وتؤدي المدرسة هذه المهمة من خلال مجموعة من العمليات التي تقوم بها. والمتثلة في: التعليم والتلقين. التربية والتهديب. التكوين والضبط الاجتماعي.

التعليم والتلقين

إن المدرسة بما يتوفر لها من إمكانيات وما تهيئه من جو مناسب. تتولى مهمة تعليم التلميذ ما هو ضروري أن يعرفه و يدركه من حقائق الكون والحياة وما يحيط به من أشياء. وكذا ما يجب أن يتعلمه من مهارات ما يحتاج إلى استعماله في حياته الشخصية أو في علاقاته بأسرته ومجتمعه.

فعلى مقعد المدرسة يكتسب التلميذ اللغة السليمة ويتعلم القراءة والكتابة. حتى يهر فيهما.

وفي المدرسة يلقن الإنسان الحقائق الكبرى للوجود. سواء ما يتعلق منها بعالم الغيب أو تلك المتعلقة بعالم الشهادة.

وفي المدرسة يتعلم اللبائ العلمية الضرورية التي يحتاج إليها في حياته. مثل تلك المتعلقة بالحساب والرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء والفلك وغيرها.

وفي المدرسة يتعلم خصائص الأشياء وكيفية استعمالها. ويعرف وظائف كل منها وما تصلح له وما لا تصلح. وما إلى ذلك.

والمدرسة هي التي تلقن التلميذ تاريخ أمته والأطوار التي مرت بها. وتغرس في نفسه حب الوطن والانتماء إليه والافتخار به والشعور بواجب الدفاع عنه.

هذه الأمور كلها لا يمكن للإنسان أن يتعلمها ويكتسب المعرفة بها إلا في المدرسة. لأنها لا يمكن أن تتوفر له في أي مكان آخر.

التربية والتهديب

وكما تهيئ المدرسة للتلميذ وسائل التعلم والإدراك. توفر له كذلك جو التربية والتهديب. فالطفل في البيت قد لا يجد الضبط الكافي الذي يجعل نفسه تترى وسلوكه يتهدب. وذلك بحكم معزته عند أبويه وحرصهما على إرضائه وتحقيق رغباته. بينما حرص المدرسة على تربية التلميذ وتعودده على الأخلاق الفاضلة من صدق وإيثار وإحسان وتعاون مع الآخرين وتوقير للكبار ورحمة بالضعفاء. كما تعمل على تهذيبه وتخليصه من الخصال السيئة من كذب وأثرة وأنانية وقسوة. وذلك من خلال ما يلقن له من مبادئ وما يعرض عليه من نماذج لذوي الأخلاق الحسنة وما حقق لهم من خير في حياتهم. وكذا ما يبرز أمامه من نماذج لذوي الأخلاق السيئة وما جنوه من شر على أنفسهم وعلى أسرهم وعلى مجتمعهم.

إن هذا التهديب ضروري للإنسان. لأنه بدونه ينحرف سلوكه ويصبح العنف هو الطابع العام الذي يصبغ حياته. وإذا كثر ذلك في الناس تصبح الحياة صعبة وعسيرة. وتكون أقرب إلى حياة الوحوش منها إلى الحياة البشرية.

التكوين والضبط الاجتماعي

والمدرسة كذلك هي الكفيلة بتحقيق التكيف الاجتماعي للتلميذ. حيث توفر له فرصة التعامل مع أصناف مختلفة من الناس. مديراً ومعلمين وزملاء وعمال. وكل هؤلاء لابد أن يعامل كل واحد منهم معاملة خاصة تتناسب مع دوره في المدرسة. وبالتدريب والمران والتعامل المستمر يتكيف التلميذ ويكتسب مهارات التعامل مع الناس بصفة عامة.

ومن الملاحظ أنه كلما تقدم التلميذ وترقى في مراحل التعليم. كلما كان أكثر مرونة وأقدر على التكيف الاجتماعي. إن المدرسة هي التي تكون الإنسان على الإحسان إلى الجار وإكرام الضيف. والتسامح مع الناس. وتوقير الكبير. والرحمة بالصغير. والصبر على الأذى. وإيثار الغير. ومساعدة الفقير. وإطعام المسكين. وطاعة أولياء الأمور. واحترام كل مسؤول في موقع مسؤوليته. والحفاظة على الممتلكات العامة. والحرص على نظافة البيئة وسلامة مكوناتاها. وغير ذلك ما هو ضروري في التكوين الاجتماعي للإنسان.

وهذه القيم والمبادئ يتكون عليها التلميذ أولاً في علاقته مع محيطه المدرسي. وبالتعود عليها تصبح سلوكاً له في بيته وفي الحي الذي يعيش فيه. ومع بني مجتمعه الذين يتبادل معهم العلاقات والمعاملات.

نظام التعليم ومقومات المجتمع

إن أي مدرسة. مهما كان مستواها ومرتبها في الهرم التعليمي. لا يمكنها أن تحقق الوظائف المنوطة بها. إلا إذا روعي في النظام التعليمي والتربوي الذي يوضع لها وتلتزم بتنفيذه وتطبيقه: أن يكون متفقاً مع قيم المجتمع ومبادئه وتاريخه وتركيبته البشرية. وذلك حتى لا يقع التناقض بين ما يلقاه التلميذ في بيته ومجتمعه من جهة وبين ما يلقاه في مدرسته من جهة ثانية.

لأن هذا التناقض إن وجد. فإنه يكون كفيلاً بتقويض النظام التعليمي برمته. حيث تختل العملية التعليمية والتربوية وتعرض للاهتزاز في نفوس التلاميذ عندما يجدون أن ما يلقونه في المدرسة يتعارض مع ما يلقنه لهم آبائهم وما يشاهدون عليه الناس في مجتمعهم. حينئذ سيسايرون التعليم باعتباره أمراً مفروضاً عليهم. مع رفضهم له في قرارة نفوسهم وحرصهم على عدم التأثير به. بل والتخلص منه عند أول فرصة تسنح لذلك.

إن مشكلة التسرب المدرسي وظهور النزعات الرفضية

للالتحاق بالمدارس. والتي تعاني منها بعض المجتمعات. وخاصة منها المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة: هي في بعض جوانبها نتيجة لهذا التناقض الصارخ بين ما يترى عليه التلميذ في البيت وما ينشئه عليه المجتمع من جهة وما يلقن له في المدرسة من جهة ثانية. ذلك أن هذه المجتمعات لها قيم ومبادئ درجت عليها وتمسكت بها. بينما النظم التعليمية المفروضة على أبنائها تنطوي على توجهات إيديولوجية مناقضة لتلك القيم والمبادئ ومتعارضة معها.

وذلك سر فشل هذه النظم التعليمية في بناء الإنسان وتهذيب سلوكه وتشكيل نفسيته وتخفيف إمكانياته وضبط توجهاته.

وإنه لمؤسف أن تُصرف الأموال الطائلة وتوفر الإمكانيات الهائلة وتبذل الجهود الجبارة في كل عام. ثم لا تكاد العملية التعليمية تنتج شيئاً ما يرجوه المجتمع منها. وذلك بسبب عدم مراعاة تطابق نظام التربية والتعليم المفروض على المدارس مع قيم المجتمع ومبادئه وتاريخه وأعرافه وتقاليده.

ولا شك أن هذه مسؤولية القائمين على وزارات التربية والتعليم في العالم العربي والإسلامي الذين يتصورون أن استيراد النظم التعليمية كما هي بروحها وشكلها هو الكفيل بتقديم المجتمعات العربية والإسلامية وخرجها من حالة التخلف. في حين أن فرض هذه النظم كما هي دون تعديل أو مراعاة تطابقها مع مبادئ مجتمعاتنا هو السبب الأساس في استمرار حالة التخلف التي نعاني منها من عقود طويلة. وهذه هي المعضلة الكبرى التي لا يبرء هؤلاء المسؤولون أن يفهموها. أو يفهمونها ولكنهم يتجاهلونها.

دعوة إلى الإصلاح

إن المراقب لأحوال مؤسساتنا التعليمية من مدارس ومتوسطات وثانويات وجامعات. يفزع ولا شك ما تعانيه من أوضاع متردية. أدت إلى تراجع كبير في أداء هذه المؤسسات وفي قيامها بالوظائف المنوطة بها وفي تحقيقها للأهداف التي أقيمت لأجلها.

صحيح أن بلادنا حققت تقدماً كبيراً في بناء المؤسسات التعليمية وتقريبها من التلاميذ والطلاب. ما خسده عليه بلدان أخرى. إلا أن ذلك كان على مستوى الهياكل والوسائل المادية. دون الروح والجوهر. والسبب هو التجارب المستوردة المتعددة التي فرضت على نظام التربية والتعليم عندنا. والتي أضرت أكثر ما نفعت. وجعلت المدارس تفقد أهميتها وتتحول إلى مجرد بنايات جُمع التلاميذ لمدة معينة من الزمن لتطلق سراحهم بعد ذلك ليلتحقوا ببيوتهم. ومنها إلى الشوارع بعد ذلك حيث يكتسبون التوجهات المنحرفة والعلاقات الضارة.

لقد طغت الجوانب الشكلية على نظام التربية والتعليم. وأصبحت كثافة المواد وكثرة الكتب والكراريس والأدوات والحرص على تلقين التلاميذ أكبر كم من المعلومات والانتهاء من المقررات والاهتمام بملء الأوراق ورصد النتائج وإعداد الإحصائيات هو الهدف الأساس. بينما تراجع كل من التربية والتعليم إلى مرتبة متأخرة ولم يعودا هما الهدف الأساس. مع أنهما الأصل وغيرهما مجرد فرع. والنتائج العملية في الواقع خير برهان على ذلك.

إن هذا الوضع يستدعي مراجعة السياسة العامة في مجال التربية والتعليم. وضبط الأهداف ووضع الخطط والبرامج. والتي يجب أن تكون كلها متوافقة مع روح مجتمعنا وقيمه والمبادئ التي يعتنقها. ومن دون ذلك سيظل الأمر يراوح مكانه. والوضع يزداد سوءاً عاماً بعد آخر.

نرجو أن يهتم أولو الأمر في بلادنا بهذا الموضوع. ويحرصوا على اتخاذ القرارات الضرورية الكفيلة بإصلاح نظام التعليم والتربية. وهو نظام يعرف الجميع أهميته وحسياسته والدور الذي يؤديه في حياة المجتمع.

حقيقة المعرفة وأثرها في التصور والسلوك

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

فترة الحياة التي يقضيها الإنسان على ظهر الأرض، ما هي في الحقيقة إلا رحلة معرفة، فالإنسان منذ أن يولد إلى أن يموت، يكتسب في كل يوم معارف جديدة، وعلى ضوء هذه المعارف تتحدد تصوراتهِ عن الخالق والحياة والكون والناس والأشياء، وتتحدد كذلك مواقفه التي يقفها عبر مراحل حياته المختلفة مما يواجهه من ظروف أو يلاقيه من مشكلات.

مفهوم المعرفة وعوامل تكوينها

فالمعرفة الإنسانية إذن هي تراكم لجملة الخبرات التي يكتسبها الإنسان عبر مراحل حياته. والمعلومات التي يتلقاها والأخبار التي يسمعها والوقائع التي يشاهدها. وهذا الركام من الخبرات والمعلومات والمسموعات والمشاهدات. يصبح مع الزمن جزءاً من كيان الإنسان ومكوناً أساساً من مكونات شخصيته التي تميزه بين الناس. والتي ترسم نوع تفكيره وطريقة تعامله ونوع مواقفه. ويتدخل في بناء هذا الركام نوع التربية التي يتلقاها الإنسان من والديه. والمعلومات الأولى التي يغرسها في قلبه منذ أن يفتتح وعيه. وكذا التصورات الدينية التي يكتسبها من أسرته ومن المجتمع الذي ينشأ فيه. ثم المعلومات الأولى التي يتلقاها في المدرسة ومن زملائه فيها. ومن رفاقه في الحي الذي يعيش فيه. وبعد ذلك تأتي المعلومات التي يتلقاها عبر مختلف مراحل التعليم. وهكذا يتطور تراكم المعارف في قلب الإنسان ويعمل عمله في تشكيل شخصيته ورسم تصوراتهِ وتحديد مواقفه طيلة مراحل حياته.

المعرفة إذن ليس هي مجرد المعلومات التي يتلقاها الإنسان في مختلف مراحل التعليم. بل إن هذه المعلومات كثيراً ما تبقى مجرد معلومات ولا يكون لها أي تأثير في حياة الإنسان إذا كانت تتعارض مع ما ينتشر في المجتمع الذي يعيش فيه من أفكار. أو أن التوجه العام للمجتمع لا يتناغم ولا يتوافق مع ما تقتضيه هذه المعلومات ما هو متعارض مع التصور العام الشائع في المجتمع أو التوجه العام المؤثر فيه. والفرد بطبيعته مضطر إلى التكيف مع مجتمعه. بل مضطر إلى تجاهل الكثير مما يعرف أنه حق مسايمة للمجتمع وحفاظاً على مركزه فيه. هل معنى هذا أن الفرد منفعل ومضطر إلى مسايمة المجموع ولو ارتى في الجحيم؟ وأنه كمن حُمِلَ على سفينة لا يدرى إلى أين تتوجه به ولا ما المصير الذي سينتهي إليه؟

المعرفة العامية

إن هذا في الحقيقة إنما يتوقف على نوع المعرفة التي يكتسبها الفرد وتستقر في ضميره. فإن كانت معرفة عامية تلقائية لم تتعرض للسقل والتهديب والتشذيب عن طريق التعليم المنظم والجهد الذاتي المركز. فإنها تظل معرفة منفصلة ويظل صاحبها دائم الحرص على التكيف مع التوجه الاجتماعي العام. مستعداً للتخلي عن شخصيته في أي وقت. مسرعاً إلى تغيير مواقفه ومسالكه تبعاً للتغير الحاصل في المجتمع. غير عابئ أن يقف اليوم موقفاً يقف نقيضه في الغد. وهذا هو المسلك الشائع عند عامة الناس. والذي كثيراً ما نحترق في تفسيره. وهو في الحقيقة واضح لا يحتاج إلى كثير نظر أو تأمل. لأن الإنسان العامي هو ابن بيئته أساساً. منفعل بكل ما يجري فيها. حريص على التحول في نفسه وحياته مع كل تغير يحدث فيها. لأنه يشعر بالتناقض في نفسه وبعدم التناغم مع مجتمعه إذا هو وقف موقفاً يخالف ما عليه التوجه العام والتيار الساري المفعول.

ولذلك لا ينبغي أن نستغرب إذا وجدنا الكثير من يسمون بالمتعلمين يسلكون هذا المسلك ويقفون هذا الموقف. فهؤلاء أيضاً ليسوا في الحقيقة سوى عامة في زي مثقفين. لأنهم خلال مراحل تعليمهم لم يكونوا يتصورون العلم إلا وسيلة للارتزاق. فلا فرق عندهم بين العمل كأستاذ في الجامعة أو العمل في التجارة أو في أي مجال آخر. فالأمر بالنسبة إليهم مسألة أقدار وحظوظ وظروف.

وهذا ما يفسر ما نشاهده من بعض هؤلاء الذين يسمون بالمتعلمين من مواقف ومسالك. يحترق منها الأميون من الناس ويترفعون من أن ينزلوا إليها أو يقعوا فيها. وفي مجتمعنا اليوم؛ كثيراً ما نسمع العامة من الناس يستغربون سلوك الكثير من طلاب وطالبات الجامعة. ما يستنكره الذوق العام ويتعارض مع ما يتلقاه الإنسان من معلومات في مختلف مراحل التعليم والتي تتحدث عن العقيدة والأخلاق الحسنة والمعاملات الطيبة. حيث يقف هؤلاء الطلاب والطالبات مواقف تتنافى تماماً مع هذه المعلومات التي تلقوها وحفظوها وحصلوا بها على نقاط جيدة أملتهم للحصول على الشهادات الجامعية.

وليس في هذا أي غرابة في الواقع. لأن هؤلاء الطلبة لم يأتوا إلى الجامعة لاكتساب المعرفة أو لتهديب السلوك أو إعداد النفس للتأثير في الواقع والحياة. وإنما جاؤوا لأن الأقدار دفعت بهم إلى الجيئ وجعلت الجامعة المنفذ الوحيد للحصول على الشهادة التي يُرجى أن تكون مفتاحاً للحصول على الوظيفة التي من شأنها أن تدر من المال على صاحبها ما يمكنه من أن يعيش آمناً على نفسه وأهله غير خائف من الجوع والعري. هذه إذن هي المعرفة العامية التي يشترك فيها معظم أفراد المجتمع. وهي كما رأينا معرفة منفصلة. صاحبها لا يهتم إلا بمسايمة الواقع والتغير مع الظروف. بهدف الحفاظ على مكانة ثابتة داخل المجتمع.

المعرفة الفاعلة وتكاليفها

أما المعرفة الفاعلة. فعلى النقيض من ذلك تماماً. هي معرفة علمية وعملية في آن واحد. هي تلك المعرفة التي يحصلها الإنسان بجهدِهِ الذاتي. ويحرص على أن يمارسها في حياته سلوكاً ومواقف. لأنه يدرك أن هذه المعرفة وإن تركها الناس أو خالفوها بسلوكهم ومواقفهم هي المعرفة الحقيقية التي ينبغي أن يحرص على تحصيلها من مصادرها. ثم يحرص على ممارستها في حياته الفردية وفي علاقاته بالواقع والحياة والمجتمع.

هذه المعرفة روحها وجوهرها؛ البحث عن الحقيقة حيثما كانت وعند من وجدت. ثم الاستماتة في التمسك بها ومحاولة إقرارها وتثبيتها في الواقع الفردي والجماعي. ولأن تكاليف هذه المعرفة باهظة والحرص على التمسك بها مكلف للإنسان. فإن أهلها قليلون في واقع الحياة. بل لقد كانوا أقل الناس عبر التاريخ. وهم كثيراً ما كانوا عرضة للاضطهاد والرفض من قبل مجتمعاتهم لأنهم يحرصون على ما يخالف التوجه العام وليس عندهم استعداد لتقبل كل ما يُقال أو يُفعل وإن توافق عليه الناس جميعاً. فهم دائماً يحكمون موازين المعرفة التي يحصلونها ويزنون بها أي قول أو فعل فيحكمون عليه بناءً عليها. هؤلاء هم وحدهم الذين طوروا الإنسانية وتقدموا بها إلى الأمام. ورفعوها من مدارك الوحشية والهمجية إلى مدارج التطور والتحضّر.

وليس من الضروري أن تكون المعرفة التي انطلق منها هؤلاء دائماً صحيحة في أسسها. فقد يكون فيها القليل أو الكثير من التشويه من الناحية التصورية أو حتى العملية. إلا أن ميزتها الأساس أنها معرفة مقرونة بالفعل. معرفة ينطلق صاحبها دائماً من إلزام نفسه أولاً بما يؤمن به ثم يحاول أن يقنع الآخرين معه بالتزامه والتمسك به.

جامعاتنا ونوع المعرفة

ونحن إذا رجعنا إلى واقعنا اليوم. محاولين أن نستطلع واقع

الجامعة في العالم العربي والإسلامي عموماً. وفي مجتمعنا الجزائري خصوصاً. لا شك أننا سنجد أن هذه الجامعات لا توفر المعرفة بقدر ما تعطي المعلومات. دون أن تعمل على تحويل هذه المعلومات إلى سلوك فردي واجتماعي يمارسه الطالب أثناء وجوده في الجامعة أو بعد خروجه منها والتحاقه بواقع الحياة الاجتماعية.

مهمة هذه الجامعات أساساً هي التكوين. والتكوين لا يعني التربية.

والحقيقة أننا نظلم الجامعة أو أي مؤسسة تكوين أخرى حين نطلب منها أن تخرج لنا طلاباً يجمعون بين التكوين العلمي الصحيح والتربية السوية السليمة. لأن هذه المؤسسات هي الأخرى بدورها منفصلة وخاضعة للتيارات العامة التي تحكم المجتمعات التي توجد فيها. بل إن هذه الجامعات هي أكثر المؤسسات الاجتماعية تأثراً بالتغيرات الحاصلة. حيث تنعكس عليها بالسلب عادة. فتعطل فعاليتها وخذ من دورها وتأثيرها.

ضرورة الجهد الذاتي في تكوين المعرفة

ما الحل إذن؟

الحل هو تفعيل دور الفرد بتكوين الذات وتربية النفس. فالمتطلب من الطالب الجامعي أن يجعل من المرحلة الجامعية مرحلة لتحصيل معارفه وتصوراتهِ السابقة وكذا تحصيل الجديد من المعرفة وترسيخها في بعديها النظري والعملي. ذلك أن المرحلة الجامعية هي الفترة الأخصب في حياة الإنسان. فهو من جهة متفرغ لطلب العلم وتحصيل المعلومات. ومن جهة ثانية كل الظروف مهيأة لتمكينه من ذلك. فإذا ما قصر فإن العيب فيه لا في الظروف.

ثم إن المرحلة الجامعية هي مرحلة التلاقح الفكري والتواصل المعرفي. فالطالب يلتقي أثناءها بزماً قادمين من جهات مختلفة وذوي مشارب فكرية متنوعة. وهو معنيٌّ بالتواصل معهم ومحاورتهم والاستفادة منهم وإفادتهم والتعاون معهم في تحصيل المعرفة وترسيخها.

إن المطلوب من الطالب هو أن يستثمر المرحلة الجامعية أحسن استثمار. لأنها في الحقيقة الفرصة النادرة التي لن تتكرر. مطلوب منه أن يستثمرها في تكوين نفسه من الناحية العلمية تكويناً مركزاً. بالمطالعة المستمرة والبحوث المتتابعة والتساؤلات الدائمة والاحتكاك المستمر مع المجددين من أساتذته وزملائه الطلبة.

ومطلوب منه كذلك أن يعتني خلالها بتهديب ذاته وتقويم سلوكه وإعداد نفسه لأدوار أساسية في الحياة. لأن الطالب الذي يدرس ليعيش ويأكل ويشرب ويحسن ظروف سكنه ويرفه نفسه لا يختلف عن عامة الناس الذين لم يحصلوا أي قدر من المعرفة العلمية ومع ذلك فهم ناجحون من هذه الناحية.

إن الحياة الإنسانية ليست هي الأكل والشرب والنوم واليقظة والزواج والإنجاب. فهذه كلها أمور يشترك فيها الإنسان مع غيره من الكائنات الحية. ولا يكاد يتميز عنها في شيء منها. إنما الحياة الحقيقية هي تلك التي يحقق الإنسان من خلالها إنسانيته ويؤدي الدور الذي خلقه الله عز وجل لأجل أدائه. ألا وهو تحقيق عبوديته لله عز وجل والخلافة في الأرض.

وإنها لمهمة لم ينهض بها من الناس إلا القليل من مجموع البشر الذين مروا على هذه الأرض في رحلة الحياة. والعاقِل من يختار لنفسه. فيترفع أن يمر على هذه الدنيا كما يمر أي كائن حي آخر لا يعيشها إلا في بعدها البيولوجي.

من أوصاف النبي عليه الصلاة والسلام في القرآن

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

من حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم علينا ، ونحن أتباعه وأنصاره ومحبيه ، أن نوثق صلتنا به ونحكم الروابط التي تربطنا به ، ولن يتم لنا ذلك إلا إذا أحسنا التعرف إليه وأدركنا حقيقة دعوته وطبيعة رسالته ومقاصد بعثته عليه الصلاة والسلام . وخير من يعرفنا بذلك كله هو ربنا عز وجل فيما أنزله من كتابه وبينه في قرآنه ، فقد وصف سبحانه وتعالى نبيه وعبداه عليه الصلاة والسلام بخير الأوصاف ونعته بأحسن النعوت ، وليس بعد وصف الله تعالى لنبيه وصف ، ولا بعد بيانه بيان .

محمد رسول الله

أكبر أوصاف نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في كتاب الله تعالى «القرآن»؛ هو أنه رسول من الله عز وجل إلى عباده. حمله إليهم برسالة فيها - إن هم عملوا بها - خيرهم وسعادتهم في الدنيا. وفلاحهم ونجاتهم في الآخرة.

قال تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ». فهو ليس إلها. ولا ملكا. وإنما هو عبد الله ورسوله إلى عباده. هو مجرد بشر يوحي إليه: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ». «قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا». وهو في هذا ليس بدعا. إنه حلقة في سلسلة رسل الله إلى البشرية في مسار وجودها الطويل على الأرض: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ». «قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ».

وكل رسول إنما يرسل من قومه. لا يأتيهم من خارج ديارهم. إنه يبعث إليهم بعد أن يكون قد ولد بينهم وترعرع في ديارهم ونشأ على أعينهم. وكذلك كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل على الأميين العرب بعد ضلال طويل الأمد عاشوا فيه: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

وحق أي رسول من الله إلى عباده: أن يطاع ويتبع: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ». ولذلك كانت طاعة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام واجبة. ووجوبها على المؤمنين به قبل غيرهم: «فَلَا وَرَبِّيَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

وقد قرن سبحانه وتعالى طاعة رسوله عليه الصلاة والسلام بطاعته عز وجل: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا». وجعل عز وجل جزاء من يطيعه ويطيع رسوله أن يدخله الجنة. وجزاء من يعصيه ويعصي رسوله أن يكون من أهل النار: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ جَرَى مِنْ خَتَمِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ». وَمَنْ يُعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ». أما أولئك الذين يتظاهرون بالإيمان به ثم يصدون عن طاعته واتباع نهجه. فهم منافقون يستحقون الفضح والتشهير. قال سبحانه وتعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا». وقال: «وَيَقُولُونَ طَائِفَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهِ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا».

خاتم النبيين

وميزة محمد عليه الصلاة والسلام التي يختص بها دون غيره من الرسل السابقين عليه: أنه آخرهم وخاتمهم. فقد قضى الله عز وجل أن تكون رسالة محمد آخر الرسالات. وأن تكون نبوته خاتمة النبوات. قال تعالى: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا».

وختم النبوة معناه كمال الرسالة وتمام الدين. قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا». ويترتب على ذلك أن من يعتنق ديننا غير الإسلام فهو مردود عليه ولن ينفعه في شيء: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

ولأن نبوة محمد خاتمة النبوات ورسالته آخر الرسالات؛ فقد ناسب أن تكون رسالة عامة يخاطب بها الجميع عربا كانوا

أو عجمًا. بيضا أو سودا. وهذا ما قرره ربنا عز وجل في قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

ومعنى ذلك أن البشرية كلها مدينة لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن تؤمن به وتعتنق الدين الذي جاء به وتسير على النهج الذي يضمنه الوحي الذي أنزل عليه: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا أَنْتُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ». «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ».

داع إلى الله بآذنه

وقد كلف الله عز وجل نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بأداء مهمة الدعوة في إطار مهمته الكبرى وهي تبليغ الرسالة. فالدعوة أساس التبليغ. وما لم يستجب الناس للدعوة لن يستجيبوا للرسالة: «وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ». على أن تكون هذه الدعوة باللين والإحسان والحكمة: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ». ولن تكون الدعوة بالحكمة إلا إذا كانت على بصيرة: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

وهذه الدعوة غرضها الأول والأخير هو تبليغ رسالة الله إلى عباده. دون أن يكون للداعي فيها نصيب من حظوظ النفس وأهوائها: «مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوهَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ. وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ». وكما لا ينبغي للرسول أن يجعل من الرسالة وسيلة لتحقيق أهوائه. لا ينبغي له كذلك أن يطوعها لأهواء أتباعه أو أهواء من يريد أن يلتحقوا بدعوته: «فَوَادْعُ أَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ».

شاهد ومبشر ونذير

بين الله عز وجل أنه يبعث الرسل إلى الأمم المختلفة ليقم عليها الحجة ويغلق أمامها أبواب الاعتذار: «رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا». ومحمد عليه الصلاة والسلام بمقتضى نبوته ورسالته كان شاهدا ومبشرا ونذيرا: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا». «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا».

فمحمد صلى الله عليه وسلم شاهد علي أمته بما بلغها من رسالة ربه عز وجل: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا». وأمنته شهيدة على الأمم الأخرى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا».

والشهادة لا تكون إلا بعد الإنذار والتبشير؛ والإنذار إنما يكون بما أنزله الله من وحي: «قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ». «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ». «وَأُنذِرُ بِهِ الَّذِينَ يُخَافُونَ أَنْ يُخْسِرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ».

ومضمون الإنذار؛ بيان ما يأمر الله عز وجل به عباده أن يفعلوه. وما ينهاهم عنه أن يقترفوه. ثم حذيرهم مما أعده للعصاة

منهم من عذاب أليم يوم القيامة: «وَأُنذِرُ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ مُجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أُولِمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمُ مِنْ زَوَالٍ». «وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْخُسْفَةِ إِذْ قَضَيْتُ الْأَمْرَ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ». «وَأُنذِرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْخُنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَميمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ».

أما التبشير؛ فهو للمستجيبين لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. الذين اختاروا أن يكونوا مؤمنين طائعين: «وَيُبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِنْ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا». «وَيُبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ خَتَمِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

رحمة للعالمين

لقد كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برسالته ودعوته وشهادته وإنذاره وتبشيريه. كان بكل ذلك رحمة كبرى ومنة عظيمة امتن الله تعالى بها على عباده. قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

ومظاهر الرحمة في رسالة محمد عليه الصلاة والسلام وسيرته لا تعد ولا تحصى. وأول هذه المظاهر ما تحقق للعرب على يديه من إنقاذ لهم من الضلال وقيادتهم إلى المجد في الدنيا والسعادة والنجاة في الآخرة: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ». «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ».

وقد أمكن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يحقق ذلك بفضل ما أدبه الله به من أدب عال وما طبع عليه نفسه من أخلاق عالية وخصال رفيعة. استحق عليه الصلاة والسلام أن يمدحه الله بها في كتابه الكريم في قوله عز من قائل: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ». ومن عظيم خلقه عليه الصلاة والسلام أنه أرجع الفضل في ذلك إلى ربه عز وجل حين قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».. وبفضل أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام العالية؛ استطاع أن يجمع الناس من حوله وأن ينال احترام العدو قبل الصديق. وتحصل له في النفوس الهيبة والتوقير. قال تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ».

وفيما كتب الكاتبون وألف المؤلفون عروض وافية لجوانب الرحمة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته ورسالته. ما لا مجال لسرده في هذا المجال المحدود.

تلك بعض أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الله عز وجل. وهي أوصاف ترفعه إلى أعلى مقام لأعظم رجل عرفته البشرية عبر تاريخها الطويل ولن تعرف مثله إلى يوم القيامة. هذا الرجل الكريم لن تبلغ إساءة نأفه أن تخدش مجرد خدش في كرامته أو أن تهز من هيئته ومكانته. وإن الواجب ليقضي من المسلمين. بدل أن يشغلوا أنفسهم بالرد على تفاهات التافهين وإساءات المسيئين؛ أن يتعرفوا إلى نبيهم ويدرسوا سيرته ويتبعوا نهجه ويتأسوا به في أقواله وأعماله وما كان عليه في حياته من أخلاق عالية وخصال رفيعة وعبادة متميزة لربه عز وجل. وعندما يفعلون ذلك ستكتشف البشرية كلها حقيقة هذا النبي المكرم والرسول المعظم. وستعرف الإنسانية كلها. عندما يحرص أتباعه على الاقتداء به. أي خسارة جنتها من عدم اعتناق دينه والانتماء إلى أمته.

في رحاب فريضة الحج

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

نستقبل هذه الأيام موسماً عظيماً من مواسم الخير في حياة أمتنا المسلمة، وأوقاتاً مباركة كلها عطاء وبركة من الله عز وجل لعباده الطائعين المتقين. ففي هذه الأيام المباركة تتطلع أرواح المؤمنين وتهيج أشواقهم ويشتد حنينهم إلى زيارة البيت العتيق الذي جعله الله تعالى مثابة للناس وأمناً، فتتحرك جموعهم الغفيرة من شتى بقاع الأرض متجهة إلى المسجد الحرام ليؤدوا فريضة الحج، وليمتعوا أبصارهم برؤية تلك الأماكن المقدسة التي انبعث منها نور الإيمان، وانتشرت منها تعاليم الإسلام، وليطوفوا بالبيت العتيق الذي رفع قواعده، بأمر من الله عز وجل، النبيان الكريمان إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام.

ركن عظيم من أركان الإسلام

وفريضة الحج ركن عظيم من أركان الإسلام. باتفاق جميع المسلمين. وفرضيتها معلومة من الدين بالضرورة. وجاحدها لا شك في كفره بالله عز وجل ورسوله وكتابه. قال سبحانه وتعالى: ((وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)). وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَيْنَ الْإِسْلَامِ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. وَإِقَامِ الصَّلَاةِ. وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. وَالْحَجِّ. وَصَوْمِ رَمَضَانَ). وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تَبْلُغُهُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَلَمْ يَحْجْ فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا).

ومن رحمة الله عز وجل لعباده المسلمين أنه لم يوجب عليهم أداء فريضة الحج إلا مرة واحدة في العمر. وما زاد على المرة فهو نافلة. فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا). فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ وَلَمْ اسْتَطَعْتُمْ). وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ الْأَفْرَعَ بْنَ حَابِسٍ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْحَجُّ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً؟ قَالَ: (بَلْ مَرَّةً وَاحِدَةً فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ).

شروط وجوب الحج

ومع أن الحج فريضة عظيمة وركن أساس من أركان الدين. إلا أنه لا يجب على كل مسلم. وإنما يجب فقط على من توفرت فيه شروط الوجوب. وهي: الإسلام. والعقل. والبلوغ. والاستطاعة.

والاستطاعة في الحج تثبت لمن يتمكن من أدائه بدنياً ومادياً. بأن يكون قادراً على الركوب. ويحتمل مشقة السفر. ويجد من المال ما يكفيه في الذهاب والإياب. ويجد أيضاً ما يكفي أولاده وما يلزمهم من النفقة خلال مدة غيابه عنهم.

أما من كان قادراً بماله دون جسمه. بأن كان كبيراً هرمًا. أو مريضاً مريضاً مزمنًا لا يرجى برؤه منه. فيلزمه أن يكلف من يحج عنه ويعتمر حجة وعمره الإسلام من بلده. أو من البلد الذي يقيم فيه. لما رواه مسلم عن ابن عباس عن الفضل أَنَّ امْرَأَةً مِنْ خَتَمِ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلَيْهِ فَرِيضَةُ اللَّهِ فِي الْحَجِّ وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَحُجِّي عَنْهُ).

ويشترط في النائب عن غيره في الحج: أن يكون قد حجَّ عن نفسه حجة الإسلام. ويعطى النائب من المال ما يكفيه من تكاليف السفر ذهاباً وإياباً.

الحج المبرور وثوابه

ومن فضل الله على عباده المؤمنين: أن رتب لهم على أداء فريضة الحج الأجر العظيم في ميزان الحسنات يوم القيامة. وأدّخر للحاج الصادق المخلص في حجه: الجنة وما فيها من النعيم المقيم. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا. وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ). ذلك أن الحج المبرور من أفضل الأعمال التي يتقرب بها المؤمن إلى ربه عز وجل. روى البخاري أيضاً عن أبي هريرة كذلك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: (إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرِسُولِهِ). قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: (الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ). قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: (حَجٌّ مَبْرُورٌ).

وحتى يكون الحج مبروراً. ويستحق عليه صاحبه الجنة وما أعد الله للمخلدين فيها من نعيم. لا بد من توفر مجموعة من الشروط: أولها: التوبة إلى الله عز وجل من كل الذنوب. ومن كانت عنده مظالم للناس فعليه أن يردّها إليهم ويطلب مسامحتهم.

وثانيها: أن يسدد الديون التي عليه للناس أو يوفر لها ما يسدها. فإن لم يكن لديه من المال ما يكفي لنفقة الحج وسداد الدين معاً. فإنه يقدم سداد الدين ولا يجوز له في هذه الحالة أن يحج. إلا إذا أذن له الدائن بذلك.

وثالثها: أن يُعِدَّ لسفره وإقامته وعودته المال الحلال الخالص. فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً. والمال الحرام يحول دون قبول العمل ويجر على صاحبه الوبال. فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)) وَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)). ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغِذْيُ الْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لِذَلِكَ).

ومن هذه الشروط: ترك الرفث والفسوق والمجدال في الحج. امتثالاً لأمره تعالى: ((الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)). ورجاء الثواب الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ). ومن الشروط أيضاً: كثرة ذكر الله تعالى وعبادته. والانكسار والتذلل بين يديه سبحانه وتعالى. رجاء مغفرته وثوابه عز وجل. وذلك ما يفهم من قوله عز وعلا: ((وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ)).

حج النافلة والواجبات الاجتماعية

هذا وإن الحديث في موضوع الحج طويل الذبول. ولذلك نركز على نقطتين هامتين: أولاهما: أن كثيراً من المؤمنين الذين أتاهم الله من فضله. ما إن يحل موسم الحج من كل عام. حتى يجدوا أنفسهم في أشد الشوق إلى الرحيل إلى البقاع المقدسة لشهود الموسم مع وفود الرحمن.

لا شك أن هذا الشوق شعور نبيل وعاطفة جياشة يؤجرون عليها إن شاء الله تعالى. لكن من الواجب عليهم أن يدركوا ويتيقنوا أن الفريضة في الحج تسقط عن المسلم بمجرد أدائها كاملة من أول مرة. أما بعد ذلك فهو نافلة من النوافل. والحرص على تكرار هذه النافلة كل عام أو عامين ربما كان من الشهوة النفسية الخفية التي يغذيها الشيطان والنفس الأمارة بالسوء حتى يلفتا نظر المؤمن عن واجبات اجتماعية وإنسانية أهم وأكبر وذات أثر أعمق في العلاقات بين المسلمين داخل المجتمع المسلم.

لنكن صرحاء مع أنفسنا. ولننتسأل فيما بيننا وبينها. ولتكن أجوبتنا صادقة لا لف فيها ولا دوران:

أيهما أفضل: أن حج وتعتمر للنافلة. أو أن تعين مدينا على تسديد ديونه؟ أأست بذلك تنقذه من الذل والهوان وتمسح من على وجهه أمارات البؤس والحرمان والانكسار. وتدخل على نفسه وعلى أسرته الفرح والسرور. وتجعله يسير بين الناس مرفوع الرأس مستريح النفس هادئ البال؟

أيهما أفضل: أن حج وتعتمر للنافلة. أو أن تعين مريضاً على شراء الدواء. أو على إجراء عملية جراحية بثمن لا يقدر هو على توفيره؟ أأست بذلك تنقذ نفساً من الهلاك وتسهم في عودتها إلى الحياة والنشاط من جديد؟ ألا تعلم أنه يكون لك بكل عمل خير يعمله هذا المريض بعد ذلك أجر ومثوبة عند الله عز وجل؟

أيهما أفضل: أن حج وتعتمر للنافلة. أو تعين طالب علم فقير على استكمال دراسته. فتمنحه من المال ما يعول به نفسه ويقوم بمطالب دراسته؟ ألا تعلم أن كل خير يبثه هذا الطالب بعد ذلك يكون لك فيه أجر مثله تماماً؟

أيهما أفضل: أن حج وتعتمر للنافلة. أو تزوج شاباً من شباب المسلمين يعجز عن توفير المال اللازم لبناء أسرة؟ أأست بذلك تعف شابين مؤمنين عن الحرام. وتسهم في بناء بيت على التقوى. وتشارك في تكثير نسل المسلمين العابدين لله عز وجل؟

أيهما أفضل: أن حج وتعتمر للنافلة. أو تدخر ما أعدته من مال للحج أو العمرة إلى حين اقتراب موعد عيد الأضحى فتشتري عدداً من رؤوس الغنم وتوزعها على فقراء ومساكين المسلمين. أو تشتري ألبسة جديدة تفرقها على أبناء المعوزين؟ أأست بذلك تزرع البشّر والفرح والسرور في نفوس الضعفاء المقهورين. وتجعلهم يستعيدون الأمل في الحياة ولا يئأسون من رحمة الله؟

ما ينبغي لمن لا يستطيع الحج

أما النقطة الثانية: فلا شك أن أكثر الناس لا يمكنهم دخولهم المحدود من أداء فريضة الحج. مع توفر الرغبة العارمة لديهم في ذلك. هؤلاء عليهم أن يستحضروا في نفوسهم دائماً نية الحج والعزم على أدائه بإذن الله وتوفيقه. فإن هذه النية تكفيهم في تحصيل ثواب الحج إذا لم يقدروا على أدائه عملياً.

ثم إن عليهم أن يكثرُوا من ذكر الله عز وجل ويحرصوا على نوافل الطاعات. روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ. يَصُلُّونَ كَمَا نَصَلِّي. وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ. وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: (أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ. إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلِّ حُمَيْدَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ. وَفِي بَضْعٍ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبِئَنَّى أَحَدُنَا شَهَوْتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرًا). وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ سَلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ: كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يُعَدُّ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ. وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ. وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ. وَمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ).

نسأل الله عز وجل أن يلهم قاصدي بيته الحرام الإخلاص في عبادته. وأن يوفقهم إلى لزوم التقوى والصبر وترك الرفث والفسوق والمجدال في الحج.

عيد الأضحى والمعاني الربانية

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

يكون مسلماً حقاً. ولا يعتبر مقيماً للشعائر كما أرادها الله سبحانه وتعالى. إلا إذا أشرك - في بعض ما يملك - إخوانه المسلمين المحتاجين. خاصة منهم الأقارب والجيران. وبصفة أخص في مناسبة كمناسبة عيد الأضحى المبارك. التي يشعر فيها الفقير بوطأة الفقر ويحس هو وأفراد أسرته بالذل والمسكنة لعدم القدرة على الاحتفال بالعيد كما يحتفل الأغنياء.

والغني إذا فعل ذلك وضرب المثل من نفسه في الإيثار ومساعدة إخوانه المؤمنين. كان ذلك منه تعظيماً لشعيرة من شعائر الإسلام. الذي مدح الله عز وجل من يحرص عليه واعتبره علامة على تقواه وتميكن الإيمان من قلبه. قال تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) [الحج: 32].

بل جعل سبحانه وتعالى الانتصار على النفس والإيثار عليها وتغليب مصلحة المحتاجين على دواعي الشح والإمساك. سبباً للفلاح. وذلك في قوله الكريم: (وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر: 9]. وحذر من يعرض عن الإنفاق في سبيل الله ولا يبالي به من الندم ساعة لا ينفع الندم. في قوله سبحانه: (وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المنافقون: 11].

تلك بعض المعاني الربانية الكامنة في عيد الأضحى. والتي يجدر بنا نحن المسلمين أن نحرص على تحقيقها في واقع حياتنا. فبذلك نسعد في حياتنا الدنيا ونحظى بالنجاة والفلاح في الآخرة. اللهم آت نفوسنا تقواها. وزكها أنت خير من زكاها. أنت وليها ومولاها.

الصلاة والسلام بين أصابعه.

هذه الأخوة إنما تتجسد حين يتضامن المؤمنون فيما بينهم. ويسأل غنيهم عن فقيرهم. ويرحم قلوبهم ضعيفهم. ويتواضع كبيرهم لصغيرهم. وتسود المودة والمحبة والتراحم علاقاتهم ومعاملاتهم.

وهذا التضامن لا يكون بمجرد المشاعر القلبية المفصولة عن السلوك العملي. بل يجب أن يترجم في شكل مبادرات واقعية. ويأتي على رأس هذه المبادرات التي ينبغي الحرص عليها في عيد الأضحى: أن يجتهد الأغنياء القادرون في إشراك الفقراء المحتاجين والمساكين المعوزين في الفرح بالعيد والاستبشار بقدمه.

وفي هذا السياق يأتي حديث نبوي شريف يتضمن معنى عميقاً يجدر بالمسلمين جميعاً أن ينتبهوا إليه. لأنه من قيم الدين المنسية في حياتنا نحن المسلمين المعاصرين. فقد روى مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه وأحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ. فَيَجْعَلُ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ. وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ». قَالَ أَبُو مُوسَى: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِّنَّا فِي فَضْلٍ.

والمعنى الواضح للحديث: أن المسلم لا يحق له أن يستأثر بشيء مما يملك وينعه إخوانه المسلمين وهو زائد عن حاجته.

هذا في سائر الأيام. فكيف بالأيام التي تشتد فيها حاجة الفقراء والمساكين والضعفاء؟

وهنا نقول صراحة: إن الغني المسلم لا يبلغ أن

بكل ما يملك الإنسان في سبيل تحقيق مرضاته عز وجل. هذا المبدأ الذي ضرب أروع الأمثلة فيه وجسده في الواقع جسيداً منقطع النظير أبو الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام. وهو ما قصه الله تعالى علينا في كتابه الكريم. في قوله عز من قائل: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ. وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ. قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ. وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) [الصافات: 111-102].

وربطا للمسلم مبدأ التضحية وتديبا له عليه. شرع الله عز وجل في هذا العيد أن يتقرب إليه عباده المسلمون بذبح الأضاحي. فالمسلم يبذل ماله في سبيل مرضاة ربه عز وجل طائعا راضيا. متأسيا في ذلك بإبراهيم عليه السلام الذي رضي أن يضحي بأعز الناس إليه وهو ابنه إسماعيل عليه السلام. الذي رضي بدوره أن يضحي بنفسه في سبيل مرضاة ربه عز وجل. وقد أرشدنا ربنا عز وجل إلى ذلك في قوله: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ).

ولذلك اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أفضل عمل ينبغي أن يحرص عليه المسلمون في يوم عيد الأضحى: أن يتقربوا إلى الله عز وجل بذبح الأضاحي. وأن يفعلوا ذلك راضين مطمئنين فرحين بتحقيق مرضاته سبحانه وتعالى وطاعته في ما أمر به. فقد روى ابن ماجه في سننه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هِرَاقَةٍ دَم. وَإِنَّهُ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِهَرُونَهَا وَأَطْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا. وَإِنَّ الْيَمَّ لَيَمِيعُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَمِيعَ عَلَى الْأَرْضِ. فطَبِّبُوا بِهَا نَفْسًا».

والحق أن ديننا الخفيف إنما قام من أول يوم على مبدأ التضحية. فلولا تضحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وصل هذا الدين إلى أصحابه ولما اعتنقه أحد من الناس. ولولا تضحية أولئك الأصحاب الكرام ما أمكن للإسلام أن ينتشر في ربوع الأرض ويدخل فيه الناس أفواجا. ولولا تضحية العلماء والشهداء والصالحين من أبناء هذه الأمة عبر مسارها التاريخي الطويل ما وصلنا الإسلام اليوم وما كنا من المسلمين.

إن هذا المبدأ الذي قام عليه ديننا بالأمس هو الذي يقوم عليه اليوم وهو الذي يقوم عليه إلى يوم الدين. ولن يخرج المسلمون ما هم فيه من ذلة ومهانة وسقوط وتخلف في كافة مجالات الحياة. إلا يوم يتخذون من التضحية ونكران الذات مبدأ يسيرون عليه في حياتهم ويربون عليه أبنائهم ويتقربون به إلى ربهم عز وجل. هذه هي سنة الله في عباده. وهذا هو منطق الحق والعدل الذي قامت عليه السماوات والأرض. وهذا هو الدرس الذي نتعلمه من ربط فريضة الحج وعيد الأضحى بسنة إبراهيم الخليل عليه السلام الذي ضرب من نفسه المثل في التضحية بالنفس والمال والأهل والولد في سبيل مرضاة الله عز وجل.

تحقيق الأخوة الإسلامية

ومن معاني العيد ومقاصده الربانية: تحقيق الأخوة الإسلامية وجسيد صورة المجتمع المسلم المتمثل بمبادئ الإسلام وأحكامه. والتي جردها ربنا سبحانه وتعالى في قوله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات: 10]. وقوله: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) [التوبة: 171]. ورسما رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل المؤمن في نواصيئه وتراحيمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى شيئا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». وفيما أخرجه أيضا عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا». وشبك عليه

مير الله عز وجل أمة النبي محمد عليه الصلاة والسلام عن غيرها من الأمر بعبيدين مباركين، كل منهما يأتي بعد الانتهاء من أداء عبادة عظيمة وركن ركن من أركان الإسلام. فعيد الفطر يأتي مباشرة إثر الانتهاء من أداء فريضة الصيام في شهر رمضان، وعيد الأضحى يأتي متمما ومقتربا بأداء مناسك الحج في رحاب بيت الله الحرام.. ونحن، إذ نستعد لاستقبال عيد الأضحى المبارك، جدير بنا أن نعرف المعاني الربانية المقتربة بهذا العيد والمقاصد السامية التي لأجلها شرع الاحتفال به والفرح فيه.

الفرح بأداء العبادات

لعل أول معنى شرع لأجله الاحتفال بالعيد: هو الفرح بأداء العبادات والاشتغال بما يرضي الله عز وجل. فالله سبحانه وتعالى ما خلق عباده إلا ليعبده ويتقربوا إليه ويحرصوا على مرضاته. كما قال عز وجل: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: 56]. فإذا استطاع الإنسان أن يطوع نفسه لربه عز وجل ويجتهد في طاعته ويواظب على عبادته ويطمئن قلبه وتخضع جوارحه في حضرته. كان مستحقا للفرح بذلك.

ولا شك أن الهداية إلى الصراط المستقيم وقبول الله لعبده ضمن عبادته المتقين. نعمة عظيمة تستحق الحمد والشكر والثناء على الله عز وجل أثناء الليل وأطراف النهار. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبِشَاءٍ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ. قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [يونس: 58-57].

ومن مظاهر شكر الله عز وجل: تكبيره وتعظيمه. وهو ما شرع سبحانه وتعالى لعباده أن يكثروا منه ويحرصوا عليه في أيام العيد. قال تعالى تعقيبا على آيات الصيام: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة: 185]. وقال عن تشريع التقريب بالأضاحي: (وَالَّذِينَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَ فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. لَنْ نَبَالَ اللَّهُ خَوْمَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَتْلُوهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ يَبْخَرُهَا لَكُمْ لَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ). [الحج: 37-36].

فالتكبير علامة الفرح وآية الشكر ودليل الرضا. لأنه يعني أن المؤمن يحض العبودية لربه عز وجل ولا يعترف بالفضل إلا له سبحانه وتعالى. وأن قلبه لا يمتلئ بالتعظيم لأحد غير الله ولا يرجو أحدا سواه ولا يخاف إلا منه عز وجل.

وهو كذلك تعبير عن الاعتقاد المطلق بأن شرع الله عز وجل هو الحق المبين وأنه - دون غيره - الأجدر بالاتباع لأنه وحده الهدى والصراط المستقيم وكل ما عداه من مذاهب وملل ونحل مسالك وسبل تقود إلى الانحراف والضلال والشقاء في الدنيا والآخرة. قال سبحانه: (وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران: 85]. وقال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [الصف: 7].

وإن في ذلك عبرة لنا نحن المسلمين المعاصرين. لنتمسك بتعاليم ديننا ونحرص على تطبيقها وجسيدها في حياتنا العملية في الشؤون المختلفة. ونشعر بالفخر والامتنان لربنا عز وجل إذ أكرمنا بالهداية إلى دينه وجعلنا من أتباع خاتم رسله وأنبيائه.

الارتباط بمبادئ الإسلام وقيمه

من معاني العيد أيضا: ربط المسلم بمبادئ الإسلام السامية وقيمه الخالدة. وهذا ظاهر في عيد الأضحى بصفة خاصة. فهو يرتبط في وجدان المسلم بمبدأ الطاعة المطلقة لله والتضحية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

مديرية الموارد المائية لولاية خنشلة

إعلان عن عدم جدوى مناقصة وطنية محدودة

تعلن مديرية الموارد المائية لولاية خنشلة عن عدم جدوى المناقصة الوطنية المحدودة

رقم : 11/م.م.م.و.خ/2012 المعلن عنها في اليوميات التالية :

* البصائر بتاريخ : 13-12/08/2012 .

المتضمنة عملية : دراسة هيدروجيولوجية لولاية خنشلة

الحصة : دراسة هيدروجيولوجية

السبب : تأهيل عرض تقني واحد.

ثورة نوفمبر ودور جمعية العلماء

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

من أعضاء المجلس الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيوخ:
1- عبد الحميد بن باديس - 2- محمد البشير الإبراهيمي - 3- مبارك الميلي - 4- العربي التبسي
5- إبراهيم أبو اليقظان - 6- الأمين المصودي - 7- يحي حمودي - 8- محمد خير الدين
9- الطيب العقبي - 10- السيد الزاهري.



من نشاطهم ولم تحد من التفاف الجزائريين حولهم.

الوعي منطلق الثورة

كان من نتائج عمل العلماء: أن معظم الجزائريين صاروا يدركون هول الجرائم التي اقترفتها الاستعمار الفرنسي في حق البلاد والعباد. وأصبحوا يعون جيدا أن هذا الاستعمار لا يمكن التعامل معه إلا بالطريقة التي يتعامل بها. ولا يمكن إخراجهم من البلاد إلا بالطريقة التي دخل بها إليها. فلا يقل الحديد إلا الحديد. وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.

يقول الأستاذ محمد الغسيري رحمه الله: «إن أية ثورة مسلحة لا يكتب لها النجاح إلا إذا سبقتها ومهدت لها الثورة الفكرية. وكانت مدرسة عبد الحميد ابن باديس بحق في طليعة هذه الثورة الفكرية».

وبالفعل، فلم يمر وقت طويل حتى أعلن الجزائريون ثورتهم الحاسمة والمنظمة ضد الاستعمار الفرنسي وسماسته وجلاديه وأذنايه. وخلال سبع سنوات ونصف، والتي كانت عمر الثورة، جند الشعب كله لطرد جنود الاحتلال. وقدم كل فرد من أفرادهم، وكل فئة من فئاته، ما أمكن من طاقة وجهد وتضحية بالنفس والأهل والمال. وكانت التضحيات كبيرة، وكانت المهمة شاقة وعسيرة، وكانت الطريق طويلة وقاسية. ذلك أن الاستعمار وجنوده لم يقفوا موقف التفرج وإنما بذلوا المستحيل في سبيل إبقاء الجزائريين قبضتهم. فلم يكفهم أن يجمعوا قواتهم من مختلف بقاع العالم وإرسالها إلى الجزائر، بل أضافوا إلى ذلك الاستنجد بقوة حلفائهم وجيوشهم الجرارة. إلا أن جهودهم كلها باءت بالفشل. ولم تفلح قوتهم الضاربة مثله بالدبابات والطائرات والأسلحة الفتاكة في إرهاب الجزائريين وتخويفهم. كما لم تفلح سياسة الأرض المحروقة التي شنوها في تركيع الشعب الجزائري وإخضاعه. فما كان منهم في النهاية إلا أن سلموا بالهزيمة الساحقة واعترفوا بالنصر المبين للشعب الجزائري وأبنائه المجاهدين. وبذلك عادت الجزائر إلى أهلها وصار حكمها بيد أبنائها. ونادى الجزائريون في احتفالات الاستقلال: (يا محمد مبروك عليك، الجزائر رجعت ليك).

كان سيطرة الاستعمار الفرنسي ومنظروه يتصورون أن الأمور أصبحت كذلك. وأنه قد أن لهم أن يناموا ملء جفونهم هائنين مرتاحين مطمئنين. ولذلك أعلنوا إقامة احتفالات ضخمة وتظاهرات صاخبة بمناسبة مرور قرن كامل على احتلال الجزائر. لكن ما لم يكن في حساباتهم ولم يتوقعوه إطلاقا: أن يلتقي - في نفس موعد تلك الاحتفالات - فريق من العلماء والمفكرين الجزائريين على إنشاء هيئة علمية وثقافية أسموها (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) تتولى تثقيف وتوعية الشعب الجزائري بدينه ولغته وتاريخه وهويته الحضارية وانتمائه التاريخي والثقافي.

هؤلاء العلماء كان كل منهم قبل ذلك يعمل لوحده وينشط في إطار بيئته ويقدمون جهودا فردية لم يكن لها تأثير كبير. ولذلك رأوا أن خير وسيلة لقلب الموازين وإعادة بناء ما هدمه الاستعمار الفرنسي: هي التجمع والتعاون والعمل المنهجي المنظم.

وفعلا بدأوا العمل بفتح المدارس في مختلف مناطق الوطن. وأسسوا الصحف والمجلات وأرسلوا البعثات الطلابية إلى الخارج وجندوا فئات المجتمع لمساندة هذه الأعمال ماديا ومعنويا. وما هي إلا سنوات قليلة حتى كانت جهود الاستعمار الفرنسي التي بذلها خلال قرن كامل قد بدأت تنهار، فيحل محل الجهل العلم، ومحل الأمية القراءة والكتابة. ومحل الغفلة الوعي. ومحل التشتت والتفرق التعاون والتضامن. ومحل الاعتقاد بالانتماء إلى فرنسا إدراك أن الانتماء الحقيقي إنما هو إلى العالم الإسلامي والعربي. ومحل الحديث بالفرنسية الكلام الفصيح بالعربية. ومحل التحلل والتفسيخ والفسوق والفجور التقوى والتدين.

ولم يكن سيطرة الاحتلال والاستعمار يتفرجون على عمل هؤلاء العلماء - وهم يهدمون ما بنوه - دون أن يحركوا ساكنا. كلا. فقد بذلوا كل ما أمكنهم من جهود. وساموا هؤلاء العلماء بالترغيب والترهيب. وجندوا ضدهم بعض الفئات من الجزائريين الذين كانوا يدينون للاحتلال بالولاء. وأغلقوا مدارسهم وأوقفوا عن الصدور صحفهم ومجلاتهم. واعتقلوا بعضهم. إلا أن تلك الجهود كلها لم تؤثر في عمل هؤلاء العلماء ولم تنقص

التنكيل بالعلماء والمفكرين

وحتى يخلو الجو للاستعمار الفرنسي لتحقيق أغراضه الإجرامية تلك في حق الحضارة والثقافة الإسلامية في الجزائر، فقد أغلق أمام العلماء والمفكرين الجزائريين كل المنافذ التي يمكن أن يصلوا من خلالها إلى الشعب لتوعيته وترشيده. وذلك بنفي هؤلاء العلماء من البلاد وإجلانهم بعيدا إلى المشرق العربي. أو بقتلهم والتنكيل بهم إذا رفضوا ذلك..

كما عمل الاستعمار الفرنسي على نشر النعرات القبلية والعنصرية والترويج لها على نطاق واسع. وكذا نشر الطبقية بين أفراد وفئات المجتمع الجزائري. حتى يضمن ولاء العائلات والأعراس الكبيرة مقابل فتات من الامتيازات يقدمه لها. وبذلك أمكنه أن يقسم الجزائريين أشناتا مزقة وأوزاعا متفرقة ويضمن عدم وحدتهم وتضامنهم للتخلص من هيمنتهم.

وبالفعل، فلم تمر سوى عقود قليلة من السنين حتى كانت الجزائر كلها خاضعة لسلطان الاستعمار الفرنسي. وأصبح الجزائريون، إلا قليلا جدا منهم، يتقبلون في شقاوة الجهل والتخلف والظلام، يعانون العري والجوع والأمراض الفتاكة والجهل المطبق. لا يعرفون من دينهم ولا من تاريخهم ولا من لغتهم شيئا إلا ما يقوله لهم سيطرة الاستعمار.

وعلى الرغم من جهود المقاومة التي بذلت من قبل عدد كبير من المجاهدين الجزائريين على مدى قرن كامل من الاحتلال. إلا أن تلك الجهود كلها لم تؤت ثمرتها ولم تتكسر بتحرير البلاد والعباد. بل كانت تقمع بضراوة ويتم التعامل معها بعنف وإرهاب شديدين.

وهكذا، فقد بلغت الجزائر، بعد قرن من الاحتلال، أي بين سنة 1830 وسنة 1930، درجة من انطماش الهوية وإطباق الجهل والظلامية. بدا معها للمستعمرين الفرنسيين أنهم قد تمكنوا من رقاب الجزائريين وإلى الأبد. وأن الجزائر لم يعد لها من الانتماء العربي الإسلامي شيء وأنها أصبحت وإلى الأبد ولاية فرنسية ولا يتصور أن تنفصل عن فرنسا في يوم من الأيام.

إنشاء الجمعية لمقاومة المشروع الاستعماري

نعيش هذه الأيام أجواء الاحتفال بالذكرى الثامنة والخمسين لاندلاع الثورة التحريرية الكبرى، ثورة أول نوفمبر الخالدة، التي أنهت احتلالا ناء بكله الثقيل على بلادنا مدة قرن وثلاث قرن، ذكركم الاحتلال البغيض الذي نهب ثروات البلاد واستذل العباد، ونشر الجهل والظلام، وأغلق منافذ النور، وأعاد ترتيب الجزائر والجزائريين في سلم الحضارة والمدنية قرونا عديدة إلى الوراء.

استعمار حضاري

ليس من نافلة القول أن نعيد التذكير هنا بما اقترفته الاستعمار الفرنسي في حق الجزائر والجزائريين والجرائم البشعة التي أوقعها منظروه وجلادوه وسماسته في حق الفرد والمجتمع الجزائري طيلة فترة احتلاله للبلاد. والآثار السلبية التي لحقت بالجزائر نتيجة ذلكم الاحتلال وما زالت تلحق حتى بعد الاستقلال.

لقد كان من أول أهداف الاستعمار الفرنسي لدى دخوله إلى الجزائر محتلا: أن يبقى فيها إلى الأبد. وأن يستأثر بخيراتها وثرواتها المادية أبد الدهر. ولتحقيق ذلك كان لابد من إلغاء شخصية الإنسان الجزائري وإقناعه بالتدريج أنه فرنسي وأن وطنه الأصلي هو فرنسا. وأن الجزائر تبعا لذلك لابد أن تكون ولاية فرنسية شكلا وروحا.

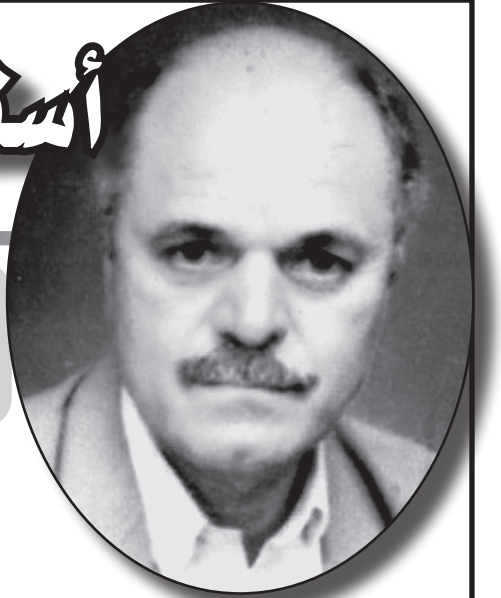
إن الاستعمار الفرنسي لم يأت إلى الجزائر في حملة عسكرية مجردة هدفها إخضاع الجزائريين للسلطة الفرنسية فحسب. وإنما جاء في حملة حضارية هدفها نشر الثقافة والحضارة الفرنسية وطمس الهوية الحضارية الجزائرية. يتجلى ذلك من خلال جلب عدد كبير من العلماء والمفكرين الفرنسيين والمعروفين حينئذ بالمستشرقين. لدراسة الفرد والمجتمع الجزائري ووضع الخطط الثقافية والفكرية الكفيلة بإخضاع الجزائريين لنزوات الاحتلال الفرنسي جسدا وروحا.

وهكذا، فإلى جانب الحملات العسكرية التي كان الاحتلال يشنها على مختلف مناطق البلاد لإخضاعها للحكم العسكري الفرنسي. كانت هناك حملات ثقافية دائبة تعمل في الخفاء وفي العلن لطمس الهوية الوطنية الجزائرية. من خلال إغلاق العدد الأكبر من المساجد وتخويل بعضها إلى كنائس وبعضها إلى اسطبلات للخيول والبغال. وكذا فتح الأديرة والكاتدرائيات في مختلف مناطق الوطن وإطلاق الحبل للأبائ البيض لتنصير الناس وإخضاعهم لسلطان الكنيسة وهيمنتها. وكذلك محاربة اللغة العربية في كل مكان بإغلاق الكتاتيب القرآنية والمدارس العربية. وطمس التاريخ الوطني بنشر الأكاذيب وترويجها وادعاء أن الجزائر لم يكن لها في يوم من الأيام كيان ولا وجود إلا في ظل الاحتلال الفرنسي.

أستاذي الشيخ الطاهر حليس كما عرفته

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

قبل ثمانية عشر عاماً، غادر الدنيا إلى غير رجعة، أستاذنا الشيخ الطاهر حليس رحمه الله، أول مدير للمعهد الوطني للتعليم العالي للعلوم الإسلامية في باتنة.. خلال هذه المدة أنسانا تتابع الأيام وتوالي الليالي ومر الشهور والأعوام أن نذكر أستاذنا بما يستحق وأن نشيد بخصاله التي تميز بها، لقد انصرف كل واحد من تلاميذه وزملائه إلى خاصة نفسه واشتغل بما يعنيه، ناسين ما لهذا الرجل من فضل وما يجب له من حق. وهذه المقالة الموجزة محاولة للتعريف به وذكر بعض ما تميز به من فضائل وما تحلى به من خصال.



معرفتي به

تعود معرفتي بأستاذي الشيخ الطاهر حليس رحمه الله، أو الحاج سي الطاهر كما كان يعرفه الناس في باتنة، إلى أيام المرحلة الثانوية. حيث كنت أزاوِل دراستي في ثانوية عائشة أم المؤمنين بحي بوزوران في مدينة باتنة. وكنت عند العودة إلى البيت أسلك طريقي عبر شارع الاستقلال (طريق بسكرة). وأمر رفقة بعض زملائي أمام مقر محافظة حزب جبهة التحرير الوطني. وكان الحزب الوحيد حينئذ. أين كان الحاج الطاهر حليس يشغل منصب نائب محافظ مكلف بالثقافة. وكانت المحافظة في إطار نشاطها الثقافي تنظم ندوات وملتقيات دورية، وعادة ما تجري فعاليات تلك الندوات والملتقيات في المساء. وكان الأستاذ الطاهر حريصاً على حضور الطلبة واستفادتهم مما يلقى من محاضرات. ولذلك كان يعترض طريقنا عندما نكون بصدد العودة إلى بيوتنا حين نخرج من الثانوية. ويصر علينا أن ندخل إلى قاعة المحاضرات في المحافظة لنستمع إلى ما يقوله المتدخلون من أساتذة وباحثين. ويؤكد علينا أن في ذلك فائدة كبيرة لا ينبغي أن نضيعها.

وفي تلك المرحلة كانت جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قد افتتحت في قسنطينة. وكان يُدرّس فيها عدد من العلماء من جنسيات مختلفة. فكان الأستاذ الطاهر حريصاً على استقدامهم وتعريف أهل باتنة بهم. وأذكر أنه استقدم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله والدكتور عمار طالبي والدكتور جبر الفضيلات الأردني وغيرهم. وكان يطوف على المساجد ويعلن للناس عن هذه المحاضرات ويدعوهم إلى حضورها والانتفاع منها.

وعندما حصلت على شهادة البكالوريا. كان في نيتي أن ألحق بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة. ففعلاً ذهبت إلى هناك وشاركت في مسابقة الدخول. وكنت من بين الناجحين. ولكنني عرفت بعد ذلك أن معهد العلوم الإسلامية بباتنة سيفتح في تلك السنة أيضاً (سبتمبر 1987). ولذلك بادرت إلى التسجيل ضمن قائمة طلبة أول دفعة تدخل هذا المعهد.

انطلقت الدراسة في المعهد. وتم إلحاقه مبدئياً بمعهد الشريعة في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة. كما تم تعيين الحاج الطاهر حليس - الذي كان حينئذ أستاذاً بمعهد الآداب - مديراً له.

جهوده في إدارة المعهد

كانت صلتنا نحن طلاب المعهد بالشيخ الطاهر دائمة ومستمرة. فقد كان عددنا قليلاً. إضافة إلى أن اهتمامه بنا كان مستمراً. فكان يستطلع آراءنا ويستمع إلى انشغالاتنا ويحرص على تحقيق ما أمكن تحقيقه من طلباتنا.

وخلال أربع سنوات من الدراسة. رأينا اهتمامه الشديد بالتحصيل العلمي. وحرصه على انتظام الدروس. وتفانيه في توفير الأساتذة وتهيئة الظروف المساعدة لهم على العمل والإفادة.

وكان من دأبه خلال تلك السنوات أن يدعو أساتذة زائرين من خارج الجزائر لتقديم محاضرات إضافية. وكان من حضر وحاضر جملة من كبار

الأساتذة المشهورين في العالم الإسلامي. أذكر منهم: أ.د. مصطفى ديب البغا (سوريا). أ.د. محمد الزحيلي (سوريا). أ.د. طه جابر فياض العلواني (العراق). أ.د. أبو اليزيد العجمي (مصر). أ.د. سليمان الخطيب (مصر). أ.د. محمد حسن هيتو (الكويت). أ.د. يوسف القرضاوي (قطر). وغيرهم. وأذكر أن محاضرات هؤلاء الأساتذة كان الناس يجتمعون من أنحاء المدينة لحضورها والاستماع إليها. ولم تكن مقصورة على طلبة المعهد وحدهم. وهو ما جعل المعهد حينئذ قبلة لأهل باتنة ومركز إشعاع علمي حقيقي.

تتلمذنا على يديه

درّسنا الشيخ الطاهر حليس في السنتين الثالثة والرابعة مادة البلاغة. وكان يرجع إلى بعض الكتب المهمة في هذه المادة. ومنها كتاب (البلاغة فنونها وأفانها) للدكتور فضل حسن عباس رحمه الله. وكتاب (البلاغة العربية) للدكتور عبد العزيز عتيق. وغيرهما. وكان يدرّسنا بطريقة متميزة تجمع بين الجد والفكاهة. ومن ذلك: أننا كنا نسأله أحياناً عن بعض المسائل المشككة في البلاغة محاولين فهمها. فيقول مازحاً: وما دخلي أنا. أسألوا عنها الجرجاني أو السكاكي أو غيرهما من علماء البلاغة. ثم يتسهم ويجيب.

بعد أربع سنوات من الدراسة. وقبل انتهاء السنة الرابعة صدر المرسوم الحكومي بترسيم استقلال المعهد عن جامعة الأمير عبد القادر وتسميته (المعهد الوطني للتعليم العالي للعلوم الإسلامية). ومع ذلك فقد تخرجت الدفعة الأولى «جوان 1991» تحت وصاية جامعة الأمير عبد القادر. حيث حضر الأستاذ الدكتور أحمد عروة رحمه الله مدير الجامعة حينئذ إلى باتنة ووقع شهادات الليسانس وأشرف على حفل التخرج.

وبعد أسبوعين أو ثلاثة من التخرج بشهادة الليسانس في العلوم الإسلامية. التقيت أستاذنا الشيخ الطاهر. وبعد أن سألتني عن أحوالي وما أفكر في عمله بعد تخرجي. أخبرني رحمه الله أنه تم اختياري أنا وزميلي صالح بوبشيش وزميلتين أخريين للالتحاق بالمعهد. لمعاونة الأساتذة في التدريس كمطابقين. مع العمل في الإدارة والتكفل بالجانب البيداغوجي. وأوصاني بتحضير ملف التوظيف في أسرع وقت.

وفعلاً التحقت بالمعهد. وزملائي الثلاثة. في بداية شهر أوت 1991. وفي بداية السنة الجامعية (1991-1992) كلفنا الشيخ الطاهر بتدريس بعض المقاييس كمطابقين.

فتح الدراسات العليا

لكن طموح الشيخ الطاهر لم يكن ليتوقف عند هذا الحد. فقد كان هاجسه الأكبر هو دفعنا إلى التكوين العلمي العالي وتمكيننا من ولوج عالم البحث العلمي. ولذلك سعى إلى فتح الماجستير على مستوى المعهد. رغم حداثة المؤسسة وقلة الإمكانيات.

وقد أثمر سعيه. إذ لم يلبث طويلاً حتى تمكن من الحصول على ترخيص من وزارة التعليم العالي بفتح الماجستير. وأجريت حينئذ مسابقة لاختيار الطلبة. نجح فيها مجموعة من المترشحين من طلبة المعهد وطلبة جامعة الأمير عبد القادر. وكنت واحداً منهم.

حرص الشيخ الطاهر على أن يوفر لنا الأساتذة الأكفاء المؤهلين لتدريسنا المواد المقررة. وفعلاً تم تكليف الدكتور يوسف حسين أحمد الذي درّسنا الأصول والفقه المقارن. والدكتور علي عبد الفتاح المغربي رحمه الله الذي درّسنا

منهجية البحث العلمي. كما تم استقدام أستاذ من جامعة الأمير عبد القادر. هو أستاذنا في التفسير والحديث الدكتور محمد الطاهر الجوابي رحمه الله.

انتهت الدروس النظرية. وجاء موعد اختبار الموضوعات لتسجيلها على مستوى المجلس العلمي. واخترت أن أبحث في موضوع (مدرسة المتكلمين ومنهجها في دراسة القواعد الأصولية). على أن يكون المشرف هو الدكتور محمد الطاهر الجوابي (تونس). واختار زميلي صالح بوبشيش موضوع (الحيل الفقهية ضوابطها وتطبيقاتها على الأحوال الشخصية). مع نفس المشرف.

ورغم أننا كنا نعمل كأدريين. أنا وزميلي صالح. إلا أن الشيخ الطاهر سمح لنا أن نخصص أكبر وقت ممكن للعمل في البحث. وما هي إلا سنة حتى كنا قد أعدنا رسالتنا. بعد أن أصبح المشرف عليّ هو الدكتور يوسف حسين أحمد (الهند). والمشرف على زميلي صالح هو الدكتور حسيب حسن السامرائي (العراق). وتم تشكيل لجنتي القراءة على مستوى المجلس العلمي.

بعد وصول التقارير بصلاحيّة الرسالتين للمناقشة. كان لابد من الحصول على رخصة المناقشة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في العاصمة. ولذلك سافر الشيخ الطاهر بنفسه مرتين إلى العاصمة وجاء برخصة المناقشة. بعد أن تكبد متاعب مضنية.

وكان اليوم المشهود. يوم المناقشة. 15 جوان 1994م. حيث أقبل الناس من كل حذب وصوب لحضور مناقشة أول رسالتي ماجستير على مستوى المعهد. وقد غصت بهم القاعة الكبرى لمسجد أول نوفمبر. وتمت مناقشة رسالة أخي صالح في الصباح ورسالتي في المساء. وحصلنا على شهادة الماجستير. هو في الفقه وأنا في الأصول.

فرحة لم تدم

وإن نسيت فلست أنسى تلك الفرحة الغامرة التي ملأت نفس أستاذنا الشيخ الطاهر حليس. وظهرت جلية على محياه. وعبر عنها بلسانه عدة مرات. وهي الفرحة نفسها التي ظهرت على وجه الرجل الكريم المجاهد العقيد الحاج لخضر رحمه الله. الذي حضر المناقشتين. وظل جالسا مستمعا ومتابعاً لما يقوله الأساتذة المناقشون. منذ الصباح إلى آخر المساء.

أيام قليلة بعد ذلك. وافق المجلس العلمي على ترقيتي وزميلي صالح بوبشيش إلى منصب أستاذ مساعد. وبذلك اكتملت فرحتنا وفرحة أستاذنا الدكتور الطاهر حليس رحمه الله.

لكن هذه الفرحة لم تدم طويلاً. إذ بعد ثلاثة أشهر. امتدت أيادي الغدر والإجرام لتغتال أستاذنا الكريم. ففي مساء يوم الجمعة (21 أكتوبر 1994). وبعد أن صلى المغرب في مسجد علي بن أبي طالب بحي كموني. وهو أقرب المساجد إلى بيته. ولما خرج منه وكان في طريق عودته إلى بيته. اعترض طريقه من أطلق عليه النار فأصابه برصاصة أو بضع رصاصات في رأسه. سقط إثرها شهيداً مضرراً بدمه. وفي اليوم الموالي. تم تشييع جنازة أستاذنا بعد أن صُلي عليه في مسجد أول نوفمبر. وقد سار خلف نعشه الآلاف من أهل باتنة الذين يعرفون فضله وأعمال الخير التي كان يشارك فيها. وبعد كلمة التأبين التي ألقاها الدكتور أحمد رحمان. تم دفن الفقيد إلى جوار أمه رحمها الله والتي كانت قد توفيت قبله بشهر أو أكثر قليلاً.

خصاله النادرة

واليوم. وبعد ثمانية عشر عاماً من رحيل أستاذنا رحمه الله. نذكره بخصاله الكريمة وأخلاقه العالية التي كان يتمتع بها ويتميز بها عن كثير من الناس.

لقد كان يتميز بتواضع مثالي لا نظير له. فما عاملنا يوماً على أننا تلاميذه أو مرؤوسوه. وإنما كان يعاملنا كأخوة وأصدقاء. فكان لا يمل جلوسنا معه في مكتبه. وإذا غاب أحدنا أو تأخر قليلاً في الحضور سأل عنه ولامه على عدم الجئي إليه.

وكانت شخصياً أجلس معه في مكتبه كثيراً. وعندما نكون لوحدها. كان يخرج من محفظته مبحثاً أو فصلاً من رسالته. ويناولني ويخاطبني قائلاً: أقرأه وانظر ما يحتاج منه إلى تقويم فقومه. رغم أنني تلميذه وفي عمر أكبر أبنائه. ففعلاً كنت أقرأ العمل وإذا وجدت فيه خطأ من أي نوع أشرت عليه. وعندما أجلس معه من جديد أذكر له ما وجدته من أخطاء. وهي في العادة أخطاء بسيطة جداً. نتيجة السرعة في الكتابة أو السهو في النقل. فيأمرني قائلاً: وماذا تنتظر لكي تصححه. صحح في الورقة نفسها وسأعمل بالتصحيح عند رقب البحث. وإضافة إلى التواضع: كان الرجل بسيطاً كل البساطة. في كلامه وسلامه. في حديثه وصمته. في ملبسه ومركبه ومسكنه. في جلوسه ووقوفه ومشيته. كان يأتي كل ذلك على سجيته. دون تكلف أو افتعال. يعامل الكبير والصغير. والرئيس والمرؤوس. والمشهور والمغمور. معاملة واحدة لا تبدل فيها ولا تغيير.

ومن عجائب بساطته: أنه كان في بعض الأحيان لا يعود إلى بيته عند الظهر. فإذا شعر بالتعب أو غلبه النعاس. افترش على الأرض قطعة من الكرتون أو سجادة صلاة. واستسلم للنوم. بعد أن يوصي أحدنا بإيقاظه إذا لمزم الأمر. كما تميز رحمه الله بالكرم المنقطع النظير. فلم يكن يبخل على أحد بشيء. وكان يحرص على دعوتنا إلى بيته وتناول طعامه. وخاصة في المناسبات. بل أذكر أنه دعاني أكثر من مرة دون أي مناسبة.

وقد انفراد رحمه الله بالتفاني في خدمة المصالح العامة بشكل يجعله في أحيان كثيرة ينسى حقوق أسرته وأولاده. وأذكر أنني رأيته أكثر من مرة يوم الجمعة في المعهد. إذ بعد أن ينتهي من إلقاء الخطبة وأداء صلاة الجمعة في مسجد «فسديس» في الضاحية الشمالية من مدينة باتنة. كان يمر بالمعهد أولاً. حيث يقضي وقتاً يطول أو يقصر. قبل أن يعود إلى بيته. وكان إذا قصده أحد في مصلحة ما. يبذل كل ما يمكنه من جهد. في سبيل تحقيق تلك المصلحة. كائناً من كان ذلك الشخص. وربما عرض نفسه للإجراح بسبب ذلك. دون أن يبالي.

لقد عشنا مع الشيخ الطاهر رحمه الله سبع سنوات متتالية. ما رأينا منه خلالهما إلا كل خير. وما عرفنا عنه إلا الصلاح والتقوى والسعي في نفع المجتمع والناس.

والحق أنني ما رأيت في حياتي مثله فيمن عرفت وعاشت من الناس. ومهما قلت فيه. فإنني لن أستطيع الوفاء بحقه.

وما شهدت للرجل إلا بما علمت. ولا أزكي على الله أحداً.

نسأل الله عز وجل أن يتغمّد أستاذنا برحمته الواسعة. ويحشره في زمرة الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. آمين.

رسالة من المدينة المنورة⁽⁹⁾

الدكتور يحيى بكلي الجزائري*

هل أئمة مساجدنا أئمة متمكنون؟

بالإضافة إلى المسجد النبوي الذي يزّين هذه الأرض الطيبة هناك مساجد كثيرة لا تعد ولا تحصى فمن التلقائي إن تجد في كل حي سكني جامعا أو مسجدا بحيث يستحيل عليك أن تتخلف عن صلاة الجماعة إلا إذا تعمدت ذلك أو حبسك عذر شرعي.

لقد آليت على نفسي أن أحسّس المبادرات المبدعة و«الخرجات» الجميلة التي في هذه المساجد لأنقلها إلى إخواني قراء البصائر عساهم يستلهمون منها مبادرات من أجل تطوير مساجدنا. ولنبدأ بالمبدع الشيخ حسن إمام الحى عندنا غير بعيد عن الحرم. ذات مرة طلع الإمام بعد الصلاة المكتوبة وقام بإعلان يقول فيه «إخواني المصلين من فضلكم إذا أحذكم يستأنس من نفسه علما ويرى انه ممكن يعطينا نصيحة بقدّم لنا اسمه حتى نبرمج له الكلمة».. فقلت في نفسي كثر الله من أمثالك في الجزائر يا شيخ حسن.. طبعاً الشيخ حسن هو متمكن جداً فكلماته مفيدة جداً وتلاوته للقرآن عذبة تشبه تلاوة الشيخ علي عبد الله جابر رحمة الله عليه.

ومع ذلك تراه أثار كل صلاة يسعى للتواصل والتعرف إلى من يشتم فيه رائحة العلم ليشجعه على المثول أمام الناس. تذكرت حينها كثيراً (لا أريد ولا أحب أن أعتم) من الأئمة عندنا في الجزائر لا يفصحون المجال لغيرهم أن يقدموا محاضرة أو درساً للناس بدلاً منهم كأن المسجد ملك لهم... يحكي لي أحد الدعاة البارعين في الجزائر ما نصّه بالحرف الواحد «أحد الأئمة كان يدعوني إلى مسجده لإلقاء درس الجمعة بين الحين والآخر. وحين رأى الناس قد التفوا حولي وأصبحوا يطالبون بحضوري خاف فقاطعني»... كيف نفسر هذا السلوك المتخلف؟ بطبيعة الحال التفسير النفسي لهذا السلوك معناه أن هذا الإمام ليس له ثقة في نفسه ويعرف انه غير متمكن ويخاف أن يكتشف الناس ضعفه إذا فصح المجال لمن هو أكثر منه تمكناً. وقد يتّهم هذا عن ضعف أو انعدام الإخلاص لله في العمل عند الرجل ولكننا لا نخوض في الأمر الأخير فالثقة أعلم بالنوابا.. إلى هؤلاء الأئمة الخائفين أقول لهم متى كانت آخر مرة تدبرتم في قوله تعالى «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم» (سورة البقرة 114).. فإبراً بنفسك أن تكون ممن يدخل المسجد خائفاً.. خائفاً من أن يكتشف الناس ضعفك العلمي والشرعي... صدقوني رأيت في الجزائر أئمة يلحقون كلمات أمام مأمومين أكثر منهم كفاءة وعلماً بل وحتى أدباً وورعاً.. ما هذا؟ قد نقبل على مضض أن يكون مديراً في شركة أقل كفاءة من موظفيه لكن أن يكون الإمام أقل كفاءة فهذه مشكلة بل عيب ينبغي استدراكه.

وهذه دعوتي إلى معاهد تكوين الأئمة والجامعات نريدكم أن تكونوا أئمة لهم ثقة في أنفسهم وفي تكوينهم وفي زادهم وأئمة صادقون متجردون لله لا يستحوذون على المنبر بل يجدون سعادتهم في أن يقدموا للناس من يفيدهم ولا يبالون بمدح الناس أو ذمهم. فهل من ملتحق للفكرة؟

01 جمادى الأولى 1434
ybakelli@hotmail.com



بقلم: الأستاذ مسعود فلوسي

الفئات الرافضة للإصلاح في مجتمعنا

ليس غريباً أن تعاني المجتمعات الإنسانية في بعض المنعطفات التاريخية من مشكلات مصيرية تعترض مسيرتها وتعيق حركتها فترة تطول أو تقصر. كما ليس غريباً أيضاً أن تدفع هذه المجتمعات أثماناً باهظة للتخلص من تلك المشكلات، كانت هذه الأثمان، مادية، أو بشرية، أو معنوية.. لكن الغريب.. كل الغرابة.. أن يقف بعض أبناء هذه المجتمعات حجر عثرة في طريق عودتها إلى عافيتها وتخلصها من مشكلاتها، وذلك بعملهم الدؤوب المستمر على إطالة عمر أزماتها، وتكريس استنزاف ثروتها وخيراتها.

وأموالهم.. لذلك نجد أن هؤلاء الذين يستفيدون من مثل هذه الأزمات، لا يرضيهم أبداً أن ترسو سفينة المجتمع على شاطئ الأمان. بل إن ذلك يمثل تهديداً لمصالحهم. لأن انتشار الأمن العام في المجتمع وعودة الأمور إلى نصابها الصحيح. كل ذلك يعري الفساد ويجعلها ظاهرة ويستدعي تدخل المجتمع لتغييرها وإصلاح ما نتج عنها.

حقيقة الإصلاح في أي مجتمع ليست سوى تعبير عن استنكار الضمير الجمعي لهذه المفاصل. واستشعاره ضرورة النهوض لإيقافها ومعاكبة مقتريفيها.. ومن البديهي أن يكون أول أعداء هذا الإصلاح هم أولئك الذين يهدد المصلحون مصالحهم.. تلك المصالح التي لا تتوقف عند الصورة المادية لها. وإنما تتوسع دائرتها لتشمل المصالح المعنوية أيضاً. وهناك من أعداء الإصلاح ورافضيه أيضاً فئة من الناس ترى فيه وفي أهله خطراً على مصالحها المعنوية بعد المصالح المادية. ونعني بالمصالح المعنوية هنا المكانة والجاه والنفوذ الاجتماعي..

تلك المكانة التي قد تتمثل في مناصب حساسة يتبوّؤها هؤلاء ويشرفون منها على حاجات الناس وشؤونهم. ويستغلونها في ابتزازهم وامتصاص دمائهم. وبالتالي بناء مصالحهم المادية على حسابهم. فهؤلاء لا يريدون هذه المناصب خدمة الناس. وإنما لاستغلال الناس إليهم في قضاء مآربهم وبناء نفوذهم وثروتاتهم.. وقضاء مصالحهم الشخصية بواسطة جاههم ومناصبهم.

وهناك فئة أخرى ثالثة من الناس. تعادي الإصلاح وتقف منه موقف الكراهية والرفض. وتلك هي فئة فريق من الناس تضيق عقولهم عن استيعاب بواعث الإصلاح وفوائده. فميزة هذه الفئة من الناس - وهي فئة ضعيفة في كثير من الحالات - أنها تريد بقاء ما كان على ما كان، لأنها تتصور أن التغيير سيأتي - لا محالة - بواقع أسوأ من الواقع الذي تعيشه. ولذلك فهي تفضل أن تبقى على حالتها. مع ما تعانيه من فقر وجهل وقهر. على أن يأتيها واقع جديد لا تدري ماذا يحمل معه.. وهذه الفئة من الناس. هي بطبيعتها فئة قابلة للخضوع والذلة. بل ترى في هذا الخضوع نوعاً من الذكاء. وترى في رفضه نوعاً من الحمق والغباء.

والحق أن أخطر فئة على الإصلاح هي الفئة الثانية. لكن أكثر من يقاوم دعوة الإصلاح ونداءاته هي الفئة الثالثة. تلك الفئة التي تعتقد دائماً أن بقاء الواقع على ما هو عليه مسؤوليتها الأولى. لأنها ترى في تغيير هذا الواقع الخطر الأكبر على حياتها ومستقبلها ومصالحها القليلة المحدودة.. أما الفئة الأولى فلا يهمها إلا مصالحها المادية الخاصة. فإذا لم يكن في دعوة ما خطرٌ عليها فإنها لا تبدي أي مقاومة لها. لكنها إن رأت ذلك الخطر فإنها لا تتورع عن بذل أي شيء في سبيل التخلص منها ومحاربة أهلها.

لا شك أن عملية الإصلاح تصبح عملاً مرهقاً جداً وباهظ التكاليف إذا اجتمعت هذه الفئات الثلاث معاً وتكاتفت على محاربتها والوقوف في وجه النابذين به.. وذلك هو حال مجتمعنا الجزائري اليوم. الذي احتار العقلاء من الناس في فهم ما يجري فيه. وعجبوا من عدم قدرته على النهوض من جديد. مع أن الجميع ينادي نظرياً بالإصلاح ويتمنى تحقيقه.. فالواقع أنه إذا كان هناك من يعملون من أجل الإصلاح. وهم قليلون عملياً. فإن الذين يعملون في الخفاء من أجل استمرار الفساد كثيرون. وأكثر ما تتصور. ويعملون بدأب كبير وبإصرار منقطع النظير. لأن الإصلاح يمثل خطراً على مصالحهم الشخصية. وقد يتسبب في ضياع مصالحهم المعنوية ويكشف حقيقتهم للناس ويعري مارساتهم أمام الرأي العام. وإصرار هؤلاء على استمرار الفساد وخوله إلى واقع يسلم به الجميع. سيبقي المجتمع رهينة واقعه المتردي. والذي لن يتوقف عند حد معين. بل سيستمر بالانحدار إلى نتيجة لا يمكننا تقدير خطورتها ولا حساب مدى فداحة ما يترتب عليها من نتائج وخيمة.

والحق أن هذا الأمر يبدو لنا غريباً عندما ننظر إلى الأمور في جانبها الظاهري ولا ننفذ منها إلى الأعماق. ولا نبحت عن الأسباب الخفية التي تفرز مثل هذه الظواهر المرضية. أما عندما نمنع النظر وندقق في الأمور ونتأمل في جوهرها. فإن الحقيقة تجلّ لنا واضحة لا لبس فيها ولا غموض.

إن القضية في حقيقتها ليست سوى تجسيد عملي لبدأ الصراع الأزلي الأبدي بين الخير والشر. ذلك الصراع الذي يأخذ أبعاداً متعددة. ويتشكل بمظاهر متنوعة. ولكنه يبقى في النهاية صراعاً ذا طبيعة واحدة. وينطلق من مبادئ واحدة. والسبب دائماً هو معادلة «الأنا» والـ «نحن» في نفس الإنسان. فكلما تضخم «الأنا» كان الإنسان إلى الشر أقرب. وكلما انحسر لصالح الـ «نحن» كان إلى الخير أقرب.

تدخل - لا شك - عوامل كثيرة في توجيه الإنسان إلى طريق الصلاح أو طريق الفساد. غير أن عامل التربية الأسرية والتنشئة الاجتماعية والتوجيه الإعلامي يمثل أهم عامل في تشكيل الإنسان ليكون ذا نزعة فردية أو ذا نزعة اجتماعية.. لذلك فإن «الأنا» يتضخم ما كان الشعور الجمعي ضامراً في نفوس أفراد المجتمع. وذلك حين تغيب الرقابة الاجتماعية. ويتخلّى المجتمع عن أداء دوره في مراقبة سلوك الأفراد. فلا يحاسبهم على ما له عليهم من حقوق. ولا يلزمهم بأداء واجباتهم العامة.. في حين تنحسر النزعة الفردية لصالح الشعور الجمعي كلما قام المجتمع بدوره التوجيهي والإلزامي. ومارس وظيفته الإشرافية والرقابية على سلوكيات الأفراد وعلاقاتهم ومعاملاتهم. وحاسب كل من يتعدى حدوده ويلحق الأذى بأي قيمة من قيم المجتمع أو يرفق من مرافقه العامة.

جالت هذه الخواطر في ذهني وأنا أتأمل واقع مجتمعنا الجزائري وما يعانيه من مشكلات اجتماعية وصعوبات حضارية معقدة.. هذا المجتمع الذي أصبح الفرد فيه يفكر فقط في شؤون. ولا يهتم أبداً لشؤون أمته وبلده ومجتمعه. بل أصبح التفكير في مصالح المجتمع دليل غفلة وحمافة. والدفاع عن مكاسب هذا المجتمع في وجه من يعملون على تخطيها نوعاً من تدخل الإنسان فيما لا يعنيه..

لقد أصبح الفرد في مجتمعنا - نتيجة تضخم «الأنا» - عابداً لذاته. يدور في فلكها ولا يرى غيرها. لا يفكر إلا في كيفية تضخيم ثروته وتوسيع موارد مداخله وتكثير مكاسبه وممتلكاته. بغض النظر عن المصادر التي يتم من خلالها كل ذلك.. ومن البديهي أن مصالح الأفراد ستتعارض لا محالة. نتيجة تنافس أفراد المجتمع كلهم على تضخيم ثرواتهم وزيادة مداخلهم. لأن عبادة الذات لا تتوقف عند فرد معين بحد ذاته أو عند أفراد محددين. وإنما تمتد وتتوسع لتتحول شيئاً فشيئاً إلى سلوك عام. يعتبر التنافس فيه شيئاً طبيعياً. بل واجبا يحس كل فرد بضرورة القيام به.

وهكذا ينتشر الفساد في المجتمع ويقل الاستنكار لمظاهره. ويتراجع الخير ويحس الناس بثقله وغرابته. حتى يتحول الفساد خيراً. والصلاح شراً. ونتيجة الممارسة المتكررة يخفت شيئاً فشيئاً مفهوم الصلاح والفساد في النفوس. ليصبح المقياس الوحيد للصلاح هو مدى ما يحققه الفرد من مصلحة ذاتية خاصة به هو كشخص أو كهيئة ينتمي إليها. والمقياس الوحيد للفساد هو ما يضيعه من تلك المصلحة أو ما لا يحققه منها.

وهناك ظاهرة مرتبطة بهذه الظاهرة. وتلك هي ظاهرة التناسب الطردي بين انتشار الفساد وظهور التفاوت المادي والمعنوي الفاحش بين الناس. فمن جهة نرى غنى مطغياً. وفي الجهة المقابلة نرى فقراً مدقعاً. ولا وجود لطبقة متوسطة بينهم.. فالأزمات الاجتماعية تمثل فرصة نادرة للثراء الفاحش. الذي يتكون نتيجة نهب خيرات المجتمع والمتاجرة بالنفوس والأعراض والزينة في أسعار الحاجات الضرورية وافتعال المشكلات وانتشار الأفات الاجتماعية الفتاكة التي يروج لها المفسدون الذين يستغلون فقر الناس ليمتصوا دماءهم وينتهكوا أعراضهم ويسلبوا حقوقهم

في المذكرة الثالثة



أ. د. فوزي اوصديق

oussedik@hotmail.com

الإعدام.. والقصاص وحقوق الإنسان

هذه العقوبة. بأن يتذكروا أن العالم الغربي منقسم حيال عقوبة الإعدام بين معارض ومؤيد. لأن إقرار هذه العقوبة لا يتنافى مع المعايير الدولية. بل يؤيد خصوصيتها والحفاظ عليها. في ظل عولة حقوق الإنسان. وتلك إشكالية أخرى قد تطرح في مناسبات لاحقة.

وما نريد من خلال ذلك إلا الإصلاح ما استطعنا. كما أن فلسفة العقوبة هي محاولة رادعة لغريزة الانتقام. والحفاظ على التوازن داخل المجتمع. وهي ليست بدعة جزائرية أو استثناءً دينياً. بقدر ما هي شريعة دولية معتمدة لدى العديد من الدول.

وأخيراً!

وما توفيقني إلا بالله. والله من وراء القصد. ورحمة على أبناء الجزائر الذين يطالبون بـ «حق الدم» وهم من الجني عليهم.

عليها دولياً. وبالتالي يمكننا القول: ليست هذه العقوبة بدعة دينية بقدر ما هي تطبيق للعدالة وحرص على حق الحياة.

ولننظر إلى بعض الأمم المتحضرة وهي عديدة تدعو لحقوق الإنسان وتعمل على ترقيته. حيث أنها تطبق هذه العقوبة الردعية انطلاقاً من مبدأ الحفاظ على المجتمع وأمنه واستقراره وقيمه وثوابته. فلا غرابية في أن نطالب بتطبيقها في مجتمعاتنا.

وما أجمل الخطاب الحقوقي عندما يكون مقروناً ومدعماً بالخطاب الديني!!

وعليه. فإن فلسفة إقرار هذه العقوبة قائمة على أساس الردع وإرجاع الحقوق لأصحابها بالقصاص. واستناداً إلى ما سبق فإنني أنصح حقوقيين الذين يحاولون بحجة وبغير حجة الدفاع عن حقوق الإنسان ومعارضة

أصبح النقاش حول عقوبة الإعدام «حتمية» اجتماعية وضرورة لا بد منها في ظل الانتهاكات المتزايدة في حق الأطفال سواء كانت هذه الانتهاكات اغتصاباً أو قتلاً. والبعض حاول اختزال الإشكالية واعتبارها مجرد خطاب ديني بحت. بعيداً كل البعد عن المنطق القانوني. وتناسى هؤلاء أن حق الحياة حق مقدّس. ويجب تطبيق الإعدام في الحالات التي يكون فيها انتهاك هذا الحق جسيماً ومستوجباً للردع بالإعدام. وفي حدود ضيقة ومعايير محددة متعارف

إمام الأمة وذكرى يوم العلم..



بقلم:

الأستاذ عبد الباقي صلاي *

أشارني وحز في نفسي كثيرا ما قاله الشيخ «محمد الغزالي» رحمه الله ذات يوم، عن زعيم الإصلاح في الجزائر الشيخ «عبد الحميد بن باديس» وبكثير من الحسرة لا سيما في الجانب التعليمي الذي مورس في حق هذه الشخصية العظيمة بقصد أو بغير قصد من قبل بني جلدته ومن ينتمون إلى الدائرة العربية والإسلامية،

فلقد قارن «الشيخ محمد الغزالي» بين ما قدمه «نابليون بونابرت» لفرنسا وبين ما قدمه الشيخ «عبد الحميد بن باديس» للجزائر والأمة الإسلامية فوجد أن الرجلين على قدم المساواة من حيث الإخلاص للوطن كل حسب موقعه. لكن «نابليون بونابرت» كتب فيه آلاف الكتب. بينما لم يكتب في الشيخ «عبد الحميد بن باديس» صاحب التراث الفكري. وصاحب الفكر التنويري إلا النزر اليسير والمقالات القليلة التي لا تغني في شيء ولا تستطيع أن تعرف بشكل جلي بما قدمه عظيم الإصلاح في القرن العشرين.

كلمات الشيخ «محمد الغزالي» رحمه الله جعلتني أفكر في كيف يتسنى لي الأمر وأتمكن من تقديم تعريف يليق بهذه الشخصية العظيمة ليس فقط في الجزائر ولكن في أصقاع الدنيا. وكانت الفرصة مواتية بقناة فضائية خليجية كبيرة أن أبدأ في سلسلة حلقات عن الشخصيات الفذة من بينها الشيخ «عبد الحميد بن باديس» لكن توقف المشروع لظروف لا يتسع المقام هنا لذكرها. إلى أن سنحت الفرصة ووجدتها مواتية لأقدم شيئا ولو محتشما عن هذه الشخصية التي أسميتها «إمام الأمة» وهذا تيمنا بما قاله عزوجل عن سيدنا إبراهيم - مجازا طبعاً - « إن إبراهيم كان أمة». والمعلوم كما جاء في شرح هذه الآية أن الآية فيها الدلالة على أن إبراهيم عليه السلام كان محققا للتوحيد. ووجه الدلالة أنه كان أمة. والأمة هو الإمام الذي جمع فيه صفات الكمال البشري وصفات الخير. وهذا يعني أنه لم ينقص من صفات الخير شيئا. وهذا هو معنى تحقيق التوحيد. والأمة تطلق في القرآن إطلاقات. فمن تلك الإطلاقات أن يكون معنى الأمة «الإمام المقتدى به في الخير». وسمي أمة لأنه يقوم مقام أمة في الاقتداء.

ولأن من سار على سيره غير مستوحش ولا متردد. لأنه ليس مع واحد فقط وإنما هو مع أمة. والشيخ «عبد الحميد بن باديس» كان أمة لوحده. ومسيرته قدوة لكل الأجيال في كل الأعصار والأمصار. وغنى عن الاستزادة أن نتحدث عن الدور الكبير الذي قام به بمعية رفقاءه الذين يعدون هم أيضا أما وصناديد الفكر التنويري في القرن العشرين بدون منازع.

لقد أردنا التطرق لموضوع هذا الفيلم الوثائقي _ الذي من حسناته أن شارك فيه اثنان من رؤساء جمعية العلماء المسلمين. سماحة الشيخ عبد الرحمن شيبان رحمه الله. وسماحة الدكتور عبد الرزاق قسوم- لنتفتح شهية الحديث أكثر عن شخصية عبد الحميد بن باديس على وجه الخصوص. وجمعية العلماء على وجه العموم وحتى نكسر ذلك الحاجز النفسي أمام العقبات التي تعترضنا نحن الإعلاميين والمخرجين عندما يتعلق الأمر بشخصيات الإصلاح وبرجالات الأمة الذين قدموا الكثير والكثير للجزائر.

فليس المناسبة فقط هي التي دفعتنا لنتحدث عن هذا الفيلم أو نتحدث عن شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس. ولكن الحاجة الملحة لمثل هذه الأفلام في مثل هذه الظروف حيث تعرت الحياة بأكملها واصبحت أقرب إلى التفكك من كل القيم ومن كل ما يربطنا بالهوية العربية والإسلامية. وبعيدنا عن كل ما يمت بصلة إلى التواجد الحضاري على أرض صلبة اسمها «الخصوصية الحضارية». هي التي جعلتنا نقر بأن مثل هذه الأفلام ستعطينا دفعا قويا نحو مراجعة التفكير وهيكله كل ما من شأنه أن يرتب لنا الحياة الثقافية من جديد.

فيلم «إمام الأمة» سيكون حاضرا في سلطنة عمان بدعوة من سعادة السفير الجزائري هناك. الذي حرص

على أن يقدم الفيلم للجالية الجزائرية. ومعلوم أن سلطنة عمان بها جزائريون كثر. وتعد الدولة ربما الوحيدة في الخليج التي لها صلة قرابة ووشائج قوية مع الشعب الجزائري عبر عقود وعقود تصل إلى قرون وأكثر. كما سيكون جاهزا ترجمة وتقنية في فرنسا باللغة الفرنسية تحت إشراف فرنسيين من قناة فرانس 2. وهذه لوحدها تعتبر مكسبا حضاريا حقق في انتظار أن يكون باللغة الإنكليزية. وحتى الإسبانية. فضلا عن عرض سيكون في مستغانم كجزء من إحياء للتاريخ الجمعي الجزائري أين كان الشعب الجزائري لحمة واحدة قبل أن تمسه هزات كان سببها التجهيل المتعمد الذي كرسته فرنسا عبر سياسة مدروسة. وسيكون العرض كنوع من محو للحادثة التي كان سببها أحد الطرقيين بمستغانم الذي حاول اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس. وبعد أن سميت جامعة مستغانم بجامعة عبد الحميد بن باديس كنوع من المصالحة التاريخية. والحمد لله سيكون الفيلم «إمام الأمة» حاضرا في هذه الجامعة وفي الولاية العظيمة مستغانم.

يوم العلم لهذا العام أردناه وثائقيا. ونريده أن يستمر هذا اليوم احتفالية وقدوة. وحتى نؤسس لعادة حميدة نريده أن يكون على مدار العام. فالعلم ليس محصورا فقط في يوم أو يومين. ومتأكد أن الشيخ عبد الحميد بن باديس لو كان بنا حيا يبرز لأكد على استمرارية التوظيف الحقيقي لهذا اليوم ليكون على طول السنة. لأن العلم لا حد له من حيث الزمان والمكان. وهو فقط العلم الذي به ترقى الأمة وتزدهر. وليس بشيء آخر.

إعلامي ومخرج أفلام وثائقية

الرجل الذي عاش للإسلام وللجزائر

الناس في حياتهم الدنيوية وفي رحلتهم العابرة على هذه الأرض صنفان : صنف يعيش الحياة في جانبها المادي، فهو منذ يبعي ويعقل يتخذ من السعي في طلب الرزق وتلبية المطالب المادية العاجلة هدفه في الحياة لا يلبو على غيره ولا يلتفت إلى سواه، حيث يظل يدور حول نفسه ولا يفكر إلا في ذاته أو في الأقربين منه دون أن يتعداهم إلى سواه

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي



ادخره للعاملين المصلحين من أجر عظيم ونعيم مقيم.

لقد عاش الإمام ابن باديس رحمه الله للإسلام. لأنه في نظره الدين الحق الذي لن تسعد الإنسانية ولن تصلح أحوالها إلا حين تهتدي بهديه وتعمل بتشريعاته. فجعل من تعريف أبناء وطنه به منطلقا إلى تعريف الإنسانية كلها به. وقد حقق للإمام ما هدف إليه من ذلك حين رأى أبناء وطنه يعودون إلى دينهم يقرؤون كتابه ويقتدون بنبيه ويتفقون في أحكامه ويتبعون تعاليمه.

كما أنه رحمه الله عاش للجزائر. وجعل العمل لها ولمصلحة أبنائها واجبا أساسا سعى في أدائه والقيام به سعيا حثيثا وبذل في ذلك غاية ما يستطيع من جهد واستفرغ ما أمكنه من وسع وطاقة. موقنا أن العمل للجزائر هو عمل للدين وجهاد في سبيل الله. لأن في نهضة الجزائر وحررها وصلاح أحوالها وانتظام أمورها وتمسك أبنائها بدينهم وهويتهم نهضة للأمة كلها وبابا إلى صلاحها وانتظام أحوالها. فلا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه كما هو معلوم. وكل أبناء جزء من الأمة معنيون بصلاح الجزء الذي ينتمون إليه قبل أن يفكروا في إصلاح غيره من الأجزاء.

لم يكن ابن باديس يعمل وحده. لقد كان يعمل في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باعتباره رئيسا لها. إلا أن الجهد الذي بذله والاستماتة التي أظهرها والانغماس المطلق في العمل الإصلاحي الذي نذر له نفسه. لم يستطع أن يرقى إليه أحد من إخوانه العلماء. رغم ما بذلوه جميعا من جهود وما لقوه من متاعب وما قدموه من تضحيات.

رحم الله الإمام ابن باديس وجميع إخوانه العلماء الذين بذلوا الغالي والغالي والنفس في سبيل الله ومن أجل إحياء الإسلام في النفوس ولتحرير الجزائر ونهضتها. وجازاهم بما يستحقون على ذلك من أجر وثواب ومراتب عالية في جنات النعيم.

إلقاء دروس تفسير القرآن الكريم وشرح أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وتعليم الفقه ورواية السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي وتدریس علوم اللغة العربية. إلى جانب كتابة المقالات الصحفية الإصلاحية. وقد بلغ عدد الدروس التي كان يلقيها الإمام كل يوم أربعة عشر درسا في علوم مختلفة. ينهيها بدرس التفسير بعد صلاة العشاء من كل يوم. ولدة خمسة وعشرين عاما كاملة. وما كان ينام - في أكثر أيامه - سوى ساعتين من بين أربع وعشرين ساعة. كما لم يكن يأكل من الطعام إلا ما يقيم الأول ويعين على الاستمرار في العمل. وما كان له يوم راحة أسبوعي أبدا. فقد كان يبدأ دروسه صبيحة يوم السبت وينهيها مساء يوم الخميس. ليستقل بعد ذلك وسيلة نقل خمه إلى مدينة من المدن الجزائرية يقضي فيها يوم الجمعة. محاضرا أو مدرسا أو متصلا ببعض علماء الجمعية أو مشاركا في جمع إصلاح. ليصبح يوم السبت على مقعد الدرس مستأنفا رحلة التعليم والتربية من جديد. وقد ظل مواصلا هذا الجهاد المستميت وهذا الكفاح الدؤوب حتى أسقطه المرض وأنهكته العلة وفاضت روحه إلى بارئها عز وجل.

إن الإمام عبد الحميد ابن باديس رحمه الله يعتبر مثالا فريدا للإنسان الذي يلقي ذاته من أجل دينه وأمته وأبناء وطنه. ويتجاهل مطالب نفسه في سبيل تحقيق مطالب أمته. معتبرا ذلك واجبا مقدسا يجب عليه أدائه والقيام به. وكان يمكن أن يعيش آمنا مطمئنا هائنا راضيا مستمتعا بما أتى الله أسرته من مال ونفوذ وجاه ومكانة. مهتما بنفسه وأسرته عاملا لتحقيق مصلحته ومصلحة أسرته. دون أن يهتم بأمر آخر..

ولكنها الرجولة الحقة والنفس الكبيرة المستعيلة على متاع الدنيا وحطامها. الطامحة إلى تحقيق معالي الأمور والارتفاع إلى أعلى مراتب الجهد. هي التي دفعت ابن باديس إلى التضحية بكل متاع الحياة ومغرياتها والرغبة فيما عند الله عز وجل وما

الاستدمارية المسيطرة على الجزائر في تلك المرحلة. إلا أن كل ذلك لم يمنع أن يتجه وجهة مغايرة تماما لما كان يُنتظر من مثله. فإذا به يسعى لحفظ القرآن الكريم وحصيل العلم. والسفر من أجل ذلك إلى خارج البلاد للاحتكاك بالعلماء والانتفاع من علمهم والاستفادة منهم. فكان أن التحق بالزيتونة في تونس. وسافر لأداء فريضة الحج وزار مصر والشام والقدس. ورأى من أوضاع المسلمين وأحوالهم. إلى جانب ما كان يعيشه قومه في الجزائر. ما ألم نفسه وجرح شعوره. وهو ما كان سببا في تفتح وعيه وشعوره بحاجة الأمة إلى قيام مصلحين ربانيين يتفرغون لانتشالها ما انحطت إليه من تخلف وضياح. وما ترزح تحته من احتلال واستغلال.

لقد دفع ذلك ابن باديس رحمه الله إلى التفكير فيما يمكن عمله لإنقاذ أبناء وطنه الجزائر ما كانوا يتقبلون فيه من ذل وجهل وهوان واستغلال. فألهمهم الله عز وجل أن السبيل إلى ذلك إنما يكون بنشر العلم وإحياء حبه في النفوس. فكان أن انطلق في البداية بجهود فردية من خلال دروس كان يلقيها على مجموعة من طلبته في الجامع الأخضر. ليتسع مجال نشاطه بعد ذلك إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رفقة مجموعة من العلماء الذين كانوا يقاسمونهم نفس الهموم ويتطلعون إلى تحقيق ما كان يصبو إلى تحقيقه من أهداف.

وقد جعل الإمام ابن باديس رحمه الله من تعليم الناس دينهم وتنقيفهم بأحكامه محورا أساسا أدار عليه أعماله وجهوده. ومنطلقه في ذلك أن الأمة لا يمكن أن تصلح إلا بما صلح به أولها. وهو الدين. فهو مصدر كل خير وأساس كل إصلاح ومنطلق كل تغيير.

ولم يدخر رحمه الله أي جهد أو طاقة في هذا الإطار. فقد فرغ نفسه من شؤون الدنيا كلها. ولم يشغل نفسه إلا بشيء واحد هو التعليم والإصلاح. فكان يقضي سحابة نهاره وقسطا من ليله في

فهذا صنف لا يعيش إلا لنفسه ولا يرى أنه خلق إلا لتحقيق رغباته وتلبية مطالب نفسه. دون أن يكون لوجوده في هذه الحياة غاية أخرى غير ذلك. وصنف ثان من الناس رأى وجوده في الحياة أسمى وأرفع من أن تكون غايته أكلًا وشربًا ونوما وجمعا للحطام أو دورانًا حول الذات. وإنما الحياة في نظره فرصة للسمو ومجال رحب لتحقيق الغايات العالية والأهداف الكبيرة.

هذا الصنف الثاني هو الذي يحتاجه الإنسانية. وهو المنوط به تحقيق الغاية التي خلق الإنسان لأجلها. ذلك أن الغايات الكبيرة والأهداف السامية تحتاج لتحقيقها إلى من يجعل من حياته سببا لحياة غيره. ويجعل من عمله وسعيه سببا لتحقيق المصلحة العامة لمجتمعهم وأمتهم والإنسانية جمعاء. وبهؤلاء تسعد الإنسانية ويصلح حالها وتنظم مصالحها وتندفع المفاصد عنها. على عكس الصنف الأول الذي لا يهتم إلا بذاته ولا يعنيه غيره. فهذا ضرره أكبر من نفعه وإفساده أكثر من إصلاحه. وما أوتيت الإنسانية وما تضررت وانحطت أحوالها وتردت مجتمعاتها إلا بسبب كثرة من ينتمون إلى الصنف الأول وقلة من ينتمون إلى الصنف الثاني.

نقول هذا الكلام. ونحن نستحضر ذكرى مرور ثلاثة وسبعين عاما على وفاة ابن الجزائر الأكبر وعلمها الأشهر الإمام العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمه الله [١٨٨٩-١٩٤٠]. هذا الرجل الذي استحق أن يخلد في ذاكرة الأمة الجزائرية لما خلى به من خصال وما قدمه من خدمات وما أنجزه من أعمال سجلتها الأفلام وتناقلتها الأجيال.

لقد شأنت إرادة الله عز وجل أن يولد ابن باديس في مرحلة من تاريخ الجزائر. كادت فيها الأمة الجزائرية أن تفقد كل مقومات وجودها كأمة وككيان مستقل. حيث عمل الاستعمار الفرنسي على محو كل معالم ومظاهر الاستقلال الحضاري للشعب الجزائري. من دين ولغة وتاريخ. وقد كان ميلاده في أسرة ذات وجهة ونفوذ وعلاقة بالسلطة

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في البحث التاريخي

إعداد: أ.د. مولود عويمر

- بسيس (عبد الكريم). 2004. ملامح المجتمع الجزائري من خلال جريدة البصائر 1935-1956. ماجستير نظام جديد. جامعة الجزائر.

- بشراب (وهيبة). 2012. النشاط الإصلاحي والسياسي للشيخ البشير الإبراهيمي (1940-1962). م. ن. ج. جامعة الجزائر2.

- بشير بلمهدى (علي). 2002. المساجد الرسمية وموقف صحافة جمعية العلماء المسلمين منها 1931-1956. ماجستير نظام قديم. جامعة وهران.

- بلبالي (عبد الكريم). 2012. جريدة البصائر الثانية وموقفها من قضايا معاصرة 1947-1956. م. ن. ج. جامعة تلمسان.

- بلعجال (أحمد). 2006. الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري (1900-1956 م). م. ن. ج. جامعة منتوري-قسنطينة.

- بن حامد (سعيدة). 2006. الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وقضايا عصره. م. ن. ج. المدرسة العليا للأساتذة-الجزائر.

- بن رحال (يمينة). 2006. الشيخ أبو اليقظان وقضايا عصره. م. ن. ج. المدرسة العليا للأساتذة-الجزائر.

- بن طاهر (علي). 2001. الشيخ مبارك المبلي وجهوده في الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين. م. ن. ق. جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة.

- بورنان (سعيد). 2009. نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1954. م. ن. ج. جامعة الجزائر.

- بوقجاني (أحمد). 2000. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية (1945-1956). م. ن. ق. جامعة الجزائر.

- جاك (الحسن). 2002. نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931-1956. م. ن. ق. جامعة وهران.

- حداد (أحمد). 2008. الشيخ أحمد حماني وقضايا عصره (-1915 1998 م. ن. ج. جامعة منتوري-قسنطينة).

- حوحو (أسامة). 2006. الأستاذ أحمد رضا حوحو: حياته وآثاره 1910-1956. م. ن. ج. جامعة الجزائر.

- خليفي (عبد القادر). 2008. أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899-1983 م. م. ن. ج. جامعة منتوري-قسنطينة.

- زقور (عفاف). 2007. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: نشأة وتطور الإصلاح بمدينة الجزائر (1931-1940). م. ن. ج. جامعة الجزائر.

- صدوق (سعيدة). 2011. محمد البشير الإبراهيمي في المشرق العربي 1920-1962. م. ن. ج. جامعة الجزائر2.

- عرعرا (كرمة). 2006. دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية. م. ن. ج. جامعة باتنة.

- فايد (بشير). 2001. الشيخ البشير الإبراهيمي و دوره في القضية الوطنية 1883-1965. م. ن. ق. جامعة منتوري-قسنطينة.

- فايد (بشير). 2010. قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان: دراسة تاريخية وفكرية مقارنة. دكتوراه نظام جديد. جامعة منتوري-قسنطينة.

- فراد (محمد أرقي). 2007. الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي (1866-1952). م. ن. ج. جامعة الجزائر.

- قرقب (عيسى). 1997. الإمام إبراهيم بيوض رائد الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري (-1339 1981/1401 م). دكتوراه دولة. جامعة منتوري-قسنطينة.

- قوبع (عبد القادر). 2008. الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب 1920-1954. م. ن. ج. جامعة الجزائر.

- كراغل (محمد). 2007. صحيفة الشهاب وقضايا المغرب العربي (1925-1939). م. ن. ج. جامعة منتوري-قسنطينة.

- لهاللي (أسعد). 2006. الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902-1939. م. ن. ج. جامعة منتوري-قسنطينة.

- مرغيث (محمد). 2003. موقف الشباب من قضايا معاصرة (1925-1939). م. ن. ج. جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة.

- مريوش (أحمد). 1993. الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية. م. ن. ق. جامعة الجزائر.

- مولاي (عبد القادر). 1999. الشيخ الفضيل الويتيلاني: نشاطه التربوي وجهوده الإصلاحية. م. ن. ق. جامعة الجزائر.

دور جمعية العلماء في مواجهة المشروع الاستعماري في الجزائر

بقلم: الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي



في يوم الثلاثاء 17 ذي الحجة 1349هـ، الموافق لـ 5 ماي 1931م، تم بنادي الترقّي، بالجزائر العاصمة، تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من قبل عدد من العلماء والمصلحين الجزائريين، الذين هالهم ما آل إليه حال الجزائر وشعبها في ظل الاحتلال الفرنسي، فتنادوا لعمل شيء يغير هذا الحال ويعيد الأمور إلى نصابها الصحيح، فكان تأسيس الجمعية مفتاح هذا العمل وبداية الطريق إلى بث الوعي واليقظة في نفوس الجزائريين لينتبهوا من رقذتهم ويعودوا إلى رشدهم ويطردوا المحتل من بلادهم. ولأن الظروف لم تكن مواتية لإعلان المقاومة العسكرية ضد الاستعمار، فقد كان التركيز على العمل الثقافي والتربوي باعتباره أنجع وسيلة للمقاومة والمحافظة على الهوية والانتماء الحضاري للأمة الجزائرية.



الإمام ابن باديس رحمه الله

الشعب الجزائري بأن فرنسا قضاء محتتم وقدر مقدور لا مناص من الرضا به والانضواء تحت لوائه والعمل لصالحه.

2 - محاربة اللغة العربية:

لم يكن الاستعمار الفرنسي غافلا عن دور اللغة العربية في حياة الجزائريين. باعتباره الوسيلة إلى فقه الدين ومعرفة أحكامه والإطلاع على تعاليمه. ولكي يتم له فصل المسلمين الجزائريين عن دينهم، كان لا بد من فصلهم عن وسيلتهم لتعلم الدين وتطبيقه وهي اللغة العربية. لذلك لم يتوان الاستعمار منذ البداية في إعلان الحرب على اللغة العربية. من خلال العمل على غلق الكتابات القرآنية ومكافحة التعليم العربي والتضييق على كل ما من شأنه أن يبقى على اللغة العربية ويحافظ على وجودها. وفي المقابل ألزم الاستعمار المدارس بتعليم اللغة الفرنسية والعمل على ترسيخها على ألسنة الجزائريين.

3 - تحريف التاريخ وطمس الهوية الحضارية الجزائرية:

عمل الاستعمار الفرنسي منذ دخوله الجزائر على طمس التاريخ الجزائري الحافل. وحرص «على نسيان الشعب الجزائري لأجداده. وعلى تصوره للحقائق مقلوبة أو مشوهة. حتى تضعف فيه ملكة التأسّي ثم تموت». ولذلك كان يحارب «التاريخ الإسلامي والتاريخ العربي والآداب العربية من أساسها». لما يعلمه من تأثير التاريخ والآداب في إحياء الشعوب. خصوصا التاريخ العامر بالمفاخر المملوء بالمآثر كتاريخ الإسلام عموما وتاريخ العرب بوجه خاص».

ومن جهة ثانية: حاول الاستعمار تزيف التاريخ وقلب الحقائق. من خلال نشر دعاوى تقول بأن الجزائريين منحدرين من نفس الأصل الذي ينحدر منه الفرنسيون. وأنهم جميعا أحفاد للغاليين. ولذلك فإن الجزائريين فرنسيون في الحقيقة. وما عليهم إلا أن يقتنعوا بهذه الدعوى ويحرصوا على الإخلاص لفرنسا والنزول فيها ونسيان ما سبى ذلك من أفكار وقيم ومفاهيم.

4 - مسخ الخلق الإسلامي ونشر الرذائل في المجتمع: حرص الاستعمار الفرنسي على نشر الإباحية في واقع المجتمع الجزائري. وتشجيع السلوكات اللاأخلاقية المنحرفة. حتى يتحول الفرد الجزائري إلى مجرد حيوان هُمّه شهواته. فينشغل عندئذ بالعمل على إشباع شهواته وينسى حقيقته وواجباته المنوطة به والمتمثلة في العمل على التحرر من رق الاستعمار وقيوده.

مدى تحقيق الاستعمار الفرنسي لمشروعه الثقافي في الجزائر:

لقد كان للجهود الخفية والمتواصلة التي بذلها الاستعمار الفرنسي لترسيخ مشروعه الثقافي التدميري في الجزائر خلال ثلثي قرن. نتائج وخيمة في واقع المجتمع والفرد الجزائري. حيث استطاع خفيق بعض أهدافه. وكاد يصل إلى بغيته لولا أن قيّض الله لهذه الأمة رجالا منها عملوا على انتشالها ما كانت تتخبط فيه من جهل ومسخ ونسيان. وأنفذوها من المصير الذي كانت تساق إليه وهو الطمس الشامل لشخصيتها والقضاء الكلي على هويتها الحضارية ورصيدها الثقافي. وقد خص الوضعية التي انتهى إليها حال المجتمع الجزائري في بداية القرن العشرين. الدكتور صالح خرفي رحمه الله. وذلك حين كتب يقول: «لم يكن هناك كفر. ولكن إسلام مشوه. لم يكن هناك جهل فحسب. ولكن ثقافة دخيلة مسمومة. لم يكن هناك شعب ألقى حبله على غاربه. ولكن كان هناك الشعب الذي تسلط على زمامه المستعمر. لم يكن هناك الشباب الجاهل فقط. ولكن الشباب المشوّه الثقافة واللسان. المفصول عن تاريخه وحضارته».

إن هذا التصوير لحال الشعب الجزائري. يكشف بصدق مدى التردّي الذي آل إليه الوضع الحضاري والثقافي لهذا الشعب. والمصير الذي انتهت إليه درجة الوعي والإدراك لدى أفرادها.

بل لقد وصل الأمر ببعض الجزائريين إلى أن يعلنوا ذوبانهم الكلي في فرنسا. وأنهم لا يعرفون في التاريخ كيانا مستقلا اسمه الجزائر.

يتبع

شهر ديسمبر سنة 1832م. حيث أصبح منذ ذلك الحين يسمى (كتدرائية الجزائر).

مخطط الاستعمار في تحقيق مشروعه الثقافي:

لم يتردد منظرو الاستعمار الفرنسي في حشد وتسخير الوسائل التي كان من شأنها أن تحقق الغاية المرسومة وهي طمس الهوية الجزائرية وإلغاء الشخصية الجزائرية المتميزة. يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله: «الاستعمار الفرنسي صليبي النزعة. فهو -منذ احتل الجزائر- عامل على مَحْو الإسلام لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم. وعلى مَحْو اللغة العربية لأنها لسان الإسلام. وعلى محو العروبة لأنها دعامة الإسلام. وقد استعمل جميع الوسائل المؤدية إلى ذلك. ظاهرة وخفية. سريعة ومتأنية».

ويقول رحمه الله في موضع آخر: «جاء الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر كما جيئ الأمراض الوافدة حمل الموت وأسباب الموت. والاستعمار سُلّ يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح. وهو في الجزائر قد أدار قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية. وعبث بحرمه المعابد. وحارب الإيمان بالإحاد. والفضائل بحماية الرذائل. والتعليم بإفشاء الأمية. والبيان العربي بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير».

لقد عمل الاستعمار الفرنسي. إذاً. على ترسيخ مشروعه الثقافي وخفيقه في واقع المجتمع الجزائري.

من خلال:

1 - محاربة الإسلام:

لقد كانت محاربة العقيدة الإسلامية. وإنهاء تأثيرها على حياة الفرد والمجتمع الجزائري. هدفا أساسا عمل الاستعمار الفرنسي على تحقيقه. لأنه كان يدرك أن بقاءه في الجزائر واستمرار سيطرته عليها مرهون بمدى تمكنه من فك الارتباط بين الفرد الجزائري وعقيدته الإسلامية. فهو كان يعرف أن هذه العقيدة هي التي ظلت تستحث الشعب الجزائري على الثورة ضد المحتلين والعمل على تحرير البلاد من سيطرتهم. منذ الفتح الإسلامي إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.. لذلك لم يتردد الاستعمار الفرنسي منذ البدايات الأولى لاحتلاله الجزائر. في توجيه سهام الهدم إلى العقيدة الإسلامية في نفوس الجزائريين بغرض إسقاط هيبتها والحد من تأثيرها.

وقد عمل على تحقيق ذلك من خلال عدة جهات:

أ - جبهة الزاحمة: وتتمثل في إطلاق العنان للمبشرين والنصّرين للعمل على تنصير أكبر عدد ممكن من الجزائريين وحملهم على الارتداد عن عقيدتهم الإسلامية. وذلك باستعمال كل وسائل الإغراء والتغريب التي أتاحت لهم.

ب - جبهة الإلغاء والتفريغ: بتشجيع الإحاد والتمكين لعوامله في النفوس. فقد قنع الاستعمار بالإحاد يصدر من الفرد الجزائري إذا عجز عن استصدار التنصير منه.

ج - جبهة التشويه والتحريف: بتشجيع الطرق الصوفية المنحرفة. وتقديمها على أساس أنها تمثل الإسلام الصحيح. وأنها هي الوصية على الدين في هذه البلاد. وأن من كان يريد التدين بالإسلام والاحتفاظ بعقيدته الدينية. فما عليه إلا الالتزام بما تسير عليه هذه الطرق. لأن ما تدين به وتمارسه من طقوس هو الدين الصحيح. وأما ما عداه فكله باطل وضلال.

وقد استغل الاستعمار السطوة التي كانت لمشايخ هذه الطرق على النفوس. فوجّههم للعمل على إقناع

حملة صليبية واستعمار استيطاني:

لم تكن الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م. مجرد هجوم عسكري غرضه تأديب الداي حسين حاكم الجزائر الذي ادعت فرنسا أنه أهان قنصلها في الحادثة الشهيرة المعروفة بحادثة المروحة. بقدر ما كانت حملة عسكرية الوسائل. صليبية الروح. حضارية الأهداف.

إن دخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر. لم يكن دخوله إلى غيرها من البلاد التي احتلها أو فرض عليها الحماية. فلقد كان دخوله إلى الجزائر دخول الفاخ الذي لم يكن يفكر في الخروج. وكان استيلاؤه على خيراتها استيلاء المالك الذي لم يفكر إطلاقا في التنازل عنها أو السماح لغيره بالانتفاع بها والاستفادة منها.

لقد كان الاستعمار الفرنسي للجزائر استعمارا استيطانيا. الهدف منه الاستحواذ على هذه البلاد وإحاقها بفرنسا واعتبارها ولاية فرنسية وإلى الأبد. وإذا كان الاستعمار الفرنسي قد احتل الجزائر واستولى على أراضيها بقوة الحديد والنار. فلقد كان دهاقنته ومنظروه يدركون أن البقاء فيها ودوام السيطرة عليها لا ينفع في حقيقته الحديد والنار وحدهما. فهما وسيلتان غير مجديتين على الأمد البعيد. لأن روح المقاومة عند الشعب الجزائري ستناجج مع الأيام. ولن يعدم أن يجد الوسائل المادية التي يستطيع بها أن يكسر شوكة السلاح الاستعماري ومعداته.

البعد الثقافي في الحملة الفرنسية على الجزائر:

لقد عمل الاستعمار منذ أول يوم دخل فيه الجزائر على استخدام السلاح الأكثر مضاء والأشد فتكا لتحقيق البقاء له في هذه البلاد وضمان استمرار سيطرته عليها. ألا وهو سلاح الثقافة والفكر..

دليل ذلك: أن الحملة الفرنسية على الجزائر لم تكن مجرد حملة عسكريين محترفين يؤدون مهمة عسكرية صرفة وينتهي دورهم عند ذلك. بل كانت حملة شارك فيها العسكريون جنبا إلى جنب مع رجال الدين ورجال العلم والفكر.

ولا شك أن البعد الصليبي الحاقد كان أكثر العوامل الدينية والثقافية دفعا إلى شن الحملة الفرنسية على الجزائر. إذ كان احتلالها بمثابة رأس الحربة التي أريد بها تمزيق وحدة المسلمين في إطار الغارة الصليبية الشاملة على العالم الإسلامي بعد ثبوت انهيار الرجل المريض. وهو الدولة العثمانية التي كانت حمي الوجود الإسلامي وتمثله في البحر الأبيض المتوسط.. وقد ظهر ذلك من خلال الروح الصليبية التي صحبت الحملة. والتي لخصها شارل العاشر (1757 - 1880م). الذي أمر باحتلال الجزائر. وقال مبررا عمله ذاك: «إن العمل الذي ساقوم به لترضية شرف فرنسا. سيكون بإعانة العلي القدير لفائدة المسيحية جمعاء». ويؤكد ذلك أيضا تصريح أحد مساعدي المارشال بيجو مباشرة بعد دخول قوات الاحتلال إلى الجزائر. وذلك حين أعلن قائلا: «إن آخر أيام الإسلام قد دنت. وفي حدود عشرين عاما لن يكون للجزائر من إله غير المسيح». كما تجسد ذلك ميدانيا من خلال الاستيلاء على المؤسسات الدينية في الجزائر مباشرة بعد الاحتلال. وضمّ ممتلكات الأوقاف التي كانت تمّولها. وتوجيه بعض هذه المؤسسات نحو ما يخدم أغراضهم في تشويه الإسلام ونشر المسيحية. وتخويل بعضها الآخر إلى مستودعات ومستشفيات وكنائس. ومن ذلك تخويل جامع كتشاوة إلى كنيسة بداية من

دور جمعية العلماء في مواجهة المشروع الاستعماري في الجزائر

ال الحلقة الثانية .



بقلم : الأستاذ الدكتور مسعود ففوس

بكتاب الله . ويقومون بشرحه وإجلاء العَبر منه . وبالصحيح من السنة يُوضِّحونه وينشرونه . وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العملية والقولية . ثم سيرة الصحابة وهديهم . ثم سيرة حَمَلَة السنة النبوية في أقوالهم وأفعالهم . وقد كان أسلوب العلماء في التعليم الديني هو الاهتمام بالمعنى والنفوذ إلى صميمه من أقرب سبيل يؤدي إليه . وبيان الطرق العلمية التطبيقية . وجنب اللقطيات والخلافات وكل ما يبعد عن تصور المعنى المقصود .

وقد زاد عدد النوادي التي أسستها الجمعية : على السبعين ناديا حملت رسائلها وضمت أتباعها .

ومن النوادي التي استغللتها الجمعية أحسن استغلال وبنت من خلالها أفكارها ودعوتها : (نادي الترقى) بالجزائر العاصمة . الذي شهد إلقاء عشرات المحاضرات الهادفة لعلماء الجمعية . وخاصة منهم الإمام ابن باديس . والشيخ البشير الإبراهيمي . والشيخ الطيب العقبي . والأستاذ أحمد توفيق المدني . وقد كان لتلك الدروس والمحاضرات أثرها العجيب في النفوس . حيث تغلغل الوعي إلى أعماق القلوب ومَسَّ المشاعر . فأجيا في نفوس الجزائريين الشعور الوطني الدافق . والرغبة الجامحة في الحرية والانعتاق .

وكنموذج لذلك : يصف الشيخ محمد علي دبوز رحمه الله ما كان كان خطب العقبي ومحاضراته في نادي الترقى من نتائج إصلاحية . فيقول : «كان الشيخ بين في دروسه حقيقة الإسلام العظمى وعقيدته الصافية وأركانه . ويهاجم البدع المفسدة للدين وترهات الطريقة الضالة وإلحاد المدارس الاستعمارية . ففر الناس حقيقة دينهم . فازدادوا تمسكا به . فصارت جماهير كثيفة تحافظ على الصلوات والصوم وأركان الدين . وكانت لا تخطر ببالها . وهجروا الخمر والفسوق والميسر ومواطنها . وتعلقت نفوسهم ببيت الله .»

2 - العناية بالتربية والتعليم :

اهتمت الجمعية منذ تأسيسها بإنشاء المدارس العربية في شتى أنحاء القطر . وكانت أول المدارس التي أسستها : مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة . ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر . ومدرسة تهذيب البنين بمدينة تبسة .

كما قامت الجمعية بفتح عشرات المدارس الابتدائية الحرة لأبناء الشعب الجزائري . والذين لم يترددوا في الالتحاق بها . وكانت هذه المدارس تعلم الناشئة مبادئ العربية وآدابها ومبادئ التاريخ الإسلامي والتربية الإسلامية الصالحة . وكان افتتاح هذه المدارس وانتشارها عبر التراب الوطني يتم بانتظام وتسارع . حتى إنه في عام 1944 وحده . افتتحت الجمعية أزيد من سبعين مدرسة . وقد بلغ عدد مدارس جمعية العلماء سنة 1955 «أكثر من مائة وخمسين مدرسة ابتدائية حرة . يتردد عليها أكثر من خمسين ألف تلميذ من أبناء الأمة الجزائرية . بنين وبنات يدرسون مبادئ لغتهم وآدابها . وأصول دينهم وتاريخ قومهم على برنامج يجمع ضروب العلم وإيجابيات التربية الإسلامية القومية الصحيحة . وقد تخرج منها... عشرات الآلاف .» هذا إضافة إلى معهد ابن باديس الثانوي الذي أسسته الجمعية سنة 1947 . وتخرج منه - على مدى سنوات نشاطه - المئات من الطلبة . الذين صاروا بعد ذلك من أطر الدولة الجزائرية بعد الاستقلال .

وقد حرصت الجمعية . على أن تتسم البرامج التعليمية والكتب والطرق المعتمدة في مدارسها . بالتجديد ورفض الجمود والتقليد . فكانت تنتقي الكتب المقررة في المواد الدراسية انتقاء دقيقا . فتختار «ما هو أقرب إلى الإفادة . وأعون على خصيل الملكة العلمية . ويجنب الكتب الجامدة العقدة التي لا تفتح ذهنها ولا تبعث في نفس الدارس نشاطا . وتختار للمطالعة في مختلف العلوم الكتب الحية السهلة .» وكانت العلوم التي تدرس للناشئة والطلبة في مدارس ومساعد الجمعية : تتمثل في العلوم الشرعية واللغوية . وهي : العقيدة . التفسير . الحديث . الفقه . الأدب . المواعظ . التجويد . أصول الفقه . المنطق . النحو . الصرف . البلاغة . المحفوظات . المطالعة . الإنشاء . الحساب . الجغرافيا . التاريخ .»

الجمعية بهمهم ذلك .

واختتم كلامي يمثل ضربه الشيخ البشير الإبراهيمي لجمعية العلماء حيث قال : «إني لم أر مثلاً لجمعيةكم هذه . وهي لم تزل في المهد إلا شيئا نسميه نباشير الصباح يرتاح لها الساري في ظلمات الليل لأنه يرى فيها العنوان الصادق على قرب الخروج من المعاسف والخطب في مضلات السبل . ويرتاح لها المههم الساهر الذي يبيت براعي النجوم لأنه يرى فيها متنفساً لهمه وسببا لسلواه . وإن لم تكن حدا لبلاؤه . ويرتاح لها المفعور الشفائي لأنه يرى فيها مخايل من آية النهار . ويرتاح لها الناسك لأنه يسمع فيها الداعي المُنوب بعبادة ربه . ويرتاح لها الشاعر لأنه يرى فيها مسرحا لخياله واقفا لروحانيته .

ويرتاح لها العامل المنفذ بعمله لأنه يرى فيها الأمانة المؤذنة بقرب وقت العمل .

ولكن هل يدرك النائمون شيئا من تلك اللذة ؟ نعم إن جمعية العلماء هي نباشير الصباح وترونها تنصنع عن فجر صادق ثم عن شمس مشرقة .

هذه الشمس المشرقة لا نرى أنفسنا إلا نستنير بنورها اليوم كما الأمل وبها نرى المستقبل إن شاء الله . ولكي يعلم القاضي والداني بأن جبل جمعية العلماء لا يزال على العهد . فليبعد مثلا إلى مؤتمر الجمعية سنة 2008 حيث كتبت جريدة الشروق اليومي بالبند العريض لما رأته ذلك النجاح الباهر في جمع أبناء الأمة عن فرقتهم المحنة الوطنية «ما لم تستطع السلطة أن تفعله خلال 14 سنة فعلته جمعية العلماء في مؤتمرها» وتكرر الأمر نفسه مع المؤتمر الاستثنائي سنة 2011 الذي أسفر عن انتخاب الشيخ عبد الرزاق قسوم رئيسا لجمعية العلماء . حيث كتبت جريدة الخبر بعد المؤتمر خبرا بعنوان «الديمقراطية في أبهى صورها في أقدم تنظيم جزائري» .

وبإذن الله عز وجل تسير جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نحو النجاح الباهر بحول الله في مؤتمرها القادم يومي 31 ماي و01 جوان 2013 كما عودت الأمة دائما .

فهنيئا لجمعية العلماء في ذكرها الثانية والثمانين والسلام على الماهدين الأولين المؤسسين يوم ولدوا ويوم ماتوا والسلام عليهم يوم يبعثون أحياء . وإنا إن شاء الله على نهجهم سائر . فتم قرير العين يا ابن باديس ويا رفاق ابن باديس فالوارثون لما تركتم كثير .

عضو المجلس الوطني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

مدينة الأغواط مربيا ومعلما وداعيا إلى الإصلاح . وهناك بدأ نشاطه سنة 1923 م . وأمضى مدة ثماني سنوات . كون ورى خلالها عددا كبيرا من طلبة العلم الذين أصبحوا بعد ذلك طليعة النهضة بهذه المنطقة .

وكذلك : الشيخ العربي بن بقاسم التيسبي . الذي ما إن عاد من المشرق العربي سنة 1927 . حتى باشر هو الآخر نشاطه الإصلاح . متخذاً من مدينة تبسة مركزا له . ومنطلقا من مسجد صغير يسمى مسجد أبي سعيد . وقد وصف الأستاذ محمد علي دبوز رحمه الله منهج الشيخ العربي في دروسه وأثر تلك الدروس في واقع المجتمع . فقال : «كان درس الشيخ للعامّة بعد صلاة العشاء . فيسرع الناس من منازجرهم ومنازلهم . ومن القاهي لصلاة الجماعة وسماع الدرس . فيمتلئ بهم المسجد . وكانت دروس الشيخ في التفسير والحديث . يختار آية قرآنية تناسب موضوعه . أو حديثا نبويا . فيفسرها تفسيرا بارعا يخلب ألباب السامعين . فيريهم حكمة القرآن ومعانيه السامية... ثم يتسرب إلى الأمراض الاجتماعية فيشرحها . ويبين أسبابها وعواقبها الخوذية . في الدنيا والآخرة . ويُقَضُّ في دروسه على يدع الطُّرُقِيِّين الضالين وإفسادها للعقيدة الإسلامية وسلبها لعقول الناس... وينشُرُ الشيخ في دروسه الموبقات التي يرتكبها المسلمون ويغصهم فيها الاستعمار... ويحدثهم عن الواجبات . كالصلاة والفروض الأخرى . ويحدثهم عن الجهل والعصبية والأناية واحتقار اللغة العربية وعلومها . وهو ما يغرسه الاستعمار بكل وسائله في أبناء مدارس على الخصوص» .

إنشاء الجمعية ودورها في مواجهة المشروع الثقافي الاستعماري :

هذه الجهود . وإن كان بينها نوع من التناسق والتكامل إلا أنها كانت جهودا فردية . لا تؤتي أكملها كما هو المأمول من الجهود الجماعية . لذلك وقع التنادي لإنشاء جمعية إصلاحية تجمع شمل علماء الجزائر وتلم شعنتهم وتوحد جهودهم وتنسق حركتهم . فتم إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 . وكان إنشائها عشية احتفال المستعمرين بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر . ذلك الاحتفال الذي كان الفرنسيون يريدون منه أن يكون بمثابة الإعلان عن موت الكيان الجزائري ونوباته المطلق في فرنسا .

لذلك كان إعلان إنشاء الجمعية ضربة قاصمة وجهها رواد الإصلاح لدهاقنة الاستعمار وأذانيه في الجزائر . فكان أن أدرك الاستعمار أن جهوده لم تحق ما كان يصبو إليه . بل إن تلك الجهود تكاد تذهب أدراج الرياح إذا ما أتيت لهذه الجمعية أن تستمر ولعملها أن يثمر وينتشر .

وقد تفرقت قادة جمعية العلماء وأعضاؤها عبر التراب الوطني . وفي المدن الكبرى منه خاصة . حيث تولى كل واحد منهم رعاية أعمال الجمعية وتجسيد مشاريعها الفكرية والتربوية في الميدان . فتولى الإمام ابن باديس مهام إدارة الجمعية في الشرق الجزائري من قسنطينة . والإمام الإبراهيمي في الغرب الوهراني من تلمسان . والعقبي في الجزائر والعربي التيسبي في تبسة . والملي في الأغواط . بينما تولى كبار تلاميذ ابن باديس مهام الجمعية في مختلف المدن الجزائرية .

الوسائل التي وظفتها الجمعية في المواجهة الثقافية :

1 - الدروس الدينية في المساجد والمحاضرات العامة في النوادي :

حرص أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على إقامة الدروس الدينية في المساجد الحرة . وكذا إلقاء المحاضرات المتنوعة الاجتماعية والتاريخية ذات التوجه الوطني . في النوادي التي أسستها الجمعية عبر مختلف مناطق التراب الوطني . وقد كان القصد من وراء هذه الدروس والمحاضرات : التعريف بالإسلام الصحيح ومكافحة الإلحاد والتنصير الذي كانت الجهات الاستعمارية دائبة في نشره وترسيخه في واقع المجتمع الجزائري . وكذا تعريف الإنسان الجزائري بحقيقة هويته الحضارية ورصيده التاريخي والثقافي .

«وقد اتبع العلماء في المساجد طريقة السلف في الوعظ والإرشاد . يَدْكُرُون

جمعية العلماء في ذكرها الثانية والثمانين

بقلم : الأستاذ قدور قرناش*

يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - في رسالة وجهها لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الذكرى الثانية والستين لتأسيسها : «عندما يتصدع بناء قائم . فإن إعادته إلى قوته وتأسيسه يحتاج إلى مهندس خبير . يعرف الدعائم والشرفات في أصل البناء . ويعرف ما عراها من عطيب . ويعرف كيف يعود بالبناء إلى حالته الأولى» وهو بالفعل ما توفر لجمعية العلماء . حيث خبرت سبب تصدع البنيان الذي أتى على الهوية أو كاد بما ختمه من مكونات . وإن أبلغ ما يوضح ذلك التصعد المقلولة الشهيرة للعدو الفرنسي التي رافقت احتفالاته المئوية على احتلال الجزائر . إذ جاء على لسان أحدهم : «اليوم نشيع جنازة الإسلام في الجزائر» وهو أمر أثار حفيظة الشيخ عبد الحميد ابن باديس - رحمه الله - كغيره من الوطنيين النخلصين في هذا الوطن . فأقسم ميمناً بأنه إن فعلت فرنسا له هذه السنة هذا فإنها لن تعاول . ولقد جاء في الأثر (أن لله عبداً لو أقسموا على الله لأبرهه) .

لكن الذي يجب أن نعلمه أن هذه اليمين من الشيخ لم تكن أقوالاً تلوكها الألسن بل سبقتها جهود ربطت الليل بالنهار . وهذا ما يشير إليه الشيخ الغزالي لما يقول : «إن إعادة البنيان إلى قوته وتأسيسه يحتاج إلى مهندس خبير» فقد تعددت الجهود وتكثفت فآثمرت ذلك الميلاد المجيد . ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقى يوم 05 ماي 1931 . فبقدر ما كان الهجوم الفرنسي شديداً بقدر ما كان الدفاع باسلاً رائعاً . فبقي الإسلام وبقيت العروبة . وبقي شعب الجزائر متمسكاً بترائه الخالد .

وتحن نحبي الذكرى الثانية والثمانين لتأسيس هذه الجمعية المباركة لا يغيب عن أذهاننا أن اللجنة الأولى لتأسيسها كانت سنة 1913م إذ يقول الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله : «وأشهد الله على أن تلك الليالي من عام 1913 هي التي وُضِعَتْ الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين . والتي لم تبرز للوجود إلا في عام 1931م» .

هذه الجمعية المباركة يقول فيها أيضا الإمام الإبراهيمي : «اسم الجمعية يفصح عن حقيقتها . فهي جمعية علماء يخدمون

الإسلام بتبيين حقائقه ونشر علومه بالجزائر وما صنعه الاستعمار الفرنسي بها» .

وجمعية بهذا الحجم تأسست على تقوى من الله عز وجل ما خرجت للوجود إلا بعدما رسم القائمون عليها جملة من الأهداف يسعون لتحقيقها . نذكر منها :

- تصحيح العقيدة ونبيذ الحرافات .
- إيجاد المسلم الإيجابي في حياته المقبل عليها إقبال العارف بأهدافه وغاياته . المسلم القادر على تحمل المسؤولية والأمانة التي وكلت إليه . المسلم الذي يحافظ على حقوقه ويعطي المجتمع حقه .

- إيجاد مجتمع جزائري مستقل له أصالته وذاتيته الحضارية . مجتمع له تنظيماته وخصائصه . مجتمع عادل يحترم كرامة الإنسان . مجتمع متكافل يعلي قدر القيم الروحية . مجتمع ينبيذ التأخر الفكري والتخلف الاجتماعي والاقتصادي والثقافي .

لذلك لا نعجب لما يغير الفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي - رحمه الله - رأيه تغيير جذريا من نظرتة لجمعية العلماء لما تجاوز اندفاعية الشباب وفكر بحكمة استمع بعدها لصوت العقل بعيداً عن حماسة الشباب . إذ يقول - رحمه الله - : «إن معجزة الحياة في الجزائر بدأت بصوت الشيخ عبد الحميد بن باديس ونداءه الخالد الذي أيقظ المعنى وحول مناجاة الفرد إلى حديث الشعب» وفي سياق الشهادات العبرة عن الإعجاب بالجمعية والاعتراف بفضلها نسوق قول شاعر الثورة مفدي زكرياء - رحمه الله - إذ يقول :

جمعية العلماء المسلمين ومن

للمسلمين سواك اليوم منشود

خاب الرجا في سواك اليوم فاضطلعي

بالعب مذ فر دجال وعريبد

سيروا ولا تهنوا فالشعب يريقكم

وجاهدوا فلواء النصر معقود

أمانة الشعب قد شددت بعاتقكم

فما لغيركم تلقى المقاليد

كما لا يفوتني وأنا أكتب عن جمعية العلماء في ذكرى

دور جمعية العلماء في مواجهة المشروع الاستعماري في الجزائر

. الحلقة الثالثة

بقلم: الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي



الجزائري لخوض غمار الثورة المسلحة ضد الاستعمار. بعد اكتمال وعي هذا الشعب ونضج إدراكه وبقيته أن فرنسا لم تأت إلى الجزائر لتنتشر المساواة والعدالة والحرية التي كانت تنغني بها ثورتها. وإنما جاءت لتززع الجهل والفقر والذل وانهايار القيم والأخلاق والرضا بالذل والهوان في نفوس الجزائريين. وقد كاد يتحقق لها ذلك لولا أن قبض الله عز وجل جمعية العلماء لنأني على جهودها من الأساس فكان أن ذهبت أدراج الرياح.

يقول الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي مبينا أثر عمل جمعية العلماء في واقع المجتمع الجزائري: «أثر أعمالنا في الشعب بارز لا ينكره حتى أعداؤنا من الاستعماريين وخصومنا من إخواننا السياسيين. فمن آثارنا: بث الوعي واليقظة في الشعب حتى أصبح يعرف ما له وما عليه. ومنها: إحياء تاريخ الإسلام وأجداد العرب التي كان الاستعمار يسد علينا منافذ شعاعها حتى لا يتسرب إليه شيء من ذلك الشعاع. ومنها: تطهير عقائد الإسلام وعبادته من أضرار الضلال والابتداع. وإبراز فضائل الإسلام. وأولها الاعتماد على النفس. وإثارة العزة والكرامة والنفور من الذلة والاستكانة والاستسلام. ومنها: أخذ كل شيء بالقوة. ومنها: العلم. هذه الكلمة الصغيرة التي تنطوي تحتها جميع الفضائل. ومنها: بذل المال والنفس في سبيل الدين والوطن. ومنها: نشر التحابب والتآخي بين أفراد المجتمع. ومنها: التمسك بالحقائق لا بالخيالات والأوهام. فكل هذه الفضائل كان الاستعمار يغطيها عن قصد لينسائها المسلمون على مر الزمان. بواسطة التجهيل وانزواء العقل والفكر.

وقد وصل الشعب الجزائري إلى ما وصل إليه بفضل جمعية العلماء. وما بذلناه من جهود في محو الرذائل التي مكن لها الاستعمار. وتثبيت الفضائل التي جاء بها الإسلام. ولو تأخر وجود الجمعية عشرين سنة أخرى لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا. ولو سلكنا سبيلا غير الذي سلكناه في إيقاظ الأمة وتوجيهها في السبيل السوي لما قامت هذه الثورة الجارفة في الجزائر. التي بيضت وجه العرب والمسلمين.

ولو نشاء لقلنا: إننا أحيينا اللسان العربي. والنخوة العربية. وأحيينا دين الإسلام وتاريخه المشرق. وأعدنا لهما سلطانتهما على النفوس وتأثيرهما في العقول والأرواح. وشأنهما الأول في الاعتاظ والأسوة. فأحيينا بذلك كله الشعب الجزائري فعرف نفسه. فاندفع إلى الثورة يحطم الأغلال ويطلب بدمه الحياة السعيدة والعيشة الكريمة. ويسعى إلى وصل تاريخه الحاضر بتاريخه الغابر».

وإنها لشهادة حق من باحث مخلص. تلك التي خطها قلم الدكتور تركي رابح عمامرة. وهو من أكثر الباحثين اشتغالا بتراث جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. حين كتب يقول:

«الواقع أن جمعية العلماء لعبت دورا بالغ الأهمية في التاريخ الجزائري الحديث. بل لا نغالي إذا ما قلنا إنها هي المنظمة الوطنية التي يعود إليها الفضل في بقاء الإسلام والعروبة في الجزائر حتى اليوم. وجنب الجزائر من مخاطر سياسة الإدماج والفرنسة. التي كان يدعو لها بعض الجزائريين في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين. ويعمل الاستعمار من ناحية على فرضها على الجزائريين بكل الوسائل الشيطانية منذ الأيام الأولى للاحتلال».

وهذا باحث آخر كتب الكثير عن جمعية العلماء ورجالها وهو الدكتور عبد الكريم بوالصفصاف. يلخص نتائج الجهاد التربوي والثقافي لرجال الجمعية. في أربعة. هي:

- 1 - تجديد الإسلام. وإحياء الثقافة العربية في الجزائر.
- 2 - إعادة ربط الجزائر بالأمة العربية حضاريا ولغويا.
- 3 - إيقاظ وبعث الوعي الوطني بين الجزائريين.
- 4 - المحافظة على الشخصية الجزائرية.

وبكفي الجمعية ورجالها فخرا حقيق هذه النتائج. التي لا يستطيع أي كان أن ينكرها أو يجحد حقيقها. لأنها حقيقة ماثلة أكدها الواقع وشهد بها التاريخ. كما لا تستطيع أي منظمة أخرى أو حزب من الأحزاب ادعاء حقيق مثل هذه النتائج في حياة الجزائريين. ولا حتى عشر معشارها.

[للدراصة مراجع]

اليوم الأخير من الأسبوع. يسارع إلى القطار ليركبه إلى مدينة الجزائر. أو وهران. أو تلمسان. أو بسكرة. أو بجاية. أو سطيف. وغيرها من أمهات المدن الجزائرية. وما أكثرها. فيصل إليها ليلا أو صباح الغد الباكر. وبعد صلاة الجمعة في أحد مساجد جمعية العلماء. يلقي درسه في المسجد أو في أحد نوادي المدينة. وبعد المحاضرة يقفل راجعا إلى قسنطينة. فما أن يحل صباح الغد حتى يكون قد قطع المسافة بين تلمسان وقسنطينة بالقطار. وذلك ليفتح دروس الصباح يوم السبت في الجامع الأخضر».

بل إن علماء الجمعية كانوا يزورون في المناسبات المختلفة العمال الجزائريين في فرنسا. لتفقد أحوالهم ودراسة ما يعترضهم من مشكلات. والإشراف على استيعابهم تربية وتعلما لهم ولأبنائهم. وقد تخصص لهذا الغرض من رجال الجمعية اثنا من كبار تلاميذ الإمام ابن باديس وهما الفضيل الورتلاني والسعيد صالح.

نتائج جهود الجمعية في جهادها الثقافي والتربوي:

قضت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على عهد رئيسها الأول الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله تسع سنوات كاملة تؤدي عملها الثقافي الإصلاحي التغييري في واقع المجتمع الجزائري. ولقد كان من توفيق الله سبحانه وتعالى للجمعية. أن جهودها قد أثرت في فترة وجيزة. وظهرت آثار جهادها الثقافي في الواقع. «فقد أحدثت تغييرا جذريا وعميقا في بنية المجتمع الجزائري الثقافية. حيث أدت إلى انتشار التعليم العربي الحر وازدهار اللغة العربية. وانتعاش الحياة الثقافية. وتطور الفكر الجزائري الحديث. وظهر نهضة أدبية وعلمية واسعة. ووجهت -في المقابل- ضربات قوية إلى مشروع الفرنسية والإدماج الذي كانت فرنسا تعتمد عليه في خطيم مقومات الشخصية الوطنية».

وقد أكرم الله عز وجل الرئيس الأول لهذه الجمعية الإمام عبد الحميد بن باديس. فأراه قبل وفاته نتائج عمله الجهادي هو وإخوانه العلماء. وقد أكد الإمام رحمه الله ذلك. حين قال مخاطبا أفراد الشعب الجزائري. مبينا نتائج جهود الجمعية وثمرة عملها:

«جُورِت فيكم العروبة حتى ظن أن قد مات منكم عِرْقُها. ومُسَخ فيكم نَطَقُها. فجئتم بعد قرن تصدح بلابلكم بأشعارها. فتثير الشعور والمشااعر. وتهذر خطباؤكم بشقاشقها فتدك الحصون والمعقل. ويهز كتابكم أقلامها فتصيب الكلى والمفاصل..

وحارب فيكم الإسلام حتى ظن أن قد طمست أممكم معالمه وانترعت منكم عقائده ومكارمه. فجئتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد. وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد. وتدعون إلى الإسلام. كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. لا كما حرفة الجاهلون وشوهه الدجالون ورضيه أعداؤه.

وحارب فيكم العلم حتى ظن أن قد رضيتم بالجهالة وأخلدتم للندالة ونسيتم كل علم إلا ما يرشح به لكم أو ما يبرج بما هو أضر من الجهل عليكم. فجئتم بعد قرن ترفعون للعلم بناء شامخا. وتشيدون له صرحا سامقا. فأسستم على قواعد الإسلام والعروبة والعلم والفضيلة جمعيتكم هذه. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وحوربت فيكم الفضيلة. فسمتم الخسف. ووثقتم بالصغار حتى ظن أن قد زالت منكم المروءة والنجدة. وفارقتكم العزة والكرامة. فرثتم الضيم. ورضيتم الجيف. وأعطيتهم بالقادة. فجئتم بعد قرن تنفضون غبار الذل وتهزؤون أسس الظلم. وتهمهمون همهمة الكرم الخنق. وتزمرجون زمجرة العزيز المهان. وتطالبون مطالبة من يعرف له حقا لا بد أن يُعطاه أو يأخذه».

وبعد وفاة الإمام ابن باديس رحمه الله. تولى القيادة أخوه وشقيق روحه الإمام محمد البشير الإبراهيمي. فكان أن واصل الجهاد الإصلاحي هو ورفاقه العلماء أعضاء الجمعية. ورغم ما اعترض مسيرة الجمعية من مصاعب جمة. أبرزها اعتقال الإبراهيمي نفسه ونفيه إلى أفلو في الجنوب الجزائري مدة ثلاث سنوات كاملة. إلا أن الجمعية كانت قد أصبحت مؤسسة قائمة وكيانا ثابتا لا يتزعزع. فاستمرت في أداء عملها الإصلاحي ثابتة الخطى رابطة الجأش مدة ست عشرة سنة أخرى. وقد أثر عمل الجمعية ما كان أعلامها يصون إليه. وهو تهيه الشعب

3 - توظيف الصحافة في فضح دسائس الاستعمار وكشف خبايا مشروعه الثقافي الاستعماري:

لقد أسست جمعية العلماء عددا من الصحف والمجلات التي اتخذت منها منبرا لنشر أفكارها وبث الوعي في نفوس الجزائريين وتعريفهم بحقوقهم وتذكيرهم برصيدهم الحضاري والتاريخي الذي حاول الاستعمار طمسهم وجهيلهم فيه. والحق أن تأسيس الصحف من قبل رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. كان قد بدأ قبل تأسيس الجمعية نفسها. حيث شارك الإمام ابن باديس بتأسيس جريدة (المنتقد) سنة 1925. والتي صدر منها ثمانية عشر عددا فقط ثم أوقفها الإدارة الاستعمارية. وبعد توقفها أسس الإمام جريدة (الشهاب) التي تحولت إلى مجلة شهرية. وظلت تصدر حتى أوقفها الإمام نفسه سنة 1939. كما شارك الشيخ الطيب العقبي في تأسيس جريدة (صدى الصحراء) لـ محمد العابد العقبي سنة 1925. ليؤسس بعد ذلك جريدة خاصة به هي (الإصلاح) التي بدأت في الصدور سنة 1927م.

وبعد إنشاء الجمعية: أسست قيادتها جريدة (الشريعة المحمدية). ثم جريدة (السنة النبوية). ثم جريدة (الصراط السوي). ولكن الإدارة الاستعمارية سارعت إلى منع هذه الصحف وتعطيل صدورها الواحدة بعد الأخرى. وأخيرا. أسست الجمعية سنة 1935 جريدة (البصائر). التي أصبحت لسانها الرسمي. وحملت راية البيان العربي. وكافحت من أجل اللغة العربية وإرجاع الإسلام إلى عهده الزاهر. وتصارعت مع الإدارة الاستعمارية دفاعا عن مؤسسات الجمعية ومبادئها.

ولا ينبغي أن ننسى هنا الجهود الصحفية المستقلة التي قدمها بعض العلماء من أعضاء الجمعية. ونعني هنا بالخصوص جهود الشيخ إبراهيم أبي اليقظان رحمه الله (1888-1973م). التي بدأت قبل تأسيس الجمعية. حيث أصدر في الأول من أكتوبر سنة 1926 العدد الأول من جريدة (وادي ميزاب). التي ظلت تصدر بصعوبة حتى أول عام 1929 تاريخ توقفها من قبل الإدارة الاستعمارية. ثم أنشأ أبو اليقظان بعدها جريدة (ميزاب) التي لم تر النور أصلا. فقد جيزت السلطات العدد الأول منها ومنعت صدورها. لكن أبا اليقظان لم يفت ذلك في عَصْده. بل زاده عزما وتصميما. فكان كلما عطلت الإدارة جريدة له أصدر بعد فترة قصيرة جريدة أخرى. وهكذا أصدر على التوالي: (المغرب) في جوان 1930. وتوقفت عن الصدور في مارس 1931. (النور) من 15 سبتمبر 1931 إلى 30 ماي 1933. (البيستان) من أول جوان 1933 إلى 23 من نفس الشهر. (النبراس) من 21 جويلية 1933 إلى سبتمبر من نفس العام. (الأمة) من سبتمبر 1934 إلى 24 ماي 1938. (الفراق) من 6 جويلية 1938. ولم يُعرف تاريخ توقفها.

وكل هذه الصحف أدت دورا بارزا في تعريف الجزائريين بتاريخهم ودينهم ووطنهم وانتمائهم الحضاري. ونشرت الوعي الوطني. وعرفتهم بالواجبات المنوطة بهم تجاه أنفسهم ودينهم ووطنهم. بما تضمنته من مقالات متنوعة تبارى في كتابتها أعضاء الجمعية.

4 - الاتصال المباشر بجماهير الشعب:

حرص علماء الجمعية. إلى جانب جهودهم التربوية والصحفية والتثقيفية. على الاتصال المباشر بعامة أفراد الشعب الجزائري. والاحتكاك بهم ومخاطبتهم. من خلال رحلات وجولات تقودهم إلى مختلف المدن والقرى. وكانوا يلقون عليهم الخطب والمحاضرات الدينية والسياسية والاجتماعية. التي كانت تدور حول جمعية العلماء ومقاصدها وأعمالها ومنافع الأمة منها. مع التذكير بالله والتنبية على مصالح الدنيا والآخرة. والتحريض على التآخي والتآزر وحسن الجوار والمعاملة.

وقد كان أكثر علماء الجمعية حرصا على هذا النوع من النشاط هو الإمام ابن باديس رحمه الله. ويصف أحد تلاميذه. وهو الأستاذ محمد الغسيري رحمه الله. نشاط الإمام الدائب في هذا المجال. فيقول:

«كان الأستاذ الرئيس لا يغفل جانب الشعب الكادح. والمنتهى في أصقاع وطن تزيد مساحته عن مليونين وثلاثمائة ألف كيلومتر مربع. وتتباعد مدنه بمسافات كبيرة يكلف السفر إليها في غالب الأحيان أكثر من 500 كلم بين مدينة ومدينة. ومع ذلك. وفي يوم الخميس من كل أسبوع وعلى الساعة الحادية عشرة صباحا. بعد انتهاء إلقاء آخر درس له في

الشيخ الطيب العقبي في ذكرى رحيله الثالثة والخمسين

أبوسامي

احتضن نادي الترقى بالعاصمة مساء يوم السبت 11 ماي 2013 ندوة فكرية إحياء لرحيل العلامة المصلح خطيب نادي الترقى الأشهر الشيخ الطيب العقبي -عليه رحمة الله- وحضر الندوة جمهور غفير من المثقفين والأئمة ورواد النادي. وكان من أبرز الحاضرين أرملة الشهيد عيان رمضان مهندس مؤتمر الصومام. ومن أبناء الشيخ الراحل السادة شكيب العقبي ومصطفى العقبي وحفيده نسيم العقبي. والسيد شكيب بليلي المدير العام لشركة خدمات الطيران ونجل السيد بليلي -رحمه الله- أحد أعيان العاصمة. ومن ساهموا في شراء نادي الترقى وخويله إلى قلعة للإصلاح الديني. ونشر الوعي الثقافي والوطني. بعد الاستماع إلى آيات ببناات من الذكر الحكيم التي كانت فاتحة الأشغال رجب الأستاذ عبد الحميد عبيدوس مدير الندوة بالحاضرين. وقدم المحاضرين. وكان أولهم المؤرخ الدكتور محمد القورصو أستاذ التاريخ



نشاط الشيخ الطيب العقبي -رحمه الله- نموذج للعالم العامل.

وكان المحاضر الثالث هو الدكتور الزبير يقود أستاذ علم الاجتماع بجامعة الجزائر 2 (بوزريعة) الذي قدم مداخلة تحت عنوان: «ما يجب علينا تجاه الشيخ الطيب العبي» وتركزت المحاضرة على الدور الحاسم الذي قام به العلامة المصلح في إخراج العديد من سكان العاصمة من فئات الشباب والعمال والنساء من الانحراف والضلال إلى طريق الهداية والتعبئة خدمة القضية الوطنية.

وفي الأخير استمع الحاضرون إلى شهادة مؤثرة لأرملة الشهيد عيان رمضان عن تاريخ النضال في حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية. ودور نادي الترقى في نشر الوعي الديني والوطني وذكرياتها عن المربي الكبير الشيخ الطيب العقبي. كما قدم السيد نسيم العقبي شريطا مصورا عن نشاطات وإسهامات جده الشيخ الطيب العقبي. وقدم بعض الحاضرين شهادات عن ذكرياتهم في النادي وعن خطيب النادي الشيخ الطيب العقبي. ومن بين المتدخلين السيد شكيب بليلي الذي قدم معلومة هامة تخص تأسيس الشيخ الطيب العقبي في سنة 1935 بالاشتراك مع البروفيسور بيرنيه

والراهب مونسون والدكتور لوفراتي وإيلي غزلان «إخاد أتباع الديانات التوحيدية» وهذه الجمعية التي تعتبر تنظيما رائدا لحوار الأديان وتقارب الحضارات كانت تعقد نشاطاتها في نادي الترقى وتفتح نقاشات حول المواضيع التي تهم أتباع الأديان السماوية الثلاث (الإسلام. والمسيحية. واليهودية) وكانت تدعم المطالب الاجتماعية والثقافية والدينية التي كان يرفعها الأعضاء المسلمون في الجمعية. وعلى العموم فقد كانت هذه الندوة من أجح الأنشطة الثقافية في الفعاليات الثقافية لنادي الترقى.

وطنية

بقلم: حمزة سعدي

إذا ثبت أنّ حديث «حبّ الوطن من الإيمان» لا يصحّ ولا يثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام كما هو مقرر عند أهل الحديث وعلماء المصطلح، فإنّ معناه أيضا لا يستقيم؛ لأنّ حبّ الوطن غريزي وفطريّ كحبّ النفس والمال وغير ذلك، وكلّ حبّ غريزي مفطور عليه الإنسان لا يمدح المرء بحبه وطنه وتعلّقه به، وهذا ليس من شعب الإيمان ولا من لوازمه والناس جميعا مشتركون في هذا النوع من الحبّ. لا فرق بين مؤمن وكافر في هذا الجانب ولا يعني هذا أنّ حبّ الأوطان ينافي الإيمان بل يزينة ويكمّله. ومن لا يجد في قلبه هوى وحبّا وتعلّقا بوطنه فليراجع الأطباء لأنّ في قلبه مرضا وفي عاطفته وسوسة وبدخل ضميره شوشرة وفوضى عارمة، ولأنّ الشعور بالانتماء والاعتزاز بالوطن قسم مشترك بين جميع الخلوقات يستوي في ذلك العقلاء والعجماء لا يحيد عن ذلك فرد منهم. والتعلّق به وإن كان قسما مشتركا بين الخلق فهوّاء يختلفون في التعبير عمّا في نفوسهم من خلجات ومشاعر جّاهه. بيد أنّ الأدباء وأصحاب تجويد الحرف جعلوا من هذا الموضوع مطبّة ارجلها ليخرجوا لنا مادة صادقة معبّرة وملفوفة في ثياب الحسن والشاعرية الراقية. ومّن بالغ في هذا شعراء وأدباء الأمة العربية والإسلامية فلا يعرف التاريخ أمة امتدحها بنوها ما امتدح أبناء هذه الأمة أمّتهم. وقبل ذلك كلّ رسول الهدى عليه الصلاة والسلام هو من رسم هذا الطريق يوم طرد من مكّة وأخرجه أهلها شريدا طريدا، ليملأ اسمه ما بين السماء والأرض عدلا ونورا وليقيم أعظم دولة في التاريخ. لكن حبّه لوطنه وتعلّقه به ما أثناه على ذلك. بل أعلن أنّ مكّة أحبّ البلاد إلى قلبه عليه الصلاة والسلام. وقف يوم خروجه على أحد جبالها وقال قولته المشهورة «إن أهلك أخرجوني وما كنت لأخرج. إنك أحب البلاد إلي» لكن لا يمكن أن ينسى التاريخ انعكاس هذا الحب والوفاء إليه. فبعد تلك المدة من الغياب عاد عليه الصلاة والسلام فأخا ومطهرا لبلده ومنقذا له من ويلات الشرك. وهذا والله أعظم الوفاء وأنبّل الحبّ. فكان المترجم الحقيقي والأمّوزج التطبيقي للوطنية الحقّة.

لذلك فلا معنى للتغنّي بأوطاننا والمبالغة في المدح وتأليف القصائد والملاحم، لتأتي بعد ذلك الطعنات في الظهر مثل الذي انبرى له اليوم ساستنا- صان الله حبههم ووفاءهم- حين يتفوهون بعبارات وجمل منمقة وحاذقة ينصت لها الدهر ويصفق لها الجمهور ويدونها التاريخ. لكن للأسف تلك الكلمات المشرقة والعبارات البزّاقة لا تبرح ذلك المكان. وإنّما قيلت لأجل تمرير وتبرير البرامج العملاقة التي يقومون بها والتي تدفع الأمة بخطى عملاقة. لكن للخلف وهذا القول إنّما يجري لا على الشاسنة فحسب بل على أصناف عديدة من الناس من يوصفون بالوطنيين. فصار الكلام عن حب الوطن والاعتزاز بمآثره حكرا على المجرمين فقط لأنهم من يجيدون نسج الخطط والمحاضرات بأساليب بيانية راقية المدني. خاويه المعنى خواء أفئدتهم وضمائرهم من الوطنية الحقّة.

إذا فالوطنية الحقّة هي ذاك الشعور بالحبّ الخالص الذي لم يمزجه ريب ولا شك. والذي لامعبر ولا مترجم عنه أفصح من العمل الخالص والبلاء الحسن الذي يقدمه كل مدّع في معترك الأيام. وليس من المعقول أن يحصر الحبّ للأوطان - كالذي يثقل مسامعنا كل ساعة- في كلام منمّق. وشعر مزوّق وكفى. وخطب طنانة يستطيع كل واحد أن يؤلفها ويتلوها صباح مساء. بل يجب بذل كل الجهود عبر السبل المباحة للنهوض به وتبيض صورته وتقديم المصلحة العامة- التي تخدمه- على المصلحة الخاصة. فيا ليت! القوم يفقهون.



بقلم: الدكتور مسعود فلويسي

أين مؤلفات علمائنا وأدبائنا؟

لو أن مثقفا أو باحثا أجنبيا، عربيا أو غير عربي، زار الجزائر وأراد أن يطلع على مؤلفات علمائنا، القدامى منهم أو المعاصرين، وسأل من يعرف من المثقفين أو الباحثين الجزائريين أين يمكن أن يجد كل هذه الكتب أو بعضها على الأقل ليحصل عليها؟ ترى ماذا سيكون جواب المسؤل؟... بالتأكيد لن يجد هذا السائل من يمكنه أن يجيبه عن سؤاله بما يشفي الغليل.

الجزائريين. لما يقدمونه من مؤلفات تتناول مواضيع هامة وحيوية.

بعد هذا الاستطرداد نعود إلى موضوعنا. ونسأل: أليس غربيا ألا ينبري بعض علمائنا أو باحثينا لتأليف موسوعة جامعة لتراجم علماء الجزائر تعنى بجمع سيرهم والتعريف بمؤلفاتهم حتى يرجع إليها من يحتاج إلى معرفة هؤلاء العلماء وتراجمهم الفكري.

نعم، هناك محاولات للتعريف ببعض علماء الجزائر في مؤلفات مستقلة أو مؤلفات تجمع عددا من التراجم. إلا أنه ليس هناك موسوعة جامعة لكل أو أغلب علماء الجزائر. في حين نجد عند جيراننا في المغرب «موسوعة علماء المغرب» للدكتور محمد حجي في عشر مجلدات. ونجد عند جيراننا في تونس «تراجم المؤلفين التونسيين» للأستاذ محمد محفوظ في خمس مجلدات. وعند جيراننا في ليبيا «الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا» لناصر الدين محمد الشريف. أما في مصر فإن العالم أو الأديب تؤلف عنه المؤلفات وتكتب عنه المقالات، بالعشرات أو المئات. في حياته وبعد وفاته. وكذلك الحال في السعودية وسوريا وغيرها من البلاد العربية. لكن عندنا في الجزائر العالم أو الأديب يعيش مغمورا لا يسمع به أحد ويموت مهجورا حتى من أقرب الناس إليه. اعتقد أن هذه الظاهرة الغربية والعجيبة بحاجة إلى دراسة وبخث عن أسبابها وآثارها الوخيمة على المجتمع الجزائري الذي يعتقد الكثير من أبنائه أن بلادهم ليس فيها علماء ولم يكن فيها علماء ولم تنجب في يوم من الأيام أناسا أصبحوا علماء.

وإن هذه مناسبة أوجه من خلالها دعوة إلى إخواني الباحثين المهتمين للانتظام في لجنة علمية تتولى العمل في جمع موسوعة علماء الجزائر. القدامى منهم والمعاصرين. نعرف فيها بسيرهم وآثارهم الفكرية. وكذلك جمع ما هو متفرق من تراجم العلمي والفكري ونشره. وأرجو أن تتبنى ذلك مؤسسة علمية أو جمعية ثقافية. ولم لا تكون جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي الحاضنة لهذا المشروع الثقافي باعتبارها أم الجمعيات العلمية الجزائرية ورعاية العلم والعلماء في الجزائر؟

وإنها لأمنية لو تحققت لكان فيها خير كثير للبلاد والعباد.

أو مفدي زكريا أو محمد الأخضر عبد القادر السائحي أو أحمد الطيب معاش أو محمد الشبوكي أو أبو بكر بن رحمون أو أبو القاسم خمار أو مصطفى الغماري أو غير هؤلاء من الشعراء اللامعين المعروفين؟

لاشك أن المهمة ستكون صعبة وعسيرة. وقد يصل الباحث بعد الجد والبحث والتعب والعناء إلى شيء ما يريد وقد لا يصل. وإذا أراد يصل إلى كل ما يريد فقد يتطلب منه ذلك سنوات من البحث.

أما لو تعلق الأمر بأحد علماء الجزائر القدامى من أمثال الهذلي البسكري أو ابن معطي أو التنسي أو الثعالبي أو الشريف التلمساني أو ابن قنفذ القسنطيني أو السنوسي، فلربما كانت المهمة مستحيلة.

صحيح أن بعض دور النشر قد انتبهت في السنوات الأخيرة إلى مؤلفات بعض علماء الجزائر وبدأت في نشر بعضها. إلا أن ذلك يبقى في نطاق ضيق ومحدود وفي مناسبات خاصة مثل «الجزائر عاصمة الثقافة العربية» أو «تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية». أما أن يكون نشر تراث علماء الجزائر وأدبائها وإنتاجهم الفكري مشروعا دائما ونهجنا ثابتا فهذا ما لا أعتقد أن الفائزين على دور النشر الجزائرية يفكرون فيه.

وهناك ظاهرة تحتاج إلى وقفة في هذا الصدد: فدور النشر الجزائرية إذا طبعت كتابا لعالم أو باحث جزائري مرة واحدة فإنها لا تعود إلى طبعه مرة أخرى. وقد رأينا بعض الكتب تنفذ بسرعة إلا أنه لا يعاد طبعها حتى مع كثرة الطلب عليها. وكأن الناشر يخشى إذا أعاد طبعها أن تكسد سوقها ويتوقف بيعها. أليس غربيا أن يطبع الناشر الجزائري ألف نسخة من كتاب ويخشى ألا تباع في بلد يبلغ عدد سكانه قريبا من أربعين مليون نسمة؟

إن الحقيقة المؤلة التي يجب أن نقرها هنا هي أن الناشر الجزائري - والشاذ يؤخذ ولا يقاس عليه - غير مقتنع بالمؤلف الجزائري. ويعتبر النشر له بمثابة المغامرة المحفوفة بالمخاطر. وهذا ما دفع بكثير من المؤلفين الجزائريين في السنوات الأخيرة إلى الانفتاح على دور النشر الأجنبية والتعاقد معها على نشر مؤلفاتهم.

مع ما يقاسونه مع أصحابها في سبيل الحصول على حقوقهم المادية. وهذه الدور وجدت فائدة كبيرة في النشر للمؤلفين

إن المشكلة في الحقيقة لا تعترض الباحث الأجنبي فقط. بل إنها تواجه المثقف والباحث الجزائري نفسه إذا أراد أن يبحث في موضوع يتعلق بعالم من علماء الجزائر حيث يجد صعوبة بالغة في معرفة تفاصيل مسيرة حياته وفي الوقوف على مؤلفاته وتراجه الفكري.

الواحد منا نحن الجزائريين لو زار مصر مثلا وأراد أن يشتري مؤلفات أحد علمائها أو أدبائها أو ما كتب عن أحد هؤلاء. لوجد بغيته سهولة سائغة في عشرات المكتبات المنتشرة في شوارع القاهرة وغيرها من المدن المصرية. وكذلك الحال لو ذهب إلى سوريا أو المغرب أو تونس أو السعودية أو الكويت أو الأردن أو غيرها من الدول العربية. التي ختفي بعلمائها وأدبائها. بينما لو أراد الحصول على آثار أحد علمائها المشهورين من أمثال المشايخ والأساتذة عبد الحميد ابن باديس أو محمد البشير الإبراهيمي أو مبارك المبلي أو الطيب العقبي أو أبي يعلى الزواوي أو المولود الزريبي أو الأمين العمودي أو محمود بوزوزو أو أحمد رضا حوجو أو نعيم النعيمي أو عبد الرحمن الجليلي أو مالك بن نبي أو أحمد حماني أو عبد اللطيف السلطاني أو أحمد توفيق المدني أو إبراهيم بيوض أو أبي اليقظان أو المهدي البوعبدلي أو محمد الطاهر التليلي أو محمد علي دبوز أو باعز بن عمر أو علي مرحوم أو حمزة بوكوشة. لما وجد إلى ذلك سبيلا. ولو حصل على شيء فإنه سيكون قليلا جدا بالمقارنة إلى ما لا يحصل عليه.

بل ماذا لو أراد أحد من الباحثين أو المثقفين أو القراء العاديين أن يقف على أعمال أمثال أحد الأساتذة محمد الصالح رمضان أو مولود قاسم أو عبد المجيد مزبان أو عبد الله شريط أو أحمد طالب الإبراهيمي أو عمار طالبي أو أبو القاسم سعد الله أو رابح بونار أو محمد بن عبد الكريم أو عبد الرزاق قسوم أو محمد الهادي الحسني أو محمد الصالح الصديق أو صالح خرفي أو محمد ناصر أو عبد الحميد حاجيات أو أحمد عروة أو عبد الله ركيبي أو أبو العبد دودو أو عمار هلال أو محمد المبلي أو عبد الملك مرتاض أو غير هؤلاء من الأسماء اللامعة في سماء الثقافة العربية بالجزائر. من رحل بعضهم من قريب وبعضهم ما يزالون أحياء بيننا؟

وماذا لو أن متذوقا للشعر محبا له أراد أن يجمع دواوين شعراء الجزائر من أمثال محمد العيد آل خليفة أو أحمد سحنون

في المذكرة العالقة



أ. د. فوزي اوسديك

oussedik@hotmail.com

طفولة وحقوق !!

الاختطافات والاعتصابات المتزايدة في مجتمعهم .. كفى انتهاكا لأسرى مخلوقات الأرض وطيور الجنة عند خالقهم!!

فلنتفكر قليلا بأخلاق النبي محمد عليه الصلاة والسلام وصحابته في ضوء الإسلام! وكيف كانت الطفولة مكرّمة مثل الرجولة .. حيث اعتبروا أن الطفل هو بذرة لثمرة الرجولة المستقبلية وكانوا يعدّونهم بحكمة وحب وترؤّ وعطف!!

فأتى لنا التمثّل بهذه الأخلاق وقد بتنا نقاد حت مسمّى الحضارة والعلم والتقدّم ! فلنحافظ عليهم ولنحمهم أطفالنا كنزنا الدفين . فلنحافظ عليهم ولنحمهم من كل ما هو محقق بهم من أخطار واقعة أو تنوّع حدوثها.

مجرّاهها على محمل الجد من قبل الحكام والساسة وصانعي الاتفاقيات والقرارات؟ من المؤسف هذا الصمت القاتل للكبار وحال الأطفال الذي نراه ونعايشه اليوم في حين أن الدماء البريئة تسال في كل لحظة ..

فهؤلاء هم أطفال فلسطين ولبنان .. قد تعرضوا للمذابح والقتل من قبل الكيان الصهيوني .. وما محمد الدرة إلا مثال حي على ذلك ..

ومثلهم الأطفال في سوريا .. حيث يعتقلون ويعذبون ويذبحون ولا حول لهم ولا قوة في صمّت عالّي على ما يعانونه.

وليس أطفال الجزائر ببعيدين عن مثل هذه الانتهاكات .. فقد أصبحت طفولتهم بخطر كبير في ضوء

أين الطفل من حقوقه!!!

وهل حقا هناك حقوق له؟ إذا لماذا باتت حقوق الطفولة شعاعا مكتوبا فقط؟ ولماذا لا نراه مطبّقا على أرض الواقع؟

ولماذا صرنا نسمع كثيرا مطالبات عارمة تنادي بتطبيق حقوق الطفل؟

أليس هذا دليل على أن الطفل مسلوب من تلك الحقوق؟

كل هذه التساؤلات تنعّب الفكر وتضني القلب! ألم يئنّ الأوان لأن تأخذ هذه الاتفاقية



الأديب الدبلوماسي الجزائري الأستاذ محمد يكن الغسيري¹

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

في الرابع والعشرين من شهر جويلية من سنة 1974م، فقدت الجزائر واحدا من أبنائها البررة الذين لم يألوا جهدا ولم يدخروا وسعا في العمل لمجدها ورفع مكانتها وإعلاء سمعتها؛ إنه الأستاذ الشيخ محمد المنصوري الغسيري، المعلم والمربي والدبلوماسي الجزائري.

إلى معتقل جنين بورزق جنوب وهران بين بشار وعين الصفراء، وبعد إغلاق هذا المعتقل نقل إلى معتقل المشربة، الذي ظل به إلى غاية 27 مارس 1946. حيث صدر العفو بحقه وتم إطلاق سراحه. ليعود إلى مواصلة مهمته في ميدان التربية والتعليم.

عضويته في لجنة التعليم العليا

وعندما أنشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لجنة التعليم العليا، سنة 1946، أوكلت رئاستها إلى الأستاذ إسماعيل العربي، وعينت الأستاذ محمد الغسيري ضمن أعضائها. رفقة كل من المشايخ: محمد الصالح رمضان، عبد القادر الجاجوري، أحمد حماني، الصادق حماني، عبد الحفيظ الجنان، علي مرحوم، العباس بن الشيخ الحسين، أحمد بن ذياب، رحمهم الله جميعا. وقد قامت هذه اللجنة بدور بارز في توحيد التعليم وتطوير مدارس جمعية العلماء وإعطائها البعد المنهجي والتربوي والعلمي الذي رفع مستواها إلى أعلى المراتب.

كما إختير الغسيري كذلك لعضوية اللجنة الفرعية التي أوكل إليها وضع منهاج التعليم في المدارس العربية الحرة. وقد أعد في إطار أعمال هذه اللجنة: (خلاصة الدروس الفقهية)، التي وُزعت على جميع المدارس الحرة ووضعت موضع التطبيق العملي فيها. وفي السنة نفسها (1946)، تم تعيينه كأول مفتش عام لمدارس جمعية العلماء على مستوى الوطن. وظل يؤدي هذه المهمة بكفاءة واقتدار إلى غاية سنة 1949.

تعين بعد ذلك مديرا لمدرسة باردو بقسنطينة في السنة الدراسية (1949 - 1950)، وفي السنة الموالية لها (1950 - 1951) مديرا لمدرسة الإرشاد بسكيكدة، والتي ظل بها إلى أوائل سنة 1956 حيث عاد إلى قسنطينة، مستأنفا من جديد مهمته في التفتيش.

جوانب أخرى من نشاطه

لم يكن نشاط الغسيري مقصورا على العمل الإداري والتربوي بعيدا عما كانت تموج به الساحة الوطنية حينئذ. بل كان يشارك بهمة كبيرة في أنشطة جمعية العلماء ويقوم بمهام كثيرة بتكليف منها. إضافة إلى مهمته كأطار قيادي في الكشفية الإسلامية الجزائرية.

من ذلك أنه زار تونس سنة 1949، مندوبا عن الشيخ العربي التبسي، لتفقد أحوال الطلبة الجزائريين في الجامعة الزيتونية.

وقام في أواخر شهر جويلية من سنة 1950، بزيارة إلى المغرب الأقصى، بتوجيه من الأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، فحل بفاس، وزار معظم مدارسها. كما زار مدارس مكناس، والرباط، وسلا، والدار البيضاء. وقد حظي في هذه الزيارة بالترسيم والحفاوة من رجالات المغرب: مديرو المدارس ومعلموها، وأعضاء حزبي الشورى والاستقلال، وأعضاء الحكومة.

كما قام في صائفة سنة 1951 برحلة إلى فرنسا، عن طريق البحر، ومنها انتقل إلى النمسا وحضر المؤتمر العالمي للكشف، مثلا عن الكشفية الإسلامية الجزائرية ومرافقا لقائدها الأستاذ محمود بوزور.

وفي سنة 1953، توجه إلى جمهورية مصر العربية، ضمن وفد الكشفية الإسلامية الجزائرية المكون من 28 كشافا. لحضور حفلات الذكرى الأولى لثورة يوليو 1952، استجابة لدعوة الكشفية المصرية. وقد استقبلوا أثناء مرورهم عبر ليبيا من قبل كشافة طرابلس والإذاعة الليبية وأعضاء من الحكومة، وشاركوا في استعراض بشارع عمر المختار منشدين (شعب الجزائر مسلم)، وعند الوصول إلى مصر حظي الوفد الجزائري باستقبال حار من قبل الكشفية المصرية، وهيئت لهم جولات وزيارات واستقبالات على مدى عشرة أيام، حيث طوف بهم مضيفوهم في المدن، والمتاحف، والمعاهد، والمطابخ، والمساجد، والقصور، والأهرامات، والمكتبات والإدارات، بما فيها قصر رئاسة الجمهورية، والبرلمان وجامعة الدول العربية، وغيرها.

وقد سجل الغسيري وقائع هذه الرحلة في مقال نشر على حلقتي في جريدة (البصائر) في شهر سبتمبر سنة 1953، بعنوان (مصر الشقيقة ختفل بالكشفية الإسلامية الجزائرية).



عادة الطلاب في تلك المرحلة، إلا أنه يبدو أن جمعية العلماء لاحظت نبوغه والإمكانات العلمية والأدبية والأخلاقية التي يتوفر عليها، فقررت الاستفادة منه، وعينه سنة 1937 معلما بمدرسة باتنة، هذه المدرسة التي علم بها خلال أشهر صيف تلك السنة، لكنه سرعان ما غادرها عائدا إلى قسنطينة أين عين معلما في مدرسة التربية والتعليم بها، رفقة عدد من زملائه ومنهم: محمد العابد الجلالي، وعبد الحفيظ الجنان، والسعيد حافظ، ومحمد الصالح رمضان.

وفي هذه المدرسة كان له نشاط حثيث، وعناية بتدريس عدد من المواد للطلبة من الذكور والإناث، ومن بين المواد التي درسها: النحو والصرف، الإملاء والإنشاء، فقه العبادات، السيرة النبوية، تاريخ الخلفاء الراشدين، وغيرها من المواد اللغوية والشرعية.

نشاطه في إطار الكشفية

إضافة إلى نشاطه في التربية والتعليم، انخرط الغسيري في صفوف الكشفية الإسلامية الجزائرية، وكان مرشدا لفوج (الإقبال) بقسنطينة لبضع سنوات قبل الحرب العالمية الثانية. وبعد استشهاد السيد محمد بوراس مؤسس الكشفية وانقسام الحركة الكشفية إلى جامعتين، تولى الغسيري قيادة إحداهما، إضافة إلى عضويته في القيادة العامة على مستوى العاصمة، وكان يشارك في مخيماتها وملتقياتها وجمعياتها، ويسهم في تمثيلها في مختلف التظاهرات.

وقد كتب عدة نصوص لفائدة الكشفية، منها: التقرير الديني والأخلاقي الذي كلف بإعداده من قبل السيد محمد فارس القائد العمالي للكشفية لعمالة قسنطينة سنة 1943م، وكذا لائحة المرشدين المقدمة للقيادة العليا للكشفية الإسلامية الجزائرية في مخيم تلمسان سنة 1944، وغيرها.

تعرضه للاضطهاد

لم يكن نشاط الغسيري الدائب وعمله المستمر ليخفى على الدوائر الاستعمارية التي كانت ترصد كل نشاط وطني وتتحين الفرص للانقضاض على أصحابه، لذلك ما إن وقعت حوادث 8 ماي 1945، حتى سارعت القوات الاستعمارية إلى اعتقال قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسهم الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

كما اعتقلت نشطاء الجمعية ومنهم الغسيري، الذي تم اعتقاله وإيداعه السجن المدني بقسنطينة يوم 16 ماي 1945، ثم نقل منه إلى سجن الحراش، ومنه

حميدة بتوجيه من الإمام ابن باديس، وهي جمع طلبه الجامع الأخضر مرة في كل أسبوع في مكان أسموه (الماوي)، وهو عبارة عن مرأب كبير استوَجُر لفائدة الطلبة، فكانوا يتدربون فيه على فنون الخطابة والحديث، وذات مرة فاجأ الأستاذ الفضيل الطالب الجديد محمد الغسيري وطلب منه أن يقف ليلقي خطبة، فارتبك الغسيري ووقف يرتعد من الخجل لا يدري ما يقول، وسكت وطال صمته، ثم قال له الأستاذ الفضيل: تكلم عنك، اذكر اسمك وبلدك وأين تعلمت، ولماذا جئت إلى هنا؟ فقال:

أنا محمد المنصوري الغسيري، ولدت بغسيرة، حفظت القرآن الكريم، وتعلمت في مدرسة الإخاء ببسكرة، وجئت إلى قسنطينة لأحصل على العلم والمعرفة لدى الأستاذ عبد الحميد بن باديس، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

كانت هذه المفاجأة المربة سببا لأن ينطلق لسان الغسيري بعد ذلك ويصدق بالخطب البليغة والأحاديث الممتعة، ويبوء صاحبه مكانة الخطيب المصنّف بين خطباء جمعية العلماء.

انخراطه في النشاط الوطني

خلال مرحلة طلبه للعلم على يدي الإمام عبد الحميد بن باديس، فتحت وعيه الوطني، وأدرك خطورة الاستعمار على وطنه وبنينا قومه، ولذلك حرص على القيام بعمل من شأنه أن يخدم وطنه من خلاله، فكان أن أسس بقسنطينة في ربيع سنة 1934، رفقة عدد من زملائه منهم أحمد بن ذياب ومحمد الصالح رمضان وعلي شطاب وبلقاسم الزباني، خلية سرية ثورية، وكانت هذه الخلية تجتمع بعد صلاة العصر في مصلى الجامع الأخضر، بعد أن ينصرف المصلون، وقد روى الأستاذ أحمد بن ذياب رحمه الله أن الإمام ابن باديس كان يقول له ولزملائه في هذه الخلية: لو أني دعوتكم لثورة أنتم مستمعون؟ فيقولون جميعا بصوت واحد: نعم.

كما أسس الغسيري رفقة عدد من زملائه الأوراسيين، منهم عمر درودر وأحمد السرحاني وبوزيد قارش، الخلية الأوراسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان لهذه الخلية نشاط اجتماعي وسياسي أقلق الاستعمار وأذنبه في المنطقة.

عمله في التربية والتعليم

بعد أربع سنوات من الدراسة، تخرج الغسيري على يدي الشيخ عبد الحميد بن باديس، وكان يمكن أن يلتحق بالزيتونة لإتمام الدراسة العليا بها كما كانت

من هو الغسيري؟

هو محمد بن أحمد يكن المنصوري الغسيري، ينتمي إلى عرش أولاد منصور، أحد أعراش منطقة غسيرة، التابعة حاليا لدائرة تكوت بولاية باتنة، وهي منطقة تجمع عدة قرى هي: تفلقال، أريناش، أولاد عابد، غوفي، كاف لعروس، وأولاد منصور يقتسمون مع أولاد يحيى قرية كاف لعروس الحالية.

وقبل أن تنشأ القرى الحالية، كان سكان غسيرة يعيشون على ضفتي الوادي الأبيض، وهو واد يبدأ من أريس وينتهي عند سيدي عقبة، وهذا الوادي كان دائم الجريان، وتجتمع مياهه من الأمطار والثلوج التي تهطل عادة على المنطقة، إضافة إلى النابع المائية الكثيرة التي تلتقي مياهها لتصب في مجرى هذا الوادي.

وقد نشأت على ضفتي الوادي بساتين جمعت أصنافا مختلفة من الأشجار، لكن الصنف الغالب هو النخيل، وكان سكان المنطقة يعتمدون في غالب قوتهم على التمر، وهو وسيلتهم إلى شراء غيره من الحاجيات حيث يستبدلونه بغيره ما يحتاجون إليه، ولذلك كان غالب عمل أهل المنطقة في هذه البساتين، باعتبارها المصدر الوحيد لرزق بالنسبة لهم.

في هذه البيئة، ولد محمد يكن الغسيري، لأب هو أحمد بن محمد وأم هي أم الخير بنت أحمد يكن، وكان مولده في سنة 1915م، لكنه لم يسجل في سجلات الحالة المدنية بباريس إلا في سنة 1919م.

النشأة والتكوين

عندما بلغ السابعة من عمره، أي سنة 1922، أُدْخِلَ الكتاب لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، فتلقى تعليمه القرآني على أيدي عدد من المشايخ في بلدته، منهم: خلاف ورياشي، أحمد بن مخلوف بولطيف، حمودة حمودة.

وفي شهر ماي من سنة 1927 التحق بزاوية الشيخ أحمد بن الصادق التي كانت قائمة في أولاد ميمون في الطرف الجنوبي من قرية غوفي، وفي هذه الزاوية أتم حفظ القرآن الكريم في أربع سنوات، حيث انتهى من حفظه حفظا جيدا سنة 1931.

شد الرجال بعد ذلك إلى بسكرة، أين التحق بزاوية الشيخ محمد الصغير الجوادي، ثم انخرط سنة 1932 في صف تلاميذ مدرسة الإخاء للشيخ محمد خير الدين التي كانت قد تأسست في تلك السنة، وهناك تلقى العلم على عدد من معلميه، منهم: الشيخ الطرابلسي الميزابي، الشيخ محمد خير الدين، الشيخ عمر البسكري، الشيخ بلقاسم الغسيري، وغيرهم من أفاضل العلماء، وكان يقيم في زاوية سيدي الجوادي مع الطلبة الجواله فترة، ثم تكفل به رجل صالح محب للعلم وأهله، مقابل أن يتولى الغسيري حفظ القرآن الكريم لابنيه وابن أخيه.

لكن مقام الغسيري في هذه المدرسة لم يطل، بسبب توقف الدراسة بها نتيجة المشاحنات الانتخابية والخصومات التي كانت قائمة في ذلك الحين.

مع الإمام ابن باديس

التحق بقسنطينة سنة 1933، رفقة زميله مسعود صحراوي، حاملا معه توصية خاصة من الشيخ محمد خير الدين، وعندما دخل على الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس في مقصوره وطلب منه السماح له بالجلوس بين يديه وأخذ العلم عنه، وافق الإمام على طلبه، ومنذ ذلك الحين لم يفارق الغسيري شيخه حتى وفاة هذا الأخير، حيث درس على يديه علوم الشريعة واللغة العربية، واقتبس من أدبه كما أخذ من علمه، كما درس أيضا على غيره من الأساتذة الذين كانوا يعينونه في إلقاء الدروس على الطلبة.

وقد كان الإمام عبد الحميد بن باديس، إلى جانب تعليم طلبته مبادئ العلوم العربية والإسلامية، حريصا على تدريبهم على الخطابة والكتابة والتدريس، حتى إذا حصلوا العلم صاروا متهيين لتبليغه بعد ذلك بسهولة، وكان يكلف قدامى تلاميذه بتدريب زملائهم الجدد.

وما يرويه الأستاذ محمد الحسن فضلاء رحمه الله في هذا الصدد: أنه في نفس السنة التي التحق فيها الغسيري بقسنطينة، أي سنة 1933، كان الأستاذ الفضيل الورتلاني أحد عرفاء الطلبة قد سن سنة



الأديب الدبلوماسي الجزائري الأستاذ محمد يكن الغسيري²

بقلم: الدكتور مسعود فلوسي

في الرابع والعشرين من شهر جويلية من سنة 1974م، فقدت الجزائر واحدا من أبنائها البررة الذين لم يألوا جهدا ولم يدخروا وسعا في العمل لمجدها ورفع مكانتها وإعلاء سمعتها؛ إنه الأستاذ الشيخ محمد المنصوري الغسيري، المعلم والمربي والدبلوماسي الجزائري.

إسهامه في الثورة

ما كتبه الغسيري في مذكراته: أنه في زيارته السابقة الذكر إلى القاهرة حظي هو ورفاقه بلقاء المجاهد المغربي القائد السيد عبد الكريم الخطابي. وقد وصف لنا ما جرى في هذا اللقاء فقال:

«في صائفة سنة 1954 زرنا. في رحلتنا إلى المشرق العربي. بالقاهرة (الأمير عبد الكريم الخطابي) وذلك في منزله. وكنا كشافة يبلغ عددها 28 وصحافيين خمسة. ومنهم: فرحات عباس وأحمد بومنجل والطاهر التيجاني ومحمد الهادي جمام. وفي أثناء خدثه إلينا أعلن بأنه سيطلعنا على سر يجب كتمانها، وأنه ليعمد إلى أخذ الإيمان منا على المصحف الشريف ألا نذيع هذا الخبر أبدا حتى يتحقق العمل به. وأقسمنا جميعا أن لا نذيع السر. ثم قال. بعد أن سأل كلا منا عن مهنته التي يمتننها في البلد: إن عليكم أن تعلنوا الثورة المسلحة بعد عودتكم إلى الجزائر. ولقد أضحي مستحيلا أن تمنحك فرنسا أي حق بدون إعلان الجهاد والشروع فيه فورا. وإن لم تفعلوا لا قدر الله فإن هناك من يعلنه ومن هنا من القاهرة. ولست أنا بعيدا عن ذلك.. وعدنا إلى الجزائر على أمل تنفيذ العهد والمشاركة في العمل العظيم الذي سيجابهه شعبنا. وما هي إلا أشهر حتى أعلنت الثورة يوم غرة نوفمبر 1954. وبعدها مباشرة أعلننا تأييدنا لها والتحقنا جميعا بالفروع التي حددت لنا. وكنا نحن المعلمين في مدينة قسنطينة نعمل فرادي ومع وحدات الجيش في ميدان التمويل والتسليح. ثم ما لبثنا أن أعلننا نحن المعلمين الأحرار أي معلمي مدارس جمعية العلماء بواسطة منشور بجريدة (البصائر) أننا جميعا مؤيدون للثورة وملتحقون بصفوفها ونتحمل كل عواقب عملنا ذلك. وما هي إلا أيام حتى بدأت المدارس تغلق والإخوان يسجنون...».

كان للغسيري إذن نشاط كبير في إطار دعم الثورة وحشد الطاقات البشرية والإمكانات المادية للإسهام فيها. وقد دام نشاطه على تلك الحال قريبا من سنة ونصف. مما جعل الاستخبارات الاستعمارية تتابع أنشطته وخصي عليه حركاته وتتحين الفرص للانتقام منه.

وقد كانت حادثة اغتيال محافظ شرطة قسنطينة، فرصة سانحة للانتقام من رجال الفكر والثقافة الناشطين في إطار الثورة.

وقد كتب الغسيري في مذكراته عن هذه الحادثة وما نتج عنها من تداعيات. فقال:

«غرة أبريل 1956. وفي هذه الأيام حدثت أحداث في قسنطينة. قتل فيها رئيس قسم البوليس (رجبة الصوف) المدعو (سامار سيلي)، وذلك على يد فدائي أطلق عليه رصاصه أردته صريعا في الحين (في رواق الجزارين قريبا من الجامع الأخضر). وكان أن عمدت السلطات الفرنسية إلى إلقاء القبض على جماعة من رفاق النضال في مدينة قسنطينة فأعدمتهم غيلة وغدرا. وكان بينهم الكاتب القصصي (أحمد رضا حوحو) كاتب (معهد ابن باديس). والحاج إسماعيل بوعلاق عضو جمعية التربية والتعليم الإسلامية. وعلي بوودو. وعلي نزار. وعبد الملك بوزو. وعلاوة بوالصوف. وغيرهم. وقد قتلوهم دون محاكمة. كما أن ولد الكوميسار القنيل (سامار سيلي) حمل رشاشه في معية جمع من القتلة الفرنسيين. فخرجوا هائجين إلى الشوارع قرب (الكديّة) يطلقون الرصاص على كل من يجدونه أمامهم. فقتلوا عديدا من سكان المدينة ثارا لقتيلهم...» اهـ.

وقد أخبر الغسيري. من طرف محام اسمه عبد الحميد بن باحمد كان صديقا لواله قسنطينة. بأن اسمه مدون ضمن قائمة العنيتين بالاعتقال وربما الإعدام. مما اضطره إلى التخفي والخروج من قسنطينة متوجها إلى الجزائر العاصمة بواسطة القطار.

خروجه من الجزائر

وفي 9 أبريل 1956. تمكن من السفر إلى فرنسا باسم مستعار. حيث وصل إلى مرسيليا التي انتقل منها إلى ليون. وهناك كلف بالعمل مع العمال الجزائريين

بغية تأسيس خلايا جبهة التحرير الوطني بها. فقام بالمهمة التي أسندت إليه بنجاح.

وبعد مدة قضاها متنقلا في تلك المنطقة والمدن المجاورة لها. انتقل إلى باريس أين التقى بقيادة شعبة جبهة التحرير فيها حينئذ: أحمد طالب الإبراهيمي وصالح الوانثي ومحمد ليجاوي.

وقد قضى شهر رمضان من تلك السنة في باريس. في اجتماعات متواصلة مع العمال الجزائريين في منازلهم وفي أماكن اجتماعاتهم السرية.

ثم دبر له بعد ذلك أمر السفر إلى القاهرة عبر سويسرا. حيث غادر التراب الفرنسي متوجها إلى زوريخ. التي وصلها يوم 19 ماي 1956. وفي صبيحة يوم 20 منه حل بمطار القاهرة.

تمثيل جبهة التحرير في دمشق

أقام الغسيري في القاهرة مدة شهر. ثم جاءه التكليف من قيادة جبهة التحرير الوطني بالانتقال إلى دمشق. التي وصلها في 21 جوان 1956. حيث تم تعيينه ممثلا دائما للجبهة فيها. وقد عمل أولا مساعدا للأستاذ عبد الحميد مهري. ثم بعد استدعاء هذا الأخير إلى القاهرة صار هو الممثل الرسمي للجبهة في سوريا. وهناك ظل يقوم بمهمة حشد الدعم للثورة الجزائرية والتعريف بها والتبشير بقرب انتصارها. كما ظل يشرف على الحصص الإذاعية الموجهة من دمشق إلى الجزائر وثوارها. إلى غاية استقلال الجزائر سنة 1962.

وأثناء وجوده في دمشق. وبشهادة الأستاذ محمد مهري الذي عمل معه هناك. ربط الغسيري علاقات وطيدة مع أهل الشام حكومة وشعبا. وكان يحظى بحبة واحترام كبيرين. لما كان يتميز به من تواضع جم وصدق في المعاملة وتфан في خدمة القضية الوطنية والتعريف بها وجمع الناس على تأييدها.

عمله الدبلوماسي بعد الاستقلال

بعد الاستقلال عاد الغسيري إلى الجزائر ليستقر فيها. لكنه ما لبث أن تم تعيينه من قبل الحكومة الجزائرية سنة 1963 كأول سفير للدولة الجزائرية في المملكة العربية السعودية. وهو المنصب الذي ظل يشغله إلى غاية سنة 1970. وقد استطاع ببعده نظره وحنكته السياسية ومرونته الدبلوماسية أن يربط علاقات متازة بين البلدين. مما جعله محل تقدير بالغ واهتمام كبير واحترام عال من قبل القادة السعوديين. يظهر ذلك من خلال منحه السيف الذهبي لآل سعود. وهو تقدير من الدولة السعودية لم يحظ به أحد قبله.

وفي سنة 1970. انتقل إلى الكويت سفيراً للجزائر بها كذلك. ومثلا أيضا للجزائر في اليمن الجنوبية والإمارات العربية المتحدة. مع الإقامة في الكويت.

وفاته

في صائفة سنة 1974. عاد الغسيري إلى الجزائر لقضاء عطلته السنوية بها. وقام بزيارة إلى مسقط رأسه غسيرة. واتصل بأهله وأقاربه في كاف لعروس. ومنها انتقل إلى تكوت. حيث بدأ يشعر بالآم في البطن.

وفي مساء 22 جويلية كان على موعد مع العشاء في أريس بدعوة من رئيس دائرته. لكن الآلام المتزايدة منعت من تناول الطعام. مما جعله يسافر في الساعة الحادية عشرة ليلا إلى مدينة باتنة. حيث قضى ليلته تلك عند الشيخ الأمير صالحى مدير الشؤون الدينية لولاية باتنة حينئذ.

وفي ضحى يوم 23 تعرض لنزيف داخلي. نقل على إثره إلى مستشفى باتنة ومنه إلى مستشفى قسنطينة.

ثم نقل إلى الجزائر العاصمة أين أدخل المستشفى. ليوافيه أجله المحتوم يوم 24 جويلية 1974م. ودفن بمقبرة العالية. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

وكان الذي أبته هو زميله وصديقه الشيخ علي مرحوم رحمه الله. الذي ألقى كلمة مطولة أشاد فيها بخصاله وجهوده وأعماله.

آثاره الفكرية

تميز الغسيري بقدرات بيانية عالية. وكان يتوفر على موهبة ظاهرة في الكتابة والتأليف. إلا أن انشغاله المتواصل بالتدريس والتفتيش والإدارة في ميدان التربية والتعليم. ونشاطه القيادي في إطار

الكشافة الإسلامية الجزائرية. ثم انخراطه بعد ذلك في العمل الدبلوماسي كل ذلك منعه من أن يتفرغ للكتابة والتأليف. ولذلك كان ما كتبه قليلا رغم أهميته البالغة.

وقد أحصينا له من الآثار ما يلي:

- 1 - مجموعة مقالات في نشرية (الحياة) لسان حال الكشافة الإسلامية الجزائرية.
- 2 - مجموعة مقالات حول رحلته إلى الحج سنة 1953. منشورة في جريدة (البصائر) لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. صدرت الحلقة الأولى في العدد 250 من السلسلة الثانية. الصادر يوم 5 ربيع الثاني 1373 هـ الموافق 11 ديسمبر 1953. أما آخر حلقة فظهرت في العدد 276 الصادر يوم 24 شوال 1373 هـ الموافق 25 جوان 1954م..
- وهذه المقالات نشرها المجلس الإسلامي الأعلى سنة 2008 مجموعة في كتاب مستقل يحمل العنوان الرئيس الذي وضعه لها كاتبها. وهو (عدت من الشرق).
- 3 - مجموعة مقالات نشرها في جريدة (البصائر) في مناسبات مختلفة.
- 4 - مقال في مجلة (حضارة الإسلام) الدمشقية. العددان الخامس والسادس. جمادى الأولى والثانية 1380 هـ. نشرين الثاني وكانون الأول 1960 م. (الصفحات: 19 - 29). بعنوان (الجزائر: ماضيها وحاضرها البطولي الثوري). وهو عبارة عن خطاب ألقاه الغسيري بمناسبة أسبوع الجزائر الذي أقامته الجمهورية العربية المتحدة سنة 1960

- 5 - كتاب (خلاصة الدروس الفقهية) التي قررتها لجنة التعليم العليا لدارسها وطبعتها في شكل منشور تم توزيعه على المدارس.
- 6 - كتاب (صورة من حياة ونضال الزعيم الإسلامي والمصلح الديني الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس). وقد قمت برقته والتقديم له والتعليق عليه. ونشرته جمعية الغسيري في باتنة سنة 2006.
- 7 - مجموعة حوارات أجرتها معه بعض الصحف والمجلات العربية أثناء الثورة وبعدها. وهي ما تزال متفرقة ولم يتم جمعها.
- 8 - مجموعة من الخطب والمقالات والمراسلات المخطوطة. والمتوفرة على مستوى مركز الأرشيف بولاية قسنطينة. وقد حصلت على نسخ منها.

شهادات عارفيه بحقه

- 1- الأستاذ علي مرحوم رحمه الله - زميل الغسيري في الدراسة والتربية والتعليم- قال في تأبينه عند وفاته: «إن فقيدنا من بين أعضاء الفئة القليلة التي صمدت وثبتت في البأساء والضراء. وتعاونت على البر والتقوى في سبيل العمل على تربية الأجيال الناشئة تربية إسلامية. يوم أن كان العمل في هذا السبيل يعرض ذويه لأقسى ألوان الاضطهاد من طرف الاستعمار وزبائنته. ويوم أن كانت اللغة العربية تعد أجنبية في زعم هؤلاء لا يستحق ذووها إلا النيبذ والاحتقار».
- 2- الشيخ محمد الصالح رمضان رحمه الله: أحد الأعلام الشوامخ في سماء الثقافة العربية الإسلامية الجزائرية. وزميل الغسيري في طلب العلم وفي التدريس وفي قيادة الكشافة الإسلامية الجزائرية. يقول عن رفيقه وزميله: «الشيخ محمد الغسيري مناضل ماجد شريف من رجال العروبة والإسلام والوطنية في الجزائر. نشأ في أحضان الحركة الإصلاحية السلفية... وهو من نجباء تلاميذ ابن باديس بالخصوص. عمل في ميادين الحركة الإصلاحية التي تربي فيها. حيث كرس لها الشطر الأكبر من حياته المثالية. ينشر العربية ويعرف بالإسلام الصحيح والوطنية الحقة بقلمه ولسانه».
- 3- الأستاذ محمد الحسن فضلاء رحمه الله: زميل

يقول عنه: «الشيخ الغسيري: أحد بواكير النهضة حظي الغسيري بكثير من الاحترام والتقدير من قبل عارفيه. لما تميز به من أخلاق عالية وخصال رفيعة. ولما كان يتحلى به من تواضع جم ووفاء نادر وتфан في خدمة دينه ووطنه. يتجلى ذلك من خلال الشهادات التي أدلى بها كثير من عارفيه بحقه. ومنها:

- 4- فضل جمعية العلماء على الجزائر: «إن العنّي بتسجيل الظواهر الكبرى في الأم والشعوب ليسجل لجمعية العلماء ظاهرة كانت الفاصلة بين عهد وعهد. وحياة وحياة. فلولا جمعية العلماء لحفت أخطار جسام بالإسلام والعربية في الجزائر. ولولاها لدهمنا سئل من أنواع الزيف في العقائد والفساد في التربية والتنكر إلى التاريخ الإسلامي الماجد والجنس العربي الأبي. أجل لولاها لحصدنا التربية اللادينية. وابلطنا المستأسد الضاري. وأصبحنا حديثا بين الناس. وعبرة للمعتبرين».
- 5- أمراض الأم: «الأم تصاب بأمراض. كالأفراد. يتصدع منها هيكلها. وينخرم منها عزاها. وتهدم بها جدران مقوماتها. وأكبر هذه وأعظمها الجمود الفكري. فإذا ما سُلط هذا المرض العُضال على أمة فإنها تنعكس أفكارها في مصلحتها الخاصة. فتجمد لها وتلتزمها وتخيس جميع مجهوداتها عليها. ويموت فيها الشعور بالمصلحة العامة. ويكون هذا الجمود سببا في موت الروح القومي في الأمة. فتتخرب مقوماتها وتتقوض صروح عزاها. فتفقد كيانها وتموت وتنقلب حيوانا تربي لمصلحة الأم المحافظة على كيانها وغلة لفرانعة الاستعمار الفاتكين بالإنسانية. وتكون وما معها من أرض وهواء ونبات وماء وثروة في ميزانية الطغاة المستبدين».

التعليمية بقسنطينة. كاتب لامع. ومرشد كشفى بارع. علم فأجاد. ورى فأفاد».

4- الشيخ عبد الرحمن شيبان رحمه الله: الرئيس السابق لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وهو من أقران الشيخ الغسيري ومن عرفوه في قسنطينة عندما كان في ريعان شبابه. يقول عنه: «المرحوم الشيخ محمد يكن المنصوري الغسيري. من الرجال الأفاضل الكرام الذين أحمد الله على أن جمع بيني وبينهم. وقد كان رحمه الله مثال الطموح والجِد والاستقامة. وكففيه فخرا أنه من القلائل الذين عهد لهم الإمام المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس بالنيابة عنه في إلقاء بعض الدروس على طلبة الجامع الأخضر في سيدي بومعزة في أوقات فراغه من المدرسة. وذلك تنويها من الإمام ابن باديس رحمه الله بكفاءته واقتداره. هذه الكفاءة التي أهلته رحمه الله أن يشغل مناصب كثيرة ويتولى أدوارا خطيرة».

5- الأستاذ محمد مهري: الأديب والمحامي. وهو أحد الذين عملوا مع الغسيري في دمشق في إطار تمثيل جبهة التحرير الوطني أثناء الثورة. يقول: «الحديث عن الشيخ الغسيري هو حديث عن الخصال. عن الفضائل. عن النبيل. نبيل الأخلاق... وأشهد أن هذا الرجل بسلوكه وبالفضائل التي خلى بها غزا قلوب أهل الشام. فاحتل مكانة كبيرة في قلوبهم. كان هذا الرجل محل تقدير واعتبار من جميع الأوساط الحكومية والشعبية والحزبية والثقافية وغيرها».

قيسات من فكره ونماذج من آرائه:

1- سنة الحياة:

«إن الحياة جارية على أس تنازع البقاء. ومن لم يتعرض للحياة ويأخذ بسنتها. جرفته الحياة. وألحقته بالغابرين البائدين. وسيان عندها الأقوياء الجبابرة والضعفاء الخاملون».

2- التاريخ في مساره:

«التاريخ يمضي في أحقابه وأحداثه. لا يعرف شفقة ولا رافة بالأم التي تتنازع أنواعا من السيادة الخيالية. وضربا من المطامع الحقيرة. منشأ غالبيتها الهوى والأنانية والأثرة والكبرياء السخيفة. وهي جماع ما من شأنه أن يدني للآم حثفها سريعا على يد أعدائها المترصين بها الدوائر».

3- سبيل الأمة إلى النهوض من عثرتها:

«إن الدواع كل الدواع في رأي المصلحين الاجتماعيين: هو أن نعدم إلى أنفسنا فنقصها فحصا جيدا. حتى نكتشف أدوانا بأنفسنا. ونعالجها بألحج أدويتها بأنفسنا..نأتي على معاشتنا نحسنها ونقومها. نأتي على أوضاعنا البالية وتقاليدينا الثقيلة نستبدلها بما يوائم الحياة الحاضرة في صرامتها وقوتها وجمالها ولا يتنكر لديننا وصالح تقاليدينا وعاداتنا».

4- فضل جمعية العلماء على الجزائر:

«إن العنّي بتسجيل الظواهر الكبرى في الأم والشعوب ليسجل لجمعية العلماء ظاهرة كانت الفاصلة بين عهد وعهد. وحياة وحياة. فلولا جمعية العلماء لحفت أخطار جسام بالإسلام والعربية في الجزائر. ولولاها لدهمنا سئل من أنواع الزيف في العقائد والفساد في التربية والتنكر إلى التاريخ الإسلامي الماجد والجنس العربي الأبي. أجل لولاها لحصدنا التربية اللادينية. وابلطنا المستأسد الضاري. وأصبحنا حديثا بين الناس. وعبرة للمعتبرين».

5- أمراض الأم:

«الأم تصاب بأمراض. كالأفراد. يتصدع منها هيكلها. وينخرم منها عزاها. وتهدم بها جدران مقوماتها. وأكبر هذه وأعظمها الجمود الفكري. فإذا ما سُلط هذا المرض العُضال على أمة فإنها تنعكس أفكارها في مصلحتها الخاصة. فتجمد لها وتلتزمها وتخيس جميع مجهوداتها عليها. ويموت فيها الشعور بالمصلحة العامة. ويكون هذا الجمود سببا في موت الروح القومي في الأمة. فتتخرب مقوماتها وتتقوض صروح عزاها. فتفقد كيانها وتموت وتنقلب حيوانا تربي لمصلحة الأم المحافظة على كيانها وغلة لفرانعة الاستعمار الفاتكين بالإنسانية. وتكون وما معها من أرض وهواء ونبات وماء وثروة في ميزانية الطغاة المستبدين».

جريمة الرشوة وضررها على الفرد والمجتمع

إعداد: الشيخ مسعود الغسيري

بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد، فيا عباد الله..

إن المؤمن الصادق في إيمانه إذا وُكِّل إليه عمل وعُهد إليه بمسؤولية يُراعي جانب الأمانة، فيتقي الله فيما وُكِّل إليه من عمل، وفيما عهد إليه من مسؤولية، يتقي الله في ذلك، ويعلم أنها أمانة، والله سائله عنها، فهو يؤدي أمانة ذلك العمل وتلك المسؤولية، يؤديها بصدق وإخلاص ومراقبة لأمر الله، متذكراً قول الله جل جلاله: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذْ لَكُمْ مَعَهُ عَهْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [النساء: 58]، {وَاللَّهُ نَعِمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}، ويتذكر قول الله في مدحه لعباده المؤمنين وبيانه لأخلاقهم الفاضلة: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ}، فهو يراعي الأمانة حقاً، ويؤدي حق المسؤولية، طاعة لله، وقربةً يتقرب بها إلى الله، ويتذكر عقوبة الخائنين لأماناتهم، المضيعين لمسؤوليتهم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، ويتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا إيمان لمن لا أمانة له)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (إنَّ الله سائل كل راع عما استترعه)، فاتقوا الله أيها المسلمون، وعليكم بالحرص على الحلال الطيب الذي لا شبهة فيه، ونبذ الحرام الخبيث بكل صوره وأشكاله، وخاصة الرشوة، فهي سحت، تفسد الضمائر والذم، إلى جانب إفسادها الدين والأخلاق والتعامل.

اتقوا الله يا من جعل الله بأيديكم مصالح الناس وحوائجهم، أدوا واجباتكم كما أمر الله عز وجل، وأعطوا كل ذي حق حقه، واعلموا أنه لن ينفعكم أحد ولن ينفعكم لا مال ولا جاه ولا سلطان إذا خنتم ما استأمنكم الله عليه.

واتقوا الله يا من تطلبون حوائجكم، اطلبوها بالتوكل على الله، واصبروا في قضائها، ولا تسارعوا بالحصول عليها عن طريق الحرام.

واتقوا الله يا من تطلبون ما ليس لكم بحق، وحاولون الحصول عليه بمعصية الله والاستيلاء على حقوق الناس.

لنتق الله جميعاً أيها المؤمنون، ولنتذكر أننا سنقف جميعاً بين يدي الله عز وجل، وسيحاسب كل واحد منا على ما قدم من عمل، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.. اللهم لا تؤاخذنا بما فعل ويفعل السفهاء منا.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

اللهم ألف بين قلوب المسلمين، واجمع كلمتهم، ووحّد صفهم، واجعل ثأرهم على من ظلمهم، ولا تجعل مصيبتهم في دينهم، ولا تجعل الدنيا أكبر همهم ولا مبلغ علمهم.

وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك ونبيك ورسولك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

آمين، آمين، آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وأقم الصلاة.

أكلًا للمال بغير وجه حق، وبذلاً له في أوجه منوعة، والله سبحانه حذرنا من ذلك فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَارَةً عَنِ تَرَاثٍ مِنْكُمْ}، ولا شك أن في الرشوة أكلًا للمال بالباطل من قبل المرتشي، وتوكيلاً للمال بالإثم من قبل الراشي.

ومنها: أن في الرشوة إضاعةً للمال، وإذهاباً له في غير الأوجه المشروعة، وهذا يتنافى مع هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي نهى عن إضاعة المال، فقد روى البخاري عن المغيرة بن شعبه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ).

ومنها: أن في الرشوة قضاءً على روح العدالة التي يمتاز بها الإسلام عن غيره، فمع الرشوة ستفقد العدالة، إذ المرتشي سيقف مع الراشي وإن لم يكن الحق له..

فبالرشوة يحكم على من ليس ثقة بأنه ثقة، وبالرشوة يحكم على الفاجر بأنه أتقى الناس، وبالرشوة تظلم الأمة في مصالحها العامة والخاصة.

ومنها: أن الرشوة لون من ألوان الظلم، لأن فيها إحقاقاً لباطل، أو إبطالاً لحق، فإعطاء المرتشي الحق لغير أهله، مراعاة للرشوة، هو ظلم وبغي، والله سبحانه وتعالى نهانا عن الظلم وحرّمه على نفسه وجعله بين العباد محرماً، فقه روى مسلم عن أبي ذرّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظَّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا).

ومنها: أن في الرشوة قضاء على الأمانة التي حتملها ذلك المرتشي، بل هي مظهر من مظاهر الخيانة لربه ولأمنته، التي نهى الله تعالى عنها في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، {وَعَلَّمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}..

وأخيراً لا أخرا، فإن الرشوة ضرب من ضروب الغش: إذ الراشي والمرتشي قد تعاوضا على الغش، وتعاونوا على إخفاء الحقيقة، وهل هناك أغش من يوهم الناس بصدقه وأمانته وهو مخادع لهم يضمّر ما لا يُظهر، متناسياً قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي».

وبالجملة: فالرشوة مهما كانت صورتها التي ظهرت بها، ومهما كان الأسلوب الذي تمت به، هي بكل المقاييس شر وضرر وفساد، بل جرعة من أقطع الجرائم وأخسها، ولذلك كان من يتعامل بها جديراً بالعقوبة البدنية والمالية في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة إن مات دون أن يتوب منها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الهادي إلى الصراط المستقيم، نحمده سبحانه وتعالى وهو البر الرحيم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، حث على الخلق الكريم، وهدى إلى النهج القويم، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك ورسولك سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبع هداهم وسلك سبيلهم

قبل الامتحان، فيؤلى الوظيفة من غيرهِ أحق منه، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من استعمل رجلاً من عصابة -أي من طائفة- وفيهم من هو أَرْضَى اللَّهُ منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين).

وتكون الرشوة في تنفيذ المشاريع، كأن يُعرض مشروع في المناقصة فيبذل أحد المتقدمين للحصول عليه رشوة فيرسو المشروع عليه، مع أن غيره أنصح قصداً وأتقن عملاً.

وأغرب من ذلك أن تدخل الرشوة في التعليم، فينجح بها من لا يستحق النجاح أو تقدم له أسئلة الامتحان أو يُشار إلى أماكنها من المقررات أو يتساهل المراقب في مراقبة الطالب من أجلها، فيتقدم هذا الطالب مع ضعف مستواه العلمي، ويتأخر غيره من هو أحق منه مع ذكائه ونبوغه وقوة مستواه العلمي.

والرشوة قد تكون على شكل مادي (أموال أو هدايا)، وقد تكون على شكل خدمات (خدمة مقابل خدمة)، وصور ذلك كثيرة لا تحصى ولا تعد، والعام والخاص يعرفها.

إن الرشوة -أيها المؤمنون- قبيحة وحرام بكل أشكالها وصورها وطرقها وأساليبها، سواء كانت على صورة هدية أو مادية طعام للمرتشي أو كانت نقداً صريحاً، بل إنها كبيرة من كبائر الذنوب، التي جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية حذر منها وتزجر عنها، ومن ذلك قول الحق جل جلاله: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِإِثْمٍ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، «أي لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقاً لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم».

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الرشوة وزجر عنها بأوضح عبارة وأبينها، روى ابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به)، قيل: يا رسول الله، وما السحت؟ قال: (الرشوة في الحكم).. ويكفي أن تعلم أنه قد بلغ من تشديده صلى الله عليه وسلم في حرم الرشوة أن لعن باذليها، ولعن آخذها، ولعن الواسطة بين البازل والآخذ، تحذيراً للمسلمين من شرّها، وإبعاداً لهم من ضررها، وحمايةً لدينهم وأموالهم، وحمايةً للمجتمع عموماً، فقد روى ابن ماجه وأحمد عن عبيد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَعَنَ اللَّهُ عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي)، وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ فِي الْحُكْمِ، وروى أحمد عن يُونَانَ بْنِ أَبِي عَمْرٍو رضي الله عنه قال: لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ وَالرَّائِشَ يَعْنِي الَّذِي يَمْتَشِي بَيْنَهُمَا، فجعل صلى الله عليه وسلم باذل الرشوة وهو الراشي ملعوناً، وجعل آخذها وهو المرتشي ملعوناً، وجعل الرائش وهو الواسطة بينهما ملعوناً كذلك، واللعن حقيقة الطرد والإبعاد من رحمة الله، والملعون لا يفلح أبداً إلا إن تاب من ذنبه وتاب الله عليه، قال تعالى: {وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَحْدِلَ لَهُ نَصِيرًا}.

أيها المؤمنون.. إنما حرم الإسلام الرشوة ولعن معطيها وآخذها والمتوسط بها؛ لما تنطوي عليه من الأضرار الجسيمة والمصائب الجمة على الفرد والمجتمع؛ فآثارها سيئة وسمومها فتاكة، منها: أن في الرشوة

إن الحمد لله، نحمده عز وجل ونستعينه ونستعديه ونستترشده، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، أمرنا عز وجل بعمل الخير وحثنا على التعاون فيه، ونهانا عن عمل الشر وحذرنا من التماهي عليه، فقال سبحانه وتعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}..

ونشهد أن سيدنا وحبیبنا وإمامنا وقودتنا محمد عبد الله ورسوله وصفيّه من خلقه وحبیبه، بعنه الله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وهاديا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فأدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين، ولم ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى ترك أمته على الحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامه وبركاته على

هذا الرسول الكريم والنبي الرحيم وعلي آله وصحبه (الَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)، اللهم أحيينا على سنته وأمّنا على ملته واحشرنا في زمرة مع الذين أنعمت عليهم (مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا)، وأوصيكم -عباد الله- ونفسي بنقوى الله عز وجل، امتثالا لأمره عز وجل في قوله الكريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُضْلِحْ لَكُمْ إِعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد، فيا أيها الإخوة المؤمنون الكرام.. كما أن الفرد، يعتريه الضعف وتهجم على جسده الأمراض والأوبئة، كذلك المجتمع معرض لحلول الضعف به وانتشار الآفات والعلل في كيانه.. وكما أن الفرد إذا لم يتدأ وما يحل بجسده من أمراض يوشك أن تنهار قواه وتتعلطل وظائفه ويسير شيئا فشيئا نحو الموت، كذلك المجتمع إن لم تُعالج مشكلاته ولم يتكاتف أبنائه لمحاربة أمراضه يوشك أن تتزلزل روابطه ويتصدع كيانه ويسير شيئا فشيئا نحو التحلل والاندثار.

ومن الآفات الفتاكة والأمراض الاجتماعية الخطيرة التي إذا ما انتشرت في مجتمع آذنت بخرابه وأسرعت بانهيائه، وإذا ما شاعت بين قوم جعلت بأسهم بينهم شديداً وقلوبهم شتى: آفة الرشوة.. والرشوة هي ما يقدمه صاحب الحاجة، محققا كان أو مبطلا، مختارا أو مرغما، إلى من بيده قضاء حاجته أو من يجب عليه القيام بذلك، سواء أكان ذلك مباشرة أو بواسطة، وسواء كان بطلبه أو عن طريق المصانعة.

والرشوة أشكال وألوان: فهي تكون في الحكم حيث يُقضى من أجلها لمن لا يستحق أو يُمنع من يستحق أو يُقدم من غيرهِ أحق بالتقديم، وتكون الرشوة كذلك في تنفيذ الحكم حيث يتهاون من عليه تنفيذه بتنفيذه من أجل الرشوة سواء كان ذلك بالتراخي والمماطلة في التنفيذ، أو بعمل ما يحول دون تحقق أثر الحكم في الواقع.

وتكون الرشوة في الوظائف والمسابقة فيها، فيُقدّم من أجلها من لا يستطيع أن ينجح بجهدِهِ أو تُعطى له أسئلة المسابقة



مع العلامة الدكتور عبد الحليم عويس في ذكره

بقلم: الأستاذ الدكتور مسعود فلويس

من حق المؤرخ والمفكر الإسلامي الراحل الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس، رحمه الله، علينا نحن الجزائريين، أن نحيي ذكره، ونبرز مآثره، وذلك لما كان للجزائر من مكانة في نفسه، ولما كان يخلص به العلماء والباحثين الجزائريين من حفاوة وإكرام واهتمام، عرف ذلك كل من كانت له صلة بهذا العالم والمفكر القُد، الذي تمر بنا هذه الأيام الذكرى الثانية لوفاته، حيث إنه فارق الدنيا مساء يوم الجمعة 14 محرم 1433 هـ، الموافق 9 ديسمبر عام 2011م، بعد معاناة طويلة مع المرض.



من هو عبد الحليم عويس؟

هو عبد الحليم بن عبد الفتاح بن محمد عويس. وشهرته عبد الحليم عويس. ولد في قرية سندسيس التابعة لمدينة الحلة الكبرى محافظة الغربية بدلتا مصر. يوم الاثنين 9 رجب 1362 هـ الموافق 12 جويلية 1943م. كان والده رجلا متواضعا ومتدينا. فقد كان إماما وخطيبا بأحد المساجد. وكان حريصا على الدعوة إلى الله منطلقا من الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح. وكان له الفضل في تشييد عدة مساجد بالقرية..

أحق هذا الوالد ابنه عبد الحليم بكتاب القرية. ثم بالمدارس الأهلية. حيث تدرج في مراحل التعليم حتى حصل على الليسانس من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في اللغة العربية والعلوم الإسلامية سنة 1968م. ثم على الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية سنة 1973م. وعلى الدكتوراه في نفس التخصص (مارس 1978). من الكلية نفسها.

وقد كانت له صلة وثيقة بعدد من أعلام التاريخ والفكر الإسلامي المعاصر في مصر. وبخاصة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله. حيث كان يتصل به ويتلمذ عليه. منذ شبابه الباكر. وظل يلازمه حتى وفاة الشيخ رحمه الله.

عمل عبد الحليم عويس باحثا بمراقبة المناهج وبمركز بحوث المناهج والدراسات التربوية بالكويت في الفترة ما بين 1971 - 1975م. ثم محاضرا لمادة الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في الفترة ما بين 1975 - 1977م. وبعد حصوله على الدكتوراه عاد إلى الجامعة السابقة نفسها. حيث عُيّن أستاذا مساعدا. ثم أستاذا مشاركا. ثم أستاذا. وظل يدرس بها حتى سنة 1994م.

عاد بعد ذلك إلى القاهرة. والتحق بجامعة الزقازيق مدرسا ومشرفا على الرسائل العلمية. كما انضم إلى الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة التي كلفته برئاسة تحرير مجلتها الشهرية «التبيان» وإدارة ندوتها الشهرية التي كان يستضيف فيها كل مرة عددا من العلماء والمفكرين لدراسة قضية من القضايا المطروحة على الساحة الإسلامية.

عرف بمشاركاته الكثيرة في المنتديات والمؤتمرات الدولية في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي. وحتى في دول أوروبا وأمريكا. كما عرف بمؤلفاته المتميزة في أسلوبها وموضوعاتها. حيث عالج فيها أهم القضايا المطروحة على العقل المسلم المعاصر. وقد بلغت كتبه أزيد من خمسين كتابا..

وإلى جانب المؤلفات: كتب عشرات البحوث الأكاديمية والإبداعية. ومئات المقالات في الصحف العربية والإسلامية. وسجل مئات الأحاديث بإذاعة القرآن الكريم بمصر وغيرها. وكان عضوا مؤسسا لرابطة الأدب الإسلامي فرع القاهرة. وعضو مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية. وعضو اتحاد الكتاب بمصر. وعضو نقابة الصحفيين. وعضو اتحاد المؤرخين العرب.

كما اشترك في عدد من المشاريع الثقافية الكبيرة.

حيث أشرف على عمل موسوعة للتاريخ الإسلامي عبر العصور. وأجّز موسوعة موجزة للجامعة الأمريكية المفتوحة. بالتعاون مع مساعدين له من الباحثين في التاريخ. وقام - بالاشتراك مع أربعة أساتذة - بالإشراف العلمي على (موسوعة الإدارة العربية الإسلامية) لحساب المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية. في ثلاثة عشر جزءا (7 مجلدات). وكان مسؤولا ومسهما رئيسا في إعداد مواد (إدارة الجيش والقضاء والشرطة وإدارة التنظيمات المهنية والحرفية العربية الإسلامية) (النقابات) في الحضارة الإسلامية عبر مراحل التاريخ الإسلامي). وأشرف على إنجاز (معجم مصطلحات علوم القرآن) لحساب دار الوفاء بالقاهرة. وأسهم بإعداد بعض المواد العلمية. فضلا عن مسؤوليته عن إنجازها. وقد حظي عبد الحليم عويس - قبل وفاته - بالترقيم على جهوده وأعماله. فقد منحته إحدى الجامعات بأمريكا اللاتينية درجة الدكتوراه الفخرية. كما كرمه الرئيس السوداني عمر البشير بأعلى وسام في جمهورية السودان.

علاقته بالجزائر

تعود صلة العلامة الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله بالجزائر إلى الستينيات من القرن الماضي. حيث كان من بين أعضاء البعثة التعليمية التي جاءت إلى الجزائر لتغطية النقص الذي كانت تعاني منه المؤسسات التعليمية الجزائرية في الأساتذة والمعلمين ذوي التكوين العربي والإسلامي. وكان من حظه أن يُعين في مدينة أفلو. حيث درّس في المعهد الإسلامي الذي كان قائما بها. لكن مقامه فيها لم يطل. إذ عاد بعد سنة دراسية واحدة إلى القاهرة لمواصلة دراساته العليا في كلية دار العلوم. يقول رحمه الله عن تجربته تلك: «مكثت سنة في الجزائر. وكان الناس كراما جدا معي. فقد كنا كأسرة واحدة. وكانوا يعتبروني واحدا منهم».

جددت علاقة عبد الحليم عويس بالجزائر. بعد ذلك. عندما اختار موضوع بحثه لإعداد رسالة الماجستير. حيث كان الموضوع «دولة بني حماد في الجزائر». وهو ما جعله يزور الجزائر عدة مرات لجمع مادة بحثه والالتقاء بالمؤرخين والعلماء الجزائريين للاستفادة ما عندهم من معلومات متعلقة بالموضوع.

وبعد انتهائه من إعداد الرسالة وحصوله على شهادة الماجستير. وكذلك حصوله على الدكتوراه. لم تنقطع صلته بالجزائر. بل بقيت متواصلة من خلال مشاركاته المستمرة في ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقد في الجزائر في صائفة كل سنة. حيث كانت له في كل ملتقى إسهاماته المتميزة. سواء من خلال البحث الذي يلقيه أو التعليقات التي يشارك بها في إثراء المحاضرات. وقد ساعدته طبيعته المرحة وتواضعه الجَم في ربط علاقات مودة ومحبّة مع كثير من الجزائريين. علماء وباحثين وطلبة. خلال تلك المرحلة.

وبعد توقف ملتقيات الفكر الإسلامي. لم تنقطع صلة عبد الحليم عويس بالجزائر. إذ سرعان ما جددت من خلال مشاركاته في المنتديات الأكاديمية التي أصبحت تعقدتها معاهد العلوم الإسلامية في الجزائر. خاصة المعهد العالي للحضارة الإسلامية

بوهان. حيث شارك في كل المنتديات التي عقدت بهذا المعهد لما كان خت إدارة الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكرى. ولا تزال الكتب الجامعة لأعمال ملتقيات الفكر الإسلامي شاهدة على بحوثه وتعليقاته. وكذلك مجلة الحضارة الإسلامية بجامعة وهران. كما لا يزال عدد من علماء الجزائر يذكرونه بالإجلال والتقدير. لما عرفوه عنه من سمو الأخلاق وكرم النفس. ومنهم: الأستاذ الدكتور عمار طالبي. والأستاذ الدكتور عبدالرزاق قسوم. وغيرهما.

تعرفي عليه وصلي به

تعرفت إلى الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله. أولا من خلال كتاباته. حيث كان أول كتاب قرأته له هو «الإسلام أولا». ثم توالى قراءاتي لمؤلفاته. ومنها كتاب «دولة بني حماد صفحة رائعة في تاريخ الجزائر». وكتاب «العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري». وكتاب «المسلمون في معركة البقاء». وغيرها من المؤلفات المتميزة في موضوعاتها وأسلوب تأليفها.

لكن أول لقاء مباشر لي بالدكتور عبد الحليم عويس إنما كان في رحاب المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية بوهان. بمناسبة الملتقى الدولي حول «المصطلح العلمي في التراث الإسلامي» الذي عقد أيام: 2 و3 و4 من ذي الحجة 1416 هـ الموافق لـ: 20 و21 و22 أبريل 1996م. حيث بهرني بتواضعه واهتمامه بكل من يلتقي به. وقد شرفني بالتعقيب والثناء على مداخلتني في الملتقى. رغم أنها كانت أول مشاركة لي في ملتقى دولي. وخلال أيام الملتقى كانت لي معه أحاديث في شؤون مختلفة. خاصة حول أستاذه الإمام الشيخ محمد الغزالي رحمه الله الذي كانت وفاته قبل أكثر من شهر حينئذ. وقد جرأت فطنت منه أن يرسل لي الكتاب الذي ألفه عنه بالاشتراك مع كل من الدكتور عماد الدين خليل والدكتور رمضان عبد التواب والدكتور محفوظ عزام. وكذا كتاب الدكتور يوسف القرزاوي «الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن» الذي كان قد صدر في تلك الأيام. لم تمض سوى أيام قليلة على عودة الدكتور عبد الحليم عويس إلى القاهرة وعودتي إلى باتنة. حتى وصلني الكتابان بالبريد المضمون. وهو ما رفع مقام هذا الرجل في نفسي وجعل حبه يتمكن من شغاف قلبي منذ ذلك الحين.

ولأنني كنت مهتما كثيرا بالشيخ محمد الغزالي رحمه الله وبإنتاجه الفكري. وخاصة جهوده في التفسير الموضوعي للقرآن. فقد قررت أن أؤلف كتابا في هذا الموضوع. وقد أفادني الكتابان المذكوران في ذلك أيما إفادة. ولم تمض مدة طويلة حتى أنهيت تأليف الكتاب. وقد خطر في بالي حينئذ أن أعرضه على الدكتور عبد الحليم لعله يساعدني في نشره في مصر. وبالفعل ما إن جاء موعد الملتقى الدولي حول «الإنسان في الكتب السماوية». المنظم من قبل المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية بوهان. أيام: 23 و24 و25 رجب 1418 هـ الموافق لأيام: 23 و24 و25 نوفمبر 1997م. الذي قبلت مشاركتي فيه. وبعد تأكيد من مشاركة الدكتور عبد الحليم. حتى حملت الكتاب معي وتوجهت إلى وهران. وهناك سلمته للدكتور عبد الحليم وطلبت منه أن ينظر فيه وفي إمكانية مساعدتي في نشره. ولم يتردد في القبول. حيث طلب مني أن أكتب له توكيلا ليتولى نشره. وهو ما كان. ولم تمض مدة طويلة حتى صدر الكتاب في نشر مشترك بين دار الصحوة في القاهرة ودار الوفاء في المنصورة. في حلة قشبية. وبتقريب من الدكتور عبد الحليم. وقد فوجئت بطرد بريدي يصلني من القاهرة يحتوي ثلاثين نسخة من الكتاب. وهو ما ترك في نفسي أثرا عميقا. وجعل صلتي به تزداد توثقا وارتباطا.

وعندما زرت القاهرة أول مرة. سنة 1999م. اتصلت به في بيته بالحلّة. فحدد لي موعدا في مدينة نصر. في بيت كان يقيم فيه طلبة أترك. وبالفعل التقينا هناك وسعدت بالجلوس إليه في حلقة علمية كان يعقدها مع هؤلاء الطلبة. وفي هذا اللقاء أهداني بعض كتبه.. توالى زياراتي للقاهرة

بعد ذلك. وكنت كلما حلت بها أتصل بالدكتور عبد الحليم وأزوره في بيته. بالعجوزة أحيانا وبمدينة نصر أحيانا أخرى. وفي كل مرة كان يكرمني غاية الإكرام ويأبى إلا أن يدفع لي ثمن أجرة السيارة التي كنت أستقلها إليه. ذهابا وإيابا. إضافة إلى الكتب التي كنت أحصل عليها من عنده في كل مرة.

وقد سعدنا بزيارته لكليتنا في باتنة. بمناسبة الملتقى الدولي حول (الإسلام والمسلمون في القرن الخامس عشر الهجري: الواقع والآفاق). الذي نظمناه أيام: 25. 26. 27 ربيع الأول 1425 هـ. الموافق: 15. 16. 17 ماي 2004م. حيث استجاب لدعوتنا وقدم في الملتقى بحثا بعنوان «ماذا يقدم المسلمون للحضارة المعاصرة؟». وكان حضوره فرصة للأساتذة والباحثين والطلبة للالتقاء به والتعرف عليه عن قرب.

وذات مرة اتصلت به من الجزائر. وبعد السلام والتحية لأمني وعابتنني وقال لي إنه «زعلان مني» لأنني لم أعزه في وفاة زوجته «أم أحمد» رحمه الله. فاعتذرت له بعدم معرفتي بوفاتها. فقبل مني اعتذاري. وفي زيارة له إلى قسنطينة بمناسبة ملتقى دولي نظمته جمعية العلماء في القاعة الكبرى بجامعة الأمير عبد القادر سنة 2006. لاحظ غيابي. فاتصل بي من خلال هاتف أختنا الأستاذ الدكتور عمار جيل. وعزم عليّ أن أحضر في اليوم الموالي. وسافرت فعلا إلى قسنطينة حيث التقيت به وأمضينا معا يوما كاملا. وقد كان هذا الموقف منه - بلاشك - أمارة من أمارات تواضعه وكرمه نفسه وسمو أخلاقه.

وفي إحدى زياراتي إلى القاهرة. اتصلت به فدعاني إلى تناول الغداء عنده في بيته. فاعتذرت له لأنني كنت مع مجموعة من الزملاء. فطلب مني أن أدعوهم إليه نيابة عنه. وكنا سبعة أشخاص. وزرنا في بيته بمدينة نصر وتناولنا وجبة الغداء عنده. وكانت لنا جلسة رائعة معه.. وفي آخر مرة زرته فيها. وكان في مكتبته بمقر الجمعية الشرعية. لأنه كان رئيس تحرير مجلة «التبيان» التي تصدرها الجمعية. قضيت معه صبيحة كاملة. وأصر عليّ أن أتناول الغداء معه. فأرسل أحد الإخوة وجاءنا بالغداء. ولما أردت أن استأذن في الانصراف. سألتني عن زملائي الذين جاؤوا معي من الجزائر. فأخبرته بأنهم ستة أشخاص. فأبى إلا أن يرسل معي مبلغ ثلاثمائة جنيه وأن أوزعه عليهم. ورغم أنني حاولت عدم أخذ المبلغ إلا أنه أصر على ذلك. وقال لي: اعتبر أنكم جئتم جميعا إلي وأني أكرمتمكم بغداء عندي.

وفي السنوات الأخيرة من حياته. وخاصة بعد وفاة زوجته التي عانت كثيرا من المرض قبل ذلك. أتم به مرض خطير أنهك قواه وقلل من نشاطه. لكنه واجهه بكل صبر واحتساب. وظل يتحرك في الساحة الإسلامية متكبدا الآلام والمشاق. ولم تنقطع صلتي به. حيث كنت أتصل به مرة بعد مرة للاطمئنان عليه.

وأخر مرة اتصلت به فيها. كانت في بداية شهر ديسمبر سنة 2011م. حيث رد عليّ بصعوبة وكان صوته ضعيفا. حتى إنه لم يتمكن من إنهاء المكالمة. ولم تمض سوى أيام قليلة على تلك المكالمة حتى قرأت نبأ رحيله وانتقاله إلى الرفيق الأعلى. عليه رحمة الله.

ومن باب الوفاء للرجل. وإبرازا لأحد جوانب فكره. كتبت عنه بحثا وأرسلته إلى أحد الزملاء لنشره في كتاب عن الدكتور عبد الحليم وجهوده في مختلف العلوم العربية والإسلامية. إلا أن ذلك الكتاب لم يصدر لحد الآن لعدم وفاء بعض الأساتذة المستكبرين بما وعدوا به من بحوث ومقالات. وكان البحث بعنوان: «الرؤية الحضارية في دراسة السيرة النبوية عند عبد الحليم عويس». ولعلي أبادر إلى نشره في إحدى المجلات بعد مراجعته من جديد.. وإني لأرجو أن يبادر محبو الرجل وعارفوه. من زملاء وتلاميذ ومحبين. إلى تأليف كتاب شامل عنه يعالج مختلف جوانب حياته وفكره. فهو جدير بهذا وأكثر.

رحم الله الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس. وجازاه بأحسن الجزاء على ما قدم من أعمال وما بذل من جهود في خدمة الإسلام والمسلمين. وجعل الجنة مثواه. في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا.

الهداية إلى الصراط المستقيم . فضلها ووسائلها

إعداد: الشيخ مسعود الغسيري

إن الحمد لله، نحمده عز وجل ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونسترشده. ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلن جد له وليا مرشدا.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. أكرمنا بخير كتاب أنزل وشرفنا بخير نبي أرسل. وجعلنا بالإسلام -وبالإسلام وحده- خير أمة أخرجت للناس. نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ونؤمن بالله.

ونشهد أن سيدنا وإمامنا وحبيبنا وقودتنا محمدا عبد الله ورسوله وصفه من خلقه وحبيبه. بعثه ربه رحمة للعالمين. فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق الجهاد. ولم ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. اللهم صل وسلم وبارك على هذا الرسول الكريم والنبي الأمين الرحيم وعلى آله وصحبه (الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). وأحينا اللهم على سنته وأمتنا على ملته واحشرنا في زمرة مع الذين أنعمت عليهم (مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)..

وأوصيكم -عباد الله- ونفسي بتقوى الله عز وجل. امتثالا لأمره سبحانه وتعالى في قوله الكريم: (وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظَمَ بِهِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).

أما بعد، فيا أيها الإخوة الأحبة الكرام..

دعاء يردده المسلم في كل صلاة. آناء الليل وأطراف النهار. بل إن أي صلاة فريضة كانت أو نافلة. لا تصح ولا يقبلها الله إلا إذا ردد المسلم في كل ركعة منها هذا الدعاء. وكيف لا يكون الأمر كذلك والدعاء المقصود هو جزء من السورة التي فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم. بوحى من ربه عز وجل. قراءتها كاملة في كل ركعة. واعتبر الصلاة بدون قراءتها باطلة مردودة. فقال عليه الصلاة والسلام: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) [متفق عليه].

فالمسلم وهو يقرأ فاتحة الكتاب يقرأ من بين آياتها الدعاء الذي اختار الله عز وجل له أن يدعو به فيها. وهو قوله سبحانه: (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ). وإنما اختار الله عز وجل لعبده أن يدعو بهذا الدعاء. لأن الهداية. التي هي التعريف بالحق والتوفيق إلى العمل به والتثبيت عليه. هي أفضل وأرقى ما يحسن بالمؤمن الصادق أن يحرص عليه ويتمسك به ويدعو به ربه سبحانه. فهو عز وعلا إذا هدى عبده إلى الصراط المستقيم فقد ضمن له خيري الدنيا والآخرة. لأنه بالهداية يحصل للمؤمن اليقين والطمأنينة والسكينة والرضا. وبذلك يكون من أهل السعادة في الدنيا وفي الآخرة. حيث سيكون من أنعم الله عز وجل عليهم وعناهم. بقوله سبحانه: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا). أما إذا لم يهد الله عبده إلى الصراط المستقيم ولم يوفقه إلى الخير فقد خسر الدنيا والآخرة. لأنه سيسقى في الدنيا ولن يحظى منها سوى بالمرارة والمعيشة الضنك. وفي الآخرة لن يجد سوى العقاب الأليم والعذاب

العظيم. قال عز من قائل: (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ).

ولولا احتياج المؤمن إلى سؤال الهداية ليلا ونهارا. لما أرشده ربه سبحانه وتعالى إلى أن يدعو بذلك في كل صلاة. فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى. في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها. وفي تبصيره وازدياده منها. وفي استمراره ودوامه عليها. فإن العبد لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله. فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كل وقت أن يمه بالمعونة والثبات والتوفيق.

أيها الإخوة المؤمنون..

إذا كان منطق الحياة يؤكد أن ما طلب شيئا سلك إليه أسبابه وأعد له وسائله. فإن الهداية كذلك لا ينالها إلا من دفع ثمنها وقدم حقتها. وقد بين الله عز وجل في كتابه الكريم ما ينبغي للعبد أن يقدمه من أسباب وبهينه من وسائل حتى يحظى باستجابة دعائه وإجابة طلبه بالهداية إلى الصراط المستقيم والتوفيق إلى الخير العميم.

أول هذه الأسباب والوسائل: انشراح الصدر للإسلام وتعاليمه. والرغبة في معرفة أحكامه والعمل بتشريعاته. واجتناب المعاصي. وعدم الاعتراض بالدنيا. والإعراض عن شهواتها. وتذكر الموت والحساب والجنة والنار. والاعتبار بكل ذلك. قال الله تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ). روى الترمذي في جامعته عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْفَسَحَ وَانْشَرَحَ). قالوا: وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ وَالتَّجَافِي عَنِ دَارِ الْغُرُورِ وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نَزُولِهِ).

فاحذر أخي المسلم أن تسيطر عليك الغفلة أو أن تغريك اللذة العاجلة فتتسبك ما أمرك الله به أو تدعوك لفعل ما نهاك عنه. واحترس أن تكون من قال الله عز وجل فيهم: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ). وتذكر وأنت ما تزال في الدنيا ما سيكون من حادث أهل النار واعترافهم بغفلتهم وإعراضهم عن الخير. قالوا (وَمَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ). قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى آتانا اليقين. فما تنفعهم شفاعة الشافعين). فعليك بالصلاة والصدقة. وإطعام الطعام. وصلة الأرحام. وفعل الخيرات. وترك المنكرات. والاستعداد ليوم المعاد. فإنها أسباب جالبة لنشرح الصدر والهداية بإذن الله.

الثاني من أسباب الهداية والتوفيق للصراط المستقيم. أيها الأحبة الكرام: الدائمة على ذكر الله. فذكر الله على كل حال سبب جالب لارتباط القلب بالله وعامل مهم لطمأنينة القلب وانشراح الصدر. يقول خالق هذا القلب والعالم بمكنوناته وأسراره: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ). وهل تعلم يا عبد الله أنك على قدر ذكرك لله يذكرك الله (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ). بل يزيد الله تفضلا منه ورحمة فيذكرك حيث لا تعلم: ((من ذكرني في ملاذ ذكرته في ملاذ خير منه)). وهل علمت أنك حينما تتغاضى وتتكاسل عن ذكر الله يسلط الله عليك الشياطين فيكونون هم صحبتك وقرنائك. قال سبحانه: (وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ).

السبب الثالث الباعث على الهداية.

معشر المؤمنين: تلاوة كتاب الله بتدبر وتمعن وخشوع. والاجتهاد في العمل بما تضمنه من توجيهات وأحكام. قال الله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ). هكذا على وجه الإطلاق والعموم. فتشمل الهداية أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان. وتستمر هداية القرآن إلى نهاية الوجود. وذلك ما يؤكد سبحانه في قوله: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

وهناك سبب رابع من أسباب الهداية: إنه التفكير في مخلوقات الله. والنظر في ملكوت السموات والأرض. قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ قَهْنًا عَذَابَ النَّارِ). وقال سبحانه: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ. وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ).

جعلني الله وإياكم من أهل القرآن. ونفعني وإياكم بما فيه من الهدى والفرقان.

أقول قولي هذا. وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم. وادعوه إنه هو المستجيب الكريم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين يضل من يشاء. ويهدي إليه من ينيب. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ظل يدعو أمته إلى طريق الهداية حتى أتاه اليقين. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله الطاهرين وأزواجه أمهات المؤمنين وصحابته الغر الميامين. والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا إخوة الإسلام..

من أسباب الهداية كذلك: اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واتخاذ أسوة وقودة. قال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا نُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). وقال سبحانه مخاطبا عباده: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا).

ومن أسباب الهداية أيضا: رفقة الصالحين وصحبة المتقين. فكم من ضال هداه الله على أيدي الصالحين الأخيار. وكم من فاجر شاء الله له الهداية على أيدي أقران ما زالوا به حتى سلكوا به طريق النجاة. وإذا كان المرء في هذه الحياة لا بد له من خليل. فإن المرء على دين خليله. فلينظر أحداكم من يخال. ومجرد محبة الصالحين وحب أفعالهم تورد المرء موارد الخير إذا صدقت نيته وتوجه قلبه. روى مسلم عن عبد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المرء مع من أحب).. وليس بخاف عليك -أخي المسلم- أثر الجليس الصالح وجليس السوء الذي بينه النبي صلى الله

عليه وسلم في قوله الشريف: (إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ. فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ. وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ. وَإِمَّا أَنْ جُدَّ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ. وَإِمَّا أَنْ جُدَّ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً) [متفق عليه]. وليس بخاف عليك كذلك أن قرناء السوء في هذه الحياة يكون بعضهم لبعض عدوا يوم القيامة. قال تعالى: (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ). بل إن الواحد منهم يندم على صحبة أهل السوء وبعده عن أهل الخير: (وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا. يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا).

وثمة سبب آخر مهم للهداية. أيها الأحباب: ألا وهو الدائمة على الدعاء. فالدعاء سلاح المؤمن في الشدائد. يقول الله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ). ويقول الله تعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي كلكم ضال إلا من هدته فاستهدوني أهدكم) [رواه مسلم]. والنبي صلى الله عليه وسلم كان لا يفتر من الدعاء وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وقد علمنا من الدعاء كثيرا. ومنه حين القيام لصلاة الليل فقد كان يقول: (اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ. فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. غَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ. أَنْتَ حَكَمَ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). [رواه مسلم]. فألحوا على الله بالدعاء معاشر المسلمين واسألوه التوفيق والهداية. واحرصوا على أوقات الإجابة.

هذا. وصلوا وسلموا -رحمكم الله- على سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين. فقد أمركم الله بالصلاة والسلام عليه في قوله تبارك وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب:56]. اللهم صل على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

ربنا لا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

اللهم اهدنا فيمن هديت. وعافنا فيمن عافيت. وتولنا فيمن توليت. وبارك لنا فيما أعطيت. وقنا شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك. وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت. تباركت ربنا وتعاليت. نستغفرك ونتوب إليك.

اللهم إنا نسألك من الخير كله. عاجله وأجله. ما علمنا منه وما لم نعلم. ونعوذ بك من الشر كله عاجله وأجله. ما علمنا منه وما لم نعلم. اللهم تول أمرنا ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل. ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك ونبيك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمين، آمين، آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وأقم الصلاة.



أ.د مسعود فلوسي*

جهود المؤرخ سعد الله في التعريف بعلماء الجزائر

تعددت مناحي البحث والتأليف عند عميد المؤرخين الجزائريين الدكتور أبي القاسم سعد الله رحمه الله بتعدد المجالات الفكرية والعلمية التي وجد نفسه مشاركا فيها، إما بحكم التخصص الأكاديمي أو بحكم الميول الأدبية والفكرية أو لضرورة الدفاع عن قضية معينة أو الكشف عن حقيقة مجهولة، فمن الشعر والأدب إلى تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، إلى تاريخ الجزائر الثقافي، إلى تراجم أعلام الجزائر، إلى إبداء الرأي في بعض القضايا العامة مما يتعلق بالوطن أو الأمة. ويهمنا في هذا المقال أن نركز على جانب واحد من الجوانب التي تبوأ فيها سعد الله مكانة الريادة والسبق، ألا وهو الترجمة لعلماء الجزائر قديما وحديثا وإبراز جهودهم والتعريف بأثارهم.

كتب مفردة لبعض علماء الجزائر

خص المؤرخ أبو القاسم سعد الله رحمه الله عددا من علماء الجزائر بمؤلفات مستقلة. أحاط في كل كتاب منها بالجوانب المختلفة لحياة المترجم له. وعرف بترائه الفكري وأبرز كل ما يتعلق به من قريب أو بعيد. وهذه الكتب هي:

1- شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة [312ص]: هو أول كتاب ألفه. حيث خصه لدراسة حياة وشعر محمد العيد آل خليفة [1904-1979م]. وتولى تقديمه الإمام العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. وكان الشاعر محمد العيد حيا حين نشر هذا الكتاب. وقد فصل سعد الله القول في حياة محمد العيد وأبرز العوامل التي كونت شخصيته وأورد آراءه وتجاربه. كما تحدث بالتفصيل عن شعره من حيث تطوره وأغراضه ومنزلته.

2- القاضي الأديب الشاذلي القسنطيني [144ص]: يدرس هذا الكتاب سيرة الشيخ محمد الشاذلي القسنطيني [1807-1877م]. من خلال رسائله وشعره. وقد عالج فيه المؤلف عصر الرجل وحياته. ورحلاته إلى أوروبا. ومراسلاته وبعض مواقفه. وعلاقته بالأمير عبد القادر وشعره وشاعريته.

3- رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي [146ص]: تناول المؤلف فيه بالدراسة التحليلية المستقصية عصر وحياته وأثار الشيخ محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري الشهير بابن العنابي [ت: 1189هـ / 1267م]. صاحب كتاب "السعي المحمود في نظام الجنود" وغيره من المؤلفات القيمة.

4- شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية [256ص]: درس المؤلف في هذا الكتاب عصر وحياة الشيخ عبد

الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم الفكون [1580-1663م]. وتأثيره المتمثل في تلاميذه ومراسلاته ومذهبه الصوفي وموقفه من البدع ومن قضايا عصره. كما عرف باستفاضة بتأليفه. وأورد نصوصا نثرية وشعرية كنماذج من آثاره. وقد تحدث المؤلف عن الفكون في مواضع عديدة من تاريخ الجزائر الثقافي. كما قام بتحقيق ونشر كتابه "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية".

5- كتاب عن الطبيب الرحالة عبد الرزاق بن حمادوش. كما كتب عنه بحثا آخر بعنوان "عبد الرزاق بن حمادوش ورحلته لسان المقال" [أبحاث وآراء 1/ 221-241]. وأيضا قام بتحقيق ونشر رحلته "لسان المقال". وله بحث آخر عنه بعنوان "رسالة في الكرة الفلكية لابن حمادوش" [أبحاث وآراء 4/ 170-179].

6- باحث مغمور نور الدين عبد القادر [100ص]: أفرد سعد الله هذا الكتاب لترجمة عالم ومثقف معاصر خدم العربية والتراث الإسلامي في الجزائر خلال مرحلة الاحتلال الفرنسي. وقضى حياته مدرسا ومترجما وكاتباً. إنه الأستاذ عبد القادر الحميدي أو نور الدين عبد القادر كما عرف بين المعاصرين. والذي عاش في الجزائر ما بين 1890 و1981م بعيدا عن الأضواء غير مشارك في الحياة العامة. حتى أنه لا يعرفه من الجزائريين إلا القليل. ولولا أن قيض الله الدكتور سعد الله للتعريف به لما ذكره أحد. وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب بالدراسة المفصلة كل ما يتعلق بشخصية نور الدين: حياته وعائلته. دراسته وتدريسه. مؤلفاته. مساهمته في الإعلام.

بحوث ومقالات

إلى جانب هذه المؤلفات المفردة للتعريف ببعض علماء الجزائر. كتب الدكتور سعد الله بعض البحوث الموسعة التي شارك بها في بعض المؤتمرات أو نشرها في بعض المجلات. عن علماء جزائريين آخرين. ومن هؤلاء:

1- أبو راس الناصري: وهو محمد بن أحمد بن عبد القادر الجليلي العسكري. وقد عرف به سعد الله في أكثر من موضع. حيث كتب عنه بحثا بعنوان "مؤرخ معاصر للجبرتي: أبو راس الناصري" [أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر 1/ 103-83]. وكتب عنه بحثا بعنوان "الحملة الفرنسية على مصر والشام في رأي المؤرخ

أبي راس الناصري الجزائري" [أبحاث وآراء 2/ 308-299]. ومقالة أخرى بعنوان "كتاب فتح الإله لأبي راس الناصري" [أبحاث وآراء 2/ 340-337]. كما تحدث عنه باستفاضة في [تاريخ الجزائر الثقافي: 2/ 180-176، 381-376].

2- الأمير عبد القادر: كتب عنه كثيرا. حيث ترجم كتاب نشرشل عنه. ثم كتب عنه مقالة بعنوان "ميزات بارزة من حياة الأمير عبد القادر" [أبحاث وآراء 1/ 133-128]. ومقالة أخرى بعنوان "السيرة الذاتية للأمير عبد القادر" [أبحاث وآراء 4/ 185-180].

3- مصطفى بن الكيابطي: له بحث عنه بعنوان "موقف المفتي الكيابطي من الأوقاف واللغة". حيث عرف به أولا. ثم أبرز موقفه وأثار هذا الموقف على العلاقة الثقافية بين الجزائر وفرنسا [أبحاث وآراء 2/ 48-11].



4- المفتي أحمد ابن عمار: عرف به في بحث بعنوان "تقرير للمفتي أحمد ابن عمار ظروفه ونصه" [أبحاث وآراء 5/ 216-201]. وفي بحث آخر "إجازة ابن عمار الجزائري إلى محمد خليل المرادي الشامي" [تجارب في الأدب والرحلة: 70-35]. كما درس جوانب من حياته وأثاره في تاريخ الجزائر الثقافي [ج2]. وفي كتاب [مختارات مجهولة من الشعر العربي].

5- أبو حامد العربي المشرفي: وقد تحدث عنه في بحث بعنوان "مؤلفات المشرفي العسكري" [أبحاث وآراء 2/ 191-175].

6- أبو يعلى الزواوي: وقد عرف به في مرات عديدة. منها بحث بعنوان "مشروع كتاب تاريخ زاوية لأبي يعلى الزواوي" [أبحاث وآراء 2/ 167-145].

7- محمد بن أبي شنب: كتب عنه مقالين الأولى بعنوان "حياة وتراث محمد بن أبي شنب" والثانية بعنوان "حول ابن شنب" [أبحاث وآراء 4/ 162-156]. وهناك مقالة ثالثة بعنوان "من رسائل محمد بن أبي شنب إلى محمد كرد علي" [تجارب في الأدب والرحلة: 88-75].

8- محمد البشير الإبراهيمي: خصه بأكثر من دراسة وبحث. وفي أكثر من مناسبة. وما كتبه عنه: الشيخ البشير الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإدارية [أبحاث وآراء 3/ 85-49]. الشيخ البشير الإبراهيمي والثورة [أبحاث وآراء 5/ 288-274]. الثقافة التاريخية عند البشير الإبراهيمي [مجادلة الآخر: 115-127]. ذكريات أدبية عن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي [حاطب أوراق: 90-83]. عالمان مغاربة في شبه القارة الهندية الثعالبية والإبراهيمي [بحوث في التاريخ العربي الإسلامي: 199-171].

9- محمد الطاهر النليلي: تحدث عنه هو الآخر في مناسبات متعددة. وكتب عنه أكثر من بحث ومقالة. ومنها: شيخ علم ودين [أفكار جامحة: 207-199]. فقيد العلم الشيخ النليلي [إخراج السرب: 163-155]. ندوة الشيخ النليلي [مجادلة الآخر: 209-204]. حياة الشيخ النليلي [مجادلة: 299-296]. الجهود اللغوية للشيخ النليلي [إخراج السرب: 271-258]. كما حقق كتابه "إخفاف القاري بحياة الشيخ خليفة بن حسن القماري". إضافة إلى بحوث أخرى عن عدد من علماء الجزائر. ومن

عناوينها: الأديب المصلح محمد المولود الزريبي [إخراج السرب: 186-170]. أبو القاسم بن سديرة حياته ومؤلفاته [إخراج السرب: 207-195]. عمر راسم ونخبة عصره [حصاد الخريف: 239-233]. مجاهد من نوع آخر: الشيخ الياجوري [إخراج السرب: 136-113]. أحمد رضا حوحو في الحجاز [مجادلة الآخر: 165-151]. مفدي زكريا والتيارات الوطنية [مجادلة الآخر: 186-166]. أحمد معاش حياته وأثاره [حصاد الخريف: 252-240]. الشيخ محمد بن يوسف أطفيش: عرف به في بحث بعنوان: بين القطبين أطفيش والسمالي [بحوث في التاريخ العربي الإسلامي: 397-387]. أبو إسحاق إبراهيم أطفيش: عرف به ضمن بحث بعنوان: قراءة في كتاب "الدعاية إلى سبيل المؤمنين" لإبراهيم أطفيش [بحوث في التاريخ العربي الإسلامي: 170-159].

شهادات

كما نشر الدكتور سعد الله مقالات صحفية ضمنها تراجم وشهادات في حق بعض العلماء والباحثين. من عرفهم عن قرب وكتب عنهم في مناسبات تكرمهم أو إثر وفاتهم. أو في إطار التقديم لمؤلفات كتبت عنهم. ثم أدرج هذه المقالات في بعض كتبه. ومن عناوين هذه المقالات: الشيخ العربي التبسي [حاطب أوراق: 15-11]. الشيخ أحمد توفيق المدني [حاطب: 34-26]. الشيخ الطيب العقبي والحركة الوطنية [حاطب: 131-127]. فيلسوف الحضارة مالك بن نبي [حاطب: 157-155]. أبو العيد دودو آخر العهد [مجادلة الآخر: 150-134]. سي مولود (قاسم) ظاهرة فذة [إخراج السرب: 154-137]. ذكريات عن الشاعر صالح الخرفي [إخراج السرب: 194-187]. شهادة عن بوزيان التلمساني [حصاد الخريف: 255-253]. تكرم الباحث محمد ناصر [حصاد الخريف: 258-256]. تكرم الشيخ إبراهيم مزهودي [حصاد الخريف: 262-259]. من أخبار الشيخ عمر دردور [حصاد الخريف: 266-263]. غياب الشاذلي زوكار [حصاد الخريف: 272-267]. تكرم الأستاذ شريط [إخراج السرب: 107-106]. شهادة في الدكتور عبد الله شريط [حبر على ورق: 70-65]. يحيى بوعزيز [حاطب أوراق: 234-231]. من الكرام علي السحنوني [إخراج السرب: 169-164]. إسهام الحكيم بلعربي في الطب والسياسة [حبر على ورق: 109-107]. عائشة غطاس فقيدة البحث العلمي [الخبر: 2011-19]. الصديق الدكتور عبد الله ركيبي [الشروق اليومي: 2011-6-6].

تراجم "تاريخ الجزائر الثقافي"

وفي إطار تتبع التاريخ الثقافي للجزائر في مرحلتي العهد العثماني والاحتلال الفرنسي: ضمن الدكتور سعد الله موسوعته المتميزة "تاريخ الجزائر الثقافي" تراجم. بعضها موجز وبعضها مفصل. وبعضها مجرد إشارات. لعدد من علماء الجزائر الذين كانت لهم إسهامات في مختلف العلوم.

منهجه في الترجمة

للمؤرخ أبو القاسم سعد الله رحمه الله منهجه الخاص في الترجمة للعلم الذي يكتب عنه. فهو يهتم باستقصاء كل ما يمكنه الوصول إليه من معلومات متعلقة بالحياة الشخصية للمترجم له. لكنه لا يتوقف عند ذلك. بل يتناول بالعرض والتحليل جوانب شخصيته وعوامل تكوينها وما كان له من مواقف وكيف تفاعل مع ظروف عصره وما تركه من أثر.

وإذا كان المترجم له من عرفه شخصيا. فإنه يركز على هذا الجانب: حيث يذكر متى تعرف عليه ومواقفه التي شهداها والعلاقة التي ربطته به وما تميز به من خصال ومناقب.

وهو في كل ذلك لا يمدح إلا ما يستحق المدح. كما أنه لا يتردد في الكشف عن الجوانب السلبية في الشخصية التي يتناولها بالترجمة والتعريف. منطلقا في كل ذلك من قناعاته الفكرية. وقد استطاع سعد الله أن يزيح غبار الطمس والنسيان عن كثير من العلماء الجزائريين المجهولين حتى عند أبناء الجزائر أنفسهم. وأن يظهر إسهاماتهم في العلوم المختلفة الدينية والدنيوية. وأن يبرز تأثيرهم في بلادهم والبلدان التي هاجروا إليها أو انتقلت إليها مؤلفاتهم.

إن هذا الجانب المهم في السيرة العلمية للمؤرخ الدكتور أبو القاسم سعد الله. ألا وهو التعريف بعلماء الجزائر. جدير بالدراسة والإبراز. ولا يمكننا أن نحيط به في مجال محدود كهذا. ولذلك نرجو أن يتولى بعض باحثينا دراسته في رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه. على أن يتولى باحثون آخرون إبراز الجوانب الأخرى من الشخصية العلمية لفقيه الجزائر الراحل رحمه الله.

*أستاذ العلوم الإسلامية جامعة باتنة

جمعية العلماء في الدراسات الجامعية والكتب الفكرية

استقطبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية اهتمام الباحثين والمؤرخين، نظرا لما كان لها من دور في تاريخ الجزائر المعاصر بما بذلته من جهود وما حقته من نتائج، وهذا الاهتمام لم ينحصر لدى الباحثين والمؤرخين الجزائريين فحسب، وإنما تعداهم إلى غيرهم من رجال العلم والفكر في العالم العربي والإسلامي الذين وجدوا في جهود جمعية العلماء وأعمالها مجالا رحبا للبحث والدراسة. في هذا المقال نحاول أن نعرف ببعض الدراسات والمؤلفات التي كتبت عن جمعية العلماء باللغة العربية، سواء من قبل الباحثين الجزائريين أو العرب. وقد خصصنا هذا المقال لما كتب عن الجمعية فقط، دون ما كتب عن جهود قادتها وعلمائها وإسهاماتهم الفردية.

وليس رسائل جامعية، وهي نافعة وفيها فوائد جمة. ويحتاج إليها الباحثون في تراث الجمعية وأعمالها. ومن هذه الكتب:

29- "رد شبهات حول موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من ثورة أول نوفمبر 1954"، كتيب من تأليف المحامي الأستاذ سليمان الصيد رحمه الله، يقع في 96 صفحة من الحجم الصغير. وقد صدر عن دار هومة بالجزائر العاصمة في طبعته الأولى سنة 1416 هـ. 1996م.

30- "صفحات من إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، كتيب من تأليف الدكتور محمد بن سميحة رحمه الله، وقد جاء في 48 صفحة من الحجم المتوسط. وصدر عن دار مدني بالجزائر العاصمة سنة 2004م. قسمه المؤلف إلى ثلاثة فصول، الأول بعنوان "النهضة الحديثة في العالم العربي والإسلامي"، والثاني "الحركة الوطنية الحضارية في مواجهة الهجمة الصليبية"، والثالث "الصلة بين الحركة الإصلاحية في الجزائر والنهضة الحديثة في المشرق".

31- "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية، 1931-1956 رؤساؤها الثلاثة"، تأليف: الأستاذ الدكتور تركي رابح عامرة رحمه الله، وقد صدر في طبعته الأولى عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر سنة 1425 هـ. 2004م. عالج المؤلف مسائل الكتاب وموضوعاته المتشعبة في إطار أربعة فصول. تناول في الأول منها "التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956)"، وجاء الثاني بعنوان "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها النضالي عن مقومات الشخصية الجزائرية"، بينما درس المؤلف في الفصل الثالث "الصراع بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وإدارة الاحتلال الفرنسي في الفترة ما بين عامي 1933-1939"، ليأتي الفصل الرابع والأخير بعنوان "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية وجهودها التربوية والتعليمية"، وقد أورد المؤلف في آخر الكتاب تراجم واقية لرؤساء الجمعية الثلاثة الأوائل ابن باديس والإبراهيمي والتبسي. كما أُلحق بالكتاب عدة ملاحق تضمنت وثائق تاريخية تتعلق بالجمعية وأعمالها.

32- حقائق وأباطيل، تأليف: الشيخ عبد الرحمن شيبان رحمه الله، وهو من منشورات دار ثالة بالجزائر العاصمة، سنة 2009م. في 352 صفحة. الكتاب عبارة عن جميع لعدد من المقالات التي سبق للمؤلف أن نشرها. وقد أدرجها في أربعة أقسام، الأول منها بعنوان "ثورة الوعي"، والثاني "في موكب الثورة"، والثالث "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وجاء الرابع تحت عنوان "حقائق وأباطيل".

33- "جمعية العلماء: الخطاب والقراءة"، وهو كتاب من تأليف الأستاذ الدكتور محمد زمران. صدر في طبعته الأولى عن دار الأعلام في عمان بالأردن، سنة 1431 هـ. 2010م. ويقع في 188 صفحة. يضم هذا الكتاب بين دفتيه عددا من الدراسات والأبحاث التي سبق للمؤلف أن كتبها ونشرها في عدد من المجلات الأكاديمية، وهي عبارة عن خمسة أبحاث. خص كلا منها بفصل من فصول الكتاب، وهي بالترتيب: جمعية العلماء وفلسفة العودة إلى الأصول - جمعية العلماء وتجديد الاعتقاد - معالم الخطاب الإسلامي في تجربة ابن باديس - موقف الإبراهيمي من الطرق الصوفية المنحرفة بالجزائر - ملامح الخطاب الإسلامي عند الطيب العقبي.

هذا ما أمكن رصده والاطلاع عليه من الرسائل الجامعية والمؤلفات الفكرية التي كتبت عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولا شك أنها ليست كل ما كتب عن الجمعية وأعمالها وجهودها وآثارها في المجتمع الجزائري. فهناك بالتأكيد أعمال أخرى لم يتسن لنا الاطلاع عليها، ولعل غيري من الباحثين يقف عليها فيعرفنا بها في مناسبات أخرى بإذن الله عز وجل.

• كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة

المسلمين الجزائريين من خلال صفحتها 1931-1939، إعداد: علي حشلاف، إشراف: زهير إحدان، رسالة بجامعة الجزائر، 1994م. 256 ورقة.

19- "فتاوى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، إعداد: هجيرة صالح، رسالة ماجستير بالمعهد الوطني العالي لأصول الدين في الجزائر، سنة 1995م.

20- "وسائل الاتصال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، إعداد: مفيدة بلهامل، إشراف: عبدالله بوجلال، رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، 1997م.

21- "جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مقاومة الانحرافات الطرقية"، إعداد: أنيسة زغدود، إشراف: محمد زمران، رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، 1421 هـ. 2000م.

22- "النشاط الصحفي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، إعداد: نور الدين فليقة، إشراف: عبدالله بوجلال، رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002م.

23- "التنشئة السياسية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، إعداد: أمين بلعيفة، إشراف: عامر مصباح، أطروحة ماجستير بجامعة الجزائر،



كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 1429 هـ. 2008م. 337 ورقة.

24- "الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي"، إعداد: شهرة شفر، إشراف: محمد زمران، مذكرة ماجستير بجامعة باتنة، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، قسم أصول الدين، 1430 هـ. 2009م. 279 ورقة.

25- "سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أمثلة"، إعداد: زيلوخة بوقرة، إشراف: بلقاسم بوقرة، مذكرة ماجستير بجامعة باتنة، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديمقراطية، 2009م. 198 ورقة.

26- "جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تقرير توحيد العبادة والرد على المخالفين فيه"، إعداد: سليم فؤاد مجوبي، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، نوقشت بتاريخ: 20 ذو القعدة 1429 هـ.

27- "ملاحم الاجتهاد الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، إعداد: محمد درق، إشراف: زين الدين مختاري، مذكرة ماجستير بجامعة تلمسان، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 1431 هـ. 2010م. 168 ورقة.

28- "البعد المفاصدي في فتاوى أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: دراسة من خلال جريدة البصائر 1937-1956"، إعداد: أبو بكر صديقي، إشراف: مسعود فلوسي، رسالة ماجستير بجامعة باتنة، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، قسم الفقه والأصول، سنة 1432 هـ. 2011م. 264 ورقة.

كتب مفردة عن الجمعية

نشير في الأخير إلى عدد من الكتب التي ألفها علماء وباحثون جزائريون عن الجمعية وجهودها وإسهاماتها. وهذه الكتب مؤلفات من الأصل

7- "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية - 1945-1956"، إعداد: أحمد بوقجاني، إشراف: عبد الحميد زوزو، وهي أطروحة ماجستير بجامعة الجزائر، 1420 هـ. 2000م. 331 ورقة.

8- "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تحرير الجزائر 1939-1962"، إعداد: عبد القادر بن محمد بن عمر النعيمي، إشراف: رأفت غنيمي الشيخ، أطروحة دكتوراه، 397 ورقة، وقد نشرها المؤلف سنة 1423 هـ. 2002م. في 500 صفحة. ولم تُعرف الجامعة التي نوقشت فيها هذه الرسالة.

9- "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية - 1931-1945"، إعداد: عبد الكريم بوالصفصاف، إشراف: مصطفى النحاس، رسالة قدمت لنيل دبلوم الدراسات المعمقة من جامعة قسنطينة عام 1398 هـ. 1978م. ثم نشرت في كتاب صدر في طبعته الأولى عن دار البعث، قسنطينة، 1402 هـ. 1981م. في 421 صفحة. وقد أعادت نشرها دار عالم المعرفة في الجزائر سنة 2009م. وجاءت في 412 صفحة.

10- "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى - 1931-1945: دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة"، إعداد: عبد الكريم بوالصفصاف، إشراف: توفيق برو، رسالة دكتوراه الطور الثالث بجامعة قسنطينة، 1403 هـ. 1983م. 465 ورقة. نشرها المتحف الوطني للمجاهد بالجزائر سنة 1996م. وأعادت نشرها دار مداد، قسنطينة، سنة 1430 هـ. 2009م. في 557 صفحة.

11- "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية - 1945-1962"، إعداد: أسعد لهاللي، إشراف: عبد الكريم بوالصفصاف، وهي أطروحة دكتوراه علوم بجامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 1420 هـ. 2000م. 340 ورقة.

12- "المشروع العلماني التفرغي الفرنسي وموقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منه"، إعداد: مصطفى هادف، رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، سنة 2004م.

13- "دور جمعية العلماء المسلمين في جلب دعم المشرق العربي للثورة"، رسالة ماجستير جزائرية لا نعرف مؤلفها، ولا المشرف عليها، ولا الجامعة التي نوقشت فيها، ولا سنة المناقشة، بسبب غياب ورقة الغلاف، وهي في 266 ورقة.

إسهامات الجمعية في المجالات الأدبية والعلمية

لم تنحصر جهود جمعية العلماء وعلمائها الأبرار في دائرة العمل الإصلاحي والإعداد للثورة فحسب، وإنما امتدت لتشمل مجالات فكرية وثقافية ودعوية وأدبية ولغوية، وقد انبرى عدد من الباحثين لإعداد رسائل جامعية حول جهود الجمعية في هذه المجالات. نذكر منها:

14- "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وآثارها في اللغة والأدب"، إعداد: صالح بن عبد الله بن محمد الجلود، إشراف: محمد عبد المنعم خفاجي رحمه الله، أطروحة ماجستير بجامعة الأزهر في القاهرة، سنة 1394 هـ. 1974م. في 208 ورقة.

15- "أثر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحركة الأدبية في الجزائر"، إعداد: سعيد الأخضر سلام، رسالة ماجستير بجامعة عين شمس في القاهرة، قسم اللغة العربية وآدابها، سنة 1979م.

16- "أدب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، إعداد: عبد القادر قريش، رسالة ماجستير بجامعة بغداد، قسم الآداب، سنة 1983م.

17- "النقد الأدبي الجزائري الحديث من خلال دوريات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - 1925-1956"، إعداد: عمار بن زايد، إشراف: محمد مصايف، رسالة دكتوراه بجامعة الجزائر، 235 ورقة.

18- "المواقف السياسية لجمعية العلماء



أ.د. مسعود فلوسي

الجهود الإصلاحية للجمعية

يُعتبر العمل الإصلاحي هو الميدان الأبرز الذي نشطت فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وسخرت له جهود علمائها وأتباعها، واتخذت له الوسائل المناسبة والمتوفرة في المرحلة التي ظهرت فيها. وقد اهتم بإبراز هذه الجهود عدد من الباحثين والدارسين من الجزائريين والعرب. ومن أهم ما كتب في هذا الموضوع الرسائل الجامعية التالية:

1- "تأسيس ونشاط جمعية العلماء في ولاية وهران 1935-1931م"، إعداد: محمد القورصو، بحث قدم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة بقسم التاريخ في جامعة وهران عام 1397 هـ. 1977م.

2- "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر"، إعداد: أحمد الخطيب، رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير من قسم التاريخ بالجامعة اللبنانية في بيروت عام 1400 هـ. 1980م. وقد نشرتها المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، سنة 1405 هـ. 1985م. في 306 صفحة.

3- "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية - 1349-1358 هـ / 1931-1939م"، إعداد: مازن صلاح حامد مطبقاني، إشراف: محمد عبد الرحمن برج، رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك عبد العزيز في جدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، سنة 1404 هـ. 1984م. وتقع في 261 ورقة. وقد نشرت هذه الرسالة دار القلم في دمشق سنة 1408 هـ. 1988م. في 296 صفحة. بتقديم الأستاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله رحمه الله.

4- "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: منهجها وآثارها"، إعداد: إسحاق عبد الله الغامدي، إشراف: عمر عودة الخطيب، أطروحة لنيل درجة الماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، كلية الشريعة، 1407 هـ. 1987م.

5- "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: نشأة وتطور الإصلاح بمدينة الجزائر 1940-1931"، إعداد: عفاف زقور، إشراف: محمد القورصو، أطروحة قدمت لنيل درجة الماجستير بجامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 1427 هـ. 2007م. في 300 ورقة.

6- "الحركة الإصلاحية في منطقتي الزيبان وميزاب 1954-1920"، إعداد: عبد القادر قوبع، إشراف: مولود عويصر، أطروحة قدمت لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2008. وقد نشرت هذه الرسالة دار طليطلة في الجزائر، 2013. في 406 صفحة.

7- "نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956"، إعداد: سعيد بورنان، إشراف: مولود عويصر، رسالة ماجستير بجامعة الجزائر، نوقشت بتاريخ: 30 جوان 2009. وقد نشرتها دار هومة في الجزائر العاصمة، 2011م. في 318 صفحة. بتقديم كل من الأستاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله رحمه الله والأستاذ الشيخ محمد الصالح الصديق.

الجهود الوطنية للجمعية ودورها في الثورة

أثير الكثير من الجدل والنقاش حول إسهام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ثورة أول نوفمبر التحريرية. وقد حاول البعض تشويه صورة الجمعية من خلال هذه القضية، بادعاء تأخرها عن المشاركة في الثورة، ولأجل دفع هذه الفرية وإثبات الإسهام الفاعل للجمعية في الثورة قبل اندلاعها وبعدها، كتب عدد من الباحثين رسائل جامعية في الموضوع. منها:

من أعلام الجزائر المعاصرين

الطبيب والأديب والمفكر الجزائري الدكتور أحمد عروة

مولده ونشأته :

ولد أحمد عروة في بلدة مودكال القريبة من مدينة بركة في ولاية باتنة، يوم الثلاثاء 29 شوال 1344 هـ الموافق 11 ماي 1926 م. وكان الابن البكر لأبيه الشيخ محمد صديق، الذي رزقه الله في الجملة بعشرة من الولد: أربع بنات وستة أبناء. حفظ أحمد القرآن الكريم وهو صغير على يد الشيخ بلمحفوظي. كما تعلم مبادئ الإسلام وقواعد اللغة العربية على يد أبيه، الذي كان من خريجي جامعة الزيتونة بتونس. وهكذا نشأ أحمد عروة في بيت علم ودين، وعاش طفولته الأولى في بيئة يغلب عليها الطابع التقليدي المحافظ.

في سن السابعة، تم تعيين الشيخ محمد صديق معلما في المدرسة الحرة بمدينة القليعة غرب الجزائر العاصمة. فانتقل إليها مصطحبا معه أسرته. في هذه المدينة الصغيرة، تلقى أحمد عروة دروس المرحلة الابتدائية، ثم المرحلة التكميلية، حتى حصوله على شهادة الأهلية.

انتقل بعد ذلك إلى الجزائر العاصمة، أين سجل في ثانوية بيجو (الأمير عبد القادر حاليا).

في العاصمة، وأثناء دراسته الثانوية، فتحت وعيه السياسي. حيث انخرط في النضال ضمن صفوف حزب الشعب الجزائري. أين تعرف على بعض كبار الإطارات المستقبلية للحركة الوطنية والثورة التحريرية: محمد بلوزداد، أحمد بودة، امحمد بوسفي، أحمد محساس. خضر رباح، وكثيرين آخرين. وكانت تربطه علاقة خاصة مع محمد بلوزداد.

بعد أحداث ماي 1945، وجد أحمد عروة نفسه محل بحث من قبل السلطات الاستعمارية، وهو ما جعله يختفي عن الأنظار ويترك العاصمة، حيث انقطع عن دراسته ولجأ إلى مسقط رأسه مودكال. وبقي هناك إلى غاية مارس 1946، بعد التصويت في المجلس الوطني الفرنسي على قانون العفو العام المتعلق بأحداث قالة وسطيف.

كما اشترك سنة 1946 في تأسيس مجموعة كنفية تحت لواء الكشافاة الإسلامية الجزائرية باسم (فوج الأمير خالد). متعاوناً في ذلك مع مجموعة من رفاقه من مناضلي الحزب.

حاول أحمد بعد ذلك أن يواصل دراسته في ثانوية بيجو. لكن طلبه ووجهه بالرفض القاطع، حينئذ قرر والده أن يرسله إلى فرنسا لمواصلة دراسته هناك، متحملاً في ذلك تكاليف باهظة ومشقة مادية كبيرة وهو الموظف المتواضع.

غادر أحمد الجزائر إلى فرنسا، حيث استقر في (أورليون). أين تمكن من الحصول على شهادة البكالوريا خلال السنة الدراسية 1947-1948، ليعود إلى الجزائر في نهاية السنة.

دراسته للعلوم الطبية :

اختار أحمد عروة أن يدرس الطب في الجامعة، ولذلك عاد إلى فرنسا في شهر أكتوبر 1948، حيث التحق بجامعة (مونتبليي). وسجل أولاً في كلية العلوم حيث درس فيها مواد: الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا، والتي كان من الضروري خصيلها والنجاح فيها قبل التمكن من دراسة العلوم الطبية. وبعد أن تمكن من اجتياز هذه العقبة، تم قبول تسجيله في كلية الطب، حيث شرع في دراسة العلوم الطبية بداية من نوفمبر 1949 م.

أبدى حرصاً كبيراً على التحصيل العلمي، فكان دائم الحضور مبكراً ليتمكن من الجلوس في الصف الأول، ويكون قريباً من أساتذته. وقد ظل يدرس في هذه الجامعة حتى أنهى دراسته للعلوم الطبية في شهر جوان 1954، ليعود بعد ذلك إلى الجزائر أين دخل في تريض تكويني في مستشفى البلدية. وفي شهر ديسمبر من سنة 1955 رجع إلى (مونتبليي) لمناقشة أطروحته. جدير بالذكر أنه - أثناء دراسته الجامعية - نشط بصفته عضواً في جمعية الطلبة المسلمين في فرنسا، ثم انتخب رئيساً لها (1952 - 1953).

عودته إلى الجزائر ونشاطه الوطني :

إنه حصوله على دكتوراه العلوم الطبية سنة 1955، عاد ليستقر في الجزائر العاصمة، أين فتح عيادة طبية في حي بلكور الشعبي. وسرعان ما انضم إلى المنظمة المدنية لجهة التحرير الوطني ضمن القسم الصحي.

في نهاية شهر فبراير 1957، تم توقيفه من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي بعد معركة الجزائر الشهيرة، وتم الزج به في عدة معتقلات، منها معتقل بوسوي. ولم يتم إطلاق سراحه إلا بعد سنتين. في هذا المعتقل التقى بعدد من المثقفين والأدباء الجزائريين ومنهم الشاعر والعالم الشيخ أحمد سحنون رحمه الله.

بعد إطلاق سراحه، واصل أحمد عروة نشاطه المهني والوطني، وكان مما قام به من أعمال نضالية وطنية مداواة عدد كبير من أصيبوا بجراح خلال مظاهرات 11 ديسمبر 1960 التاريخية، التي انطلقت قريباً من عيادته الطبية.

أعماله بعد الاستقلال :

بعد الاستقلال، زاول مهنته كطبيب في عيادته الخاصة، إضافة إلى إلقاء محاضرات في كلية الطب بجامعة الجزائر. كما واصل نضاله في صفوف حزب جبهة التحرير الوطني، وشارك في نشاط الأمانة الوطنية لقدماء المعتقلين، وانتخب عضواً في المجلس الشعبي الولائي لولاية الجزائر. كما كان عضواً في اتحاد الكتاب

في ختام السنة الدراسية

1990-1991، أنهيت

المرحلة الأولى من دراستي

الجامعية بالحصول على

الليسانس في العلوم

الإسلامية، ضمن طلاب

أول دفعة تتخرج من معهد

الشريعة في باتنة، والذي

كان حينئذ تابعاً لجامعة

الأمير عبد القادر للعلوم

الإسلامية بقسنطينة. وقد

رأت إدارة المعهد - التي كان

على رأسها أستاذنا الشيخ

الدكتور الطاهر حليس

رحمه الله - أن تنظم حفلاً

لتكريم أوائل الدفعة،

ودعت لحضوره مدير جامعة

الأمير عبد القادر في تلك

الفترة الأستاذ الدكتور

أحمد عروة رحمه الله،

والذي لبى الدعوة وحضر

الحفل رغم ما كان يعانيه

من مرض، وكان من حسن

حظي أن أحظى بالتسليم

عليه وتسلم جازتي من

يده.. هذا العالم المتعدد

المواهب، الذي لفتت

انتباهي - في ذلك الحفل

- كلماته النابضة بالحياة

- مع تهديد صوته بسبب

المرض - لم يحظ بالاهتمام

من قبل الباحثين والدارسين

الجزائريين، على الرغم

مما قدمه من إنتاج علمي

وفكري وأدبي متميز.

ويأتي هذا المقال كمحاولة

للتعريف به ولفت الأنظار

إلى سيرته وتراثه.

الجزائريين.

في عام 1971 قرر الالتحاق بالموظف العمومي، حيث تم تعيينه في المعهد الوطني للصحة العمومية، ليواصل أبحاثه ودراساته الطبية، ضمن تخصص حساس هو «الطب الاجتماعي».

في سنة 1979 أسهم مع البروفيسور سعيد شيبان في تأسيس الجمعية الجزائرية لتاريخ الطب. وفي سنة 1981 حصل على درجة الأستاذية في العلوم الطبية.

عين رئيساً لمصلحة صحة البيئة، ثم مستشاراً بوزارة الصحة.

وفي سنة 1989، عين مديراً لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، وهو المنصب الذي كرس للقيام بحقه كل وقته وذكائه وطاقته وتفانيه، حتى وفاته في يوم الخميس 24 شعبان 1412 هـ، الموافق 27 فبراير 1992 م.



شخصية متعددة الجوانب :

اجتمعت في شخصية أحمد عروة ثلاثة جوانب: شخصية الطبيب، وشخصية الأديب، وشخصية الفكر الإسلامي.

1- **الطب:** وهو المجال الأول الذي عمل فيه أحمد عروة، وكتب العديد من المؤلفات والأبحاث، وكان اهتمامه الأكبر في هذا المجال متوجهاً إلى التحقيقات الاجتماعية والوبائية في الميدان، والمشاركة في المنتديات الوطنية والدولية، ونشر المقالات التي عالج فيها عدداً من المشكلات البيئية. وقد ركز في دراسته الطبية على جهود الطبيب والفيلسوف العربي أبي علي ابن سينا صاحب الكتاب الرائد (القانون في الطب)، حيث كانت رسالته للحصول على الأستاذية عن (النظافة والطب الوقائي عند ابن سينا).

2- **الأدب:** بدأت الجيول الأدبية تظهر عند أحمد عروة منذ صغره، وقد تفجرت موهبته الأدبية شعراً بعد تعرضه للاعتقال وما لقيه من معاناة في المعسكرات التي تنقل بينها، وخاصة معتقل بوسوي.

كتب عروة الشعر بكل من الفرنسية والعربية، فقد كتب قصيدة في ذكرى محمد بلوزداد، كما كتب نشيداً للاخاد العام للعمال الجزائريين بعنوان «نشيد العمال»، وكتب كذلك «نشيد الثوار» و«نشيد الشباب»، وكتب أيضاً ديواناً صغيراً بالعربية بعنوان «ذكرى وبشرى».

وبعد الاستقلال مباشرة كتب رواية نشرها سنة 1962 بعنوان «حين تشرق الشمس»، وهي عبارة عن قصة عاطفية عبر فيها المؤلف عن إيمانه بمستقبل الجزائر المشرق.

3- **الفكر الإسلامي:** ما اهتم به أحمد عروة، إلى جانب اهتمامه بالطب والأدب، قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ومن أهم مؤلفاته في هذا المجال كتابه الشهير «الإسلام في مفترق الطرق» الذي ألفه بالفرنسية وقام بترجمته إلى العربية الفكر والفيلسوف المصري الدكتور عثمان أمين. كما اهتم بقضية الديمقراطية وعلاقتها بالإسلام، وعالج قضية تحديد النسل في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية، دون أن ينسى أن يتناول بالدراسة علاقة الإسلام بالعلم، وغيرها من القضايا الفكرية التي أولاها عنايته واهتمامه وعالجها في ضوء الإسلام.

مؤلفاته :

ترك أحمد عروة تراثاً فكرياً مهماً ومتميزاً، أكثره مكتوب باللغة الفرنسية، ولم يترجم منه إلا القليل، وهما كتابا: «الإسلام في مفترق الطرق» و«العلم والدين مناهج ومفاهيم»، إضافة إلى بعض الأبحاث، ومنها بحث في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بعنوان مستمد من آية قرآنية: «أفرأيتم النار التي تورون». وقد توزعت مؤلفاته على المجالات العلمية والفكرية التي استأثرت باهتمامه، وهي: الطب والأدب والفكر الإسلامي.

ففي الطب، ترك المؤلفات التالية: - الصحة البيئية - الإنسان وبيئته - الصحة والمحيط - النظافة والطب الوقائي عند ابن سينا.

وفي الأدب، له: - عندما تشرق الشمس (رواية) - محمد بلوزداد (نشيد) - نشيد العمال - نشيد الشباب النائر - وعدة دواوين بالفرنسية: أزهار العقول - مثل أزهار الصبار - بانوراما - الأزمنة

المعاصرة - من وراء القضبان - ذكرى وبشرى (بالعربية).

وفي الفكر الإسلامي، كتب عدة مؤلفات، هي: - الإسلام في مفترق الطرق 1969 - الإسلام والعلم 1982 - العلم والدين مناهج ومفاهيم 1987 - الإسلام والديمقراطية 1990 - الإسلام والجنس 1990 - ما هو الإسلام؟ - الإسلام وتحديد النسل 1986 - أفرأيتم النار التي تورون ط2، 2006 - خديبات علمية وآفاق اجتماعية للتقدم العلمي والتكنولوجي (مخطوط).

وله عدة بحوث شارك بها في مؤتمرات طبية عربية وعلمية منها: «فيزيولوجيا التنفس عند ابن سينا»، «الصحة الاجتماعية في أفقها الإسلامية»، «نظرية الوقاية عند ابن سينا وأفاقها الجديدة»، «آفاق إسلامية لفلسفة وسياسة الصحة»، «للمناهج العلمية لمعرفة خصائص الأدوية عند ابن سينا»، «آفاق تعليم العلوم الطبية باللغة العربية»، «الطب الإسلامي وأفاقه». إضافة إلى أبحاث فكرية إسلامية كثيرة قدمت في المنتديات الوطنية والدولية، منها: «آفاق إسلامية لفلسفة العلوم الإنسانية»، «الفكر السياسي في العالم الإسلامي.. مآثبات وعلامات»، «الأمّة الإسلامية بين الاعتصام والانفصام»، «النموذج الغربي للأسرة»، «المسلمون في أوروبا بين الأخذ والعطاء».

كتاب «الإسلام في مفترق الطرق» :

بعد هذا الكتاب أشهر مؤلفات الدكتور أحمد عروة رحمه الله، وقد صدر لأول مرة باللغة الفرنسية عن المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر بالجزائر سنة 1969، وصدرت ترجمته العربية التي أعدها الدكتور عثمان أمين عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1975.

تدور فكرة الكتاب حول كيفية النهوض بالعالم الإسلامي لإخراجه من دائرة التخلف والتبعية التي يعيشها، حيث يعتقد المؤلف أن الحل لا يكمن في الانتماء إلى أحد المذاهب المتنازعين على زعامة العالم وهما المذهب الرأسمالي والمذهب الاشتراكي، وإنما ينحصر في إحياء الإسلام بما يتميز به من تجدد وديناميكية وقوة، وذلك لا يتأتى إلا بإحياء المفاهيم الإسلامية الصحيحة وإعادة عرضها للأجيال الصاعدة بأسلوب جديد، بحيث يثير فيها حوافز النهوض والتقدم.

وإحياء الإسلام - في نظر المؤلف - «لا يمكن أن يتم إلا بصورة شاملة، أي في وحدة تجمع بين جانبيه المختلفين: الفلسفي والعملي»، ويرى المؤلف أن الخطوط الأساسية لتحقيق هذا الإحياء، تتمثل في عدة عناصر:

أولها: التركيز على الإيمان بالله عز وجل ومعرفته، وهي القضية التي تورد عليها كل من العقل والنقل، فالتجربة الإنسانية على امتداد آلاف السنين، ووعي الإنسان لوجوده واكتشافه الدائم للكون والنظام الحكم الذي تتم فيه حركات الطبيعة وتحولاتها، وكذا الوحي الرباني الذي جاء ليعلم العقل ما لم يتمكن من معرفته عن الله وليخلصه من الاعتقادات الخالصة والمشوهة، كل ذلك يجعل قضية الإيمان بالله عز وجل وما ينشأ عنها من عزة وقوة أساس كل نهضة أو تقدم في العالم الإسلامي.

والعنصر الثاني، يتمثل في الواقعية الإسلامية المتجسدة في بعث وحدة المادة والروح، حيث إن الإسلام يرسخ هذه الوحدة في عدة محاور: وحدانية الله ووحدة الخلق، وحدة البدن والروح، وحدة العلم والإيمان، وحدة الدنيوي والأخروي.

وثالث العناصر: هو بعث رسالة الإسلام الأخلاقية، التي تربي الإنسان على الالتزام بأداء واجباته تجاه نفسه، ونحو المجتمع، ونحو الله عز وجل.

أما العنصر الرابع، فيتمثل في معالجة المشكلات السياسية للعالم الإسلامي في ضوء المفاهيم والقيم الإسلامية، وهذه المشكلات هي: القومية، اللغة العربية، الدولة، ويعتد المؤلف المجالات التي ينبغي أن يتم فيها التحول الإيديولوجي للمجتمع الإسلامي، وهي: مجال العمل النظري، مجال تثبيت المذهب، مجال التصور والتجمع ونشر الدعوة، مجال تحقيق الوحدة الإسلامية.

وأما العنصر الخامس فهو تحقيق التنمية الاقتصادية من خلال المفاهيم الإسلامية بعيداً عن تأثير كل من الرأسمالية والاشتراكية، وسعياً نحو تحقيق العدالة الاجتماعية في النطاق الأخلاقي ونطاق النظم والنطاق العملي.

وينتهي المؤلف في آخر الكتاب إلى بيان شروط النهضة الإسلامية، ويحدها في: بعث التاريخ أو إعادة استكشافه - تجديد الذات بدلاً من الاتّقاء في أحضان الغرب - مجاوزة المذاهب القائمة بتعزيز مركز الإسلام على الصعيد الدولي باعتباره حكماً وعاملاً سلام عالمي.

ويؤكد المؤلف في الختام أن «أي تغيير ثوري لن يكتسب له النجاح في العالم الإسلامي إذا لم يتم في الإطار المميز لرسالته الروحية والتاريخية»، كما يؤكد «أننا اليوم في حاجة إلى تعبئة حقيقية لجميع الطاقات الحيوية المحبوبة في بلادنا، ولكن هذه التعبئة لا يمكن أن تتم بغير الوضوح والحماس والإيمان، أي بغير الإرادة العامة الصادقة المتجهة إلى البناء والإنشاء».

تلك خلاصة مركزة عن محتوى كتاب «الإسلام في مفترق الطرق»، وهي لا تغني عن قراءته كله من أوله إلى آخره.

رحم الله الأستاذ الدكتور أحمد عروة وأسكنه فسيح جناته.

الشيخ إبراهيم في البحوث الجامعية والمؤلفات الفكرية



أ.د. مسعود فلوسي

حظي الإمام العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وأثارة الفكرية والأدبية والعملية باهتمام واسع من قبل الباحثين والكتاب والمؤلفين، الذين ماقتنوا منذ وفاته -رحمه الله- قبل تسع وأربعين سنة -يدرسون الجوانب المختلفة لشخصيته العلمية والأدبية والفكرية، ويدرجون المقالات الصحفية والبحوث العلمية والكتب الفكرية والرسائل الجامعية المبرزة لهذه الجوانب؛ عرضاً وتحليلاً واستلهاماً، شأنه في ذلك شأن أخيه وشقيق روحه ورفيق دربه الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس -رحمه الله-، وقد ظهرت العديد من الدراسات الجامعية والمؤلفات الفكرية التي كتبت عن الإبراهيمي وتناولت بالدراسة والتحليل موضوعات وقضايا مختلفة، أسهم في كتابتها وتأليفها كتاب وباحثون جزائريون وعرب، نعرض عناوين بعض منها في هذا المقال الذي يأتي بمناسبة ذكرى مرور تسعة وأربعين عاماً على وفاة الإمام -رحمه الله-.

مسيرة الحياة

عاش الإبراهيمي حياة طويلة نسبياً امتدت على مدى ستة وسبعين عاماً، وكانت حافلة بالأحداث والمواقف والتقلبات، والأسفار والرحلات، والجهود الكبيرة والأعمال الجليلة، ولذلك عني عدد من الباحثين والمؤلفين باستعراض مسيرة حياة الإبراهيمي والراحل التي مر بها والأحداث التي عاصرها والمواقف التي وقفها من هذه الأحداث، والجهود التي بذلها في خدمة دينه ولغته ووطنه، ومن هذه الأعمال، بحسب ترتيب ظهورها الزمني:

- 1- «الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي في ذكره الأولي»، جمع وتقديم: محمد الطاهر فضلاء، مطبعة البعث، قسنطينة، ط1، 1967م، 225ص.
- 2- «البشير الإبراهيمي: عظيم من الجزائر»، عادل نويهض (البنان)، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط1، 1406هـ، 1986م، 143ص.
- 3- «محمد البشير الإبراهيمي شيخ العلماء وفارس البيان»، بشير كاشة الفرحي، دار الأفاق، الجزائر، 2004م، 110ص.
- 4- «ذكراتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي»، باعزیز بن عمر، منشورات الحبر، الجزائر، 2006م، 142ص.
- 5- «الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وقضايا عصره 1889-1965م/1306-1382هـ»، رسالة ماجستير بالمدسة العليا للأساتذة في بوزريعة بالجزائر، إعداد: سعيدة بن حامد، إشراف: شاوش حباسي، 2006م، 196ص.
- 6- «قبيسات من شخصية الإمام محمد البشير الإبراهيمي»، توفيق جمعات، منشورات الحياة للصحافة، الجلفة، ط1، 2010م، 297ص.
- 7- «محمد البشير الإبراهيمي في المشرق العربي (1911-1920 / 1952-1962)»، رسالة ماجستير في قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، إعداد: سعيدة صدوق، إشراف: شرف الدين أحمد رضوان، 2010-2011، 240ص.
- 8- «الشيخ البشير الإبراهيمي: إمام في مدرسة الأئمة»، محمد عمارة (مصر)، دار السلام، القاهرة، ط1، 2011م، 90ص.

اللغة والأدب

هذا، ولعل الجانب الأبرز الذي تبارت الأقلام في إبرازه من جوانب شخصية الإبراهيمي، هو الجانب اللغوي

والأدبي الذي ضرب فيه الإمام بقسط وافر وسبق فيه سبقاً بعيداً، فالرجل قد أوتي استبحاراً منقطع النظير في اللغة العربية وعلومها وفنونها وأدبها، وحفظ عشرات الآلاف من نصوصها شعراً ونثراً، وبلغ في الفصاحة والبيان مبلغاً طمحت للوصول إليه قلوب كبار الأدباء واللغويين في هذا العصر، وكان الإبراهيمي حينما حلّ وفي أي مجلس نزل وفي أي مقام وقف يبهز القلوب بسحر بيانه وجودة كلامه وروعة خطابه، ولذلك، ما إن توفي حتى انتبه الدارسون والمؤلفون إلى أهمية دراسة هذا الجانب من شخصيته، وإبراز خصائصه التي تميز بها عن غيره.

- ومن الرسائل الجامعية والكتب التي أعدت حول هذا الموضوع:
- 9- «نثر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929 إلى 1939م»، أطروحة ماجستير، معهد الآداب والثقافة العربية بجامعة قسنطينة، إعداد: محمد العيد تاويزة، إشراف: شكري محمد عباد، 1979-1980، جزءان: 720ص.
 - 10- «البشير الإبراهيمي أديبا»، رسالة ماجستير، كلية الآداب بجامعة بغداد، إعداد: محمد عباس، 1983م، وقد ظهرت هذه الرسالة في كتاب صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية في الجزائر سنة 1987م.
 - 11- «البشير الإبراهيمي واللغة العربية»، رسالة



ماجستير، كلية الآداب بجامعة دمشق، إعداد: محمد مهدي، 1987م، 233ص. وقد أخرج المؤلف هذه الرسالة في كتاب بعنوان «الشيخ البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه»، صدر عن دار الفكر بدمشق في طبعته الأولى 1408هـ، 1988م، 280ص.

- 12- «بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي: دراسة وصفية تحليلية فنية»، عبد الحميد بوزينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م، 161ص.
- 13- «فن المقال عند محمد البشير الإبراهيمي»، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة عين شمس، القاهرة، إعداد: عقيلة صخري، إشراف: زاهر عبد الهادي، 1990، 478ص.
- 14- «القيم الإنسانية والجمالية في النص الأدبي الحديث: (عيون البصائر) نموذجاً»، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، معهد اللغة والأدب العربي، إعداد: حسن خليفة، إشراف: مختار بولعراوي، 1996م، 265ص.
- 15- «الجملة الطلبية في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي: دراسة نحوية دلالية»، رسالة ماجستير بجامعة قسنطينة، إعداد: عينة قرفي، إشراف سامي عبد الله الكتاني، 2005م، 216ص.
- 16- «فلسطين في أدب الإبراهيمي: دراسة تحليلية فنية»، مذكرة ماجستير بجامعة قسنطينة، إعداد: السعيد بوبقار، إشراف: حسن كاتب، 2008م، 312ص.
- 17- «النثر الفني عند البشير الإبراهيمي»، عبد الملك بومنجل، بيت الحكمة، العلة (سطيف)، ط1، 2009م، 128ص.
- 18- «الأساليب اللغوية والبلاغية في (عيون

البصائر) للشيخ محمد البشير الإبراهيمي»، رسالة دكتوراه بقسم اللغة العربية، جامعة الجزائر2، إعداد: السعيد حمودي، إشراف: بلقاسم ليبارير، تاريخ المناقشة: 1 مارس 2011، 363ص.

19- «استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة لمحمد البشير الإبراهيمي»، إبراهيم براهيم، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة - الجزائر، ط1، 2013م.

الإصلاح والدعوة والتربية

لقد فرضت الظروف التي عاشها الإمام الإبراهيمي أن يهتم بجانب آخر غير اللغة والأدب: ألا وهو جانب الإصلاح والدعوة والتربية، حيث إن الواقع الجزائري في النصف الأول من القرن العشرين كان يتميز بانحطاط حياة الجزائريين في كافة المستويات، خاصة من ناحية الوعي بالذات والواقع، وهو ما استدعى أن ينهض الإمام الإبراهيمي رفقة عدد من إخوانه العلماء لتغيير هذا الوضع وإصلاح أحوال البلاد والعباد، وقد وظفوا مختلف وسائل الدعوة والتربية والتغيير التي من شأنها أن توصل إلى الغاية التي نهضوا لأجلها والهدف الذي عملوا على تحقيقه.

وقد كتبت عدة دراسات ومؤلفات عن فكر الإبراهيمي وجهوده الإصلاحية والدعوة والتربية، منها:

- 20- «الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي»، رسالة دكتوراه دولة بمعهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، إعداد: محمد زمران، إشراف: العربي دحو، تاريخ المناقشة: 7 نوفمبر 1995، 600ص.

21- «محمد البشير الإبراهيمي وفكره الإصلاحية (1889-1965م)»، رسالة ماجستير في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، عمان، إعداد: حمدي أحمد عبد القادر عضيبات (الأردن)، إشراف: عبد المجيد الشناق، 1997، 145ص.

22- «فلسفة التجديد الإسلامي: نموذج الشيخ محمد البشير الإبراهيمي»، محمد زمران، دار الصحوة، القاهرة، ط1، 1419هـ، 1999م، 192ص. صدرت منه طبعة جديدة في دار الأعلام بالأردن، بعنوان «فلسفة التجديد الإسلامي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نموذجاً»، 2014م.

23- «بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي: قراءة في ظل البنية والتغيير»، عمر بوقفورة، دار الهدى، عين مليلة، ط1، 2004م، 112ص.

24- «الدور الإصلاحي والنشاط السياسي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي على نهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931-1944)»، إبراهيم مهديد، دار قرطبة، الجزائر، 2006م، 142ص.

25- «التجديد عند البشير الإبراهيمي منهجه ومضامينه»، مذكرة ماجستير، كلية الشريعة وأصول الدين والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2007-2008، إعداد: إبراهيم بريك، إشراف: محمد زمران، 278ص.

26- «مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي»، يوسف الفرضاوي، المكتب الإسلامي ببيروت ودار الوعي بالجزائر، ط1، 1428هـ، 2007م، 110ص.

27- «الفكر التربوي عند محمد إقبال ومحمد البشير الإبراهيمي: دراسة مقارنة»، رسالة دكتوراه بقسم علم النفس، جامعة الجزائر2، إعداد: مرزاق بيبي، إشراف: مسعود عباد، 2007م، 371ص.

28- «الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي»، مذكرة ماجستير بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، إعداد: شهرة شفري، إشراف: محمد زمران، 2008-2009، 266ص.

المواقف الوطنية والسياسية

إن عمل الإبراهيمي ونشاطه في المجال الإصلاحي والتربوي والدعوي، لم يشغله عن الاهتمام بواقع الجزائريين في الميادين المختلفة وواقع العرب والمسلمين عامة، خاصة في الميدان السياسي، وقد وقعت وقائع وحدثت أحداث استدعت أن يقف منها الإبراهيمي مواقف خاصة، جهر فيها برأيه وأبان فيها عن الحقيقة كما هي في الواقع، وخاصة فيما يتعلق بفضح دسائس الاستعمار وكشف أساليبه ومكائده التي كان يسعى بها إلى إبقاء الأيدي في الجزائر وسائر البلاد التي كان يحتلها ويسيطر عليها ويستأثر بخيرات ثرواتها.

ومن الدراسات التي عالجت هذا الجانب من حياة الإبراهيمي وشخصيته:

- 29- «الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما عند الكواكبي والإبراهيمي»، أسعد السحمراني (لبنان)، دار النفائس، بيروت، ط2، 1407هـ، 1987م، 148ص.
- 30- «الخطاب السياسي في الجزائر بين سنتي 1940-1954: الشيخ الإبراهيمي نموذجاً»، رسالة في قسم الثقافة الشعبية بجامعة تلمسان، إعداد: عبد الكريم كسوم، إشراف: محمد نور، 1998-1997.

31- «معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي»، محمد زمران، جامعة باتنة، الجزائر، ط1، 1419هـ، 1998م، 237ص.

32- «الشيخ البشير الإبراهيمي ودوره في القضية الوطنية (1920-1965م)»، رسالة ماجستير بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة، إعداد: بشير فايد، إشراف: عبد الكريم بوالصفصاف، 1421هـ، 2000م.

33- «إشكالية الهوية في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: محمد البشير الإبراهيمي»، إعداد: شهيدة لعموري، إشراف: إسماعيل زروخي، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، 2007م، 171ص.

34- «الإبراهيمي ونضال الكلمة»، محمد زمران (الجزائر)، دار الأعلام، الأردن، ط1، 1431هـ، 2010م، 128ص.

35- «قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان: دراسة تاريخية وفكرية مقارنة»، إعداد: بشير فايد، إشراف: عبد الكريم بوالصفصاف، أطروحة دكتوراه علوم بجامعة قسنطينة، 2010م، 711ص.

36- «الإمام محمد البشير الإبراهيمي داعية الوحدة العربية»، بشير فايد (الجزائر)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1434هـ، 2013م، 32ص.

أعمال جماعية

إلى جانب الدراسات الجامعية والمؤلفات الفكرية التي ذكرناها فيما سبق، صدرت عن الإمام الإبراهيمي عدة أعمال جماعية، تعاون على إعداد كل واحد منها عدد من الكتاب والباحثين، نذكر منها:

37- عدد خاص من مجلة «الثقافة»، الجزائر، السنة الخامسة عشرة، العدد: 87، شعبان، رمضان 1405هـ/

مايو، يونيو 1985م، وقد جاء عددا حافلا بالمقالات الفكرية والأدبية التي تحدثت عن الإمام الإبراهيمي، والمسطرة بأقلام عدد من تلاميذه وعارفيه من الجزائريين وغيرهم، نذكر منهم: عبد المجيد مزبان، عبد الرحمن شيبان، محمد الغزالي، محمد حافظ الجمالي، شكري فيصل، إبراهيم السامرائي... وقد أعادت دار الأمة في الجزائر تصوير هذا العدد وإصداره في كتاب يحمل عنوان «الشيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه»، ط2، 2007م، 456ص. ويعتبر هذا الكتاب أو هذا العدد من مجلة «الثقافة» وثيقة تاريخية مهمة، لأنها تتضمن شهادات حية لعلماء وأدباء ومفكرين عابثوا الإمام عن قرب وسمعوا منه ونهلوا من معينه.

38- ملف شامل عن الإمام الإبراهيمي في العدد الرابع من مجلة «المواقف»، جوان 1995م، هذه المجلة التي كانت تصدر عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين في الخروبة بالجزائر العاصمة، تحت إشراف مدير المعهد حينئذ الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم، وهو ملف زاخر بالبحوث والدراسات التي أعدها نخبة من الباحثين الجزائريين من مختلف جامعات الوطن، حيث تناول كل واحد منهم، بالدراسة والتحليل والعرض، جانباً من جوانب حياة الإمام الإبراهيمي وفكره وجهوده.

39- «الشيخ محمد البشير الإبراهيمي العلامة المصلح والداعية الأديب»، كتاب جماعي أصدرته جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، بمناسبة تخرج الدفعة الثانية والعشرين من طلابها، رجب 1430هـ، جويلية 2009م، 434ص. وقد تضمن هذا الكتاب كذلك بحوثاً ومقالات عن الجوانب المختلفة من حياة الإمام الإبراهيمي وشخصيته العلمية والفكرية والأدبية، كتبها عدد من أساتذة جامعة الأمير عبد القادر وغيرهم من أساتذة الجامعات الجزائرية، وقد أسهمت في هذا الكتاب بحث عنوانه «لحات من الفكر الفقهي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي».

40- عدد خاص من مجلة «الوعي»، وهو العدد الثاني من هذه المجلة التي كانت تصدر عن دار الوعي بالجزائر العاصمة، ظهر هذا العدد في ذي القعدة 1431هـ، نوفمبر 2010م، وجاء في 96 صفحة من الحجم الكبير، وتضمن مقالات وبحوثاً تناولت بالدراسة مختلف إسهامات الإمام الإبراهيمي الفكرية والثقافية والأدبية والتربوية وغيرها، وقد أكرمني الله بالشاركة في هذا العدد بمقال بعنوان «مقياس الرجولة والعظمة في نظر الإمام الإبراهيمي».

هذا ما أمكنني الوقوف عليه مما كتب عن الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي -رحمه الله- من رسائل جامعية وكتب، ولا شك أن هناك غيرها مما لم أطلع عليه، وليس هذا فقط ما عندي مما كتب عن الإمام، فهناك العشرات من بحوث المجلات الأكاديمية والمقالات الصحفية، بما لا يمكننا استقصاؤه وتضمينه هذه المقالة، ولعل الله عز وجل أن يبسر لي أو لغيري إعداد ثبوت مكتبي (ببليوغرافي) شامل عن الإمام -رحمه الله- يجمع عناوين كل ما كتب عنه، وما ذلك على الله بعزيز.

المؤرخ الأستاذ إسماعيل العربي بين التحقيق والترجمة



أ.د. مسعود فلوسي*

هذا عالم جزائري معاصر تمالأ الجميع على هضم حقه وجأهل جهوده وأعماله. حتى أولئك الذين كانوا قريبين منه لم يجشموا أنفسهم - ولو مرة واحدة - عناء التعريف به وبآثاره العلمية الرائدة التي كانت تملأ المكتبات الجزائرية خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي. أثار بلغت الستين كتاباً أو أكثر. ومئات المقالات في الجرائد والمجلات ظل ينشرها منذ الأربعينيات. وهي آثار ليست بالهينة ولا بالقليلة الأهمية. وإنما هي مراجع ذات قيمة علمية عالية. استفادت منها - وما تزال تستفيد وستظل - أجيال من الطلبة والباحثين الذين لا يعرفون شيئاً عن مؤلفها سوى أن اسمه «إسماعيل العربي». ولقد بحثت عن سيرته وسألت بعض من عرفوه. إلا أنني لم أجد سوى نصف قليلة لا تكفي في معرفة تفاصيل حياته. وهذا المقال محاولة للفت الانتباه إلى هذا العالم الجزائري المجهول. المغموط الحق. والتعريف ببعض آثاره وجهوده العلمية.

موجز عن حياته

ولد إسماعيل العربي (واسمه الأصلي: محند أعراب). في بلدة بني وغيليس بمنطقة القبائل. سنة 1919م. في أسرة جزائرية بسيطة. كانت تعاني - كغيرها من الأسر الجزائرية - الحرمان وشظف العيش. تحت تسلط الاحتلال الفرنسي. ما إن بلغ سن التعلم. حتى أخفه أهله بكتاب قريته. أين تعلم القراءة والكتابة. وحفظ القرآن الكريم. وعرف مبادئ الدين وأحكامه. سَمَّيَتْ هِمَّتُهُ بعد ذلك للارتحال في طلب العلم. وذلك لما بلغه خبر دروس الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس في قسنطينة. ولذلك شد الرحال إليه. وانتظم بين طلابه وجلس بين يديه في الجامع الخضر. ينهل من علمه ويستفيد من أدبه. بعد تخرجه. ونظراً لما أظهره من نبوغ. وما حازه من مهارات. وما بدا عليه من استعداد. كلفته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. بالانتقال إلى فرنسا للدعوة والعمل في إطار الحركة الإصلاحية بين المغتربين الجزائريين والعرب. وهناك زاول نشاطه تحت إشراف الأستاذ الفضيل الورتلاني الذي كان يتولى إدارة شؤون الحركة الإصلاحية بتكليف من جمعية العلماء. ثم ما لبث أن انتقل إلى جمهورية مصر العربية. أين انتسب إلى الجامعة الأمريكية. ليدرس فيها مدة ست سنوات. ويتخرج منها حاملاً شهادة الليسانس في الآداب.

عاد بعد ذلك إلى أرض الوطن ووضع نفسه تحت تصرف جمعية العلماء. التي أوكلت إليه سنة 1946 مهمة تنظيم التعليم العربي في مدارسها. وعينه رئيساً للجنة التعليم العليا التي أُنشئت بعضويتها عدداً من زملائه القدامى أيام التلمذة على الإمام عبد الحميد بن باديس. وهم المشايخ والأساتذة: محمد الصالح رمضان. محمد الغسيري. عبد القادر الباجوري. أحمد حماني. الصادق حماني. عبد الحفيظ الجنان. علي مرحوم. العباس بن الشيخ الحسين. أحمد بن ذياب. رحمهم الله جميعاً. كما ضمته الجمعية إلى هيئة تحرير جريدتها «البصائر». فكان يكتب المقالات التربوية والسياسية.

أصدر سنة 1948 مجلة (إفريقيا الشمالية). وأخرج منها بضعة أعداد. إلا أن عقبات وقفت في طريقه منعت من الاستمرار في إصدارها. لم يبق بعد ذلك مدة طويلة في أرض الوطن. فقد هاجم المرض جسده. مما اضطره للسفر إلى فرنسا للتداوي. ولما طالت فترة العلاج استغل فرصة بقاءه هناك فسجل في جامعة الصوريون متابعاً دراساته العليا. حتى تخرج سنة 1954 بشهادة الدراسات العليا في التاريخ والاقتصاد.

انتقل إلى ليبيا. أين تولى - لمدة سنة واحدة - وظيفة مدير شؤون الصحافة في مكتب رئيس الوزراء في بنغازي. ومن ليبيا. سافر إلى لندن. أين التحق بهيئة الإذاعة البريطانية. وبعد مدة انتقل إلى هولندا. أين عمل في إذاعة هلفرسرم. لكنه ما لبث أن غادرها إلى سويسرا للعمل في منظمة الأمم المتحدة.

في أوائل السبعينيات. عمل مندوباً لوفد الكويت الدائم في الأمم المتحدة.

وبعد سنوات طويلة من الغربة. عاد إلى الجزائر. وقرر الاستقرار نهائياً في العاصمة. وتفرغ للكتابة والتأليف والنشر.

عينته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع مستشاراً لها. ومكنته من مواصلة البحث والتأليف ونشر أعماله العلمية.

وظل مشغولاً بالتأليف والتحقيق والترجمة. مشاركاً في التظاهرات العلمية والثقافية. وكتاباً في الجرائد والمجلات كالأصالة والثقافة. حتى توفاه الله في 31 مارس 1997 بالدار البيضاء في المغرب. ونقل جثمانه إلى الجزائر حيث دفن بمقبرة العالية. تلك خلاصة موجزة عن حياة ونشاط الأستاذ إسماعيل العربي رحمه الله. أما أعماله العلمية الرائدة. فنستعرضها في الفقرات التالية:

المؤرخ المتمرس

استهوى البحث في تاريخ الجزائر والمغرب الإسلامي الأستاذ إسماعيل العربي. فخصص له الكثير من جهده ووقته. وإنبرى لدراسته والتأليف فيه. منجزاً العديد من الدراسات والمؤلفات التاريخية المتعلقة بهذا الموضوع. فقد ألف عدة كتب عن الدول التي نشأت وحكمت في الجزائر والمغرب الإسلامي. وهذه المؤلفات هي:

1- «دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية». الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1980. 306ص.
2- «دولة بني زيري ملوك غرناطة». ديوان المطبوعات الجامعية. 1982. 231ص.
3- «دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفارس وقرطبة». بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1983. 334ص.
واهتم بصفة خاصة بحياة الأمير عبد القادر وجهاده ضد الاستعمار الفرنسي. مؤلفاً في ذلك عدة كتب. هي:

4- «المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر». الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1978. 324ص.
5- «العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر». ديوان المطبوعات الجامعية. 1982. 288ص.

6- «الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس الدولة وقائد الجيش». وزارة الثقافة والسياحة. 1984. 135ص.
وقد خص تاريخ الجزائر الحديث بعدة بحوث ودراسات جمعها في كتاب بعنوان:

7- «دراسات في تاريخ الجزائر الحديث». الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. د.ت.
وفي إطار الدراسات التاريخية والجغرافية. كتب عدة مؤلفات عن مدن المغرب الإسلامي وخصوصياته البيئية. منها:

8- «عواصم بني زيري: أشير - القلعة - بجاية - غرناطة - المهدية». ط2. بيروت: دار الرائد العربي. 1984. 229ص.

9- «المدن المغربية في الأدب الجغرافي العربي». المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984. 351ص.
10- «الصحراء الكبرى وشواطئها». المؤسسة الوطنية للكتاب. 1983. 415ص.

11- «معجم الحواضر الإسلامية بالأندلس». 12- «معجم الحواضر الإسلامية بالمغرب». كما اهتم كذلك بالدراسات التاريخية المتعلقة بجهود المسلمين ودورهم في الحضارة الإنسانية. حيث أصدر عدة كتب في هذا الموضوع. ومنها:

13- «تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر». المؤسسة الوطنية للكتاب. 1986.

14- «دور المسلمين في تقدم الجغرافيا الوصفية والفلكية». ديوان المطبوعات الجامعية. 1994. 421ص.

15- «معجم الجغرافيين والفلكيين العرب».

ولم ينس أن يعالج قضايا المسلمين المعاصرة وواقعهم في مختلف بلدانهم. ومن المؤلفات التي أصدرها في هذا الإطار:

16- «حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية». المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984. 399ص.

17- «الإسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية». ليبيا: دار العربية للكتاب. 1985. 468ص.

المثقف السياسي والاقتصادي

لم تشغل الأبحاث التاريخية الأستاذ إسماعيل العربي عن الاهتمام بالواقع السياسي والاقتصادي العالمي. فالرجل بمقتضى ثقافته الواسعة وتكوينه العصامي المتعدد الجوانب. وجد نفسه معنياً بالواقع الدولي الذي كانت تتقاسمه قوتان عظميان

هما المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي. وبينهما ضاعت حقوق الدول الصغيرة والمتخلفة عن ركب التقدم والحضارة. وقد انبرى لدراسة هذا الواقع وخليه ورصد القوى الفاعلة فيه. وأصدر عدة كتب تعالج قضايا متعددة على الصعيد السياسي والاقتصادي العالمي. من هذه المؤلفات:

18- «هيئة الأمم المتحدة والتنمية الاقتصادية في البلدان المتطورة». بيروت: دار الآفاق الجديدة. 1972. 343ص.

19- «التكتل والاندماج الاقتصادي بين الدول المتطورة». ط2. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1981. 259ص.

20- «التنمية الاقتصادية في الدول العربية في المشرق». ط1. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1974. 357ص. ط2. الأردن: وزارة التربية والتعليم. 1988.

21- «التنمية الاقتصادية في الدول العربية في المغرب». ط2. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1980. 293ص.

22- «التعاون الاقتصادي للتنمية في نطاق المنظمات الدولية». ديوان المطبوعات الجامعية. 1979. 413ص.

23- «حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية». المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984. 399ص.

24- «فصول في العلاقات الدولية». المؤسسة الوطنية للكتاب. 1990. 309ص.

وهي كلها مؤلفات تنم عن إحاطة واعية بالواقع السياسي والاقتصادي العالمي. وإدراك مختلف القوى التي تؤثر في هذا الواقع. ولاشك أن عمله في الأمم المتحدة واحتكاكه بسياسيين واقتصاديين من مختلف أنحاء العالم وانشغاله الدائم بهموم أمته الإسلامية. كان له الدور الأكبر في توجيهه نحو معالجة هذه القضايا والتأليف فيها.



محقق التراث

إلى جانب اشتغاله بالتأليف والبحث وكتابة المقالات. اهتم الأستاذ إسماعيل العربي بتحقيق التراث العربي. خاصة منه المتعلق بالجزائر والمغرب الإسلامي. حيث حقق عدداً من الكتب التي أخرجها مطبوعة لتنتشر بعد ذلك في المكتبات الجزائرية والعربية ويستفيد منها المؤرخون والباحثون في التاريخ الجزائري والمغاربي والإسلامي عموماً. وعلى الرغم من الانتقادات التي تعرضت لها بعض تحقيقاته. إلا أن جهوده في هذا الإطار تظل سابقة رائدة. ولا يستغني عنها مؤرخ أو باحث أو دارس. ومن التحقيقات التي أصدرها:

25- «كتاب سير الأئمة وأخبارهم». لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر. ط3. ديوان المطبوعات الجامعية. 1984. 308ص.

26- «نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد - رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس». لأحمد بن المهدي الغزال. ديوان المطبوعات الجامعية. 1984. 247ص.

27- «القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس: مقتبس من كتاب نزهة المشتاق». لأبي عبد الله الشريف الإدريسي. ديوان المطبوعات الجامعية. 1983. 358ص.

28- «رحلة الغرناطي: حُفَة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوروبا وآسيا». ط2. الدار البيضاء: المغرب: دار الآفاق الجديدة. 1993. 223ص.

29- «تاريخ بني حماد». للوزير لسان الدين بن الخطيب: مساهمة في إحياء ذكرى مرور ستة قرون

على وفاة الوزير لسان الدين بن الخطيب (775 هـ / 1335-1374م).

30- «الجغرافيا». لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي. ط1. بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر. 1970. 262ص.

31- «سير مشايخ المغرب». لأبي زكريا يحيى الوارجلاني. الجزائر: 1979.

32- «تاريخ افتتاح الأندلس». لأبي بكر ابن القوطية. المؤسسة الوطنية للكتاب. 1989. 195ص.

33- «المقتبس في تاريخ الأندلس: عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام». تأليف: حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأندلسي. ط1. الرباط: دار الآفاق الجديدة. 1990. 190ص.

34- «العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع». لأبن غانم الرياش الأندلسي.

35- «عهد الأمير عبد الله الأموي». لأبي حيان.

36- «تقويم البلدان». للملك الصالح أبي الفداء.

المترجم المبدع

لم يكتف الأستاذ إسماعيل العربي بما أجزه من أعمال كبيرة في التأليف والتحقيق. وإنما مد جهوده كذلك إلى ميدان آخر من ميادين الإبداع العلمي والفكري. ألا وهو ميدان الترجمة ونقل المعرفة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. فالرجل قد تهيأت له الظروف ليتعلم اللغات الأوروبية وخاصة منها الفرنسية والإنجليزية. حيث تفرس بهما حتى بلغ فيهما شأواً بعيداً.

وقد وقف في أثناء مطالعته للمكتب المؤلفة في هاتين اللغتين على مؤلفات هامة تتعلق بتاريخ الجزائر والغرب الإسلامي رأى ضرورة ترجمتها ليستفيد منها القراء والباحثون والمؤرخون الجزائريون والعرب. فانتخب طائفة منها وتولى ترجمتها ونقلها إلى اللغة العربية. من هذه الترجمات:

37- «العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب والولايات المتحدة (1776-1816م)». راي وإروين (من الإنجليزية). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1978. 310ص.

38- مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1981. 219ص. (من الإنجليزية)

39- مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا (من الإنجليزية). الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. 1982. 350ص.

40- مذكرات أسير الداي - كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب. جامس ليندر كاتكارت. ديوان المطبوعات الجامعية. 1982. 321ص. (من الإنجليزية)

41- قصر الحمراء في الأدب والتاريخ. واشنطنون إيرفينج. ط1. بيروت: دار الرائد العربي. 1984. 472ص. (من الإنجليزية).

42- الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادي. جوزيف رينو. بيروت: دار الحداثة. 1984. 283ص.

43- الإسلام في مجده الأول. القرن 11-8م. مورييس لومبار (من الفرنسية). المؤسسة الوطنية للكتاب. 1984. 391ص..

44- سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس. واشنطنون إرفينج. المؤسسة الوطنية للكتاب. 1988. 501ص.

45- الدراسات العربية في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي (1830-1962 م). ماسي (من الفرنسية). وزارة الثقافة. 2007م.

46- الثائرة (مسرحية). أوسكار وايلد.

ولم يكتف بالترجمة من الإنجليزية والفرنسية إلى العربية. بل ترجم أيضاً من العربية إلى غيرها. ومن ذلك ترجمته لكتاب «الجغرافيا» لأبن سعيد المغربي إلى اللغة الفرنسية.

هذه أهم الأعمال العلمية التي تركها الأستاذ إسماعيل العربي رحمه الله. وليست كلها. فهناك عناوين أخرى لم نذكرها هنا. هذه الأعمال التي كانت تزدان بها المكتبات الجزائرية - خلال السبعينيات والثمانينيات - لم تعد موجودة اليوم. ولا يمكن لباحث أن يحصل على نسخ جديدة منها. لتوقف نشرها بعد وفاة مؤلفها. وإنما نرجو أن يعاد طبعها مرة أخرى. ليستفيد منها الجيل الجديد من الطلبة والباحثين. ولتنتشر بين أيدي القراء بصفة عامة. كما نرجو أن ينبري بعض باحثينا - في إطار إعداد الرسائل الجامعية - لدراسة هذه الجهود وإبراز جوانب الإبداع والتميز فيها. ولعل في ذلك بعض الوفاء للمؤلف رحمه الله. وتعويضاً عما لحقه من غمط وجأهل ونسيان.

* جامعة باتنة

مع التراث الفكري للشيخ أحمد الرفاعي شرفي



أ.د. مسعود فلوسي *

عرفت الشيخ الدكتور أحمد الرفاعي شرفي -رحمه الله- عندما كان يأتي إلى مدينة باتنة في الثمانينيات من القرن الماضي. ويلقي دروساً ومحاضرات ويشارك في ندوات في مساجد المدينة. وقد لفت انتباهي تميز تدخلاته بالنظرات الثاقبة والتحليل العميق لواقع الأمة عامة وواقع المجتمع الجزائري بصفة خاصة. وقد قرأت في تلك الفترة بعض أعماله المطبوعة. وكانت عبارة عن جمع وتحقيق لبعض الرسائل والمقالات. مثل «رسالة المسترشدين» للإمام الحارث بن أسد المجاسبي، و«بدعة الطرائق في الإسلام» للشيخ العربي التبسي. وفي نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات. كنت أتابع بعض ما يكتبه في عدد من الجرائد الإسلامية التي كانت تصدر في تلك الفترة. وكانت مقالاته حذر من المخاطر التي يمكن أن تقع فيها البلاد جراء الأزمة التي دخلت فيها حينئذ. ولا تزال ترد إلى خاطري جملة قالها في إحدى الحوارات التي أجريت معه. وهي قوله: (ديمقراطية الحكم شكلية. والمرشح لورايتها هو المال والسلطان. وليس العلم والأخلاق). وقد حققت هذه المقولة بكل تفاصيلها في واقع المجتمع الجزائري. كما هو مشاهد.

تراث تميز

منذ منتصف التسعينيات تقريباً. انكفأ الشيخ أحمد الرفاعي شرفي على نفسه. وابتعد عن الأضواء. ولم يعد يشارك في التظاهرات الفكرية والعلمية. كما لم يعد يكتب في الجرائد والمجلات. حتى نسيه الكثيرون. وظنوا أن الرجل فارق الحياة منذ زمن بعيد. لكن الحقيقة أن هذه العزلة التي فرضها الشيخ على نفسه. أو فرضت نفسها عليه. بفعل الأحداث التي عاشتها البلاد. وقناعته أن صوت الفكر والعقل لم يعد مسموعاً. هذه العزلة كان لها فائدتها وثمراتها. فقد جعلت الشيخ يتفرغ للكتابة والتأليف والإبداع الفكري. وهبات له فرصة للتأمل والتفكير العميق في حال الأمة العربية المسلمة. وفي حال الجزائر بصفة خاصة.

وقد أثمرت هذه العزلة عدداً من المؤلفات والأعمال الفكرية المتميزة التي صدرت للشيخ في السنوات الأخيرة عن دار الهدى في عين مليلة وبعض دور النشر الأخرى. وهي مؤلفات رائدة في مجالاتها. إذ هي. وإن كانت في موضوعات مطروقة. إلا أن الشيخ كتبها بأسلوب متفرد. وجاء فيها بنظرات عميقة ولفترات دقيقة لا نفق عليها في غيرها من المؤلفات التي تشترك معها في موضوعاتها.

رسالة عن «الشعر الوطني الجزائري»

أول ما ألف الشيخ أحمد الرفاعي شرفي -رحمه الله-. كانت رسالته التي نال بها شهادة دكتوراه الدرجة الثالثة من جامعة الجزائر سنة 1979. بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الله ركبسي -رحمه الله-. وكانت عن «الشعر الوطني الجزائري من سنة 1925 إلى سنة 1954». وقد خرجت هذه الرسالة مطبوعة سنة 2010 عن دار الهدى بعين مليلة في 318 صفحة.

في مقدمة البحث يذكر المؤلف أن ما دعاه إلى اختيار (الشعر الوطني الجزائري) موضوعاً للدراسة: ما لمسه من اهتمام الشعراء الجزائريين بالأوضاع الوطنية. وعنايتهم بها دون سواها. بما في ذلك إهمال التعبير عن مشاعرهم وحياتهم الخاصة. وكان المؤلف قد اكتشف هذا الشعر - أول مرة - عندما كان طالباً في جامعة بغداد. حيث كلفه أستاذه في مادة الأدب الحديث بتقديم بحث عن الأدب الجزائري. ليكتشف - وهو يعد هذا البحث - أن الشعر الوطني الجزائري لا يقل عن الشعر العربي الحديث تعبيراً عن الأمل والتطلع إلى المستقبل الأفضل. ووعياً بالأوضاع الوطنية والقومية. وليدرك - كذلك - أن انصراف الدارسين عن هذا الشعر يعود إلى الحصار الاستعماري الذي كان مفروضاً على الجزائر ونهضتها الوطنية والأدبية. كما تبين له - أيضاً - أن الشعر الجزائري. وإن تعددت مناسباته. إلا أنه يربط دوماً بين المناسبات وبين القضية الوطنية.

وقد جاءت الرسالة في مدخل وأربعة فصول. تناول المؤلف في المدخل دراسة العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية المؤثرة في الشعر الجزائري في المرحلة محل الدراسة. وقد أدرج هذا المدخل تحت عنوان (صورة الحياة الوطنية خلال الربع الأول من القرن العشرين). وعالج في الفصل الأول

(المفهوم السياسي للوطنية في الشعر وتطوره). وذلك عبر ثلاث مراحل من النهضة. ودرس في الفصل الثاني (شعر المناسبات الدينية والثقافية والقومية). أما في الفصل الثالث. فقد فصل القول في (الشكل الفني للشعر الوطني الجزائري). حيث أبرز مفهوم الشعر ووظيفته. ووحدة الموضوعية والعضوية. ولغته وأسلوبه. وبناء القصيدة. وأخيراً خصائص الشعر الوطني. وفي الفصل الرابع والأخير أبرز المؤلف (صلة الشعر الوطني الجزائري بالشعر الوطني العربي). وفي آخر الرسالة أورد تذييلاً جمع فيه تراجم عدد من الشعراء الوطنيين الجزائريين. وهم: محمد العيد آل خليفة. إبراهيم أبو اليقظان. محمد اللقاني ابن السائح. الربيع بوشامة. مبارك جلواح. رمضان حمود. محمد الصالح خبشاش. أبو القاسم خمار. السعيد الزاهري. محمد الهادي الزاهري. المولود الزرزي. مفدي زكريا. أحمد سحنون. عبد الله شريط. عبد الكريم العقون.

مقالات وآراء علماء الجمعية

من الأعمال العلمية الرائدة والمتميزة التي نهض بها الشيخ أحمد الرفاعي شرفي. في حين عجز عن مثلها كثيرون: جمعه لثلاث أربعة من أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وهم المشايخ العلماء: مبارك البلي. أبو يعلى الزواوي. العربي التبسي. الطبيب العقبي. رحمهم الله جميعاً. حيث تتبع الشيخ الرفاعي هذه المقالات في صحف جمعية العلماء وأخرجها للقراء والباحثين الجزائريين. تعريفاً لهم بهؤلاء الأعلام وإبرازاً لمآثرهم وإحياءاً لتراثهم الفكري الذي لا زلنا بحاجة إليه.

وقد صدر هذا الكتاب عن دار الهدى بعين مليلة في أربعة مجلدات سنة 2011. وكان الشيخ الرفاعي قد أصدر أحد أجزائه وهو المتعلق بالشيخ العربي التبسي عن دار البعث في قسنطينة. في الثمانينيات من القرن الماضي. وكان بعنوان «مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر». حيث صدر أول مرة في قسمين. ثم صدر في مجلد واحد جامع عن دار اليمن في قسنطينة. أما بقية الأجزاء فلم تصدر إلا في سنة 2011. كما سبق.

ولم يكن الشيخ الرفاعي في هذه الأجزاء مجرد جامع ومرتب. وإنما كان صاحب رؤية نافذة ونظرات ثاقبة. فقد قدم لكل جزء بمقدمة مطولة عن صاحب المقالات المدرجة فيه. وعن الظروف التاريخية والواقعية التي كتبت فيها تلك المقالات. وعما كان لها من آثار في الواقع العملي للحركة الإصلاحية في الجزائر أيام الاستعمار الفرنسي.

كما أثرى المقالات المجموعة بتعليقات وحواش شرح فيها بعض ملاحظات الأحداث المشار إليها في بعض تلك المقالات. إفادة للقارئ ودفعاً لللبس الذي يمكن أن يحصل له عند قراءتها.

«القرآن الكريم نور وبصائر وهداية ورحمة للعالمين»

خصَّ الشيخ أحمد الرفاعي شرفي رحمه الله. كتابَ الله عز وجل. بدراسة تحليلية خاصة ومتفردة. صدرت عن دار الهدى في كتاب من 240 صفحة. سنة 2013. ومع أن هذه الدراسة كانت في الأصل محاضرات أقيمت على طلبة كلية الآداب واللغة العربية في جامعة قسنطينة. إلا أن المؤلف استطاع أن يرقى بها حتى جاءت فريدة من نوعها. ومتميزة - في موضوعها ومنهجها - عن غيرها من الدراسات التي سبقتها في التعريف بكتاب الله عز وجل (القرآن الكريم). فلم يشغل المؤلف نفسه بالتعريف بالقرآن من الناحية الشكلية والتاريخية. كما هو الشائع في الكتب التي تؤلف عادة في علوم القرآن. وإنما شغل نفسه بمضمون القرآن وروحه وهدايته. فذلك ما يحتاج المسلمون اليوم إليه أكثر من غيره.

انطلق المؤلف من نقد التصورات الشائعة عن القرآن الكريم في واقع المسلمين. باعتبارها تصورات لا صلة لها بالمعنى الحقيقي للقرآن. ليصل بعد ذلك إلى التعريف الصحيح بالقرآن من خلال تحليل وشرح أسماؤه التي ورد النص عليها فيه. وهي: البرهان. النور المبين. البينة. الرحمة. الموعظة. الشفاء. الحق. البصائر.

تناول بالمؤلف بعد ذلك عدداً من الموضوعات المتعلقة بالقرآن. بطريقة خاصة وأسلوب متفرد. فتحدث عن: مناسبات نزول القرآن الكريم. العناية بالقرآن. العلوم المستقبلية في القرآن. موضوعات القرآن ومحاوره الأساسية. بنية النص القرآني. قيم القرآن الكريم: التربوية والدعوية والتاريخية والإنسانية والسياسية والمالية والحضارية والاجتماعية. خصائص القرآن الكريم. الحاجة إلى القرآن. حقوق القرآن الكريم.

هذه الموضوعات كلها تناولها المؤلف رحمه الله بالشرح والتحليل والتفصيل. مستشهداً بآيات من

كتاب الله عز وجل. ومبرزاً هدايات هذا الكتاب في شؤون الدين والحياة. وخسارة المسلمين ببعدهم عنه وتركهم دراسته والعمل به.

«السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر»

كثيرة هي الكتب التي ألّفت عن السيرة النبوية الشريفة قديماً وحديثاً. إلا أن هذه الكتب أغلبها عبارة عن مطبوعات مكررة. وتكاد تكون نسخاً من بعضها البعض. وليس هناك إلا القليل من الكتب المعاصرة التي يمكن اعتبارها دراسات جديدة ومتميزة في السيرة النبوية.

ضمن هذه الزمرة من المؤلفات المتميزة يمكن أن ندرج هذا الكتاب الذي ألفه الشيخ أحمد الرفاعي شرفي -رحمه الله- بعنوان «السيرة النبوية الشريفة دلالات وعبر». والذي صدر عن دار الهدى في عين مليلة سنة 2011. ويقع في 224 صفحة.

بدأ المؤلف دراسته للسيرة النبوية الشريفة بنقد المؤلفات والدراسات السابقة في الموضوع. والتي غلب عليها - في نظره - المنهج الوصفي بدلاً من المنهج التحليلي. كما أن من سلباتها عدم الربط بين السيرة والقرآن الكريم باعتبارها المصدر الأساس لفهم مختلف مراحل وجوانب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. كما أن من السلبات التي سجلها المؤلف على الدراسات السابقة في السيرة: عدم الربط بين سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وبين واقع المسلمين المعاصر.

وقد حرص المؤلف على تلافي هذه النقائص في هذا الكتاب الذي ألفه في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. وذلك حين أكد أن سيرة النبي عليه الصلاة والسلام في حاجة إلى قراءة جديدة نابعة من واقع حاجة الإنسانية عامة. وواقع المسلمين خاصة. وهذه القراءة المطلوبة ينبغي أن تركز على التعليل للأحداث



والتحليل للظواهر. والاستنتاج للغايات والأهداف بالمقارنة الدائمة بين عصر النبي من جهة والواقع المعاصر من جهة أخرى. وذلك ما عمل المؤلف على تحقيقه من خلال تأليفه لهذا الكتاب.

بدأ المؤلف دراسته بحديث مستفيض عن «الجاهلية» التي كانت سائدة في واقع العرب قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. منطلقاً في تحليله من القرآن الكريم. مؤكداً أن الجاهلية نمط حياتي وحضاري عام يقوم على مبادئ ومرتكزات أهمها: نزعة التسلط وصراع المصالح والشهوات. العصبية. الذاتية الطاغية أو الرؤية الفرعونية. التحايل والتزييف والكيل بمكيالين. التلفيق الديني والثقافي والسياسي والغش في المعاملات. العدوانية.

تناول المؤلف بعد ذلك بالتحليل حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة. مؤكداً أنها كانت تنسم بالبساطة والعفوية الخالية من التميز المصطنع. لكن هذه الحياة. على عفويتها وبساطتها. عرفت عدداً من الأحداث غير الطبيعية والتي ينبغي للدارس أن يقف عندها ليتبين صلتها بالجاهلية من جهة. وصلتها بنبوته صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى. والمؤلف في تحليله يطرح تساؤلات يجيب عنها. كما يورد شبهات يكر عليها بالنقض.

وتتوالى بعد ذلك موضوعات السيرة النبوية التي تناولها المؤلف بأسلوب التحليل. تحت العناوين التالية: النبوة في العهد المكي ومحطاتها المهمة. واجبات ووظائف النبوة. الهجرة إلى الحبشة. النبوة في العهد

المدني والجهات الجديدة للصراع. المجتمع الإسلامي في المدينة. جهات الصراع: المنافقون - المشركون - اليهود. صلح الحديبية. فتح مكة. غزوة حنين. وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد ختم المؤلف كتابه هذا بكلمات لخصت الهدف الذي ألفه لأجله. وذلك إذ يقول: «إن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي حاجة المسلمين في عصرنا وواقعنا. ودواؤهم العقدي والاجتماعي لواقعهم المفسد. وقد أن الأوان لكل مسلم ومسلمة أن يدرك أنه كما لا يمكن عملياً الجمع بين النار والماء. كذلك لا يمكن الجمع بين المصالح والشهوات من جهة والإيمان من جهة أخرى» (ص: 222).

«الشیطان علیه اللعنة حقیقته، طبیعته، وظیفته، أفعاله»

هذا كتاب طريف في باب. متميز في طريقة تأليفه وأسلوب كتابته. ومع أن الشيطان وأفعاله ودسائسه ومكائده من الموضوعات القديمة التي تناولها علماءنا السابقون في رسائلهم ومؤلفاتهم. إلا أن المؤلف -رحمه الله- تناول الموضوع بأسلوب مختلف وبرؤية معاصرة ترصد واقع المسلمين وتكشف عما فعله الشيطان في حياتهم وما أحدثه من تخريب وتفرق وصراعات ونزاعات بينهم. ما أدى إلى تردّي أحوالهم وعجزهم عن دفع الأذى والظلم عن أنفسهم وديارهم. صدر هذا الكتاب عن دار الهدى بعين مليلة. سنة 2013. وجاء في 96 صفحة.

يرى المؤلف أن الصراع التاريخي بين المسلمين. والذي بدأ منذ عهد الصحابة -رضوان الله عليهم- ولم يتوقف إلى اليوم. مع أن له أبعاداً اجتماعية وسياسية وتاريخية. إلا أن أظهر أبعاده هو البعد الإيماني الذي غفل عنه المسلمون وصار مجهولاً تماماً في حياتهم وغير مفكر فيه بناتاً. مع أنه الأصل والأساس.

فالمسلمون في غمرة اشتغالهم بالصراعات السياسية. وتهارشهم على الدنيا وإقبالهم عليها. نسوا مكائد الشيطان ودسائسه. مع أن الله عز وجل حذّرهم منه في قوله تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) (فاطر: 6).

من هنا رأى المؤلف أهمية البحث في موضوع الشيطان. منطلقاً من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وقد جاءت موضوعات الكتاب كما يلي: حقيقة الشيطان. خصائص الجن. طبيعة الشيطان. علاقة الشيطان بالإنسان ووظيفته. وظيفة الشيطان. طبيعة الإنسان ووظيفته في الدنيا. أفعال الشيطان. ساحات وميادين نشاط إبليس عليه اللعنة: الساحة العقيدية والفكرية. الساحة السياسية. الساحة الاجتماعية. الساحة المالية والاقتصادية. الساحة الأخلاقية. ساحة السحر والشعوذة.

وقد تناول المؤلف هذه الموضوعات بأسلوب تحليلي دقيق. اعتمد التأمل والنظر وحريك العقل والاستناد إلى النصوص القرآنية والنبوية. ولم يكن تناوله وعظما نظرياً قائماً على استئثار العاطفة وحريك الوجدان فقط. كما هو الحال في كثير من الكتابات التي تناولت مثل هذا النوع من الموضوعات.

وبعد عرض وتحليل هذه الموضوعات. انتهى المؤلف في خاتمة الكتاب إلى «أن قضية إبليس ليست عقيدة أو شرعية فحسب. إنما هي قضية نمط حضاري كوني بدأ مع فجر الحياة البشرية. ويقوم على مرتكزات: عبادة الشهوة والمصلحة. وعبادة النفس والهوى. بدل عبادة الله عز وجل. بكل مقتضيات هذه المرتكزات ومظاهرها: من الفسق إلى القتل. إلى الظلم إلى الفساد. إلى كل ما يتناقض مع عبادة الله عز وجل. الإيليسية - في رأي المؤلف رحمه الله - قضية إنسانية عامة وليست قضية المسلمين وحدهم. وذلك ما يوجب على الإنسانية كلها أن تعيد النظر في قضية إبليس لإنقاذ أنفسنا ومستقبلنا. ولن نجد ذلك. ولن نستطيعه إلا بالإسلام (القرآن والسنة). فهما وحدهما الصراط المستقيم والمنفذ من إبليس وشورته» (ص: 93).

وبعد. فهذه قراءة سريعة في بعض آثار ومؤلفات الشيخ أحمد الرفاعي شرفي رحمه الله. وهي قراءة الغرض منها لفت الانتباه إلى هذه الآثار وإبراز أهميتها. والدعوة إلى قراءتها قراءة متعمقة تستهدف الانتفاع بما تضمنته من تنبيهات وتوجيهات وتحذيرات. حرص المؤلف على تقديمها للقارئ بكل صدق وحب وإخلاص. وهناك كتب أخرى لم يتسن لي أن أقف عليها عند إعداد هذه المقالة. وإنه لمن الضروري أن يلتفت الباحثون والدارسون إلى هذه الأعمال العلمية بالعرض والنقد. سواء في مقالات كهذه. أو في بحوث ودراسات أكاديمية ورسائل جامعية. رحم الله الشيخ أحمد الرفاعي شرفي. وأسكنه فسيح جناته. وتقبل منه أعماله وجهوده. ونفع بها الأمة حاضراً ومستقبلاً.

العلامة الفقيه الأصولي الشيخ أحمد الأطرش السنوسي



أ.د. مسعود قنيسي



يتولى الخطابة والتدريس في المساجد، ومنها بصفة خاصة مسجد الموحدين بمدينة وهران الذي ألقى فيه دروسا علمية كثيرة شرح فيها عددا من كتب التراث الإسلامي ومصادره، ومنها كتاب الموطأ للإمام مالك، وألفية ابن مالك في النحو، وألفية السيوطي في مصطلح الحديث وعلومه، ومن ابن عاشر في الفقه المالكي وغيرها.

كما تولى عضوية لجنة الفتوى على مستوى نظارة الشؤون الدينية بـ وهران، حيث كان يجيب عن أسئلة المستفتين سواء من خلال نشر الإجابات في الصحف، أو تولى الإجابة عنها صوتيا عبر الإذاعة. كما اختير كعضو شرقي بأحد المجالس العلية في المملكة المغربية.

مؤلفاته

هذه الأعمال الكثيرة والكبيرة التي كان ينهض بها الشيخ أحمد الأطرش السنوسي، لم يمنعه من الاهتمام بالكتابة والتأليف، فقد لاحظ - أثناء عمله بالتدريس في المعهد العالي للحضارة الإسلامية وفي مسجد الموحدين - حاجة الطلبة والباحثين وعامة الناس إلى تبسيط العلوم الشرعية واللغوية وتيسيرها، ولذلك انبرى رحمه الله لأجاز أعمال تأليفية في هذا الإطار وكانت الحصيلة عددا من الكتب الهامة والنافعة التي ألفها الشيخ وتركها للأجيال الصاعدة من طلبة العلم لينتفعوا بما فيها من علم ويستفيدوا مما فيها فوائد. ومن هذه المؤلفات:

1- كتاب تيسير الوصول إلى علم الأصول وهو في أربعة أجزاء طبع أولا في دار الغرب بـ وهران، وأعاد طبعه دار البصائر في الجزائر العاصمة سنة 2009، في مجلدين، كل مجلد يحتوي جزئين. وأصل الكتاب محاضرات ألقاها الشيخ في مادة أصول الفقه على طلبته في معهد الحضارة الإسلامية بـ وهران وهذه المحاضرات غطت الموضوعات التي كانت مقررة في أصول الفقه على طلبة السنوات الأربعة بحسب نظام شهادة الليسانس القديم.

2- الإمام مالك ومدرسة المدينة، وقد طبع أولا في دار الغرب بـ وهران ثم أعيد طبعه في دار البصائر بالجزائر العاصمة. وقد ألف الشيخ هذا الكتاب دفاعا عن الإمام مالك رحمه الله وإبرازا لجهوده العلمية والمدرسة التي أسسها في المدينة المنورة.

3- منهج الشريعة الإسلامية في النحو، وهو شرح لألفية ابن مالك، ويمل خلاصة الدروس التي كان يلقاها على طلبته في المسجد. وقد طبع هذا الكتاب في دار البصائر بالجزائر العاصمة.

4- منهج الشريعة الإسلامية في علوم الحديث، وهو شرح لألفية السيوطي في علوم ومصطلح الحديث. وقد طبع كذلك في دار البصائر بالعاصمة.

كما ترك كتباً أخرى ما تزال مخطوطة وربما يكون بعضها تحت الطبع، ومنها:

5- شرح موطأ الإمام مالك بن أنس رحمه الله في الحديث والفقه.

6- شرح قطر الندى وبل الصدى، وهو متن موجز في النحو لابن هشام الأنصاري.

7- شرح ابن عاشر وهو متن صغير في الفقه المالكي للعلامة عبد الواحد بن عاشر.

8- شرح العاصمية في أحكام القضاء وهو شرح مفصل لمن «خفة الحكم» لابن عاصم الغرناطي.

وهذه الكتب أودعها خلاصة دروسه التي شرح فيها المتن المذكورة في مسجد الموحدين بـ وهران.

9- محاضرات في مقاصد الشريعة، وجمع فيه محاضراته التي ألقاها في موضوع المقاصد على طلبة السنة الرابعة في معهد الحضارة الإسلامية.

10- تاريخ الجزائر في خمسة قرون، وهو كتاب كبير كان يعتز به كثيرا. ويقع في 9 مجلدات، وكان دائما في العمل على طباعته إلا أن اللثة عاجلته قبل أن يتمكن من إخراجها.

11- أسئلة وأجوبة في مجال الإفتاء، نشرت في عدة جرائد.

مختصر خليل، وعلم العروض، وعلم البلاغة، من خلال كتاب الجوهر للكنون للشيخ عبد الرحمن الأخرسي رحمه الله.

في عام 1361 هـ 1938 م، قرر الاستزادة من العلم فشد الرحال إلى تونس أين التحق بجامعة الزيتونة، ليقتضي فيه ستة أعوام حيث تخرج منه بشهادة التحصيل سنة 1367 هـ 1944 م. وقد تلقى العلم في الزيتونة على عدد من العلماء الأعلام المشهود لهم بالتفهم والتفوق في علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية، من بينهم العلامة الفقيه المحدث المفسر الجامع للعلوم الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله، وغيره من علماء الزيتونة، كالشيخ الشاذلي النيفر والشيخ العربي كبادي، والشيخ الحبيب بالخوجة، والشيخ صالح بالخوجة، والشيخ عبد الواحد بالخوجة، والشيخ المختار بن محمود. كما تلقى - أثناء وجوده في تونس - بالشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله، الذي كان في زيارة إلى هناك في مارس 1940 م.

أعماله قبل الاستقلال وبعده

بعد عودته إلى الجزائر أنشأ مدرسة في مسقط رأسه بإذن من والده، كان يلقى فيها دروسا في فنون عديدة من العلم. وقد ارتبط في تلك الأثناء بزاوية الشيخ أبي عبد الله البطوي حيث كان على اتصال دائم بها وبشيخها.

كما انخرط في المجال السياسي من خلال الانضمام إلى حزب الشعب الجزائري سنة 1944، ونتيجة نشاطه الدائب، أُلقي عليه القبض من طرف الاستعمار الفرنسي، وزج به في معتقل جنان بورق، أين قضى سنة أشهر ليطلق سراحه بعد ذلك سنة 1945.

بعد خروجه من المعتقل التحق بالجامع الأخضر في قسنطينة مدرسا، وظل هناك إلى غاية سنة 1955، تاريخ إلقاء القبض عليه مرة أخرى من طرف الاستعمار، وقد تعرض هذه المرة للتعذيب والتنكيل كغيره من الوطنيين والمناضلين الجزائريين، وظل في السجن مدة عامين كاملين ليطلق سراحه سنة 1957، ولكنه لم ينعم بالحرية سوى أسبوع واحد، حيث أُلقي عليه الشرطة الاستعمارية القبض مرة أخرى ولم ترج به في السجن الذي بقي فيه عامين آخرين، حيث لم يطلق سراحه إلا سنة 1959.

بعد إطلاق سراحه، تم نفيه إلى مدينة وهران، أين وُضِع تحت الإقامة الجبرية، وألزم بإثبات حضوره يوميا في مركز الشرطة. وقد انتهز فرصة وجوده بـ وهران ليلتحق بالعمل عند القاضي زيدان، حيث كان يساعده في تجديد الوثائق القديمة المتعلقة بالزواج والأموال العفارية، وظل يعمل عنده إلى غاية خريف البلاد من الاستعمار سنة 1962.

بعد الاستقلال التحق بسلك التربية والتعليم، حيث تولى إدارة مدرسة ابتدائية، ثم أصبح أستاذا في التعليم المتوسط، ثم أستاذا في معهد تكوين المعلمين «المعهد التكنولوجي» ليلتحق بعد ذلك بمعهد التكوين الأصلي الذي ظل يدرس فيه إلى غاية إغلاقه.

وعند افتتاح المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية بـ وهران التحق به بطلب من مديرة وأساتذته، ليشترك في تكوين الطلبة وإقائتهم بما آتاه الله عز وجل من علم وجربة، فكان يفيدهم بما يلقى عليهم من محاضرات، كما كان يكلفهم بالبحث والتنقيب في بطون الكتب، وقد أجز كثير منهم - تحت إشرافه وتوجيهه - مئات من مذكرات وأبحاث التخرج في الفقه والأصول والمقاصد والتفسير والحديث وغيرها من العلوم الشرعية، تدريباً لهم على البحث وتعويدا لهم على التواصل مع المصادر والمراجع، حتى يكونوا جديرين بتولي مهم البحث والتأليف والإفادة لغيرهم في المستقبل. وقد تكونت على يديه دفعات عديدة من الطلبة والباحثين الذين استفادوا من علمه وخبرته فعرفوا له قدره ومكانته وأنزلوه منزلة التي يستحقها أمثاله من العلماء الربانيين العاملين.

وإلى جانب وظيفته في التربية والتعليم، كان

في شهر نوفمبر من سنة 1997، شارك في الملتقى الدولي حول «الإنسان في الكتب السماوية»، المنظم من قبل المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية بجامعة وهران، وتم على هامشه تكريم أحد أساتذة المعهد ومنحه درجة الدكتوراه الفخرية، عرفانا بما بذله من جهود في التعليم والخطابة والفتوى وما كان له من دور في ترقية المستوى العلمي للمعهد ونفع طلبته وباحثيه. وكان الرجل المكرم هو فضيلة العلامة الفقيه الأصولي الشيخ أحمد الأطرش الشريف السنوسي الذي كنت قد تعرفت عليه - قبل ذلك - خلال مشاركتي في الملتقى الدولي الذي نظمه ذات المعهد في شهر أبريل سنة 1996، ولاحظت - كما لاحظ غيري - النشاط الكبير الذي كان يتحرك به، والمكانة المتميزة التي كان يحظى بها بين الطلبة والأساتذة والمعاملة الخاصة التي كانوا يعاملونه بها. وقد مرت بنا منذ أيام الذكرى السنوية الحادية عشرة لوفاته، فيجد بنا أن نعرف به ونذكر مآثره بهذه المناسبة، فمن هو هذا العلامة؟ وما هي الأعمال التي قام بها والحاصل التي خلى بها؟

نشأته وتكوينه

هو أحمد الشريف بن آغا الشارف بن الحاج السنوسي بن عبد القادر بن أحمد بن العربي الصغير بن العربي الكبير الملقب بالأطرش الشريف السنوسي، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، والسنوسي نسبة إلى العائلة السنوسية المتفرعة عن السلالة الحسنية، وهي العائلة التي كان منها الشيخ محمد بن علي السنوسي الكبير مؤسس الحركة السنوسية في ليبيا في القرن التاسع عشر.

كان مجيباً أحمد السنوسي إلى الدنيا يوم الاثنين 15 شوال 1337 هـ الموافق 14 جويلية 1919 م، حيث ولد بقرية صغيرة قرب وادي الخير في مستغلام.

نشأ في عائلة شريفة ذات نسب وعريقة دأبت على الاحتفاء بحفظ كتاب الله عز وجل وتلقيه لأبنائها وإكرام العلماء والصالحين وتوقيرهم. فقد كان والده آغا الشارف من أعيان البلاد ومن حملة كتاب الله وكان يشغل منصب آغا، وقد تولى تربيته أخوه الأكبر القايد العربي، نيابة عن والده الذي كان ما يزال حيا، لانشغاله بوظيفته. عندما بلغ سن التعليم أرسله والده إلى كتاب قريته، حيث تلقى حفيظه القرآن الكريم شيخه محمد بالختار، وما زال به حتى حفظ كتاب الله كاملا وهو في الحادية عشرة من عمره. انصرف بعد ذلك إلى تلقي مبادئ العلوم الإسلامية والعربية في بلدته، وبعض المدن المجاورة لها، ومن تلمذ عليهم وأخذ عنهم: الشيخ الجيلالي السجاري، والشيخ عبد الرحمن بلهوارى، والشيخ محمد بن عبد الرحمن المازوني، والشيخ سيدي محمد بوعشبة، والشيخ العربي التواتي، والشيخ المولاي بن زقنون، رحمهم الله جميعا. كما تعرف في تلك الأثناء على الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله الذي كان يتولى شؤون جمعية العلماء في تلمسان حينئذ، ويتردد على مختلف مدن الغرب الجزائري، وقد استفاد كثيرا من الدروس التي كان يسمعهها منه والمحاضرات التي يشهدها له.

وكان أبرز المشايخ والعلماء الذين انتفع بهم وأخذ عنهم الكثير وتأثر بهم أكثر من غيرهم: العلامة الشيخ أحمد التيسولي المغربي خريج جامع القرويين بفاس، فقد لازمه ست سنوات متوالية (1932 - 1938).

كان من جملة العلوم التي درسها في هذه المرحلة: علم النحو، حيث حفظ ألفية ابن مالك وقرأ شرح كل من المكوي وابن عقيل عليها، وعلم القضاء، حيث حفظ متن «خفة الحكم» المعروف بالعاصمية لابن عاصم، وقرأ شرح الثاودي عليها، كما درس علم الفقه، من خلال

12- محاضرات في مواضيع مختلفة: دينية وتاريخية واجتماعية وتراجم أعلام. إضافة إلى مئات الدروس الصوتية المسجلة على الأشرطة. ويمكن أن نضيف إلى هذه المؤلفات والأشرطة مقالات علمية صدرت للشيخ الأطرش السنوسي رحمه الله في مجلات أكاديمية محكمة، خصوصا مجلة الحضارة الإسلامية. إضافة إلى مشاركاته في العديد من اللغيات والندوات العلمية المحلية والدولية. وعرفانا بجهود الشيخ أحمد السنوسي، وتقديرا لأعماله الرائدة منحه جامعة وهران درجة الدكتوراه الفخرية، حيث سلمها له السيد مدير الجامعة في حفل أقيم على هامش الملتقى الدولي الذي أقيم في معهد الحضارة الإسلامية في شهر نوفمبر سنة 1997، بحضور عدد من العلماء العرب والمسلمين والأساتذة الجزائريين المشاركين في الملتقى، إضافة إلى العشرات من تلاميذ الشيخ ومحبيه.

وفاته

بعد حياة حافلة بالأعمال الجليلة والجهود الكبيرة والآثار النافعة امتدت على أكثر من ثمانين سنة، وبعد مرض ألم به والزهر الفراش لأشهر عديدة، أسلم الشيخ أحمد الأطرش السنوسي الروح إلى بارئها، وكانت مغادرته للعالم في يوم الجمعة 9 جمادى الثانية سنة 1424 هـ الموافق 8 أوت 2003 م. وقد شيعت جنازته بعد أن صُلِّي في مسجد الموحدين عقب صلاة العصر، وسار في جنازته مئات، بل الآلاف من عرفوه وانتفعوا بدروسه وخطبه ومحاضراته، وتم دفنه في مقبرة عين البيضاء رحمه الله، هو وجميع إخوانه العلماء العاملين والدعاة الصادقين.

خصاله

الذين عرفوا الشيخ أحمد الأطرش السنوسي رحمه الله، سواء من خلال العمل معه، أو التلمذ عليه، أو حضور دروسه وخطبه، أو التعامل معه في واقع الحياة، يشهدون للرجل بدمائه خلفه وروحته المرحمة ونفسه الطيبة وحببه إلى الناس وحرصه على نفعهم وإفادتهم ونصحتهم. كما يشهدون له بالاستبحار في العلم والثقافة الواسعة والعرفه العميقة بالناس والحياة، فقد كان الرجل على اطلاع واسع على الكتب والمصادر ومحتوياتها وتراجم المؤلفين والأعلام، كما كان على معرفة عميقة بالتاريخ قديمه وحديثه، وعلى دراية بالواقع وما يؤثر فيه من عوامل. ويشهدون له أيضا بتواضعه النادر لطلبة العلم والباحثين وعطفه عليهم وتفنته في خدمتهم وبذل النصيحة لهم وإثابته لهم الاستفادة من مكتبته الغنية بنفائس الكتب والمخطوطات القيمة.

رحم الله الشيخ أحمد الأطرش الشريف السنوسي وأسكنه فسيح جناته مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

للمقال مراجع

لمحات من إسهامات الإمام ابن باديس في الفقه وأصوله



أ.د. مسعود خلوسي*

من بواكير الدراسات في الموضوع

بداية أقدم أن هذا الجانب من شخصية الإمام -رحمه الله- حظي باهتمام عدد من الأساتذة والباحثين. كما كان الحال بالنسبة لقهره من جوانب شخصيته. ولعل أول من اهتم بالموضوع هو أستاذنا الدكتور عمار طالبي الذي تولى إخراج أمالي الإمام ابن باديس في أصول الفقه. في كتاب بعنوان (مبادئ الأصول). والذي أصدرت طبعته الثانية المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1988م. في ست وخمسين صفحة. وصدرت منه طبعة جديدة متفحة عن دار ثالة في الجزائر العاصمة. سنة 2006. بعنوان خلاصة في علم الأصول للإمام عبد الحميد بن باديس. وفي آخره إهداء للإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس في مصطلح الحديث. ثم تلاه الأستاذ محمد الحسن فضلاء رحمه الله أحد تلاميذ الإمام. حيث أخرج آيات وأحاديث الأحكام التي انتخبها الإمام وأملأها على تلاميذه في كتاب بعنوان (أصول الفقه من آيات وأحاديث الأحكام). صدر في طبعته الأولى عن دار البعث في قسنطينة سنة 1405 هـ / 1985م. في أربع وستين صفحة.

أما الكتابة الدراسية التحليلية في الموضوع. فعمل أول من سبق إليها هو الدكتور عبد اللطيف عباد. الذي كتب بحثا من حوالي ثلاثين صفحة بعنوان (الاجتهاد عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس). ألفه في ملهى الفكر الإسلامي السابع عشر الذي عُقد بمدينة قسنطينة في شوال 1403 هـ / يوليو 1983م. وصدر في الجزء الرابع من الكتاب الذي جمع أعمال للملئ. ثم أعاد نشره في العدد 86 من مجلة (الثقافة الجزائرية). الصادر في رجب 1405 هـ / مارس / أبريل 1985م.

تلت ذلك مساهمة مجلة (الوافقات) التي كان يصدرها المعهد الوطني العالي لأصول الدين في الجزائر العاصمة. والتي خصصت ملفا كاملا امتد على حوالي خمسمائة صفحة من عددها السادس والأخير الصادر في السنة الجامعية 1418-1419 هـ / 1997-1998م. تضمن عددا من الأبحاث والدراسات لأساتذة وباحثين من مختلف جامعات الوطن. وقد تناول أربعة منهم بالتحليل إسهامات الإمام ابن باديس في الفقه الإسلامي. حيث كتب الأستاذ الدكتور محمد حسين مقبول مقالا عن افقه الإمام عبد الحميد بن باديس. من عشر صفحات. وكتب الدكتور عبد الحميد بريم بحثا بعنوان (أصول فتاوى الشيخ عبد الحميد بن باديس وميزاتها) في ثلاث وثلاثين صفحة. أما الدكتور محمد عيسى فقد حرر بحثا من أربعين صفحة. بعنوان (خصائص الفقه الباديبي ومعالج المدرسة الفقهية الباديبيية في ضوء آثار الإمام ابن باديس). بينما تناول الدكتور مسعود خلوسي بالعرض والتحليل (البعد المفاصدي في منهج التعبير عند الإمام عبد الحميد بن باديس) في ثمان وعشرين صفحة.

جاء بعد ذلك بعدة سنوات البحث الذي كتبه الدكتور محمد دراجي في العدد العاشر من مجلة الصراط التي تصدرها كلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر. ذو الفعدة 1425 هـ / ديسمبر 2004م. بعنوان (الترجيحية الفقهية للكلية عند الشيخ عبد الحميد بن باديس). في خمس وعشرين صفحة.

وفي العدد الثاني من السنة الرابعة من مجلة (رسالة المسجد) التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية والأوقاف. والذي ظهر في ذي الحجة 1427 هـ / نوفمبر 2006م. وقفنا على مقال للدكتور السعيد رحمانى بعنوان (مفاهيم الشريعة الإسلامية عند ابن باديس) من عشر صفحات.

اهتمام باحثي الدراسات العليا بفقه ابن باديس

هذه البحوث والمقالات التي سبقت إلى البحث في الموضوع كانت بمثابة أرضية أولى مهدت لرسائل جامعية أعدها طلاب الدراسات العليا للحصول على الماجستير والدكتوراه في العلوم الإسلامية من بعض الجامعات الجزائرية.

نذكر منها الرسالة التي نالت درجة الماجستير في الفقه والأصول من جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة سنة 2011م. وكانت بعنوان (الشيخ

العلامة عبد الحميد ابن باديس - رحمه الله - وجهوده الفقهية. والتي أعدها الطالب نصر الدين سلطاني تحت إشراف الأستاذ الدكتور نذير حمادو. وجاءت في 250 ورقة.

ومنها كذلك الرسالة التي نالت درجة الماجستير في الكتاب والسنة من الجامعة نفسها سنة 2012م. وعنوانها (الفقه الحديث عند الإمام عبد الحميد بن باديس). وقد أعدها الباحث سيداتي ولد محمد تحت إشراف الأستاذ الدكتور مختار انصيرة. وجاءت في 166 ورقة.

وهناك أيضا مذكرة لـ لـ جسنير التي عنوانها (الفكر المفاصدي عند ابن باديس من خلال آثاره). والتي توقفت بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية في جامعة أرزاق خلال السنة الجامعية 2008-2009م. وقد أعدها الطالب عبد الخالق قصابوي. تحت إشراف الدكتور نور الدين طوابة. وضمت 211 ورقة.

وفي الطريق رسائل أخرى في طور الإعداد يُنظر أن ينتهي منها أصحابها وتتم مناقشتها. في بعض الجامعات الجزائرية. تعالج موضوعات ذات صلة بإسهامات الإمام ابن باديس في الفقه والأصول والمفاصد. منها رسالة ماجستير مسجلة في كلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر بعنوان (الإمام عبد الحميد ابن باديس وأثره الفقهية). ورسالة دكتوراه مسجلة بنفس الكلية والجامعة بعنوان (المنهج الأصولي والمفاصدي للإمام عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - دراسة استغرافية تحليلية). ولعل هناك رسائل غيرها مسجلة في جامعات أخرى لم ينس لنا الاطلاع عليها.

ابن باديس الفقيه المصلح

أرى أنه من اللازم أن نقرر أن الإمام عبد الحميد ابن باديس رحمه الله كان رجل إصلاح وتغيير. سعى بكل ما أوتي من جهد وقوة لأن يغير حال المجتمع الجزائري من الضعف إلى القوة. ومن الخمول والموت إلى النهوض والحياة. ولكي يحقق هذا الهدف فقد سلك إليه السبيل الأمثل والأجبع ألا وهو مخاطبة الأمة بدينها وإعادتها إلى مرجعيتها وربطها بأصولها الحضارية. ولابد لتحقيق ذلك من التسلح بالعلم الشرعي والإحاطة به أصولا وفروعا. وخاصة منه ما يتعلق بالأحكام الشرعية التي تهم الناس في مختلف شؤون حياتهم. والتي يحرصون على معرفتها حتى يصححوا علاقاتهم بالله عز وجل وصلتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد وظف الإمام ابن باديس رصيده الواسع من العلم الشرعي الذي حصله من حفظه للقرآن الكريم منذ نعومة أظفاره ودراساته في كتب السنة الشريفة. ومن مجالسته لكبار العلماء في جامع الزيتونة بتونس. ومن قراءاته ومطالعته الواسعة في كتب التراث الإسلامي في عمله الإصلاحي التغييري. هذا العمل الذي بدأ بمفرده أولا بعد عودته من تونس سنة 1912م. ثم تعاون فيه مع إخوانه من العلماء بعد تأسيس جمعية العلماء للتسلمين الجزائريين سنة 1931م.

وقد أجرى الإمام عمله الإصلاحي على مقتضى قواعد الشريعة ومبادئها المحكمة. وتوخى منه تحقيق مفاصد الشارع الحكيم التي لا تخرج عن جلب المصالح ودرء المفاسد في مختلف شؤون الحياة الدينية والدنيوية.

ابن باديس الفقيه المصلح

كان أبرز مجال استخدم فيه ابن باديس الفقه هو التعليم. حيث كان يلقي على تلاميذه في الجامع الخضر دروسا في الفقه الإسلامي وأصوله. يحرص من خلالها على تعليمهم نصوص الكتاب والسنة المتعلقة بالأحكام العقلية. ويشرح لهم معانيها الظاهرة ويشير إلى بعض المعاني المستترة وسبل إدراكها.

فقد كان رحمه الله. كما يذكر الأستاذ محمد الحسن فضلاء عليه رحمه الله. يربي أبناءه وطلابه على القرآن والسنة. ويربط

أهمها ما تهم بهما. ويغذيهم بأمثله من واقع الحياة. وصورها. ويعلمهم كيف يضعون أصابعهم على الداء والدواء بما يستمده لهم من أسرارهم. ويديهم على القارئة والاستدلال. ويدخل بهم في مناهات كتب الفروع. ويخرج بهم وقد شدها وثيقا بالأصول. كان يدرس في الفقه (صنصر الشيخ خليل) (وأقرب المسالك) (والرسالة) لابن أبي زيد القيرواني وغيرها من كتب الفروع حقا. ولكنه لا يكتفي بظاهرها وتوضيح مسالكها. وتغريب أحكامها فحسب بل يعود بها إلى الأصل ليربطها به. حتى يحرر طلبته من رقة التقليد الأعمى. فتتحرر نفوسهم. وتستمد الأحكام من الأصل الذي لا شائبة له.

وفي خلال هذه الدروس ألقى عليهم أماليه في (أصول الفقه). والتي خص فيها بدقه وإيجاز زبدة علم الأصول والقواعد اللازم الإحاطة بها لتكوين الملكة الفقهية. فعلى الرغم من الإيجاز الذي طبع هذه الأمالي إلا أنها تضمنت جل الباحث الأصولية المعروفة. من تعريف العلم. ومباحث الحكم الشرعي بقسميه التكليفي والوضعي. ومباحث الأدلة النصية والاجتهادية. وقواعد الدلالات والبيان إضافة إلى مباحث الاجتهاد والتقليد. وقد حرص الإمام رحمه الله على تقديم قواعد علم أصول الفقه لتلاميذه مجردة عن تشعباتها والجمل الذي دار بشأنها. وكان يحيلهم لمعرفة تطبيقاتها في مختلف أبواب الفقه إلى كتاب مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول للإمام الشريف التلمساني ليطلعوا من خلاله على كيفية تطبيق الفقهاء لهذه القواعد على المسائل المختلفة. وتنوع مناهجهم في ذلك. حتى ينشأوا مدركين للتنوع الملهجي في البحث الفقهي. وينحدروا للمذاهب الفقهية حق قدرها. وأن وجودها واختلافها في بعض المسائل أمر طبيعي.

وقد شرح هذه الأمالي الشيخ الدكتور محمد علي فركوس. وأصدر في ذلك كتابا بعنوان (الفتح المأمول شرح مبادئ الأصول). كما نظمها الأستاذ محمد بن محفوظ بن الحنا. فال الشنيطي وأخرجها في كتاب بعنوان (جواهر الدرر في نظم مبادئ أصول ابن باديس الأبر). كما ألقى الإمام ابن باديس على تلاميذه في تلك الدروس أيضا أمالي جمعت أهم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة التي تضمنت أحكاما فقهية. وهي ما يسمى بآيات وأحاديث الأحكام. وقد قصد رحمه الله من تلك الأمالي ربط الطلبة بمصادر الشريعة مباشرة. وتكوين الملكة الفقهية الاجتهادية في أذهانهم. حتى ينشأوا ميالين إلى الاعتماد على الأدلة بعيدين عن الاكتفاء بالتقليد والتعصب المنهجي غير المستند إلى دليل.

الفتوى الباديسية

تجال الثاني الذي جلى فيه فقه ابن باديس هو مجال الفتوى. فالإمام رحمه الله في إطار عمله الإصلاحي التغييري الذي تولاه باعتباره علما عاملا. كان يلقى الكثير من الأسئلة التي كانت تأتيه من مناطق مختلفة من الوطن فينولي الإجابة عنها وبيان حكم الشرع فيها. وينشر فتاويه في ركن خاص من مجلته الشهيرة (الشهاب). وهذه الفتاوى كانت مصطبغة بطابع الواقع الذي كانت تعيشه الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين. والذي كان يتميز بالمارسات الاستعمارية الرامية إلى إحكام القبضة على الجزائر والجزائريين من جهة. ومن جهة أخرى كان يتميز بتفشي الجهل والامية وغياب الوعي في الأوساط الشعبية الجزائرية.

وقد جاءت فتاوى الإمام ابن باديس رحمه الله معالجة لهذا الواقع من خلال الكتاب والسنة وقواعد الشريعة. مستهدفة لإصلاح الأوضاع وتغيير الذهنيات وإشاعة الوعي الصحيح بأحكام الشرع بعيدا عن الحرافات والأباطيل والبدع التي كان الاستعمار دأبا على التمكن لها بواسطة أدلته من رجال الطرق الصوفية الشحرفة.

وقد قدم أخونا الدكتور عبد الحميد بريم في بحثه السابق الذكر عرضا مفصلا لأصول فتاوى الإمام ابن باديس. حيث أكد أنها تستند إلى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح وإجماع علماء الأمة والقياس الصحيح ومراعاة مقاصد الشارع الحكيم. كما جُدت عن خصائص وميزات تلك الفتاوى فبين - بالأمثلة والشواهد - أن منهج الإمام في الفتوى تميز بالوسطية بعيدا عن تطع الغالين والتشديد وامتجافا عن تساهل التساهلين. وبالإتصاف لأهل العلم. وبالحصر على النصح والبيان. كما أن فتاويه كانت تصدر في غاية من الوضوح والدقة. إضافة إلى الجرأة والصراحة في إعلان الحق. ومراعاة أحوال المستفتين وظروف الواقع.

ابن باديس فقيه المقاصد

أشرت فيما سبق إلى بحلي الذي صدر في مجلة (الوافقات) بعنوان (البعد المفاصدي في منهج التعبير عند الإمام ابن باديس). هذا البحث أعدت النظر فيه بعد ذلك ووسعته حتى بلغ ستين صفحة. وجعلته الفصل الثالث من كتابي (الإمام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده) الذي صدر عن دار قرطبة في الجزائر سنة 2006م. في هذا الفصل أبرزت الفقه العميق للمفاصد عند الإمام رحمه الله. وأكدت بالشواهد أن الإمام كان على معرفة وإدراك شامل لمفاصد الشريعة نظريا. ومعرفة دقيقة بكيفية تفعيلها في مختلف مجالات التعامل مع الواقع عمليا. وقد راعى هذه المفاصد وسار على وفقها في كل حركاته. تعليميا ودعوة وإفتاء وكتابة ومواقف. ما كان له أبلغ الأثر فيما حققه من نتائج باهرة على مستوى الواقع العملي للمجتمع الجزائري.

وكما سبق أن أشرت فقد قام الباحث عبد الخالق قصابوي بتناول الموضوع بريد من الدراسة والتحليل فأجرى فيه رسالة علمية نال بها درجة الماجستير في العلوم الإسلامية من جامعة أرزاق سنة 2009م. أخيرا نقول: إن مقالا في جريدة لا يمكنه أن يحيط بموضوع واسع متشعب كهذا. ولذلك نكتفي بالإحالة إلى البحوث والدراسات التي سبق ذكرها في بداية هذا المقال لكننا نؤكد في الأخير أن فقه ابن باديس كان فقهيا واقعيا بأن ما تدل عليه هذه الكلمة من معلن فالرجل كان يعالج الواقع الصعب بصفة مباشرة. ويسعى إلى تغييره بكل ما أوتي من جهد وقوة ولم يكن له من سلاح في ذلك سوى علمه ونفوذه وصدقه في العمل والإحسان ونسكه بحكمات الشرع وقواعده وراعاته لمفاصده وغاياته. وقد آتت جهوده أكلها. ولم يغادر الدنيا حتى أراه الله بعض آثار تلك الجهود في واقع الأمة الجزائرية. والتي تكللت - بعد وفاته رحمه الله بسنوات قليلة - بالثورة على الاستعمار الفرنسي وأعدائه. لتنتهي بالتححر من ريقته والتخلص من تسلطه.

رحم الله الإمام ابن باديس وأسكنه فسيح جناته. وألهمنا السير على نهجه ومبادئه.

*أستاذ بجامعة باتنة

الإمام ابن باديس في الكتب والرسائل الجامعية

جمع وترتيب: أ.د. مسعود فلويسي

حتي الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله باهتمام خاص من قبل العلماء والباحثين من الجزائريين ومن غيرهم الذين توجهوا إلى دراسة سيرته وأعماله الإصلاحية. وحرصوا على استجلاء مبادئه وإبراز منهجه وطرائقه في الإصلاح والتغيير وقد كانت حصيلة ذلك ما يزيد على المائة كتاب ورسالة جامعية مناقشة. وهناك رسائل عديدة مسجلة في جامعات مختلفة. ما تزال في طور الإعداد. يزيد عددها على العشرين رسالة. وتقدم فيما يلي ما وقفنا عليها من الأعمال الفكرية والأكاديمية التي ألفت عن الإمام رحمه الله. وقد قسمناها إلى قسمين أحدهما خصصناه للكتب والثاني للرسائل الجامعية.

أولاً: الكتب:

- 1- أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس: للضمون بصورة التعبير محمد بن سميحة. المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر ط1، 1428هـ/2007م جزان، الأول: 462ص. الثاني: 407ص.
- 2- الإصلاح والنهضة عند الإمامين محمد عبده وعبد الحميد بن باديس. ندوة جمعيت: سعيد شهبان وعمار طالبي وكريستيان فون نسيان هولندا. سلسلة منشورات الجيب، المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر دفتار المجلس رقم 20، نوفمبر 2006، 41ص.
- 3- إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس محمد الصالح رمضان وعبد الفادر فضيل دار الأمة الجزائر ط1، 1998م، 264ص.
- 4- الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس حياته ومسيرته وجهاده الإسلامي كمال يوسف دار الخلدونية، الجزائر 2004م، 62ص.
- 5- الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الجزائرية. عبد الرحمن مرابطي. دار النجاح للكتاب، الجزائر ط1، 2008م، 32ص.
- 6- الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه ومواقفه. محمد الصالح الصديق ط2، 2007م. دار الأمل تيزي وزو، 182ص.
- 7- الإمام محمد ابن باديس والنصوف. أحمد محمود الجزار (مصر)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، أبريل 1999م، 206ص.
- 8- الإمام عبد الحميد بن باديس. بدون مؤلف دار النفيس، الجزائر سلسلة المشاهير الوطنية، 2007م، 112ص.
- 9- الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، محمود فاسم (مصر)، دار المعارف، القاهرة، 1968م، 160ص.
- 10- الإمام عبد الحميد بن باديس السلفية والتجديد. محمد دراجي، دار قرطبة، الجزائر ط1، 1428 هـ، 2007م، 248ص.
- 11- الإمام عبد الحميد بن باديس جهاد ومواقف بأفلام أبناء وعلماء جمع وتقديم: محمد الصالح الصديق ط1، دار هومة، الجزائر 2014م، 214ص.
- 12- الإمام عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتحرير في الجزائر عبد العزيز فيلالي ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أبريل 2013م، 32ص.
- 13- الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والإصلاحية في الجزائر (1889-1940)، عبد المالك حداد، قسنطينة، 2011م، 248ص.
- 14- الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889-1940)، الزبير بن رحال دار الهدى، عين مليحة، ط1، 1997م.
- 15- الإمام عبد الحميد بن باديس فئات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده. مسعود فلويسي دار قرطبة، الجزائر ط1، 1426 هـ، 2006م، 148ص.
- 16- الإمام عبد الحميد بن باديس وجهوده في تجديد العقيدة الإسلامية، محمد دراجي دار الهدى، عين مليحة، الجزائر ط1، 2012م، 96ص.
- 17- ابن باديس الرمز في ذكره الثانية والستين. عبد الكريم بوالصفا، مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، قسنطينة، بدون تاريخ، 48ص.
- 18- ابن باديس سليمان عشاري دار الغرب، بهران، 2006م، جزان.
- 19- ابن باديس حياته وآثاره عمار طالبي، تقديم: مالك بن نبي دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م أربعة أجزاء.
- 20- ابن باديس رجل الإصلاح والتربية، عمر بن فينة سلسلة للجميع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1394هـ، 1974م.
- 21- ابن باديس فارس الإصلاح والنهوض محمد بهي الدين سالم (مصر)، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1420هـ/1999م، 206ص.
- 22- ابن باديس وعروبة الجزائر محمد الليلي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ط2، 1980م، 248ص.
- 23- البيت الباديسي معمورة علم ودين وسياحة، عبد العزيز فيلالي أحمد صاري الطاهر يوناني دار الهدى، عين مليحة، 2012م، 160ص.
- 24- التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد ابن باديس. إعداد: مركز البحوث والدراسات، التابع لجامعة البنان، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1435هـ، 207ص.
- 25- تجربة في الإصلاح ابن باديس، صلاح الدين الجورشي (تونس)، دار الراية، تونس 1978م، 56ص.
- 26- ثورة العلم من ابن خلدون إلى ابن باديس. زهور أسعد دار هومة، الجزائر ط1، 2005م، 231ص.

- 27- جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر عبد الرشيد زروق، دار الشهاب، بيروت، ط1، 1420 هـ، 1999م، 272ص.
- 28- حركة عبد الحميد بن باديس وبورها في بقعة الجزائر فهيم سعد (البنان)، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط1، 1983م، 128ص.
- 29- حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس وأبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية. عبد الكريم بوالصفا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008، جزان، 1400ص.
- 30- خطوات في العمل الإسلامي كما رسمها ابن باديس أبو جرة سلطاني، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1404 هـ، 1984م، 176ص.
- 31- الدر النظيم في إجازات وصريات الإمام عبد الحميد بن باديس إعداد: حسن بن عليجة دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2014م، 196ص.
- 32- ذكرى الشيخ عبد الحميد بن باديس الخامسة عشرية عبد الله شريط، تونس، 1956م.
- 33- ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس ومحمد الشير الإبراهيمي، باعزير بن عص منشورات الجيب، الجزائر 2006م، 142ص.
- 34- رائد النهضة الإمام عبد الحميد بن باديس موسى حميش، منشورات بغداد، الجزائر بدون تاريخ، 110ص.
- 35- الشيخ عبد الحميد بن باديس عز الدين إسماعيل وآخرون سلسلة نوايا العرب رقم 14، دار العودة، بيروت، 1967م، 108ص.
- 36- الشيخ عبد الحميد بن باديس، الجزء الثالث من سلسلة: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، محمد طهاري، دار الأمة، الجزائر 1998م، 148ص.
- 37- الشيخ عبد الحميد بن باديس باحث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة تركي رايح موقع للنشر، الجزائر ط2، 2003م، 307ص.
- 38- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر تركي رايح المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط4، 1984م، 380ص.
- 39- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر: مرجع شامل عن حياة الشيخ عبد الحميد بن باديس وأعماله العلمية والتربية والإسلامية والثقافية والوطنية، تركي رايح عمارة، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2001، 543ص.
- 40- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الإسلامية، دليل بركان المكتبة العصرية، الربيع، بدون تاريخ، 32ص.
- 41- الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الجزائرية، محمد شطوطي، سلسلة البهاج في أعلام العرب والمسلمين مؤسسة كوشنكار الجزائر ط1، 2009م، 32ص.
- 42- الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1940-1940)، تركي رايح الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1970م، 384ص.
- 43- الشيخ عبد الحميد بن باديس وجهاده الفكري والسياسي عمار طالبي، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض 1401هـ بحث من 12ص.
- 44- الشيخ عبد الحميد بن باديس ورفاقه رواد الإصلاح عبد الغني بن محمد دار البان الجزائر 1430هـ، 2009م، 80ص.
- 45- صراع بين السنة والجماعة أو الفصحة الكاملة للسلطان بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس أحمد حماني دار البعث، قسنطينة، ط1، 1405هـ، 1984م، جزان، الأول: 351ص. والثاني: 315ص.
- 46- صورة من حياة وتضال الزعيم الإسلامي والمصلح الديني الكبير الشيخ عبد الحميد بن باديس، محمد المنصوري القسيري، تقديم وتعليق: مسعود فلويسي نشر: المحقق مطبعة فرقي، باتنة، ط1، 1427 هـ، 2006م، 167ص.
- 47- صور ووثائق الإمام عبد الحميد بن باديس عبد العزيز فيلالي، دار الهدى، عين مليحة، 2013م، 128ص.
- 48- عبد الحميد بن باديس العالم الرياني والزعيم السياسي مان صلاح مطبقاني (السعودية)، دار القلم، دمشق سلسلة أعلام المسلمين رقم 28، ط2، 1420هـ، 1999م، 222ص.
- 49- عبد الحميد بن باديس باحث النهضة العربية الإسلامية في الجزائر سلسلة كبير سلسلة من أعلام الجزائر في العصر الحديث، رقم 11، المكتبة الحضراء الجزائرية ط1، 2007م، 32ص.
- 50- عبد الحميد بن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة محمد فتحى عثمان (مصر)، دار القلم، الكويت، ط1، 1407 هـ، 1987م، 185ص.
- 51- عبد الحميد بن باديس رائد النهضة رايح لويس، سلسلة أبطال من وطني دار العرفة، الجزائر 2006م، 32ص.
- 52- عبد الحميد بن باديس: شهادة الإمام الإبراهيمي فيه، محمد دراجي دار الهدى، عين مليحة، ط1، 2013م، 112ص.
- 53- عبد الحميد بن باديس: مرحلة التحصيل والتكوين، عبد العزيز فيلالي، دار الهدى، عين مليحة، ط1، 2014م، 192ص.
- 54- عبد الحميد بن باديس مفسرا حسن عبد الرحمن سلواي (الأردن)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط1، 1984م، 300ص.
- 55- عبد الحميد بن باديس وآرائه الفلسفية بين النظرية والتطبيق عبد الحميد درويش (مصر)، مطبعة جامعة القاهرة ط1، 1995م، 154ص. ط2 مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2010م، 153ص.

- 56- عبد الحميد بن باديس والهوية الجزائرية: 16 أبريل يوم العلم، علي ثابليت، منشورات لائق، الجزائر ط1، 2004م، 40ص.
 - 57- عبد الحميد بن باديس وأثران الاستعمار (رواية مسرحية)، محمد الطاهر فضلاء دار الشهاب، باتنة، 1981م، 96ص.
 - 58- عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، بسام العسلي (سوريا)، دار النفاذ، بيروت، سلسلة جهاد شعب الجزائر رقم 7، ط2، 1403هـ، 1983م، 224ص.
 - 59- عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى بن محمد حميدانو، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، سلسلة كتاب الأمة، رقم 57، ط1، محرم 1418هـ، مايو - يونيو 1997م، 190ص.
 - 60- عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح، عمار بن مزور، دار الأمل، تيزي وزو، ط1، 2010م، 311ص.
 - 61- عقيدة الإمام عبد الحميد بن باديس السلفية وبيان موقفه من الأشعرية، أبو عبد الله محمد حاج عيسى الجزائري دار الإمام مالك، الجزائر 2003م.
 - 62- العقيدة في الغرب الإسلامي: عبد الحميد بن باديس أنموذج حكممة ضاهي، دار الكتب العلمية، بيروت، 128ص.
 - 63- الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس، مالك بن خليف، دار طليطلة، الجزائر 1430هـ، 2010م، 504ص.
 - 64- الفكر العربي الحديث والمعاصر: محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذج، عبد الكريم بوالصفا، دار صا، بونيفارميني براس، قسنطينة، 2009، ثلاثة أجزاء الأول: 464ص. الثاني: 334ص. الثالث: 426ص.
 - 65- فلسفة ابن باديس النظرية عبد الحميد درويش النسيج، بدون ناشر، 180ص.
 - 66- فلسفة الإمام ابن باديس في الإصلاح والتجديد، بركات محمد مراد (مصر)، الصدر لخدمات الطباعة، القاهرة، ط1، 1992م، 227ص.
 - 67- في ذكرى ابن باديس، مطبعة الشركة الوطنية، الجزائر، 1391هـ، 1971م، 130ص.
 - 68- المدرسة الجزائرية من ابن باديس إلى بافلوف، مليكة بوناليه فريغو تقديم: محمد جيجلي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1989م، 165ص.
 - 69- المصلح محمد الإمام ابن باديس لهذا حاولوا اغتياله، محمد الصالح الصديق، بدون الطبوعات الجامعية الجزائرية، ط1، 2006م، 272ص.
 - 70- ملحق بمناسبة الذكرى الواحدة والثلاثين لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، جريدة الشعب، العدد 2299، الجمعة 20 صفر 1391هـ، 16 أبريل 1971م، 137ص.
 - 71- وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة ابن باديس الراسية، عبد العزيز فيلالي، مؤسسة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، قسنطينة، طبع: دار الهدى، عين مليحة، 2012م، 128ص.
- ثانيا: الرسائل الجامعية:
- 72- الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس: دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، رسالة دكتوراه في جامعة تونس الأولى، إعداد: عبد الكريم بوالصفا، إشراف: محمد الهادي الشريف، 1987-1989م، 539ص.
 - 73- الاتجاه الاجتماعي في التفسير عند الشيخ عبد الحميد بن باديس من خلال تفسيره «مجالس التفكير»، رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر في قسنطينة، إعداد: عائشة سعدي، إشراف: رمضان بخلوف، 2013م، 297 ورقة.
 - 74- الأخلاق عند عبد الحميد بن باديس بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير بجامعة الجزائر، إعداد: بوعلام وناس، 1409هـ، 1989م، 219 ورقة.
 - 75- إسهامات ابن باديس في تجديد العقيدة، رسالة دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية في جامعة باتنة، إعداد: أنيسة زغود، إشراف: مولود سعفاد، 2013م، 558 ورقة.
 - 76- الإمام عبد الحميد بن باديس (1889-1940) فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، رسالة ماجستير إعداد: تركي رايح عمارة، إشراف: محمد عبد الهادي عفيفي، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة، 1989م.
 - 77- الإمام عبد الحميد بن باديس وآرائه الكلامية والأخلاقية، رسالة ماجستير كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، إعداد: شرف محمد قدرى أبو العز، إشراف: حامد طلاس، 1994م.
 - 78- الإمام عبد الحميد بن باديس ومنهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير وشرح الحديث، رسالة ماجستير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى في مكة المكرمة، إعداد: عامر لعربي، إشراف: سليمان الصادق البير، 1409هـ، 1989م، 500ص.
 - 79- البعد الاجتماعي في الفكر الدعوي الباديسي، مذكرة ماجستير بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، إعداد: مصطفى مخلوف، إشراف: مولود سعفاد، 2003م، 273ص.
 - 80- تفسير المصلح عبد الحميد بن باديس: المنهج والخطاب الإسلامي، رسالة ماجستير بكلية معارف الوحي الجامعية الإسلامية العالية في ماليزيا، إعداد: عبد العالي بن خميسي باي زكوب، إشراف: عمار بن فاضل، 2008م.
 - 81- توظيف السياق في مجالس التفكير من كلام الحكيم الخبير للعلامة عبد الحميد بن باديس، رسالة ماجستير بقسم اللغة العربية، جامعة الجزائر، إعداد: يحيى بوعنو، إشراف: مفتاح بن عروس، 2010-2011، 294ص.

- 82- حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر، إعداد: محمد علوش، إشراف: الشيخ أبو عمران، 1984م، 354ص.
- 83- الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمد الشير الإبراهيمي، مذكرة ماجستير بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، إعداد: شهيرة شغري، إشراف: محمد زمران، 2008-2009، 266ص.
- 84- الدور الإسلامي للإمامين عبد الحميد بن باديس وحسن البنا: دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة الوادي، إعداد: أحمد جمال زواري، إشراف: محمد السعيد عقيب، 2014م، 335 ورقة.
- 85- رحلات عبد الحميد بن باديس إلى تونس وفرنسا 1908-1938، مذكرة ماجستير بقسم التاريخ، جامعة الجزائر، إعداد: عبد الرزاق توفيات، إشراف: مولود عوي، 2009-2020، 126ص.
- 86- الرد التربوي لابن باديس على المشروع الاستعماري، رسالة ماجستير بمعهد علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر، إعداد: حسين بن مرسل، إشراف: الطيب بلعربي، 1991م، 105ص.
- 87- الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - وجهوده الفقهية، رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر في قسنطينة، إعداد: نصر الدين سلطاني، إشراف: نذير حماد، 2011م، 250 ورقة.
- 88- الشيخ عبد الحميد بن باديس ومنهجه الإسلامي، رسالة ماجستير بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية، المدينة المنورة، إعداد: عبد الله بن محمد البكري، إشراف: عبد الحميد معاد، 1985-1986م، 1406هـ، 184 ورقة.
- 89- عبد الحميد بن باديس مصلحا اجتماعيا، بعلوم دراسات عليا، كلية الآداب، الجامعة اللبنانية، 1979م.
- 90- عبد الحميد بن باديس وآل دعوته في الجزائر رسالة ماجستير بكلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، إعداد: عبيد بن عبد العزيز بن عبد الله الفيصل، إشراف: جلال محمد موسى، 1407هـ، 183ص.
- 91- عبد الحميد بن باديس وآرائه الفلسفية بين النظرية والتطبيق، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة القاهرة، إعداد: عبد الحميد درويش عبد الحميد، إشراف: يحيى هوي، 1982م.
- 92- عبد الحميد بن باديس وبوره الإسلامي في الجزائر مذكرة مكتملة للحصول على شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، إعداد: هيلة صندل، إشراف: شهرزاد بليلي، 2013م، 105ص.
- 93- فقه الحديث عند الإمام عبد الحميد بن باديس، رسالة دكتوراه في قسم الكتاب والعلم، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، إعداد: سيماتي ولد محمد، إشراف: مختار الصيرة، 2012م، 166 ورقة.
- 94- الفكر التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: عبد الحميد بن باديس نموذج، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة الجزائر، إعداد: سمير نعموني، إشراف: جمال معنوق، 2012-2011م، 388 ورقة.
- 95- الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس، مذكرة ماجستير بقسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر، إعداد: مسعود جباري، إشراف: محمد دراجي، 2002، 208ص.
- 96- الفكر الاقتصادي عند ابن باديس من خلال آثاره، مذكرة ماجستير بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، إعداد: عبد الحلق قصابي، إشراف: نور الدين طوالة، 2008-2009، 211ص.
- 97- منهج الإصلاح عند الإمام ابن باديس، رسالة دكتوراه بجامعة الجزائر، إعداد: علي علوش، إشراف: محمود يعقوبي، سنة 2001م، 1421هـ، 551ص.
- 98- منهج الإصلاح ومجالاته بين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بن عمر بوهوي، رسالة دكتوراه بكلية الشريعة وأصول الدين والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، إعداد: نور الدين سكحال، إشراف: فضيل دليو، سنة 2007-2008م، 505ص.
- 99- منهج التفسير عند الشيخين عبد الحميد بن باديس وإبراهيم بن عمر بوهوي، رسالة ماجستير بالمعهد الوطني للتعليم العالي للعلوم الإسلامية، باتنة، إعداد: تادية وزناجي، إشراف: أحمد رحمان، 1999م، جزان، 747ص.
- 100- منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس، رسالة ماجستير بكلية الشريعة وأصول الدين والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، إعداد: ساهية جفال، إشراف: محمد زمران، 2001-2000، 200ص.
- 101- منهجية التفسير عند الإمام ابن باديس، رسالة ماجستير بالمعهد الوطني للتعليم العالي لأصول الدين بالجزائر، إعداد: عبد الرحيم صاغي، إشراف: محمد مقبول حسين، 1983م، 229ص.
- 102- منهجية الدعوة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، رسالة ماجستير في قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر، إعداد: الطيب شارب، إشراف: محمد دراجي، 2011، 174ص.
- 103- مواقف ابن باديس السياسية من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1940-1931)، رسالة ماجستير بالدراسة العليا للأستاذة بوزريعة، الجزائر، إعداد: محمد حمزة، إشراف: شاولس حباسي، 2000-2001، 118ص.
- 104- النهضة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري (1940-1889)، رسالة ماجستير، إعداد: لطيفة عميرة، إشراف: تايب معروف، 2005م، 222 ورقة.

تعريف موجز بأبرز علماء الجزائر عبر التاريخ

الإسلام والعلم قرنان لا يتفصلان، وقد أثبت التاريخ الإسلامي الحافل أنه ما دخل الإسلام بلدا واعتنقه أهله اقتناعا صادقا، إلا ونشأت في هذا البلد حركة علمية تنمو وتزدهر شيئا فشيئا، وتتطور مع تطور علاقة أهل هذه البلاد بالإسلام ومدى حرصهم على العمل به وتطبيق أحكامه.



أ.د. محمد فوزي

وقت مبكر. وقد تعرض بسبب جهوده الإصلاحية وآرائه الصريحة إلى محن عظيمة مثلت في تأليب السلطات الاستعمارية للناس عليه وخريضها لهم على إيدائه. ثم ما لبثت السلطات الاستعمارية أن عزلته من وظيفة الإمامة وألقت القبض عليه واستولت على مكتبته الثمينة. وقد خلف العديد من المؤلفات منها: البدر الأسمى في بيان معاني نظم الأسماء الحسنى، شرح ابن عاشور السمر المصون على الجوهر للكنون أقرب الوسائل في الصلاة على النبي وجمع الشماميل، تنبيه المغترين والرد على إخوان الشياطين القول السديد على متن الفصيد في علم التوحيد، الفتحات الأزهرية في الخطب للنبيرة، وغيرها من المؤلفات في الفقه والتوحيد والتفسير.

5- **عبد الحليم بن سماية** (1351-1283 هـ - 1866-1833 م): وهو عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمن خوجة بن سماية. ولد بالجزائر (العاصمة)، وبها توفي. يعتبر في مقدمة العلماء الذين أسسوا النهضة الجزائرية الحديثة. ومن أوائل المصلحين الجزائريين. وما اشتهر به وقوفه ضد جنيد الجزائريين في الجيش الفرنسي وإصداره الفتوى للعرقة في ذلك بما أغضب سلطات الاحتلال، التي فصلته من عمله. كان يعدّ من أوسع علماء عصره علما وثقافة، فقد تخرّج على يديه جيل من المثقفين مزدوجي الثقافة منهم عبد الرحمن الجيلالي ترك مؤلفات قيمة لم يطبع منها شيء، من أبرزها: اهتزاز الأقطار والري في مسائل خليل الربا، ورسالة في التوحيد، والرد على شبه المبطلين والملاحدين، وكتاب فلسفة الإسلام الذي قدمه إلى مؤتمر المستشرقين بالجزائر (1905) وقرأ الفصل الأول منه على الحضور غير أن حكومة الاحتلال رقصت طبعه ضمن أعمال المؤرّر.

6- **محمد بن أبي شنب** (1347-1286 هـ - 1869-1829 م): وهو محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب. يعتبر أول جزائري حاصل لشهادة الدكتوراه في العصر الحديث. شهد له معاصروه من العلماء الجزائريين والأوروبيين والعرب بالعلم والتباهة والقدرة على التحقيق العلمي في زمن غلب التقليد على أهله. كان يتقن إلى جانب العربية كلا من الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والإسبانية والألمانية والفارسية. وشيئا من اللاتينية والتركية، وهذا - إضافة إلى مكانته العلمية ودقة خفيقاته - وهو ما جعل كثيرا من العلماء والمستشرقين يرسلونه ويكتبونه ويستشيرونه. ألف أكثر من 50 كتابا في تخصصات كما حقق عددا من مؤلفات العلماء السابقين. فمن عناوين مؤلفاته الشخصية: خفة الأدب في ميزان أشعار العرب، أبو دلامة وشعره وهو أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه التي حصل عليها سنة 1924. الأمثال العامية الدارجة في الجزائر وتونس والمغرب، فهرست الكتب المخطوطة في خزائن الجامع الأعظم بالجزائر، الكلمات التركية والفارسية المستعملة في اللهجة الجزائرية، ومن خفيقاته مؤلفات غيره: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسنا لابن مريم التلمساني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للبربري، الذخيرة السنينة في تاريخ الدولة المرينية، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية.

أعلام الحركة الإصلاحية والعلمية الحديثة والمعاصرة في الجزائر

في أواخر عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر ظهر جيل جديد من العلماء المصلحين الذين تلقوا تعليمهم وتكوينهم في كل من الزيتونة والأزهر وغيرها من الحواضر العلمية في العالم العربي والإسلامي، ولما عادوا إلى الجزائر بدأ كل منهم - في مقر إقامته - ينشر العلم ويعمل على توعية الجزائريين، ثم قاموا بإنشاء جمعية لتوحيد جهودهم وتوجيهها في إطار أحداث نهضة علمية وثقافية شاملة، وهؤلاء هم أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: أبو يعلى الزواوي (1371-1278 هـ / 1952-1862 م)، ابن باديس (1358-1307 هـ / 1940-1889 م)، إبراهيمي (1308-1365 هـ / 1965-1889 م)، مبارك الميلي (1364-1316 هـ / 1945-1895 م)، العربي التبسي (1376-1312 هـ / 1957-1895 م)، الطيب العفلي (1380-1307 هـ / 1961-1898 م)، أحمد توفيق المدني (1404-1317 هـ / 1989-1983 م)، إبراهيم بن عمر بيوض (1313-1401 هـ / 1981-1899 م)، أبو اليفطان إبراهيم حاج عيسى (1393-1306 هـ / 1973-1888 م)... وغيرهم، رحمهم الله جميعا.

«شفاء الأمراض لمن التجأ إلى الله بلا اعتراض»، وهو نظم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه والتابعين والأولياء (رضي الله عنهم)، وغيرها من المؤلفات النافعة.

11- **أبو راس الناصر العسكري** (1238-1165 هـ - 1823-1733 م): وهو محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي العسكري المعروف بأبي راس الناصر، يعتبر من الكثرين في التأليف، حيث ترك أكثر من مائة كتاب في الفقه والتاريخ والرحلات، أكثرها ما يزال مخطوطا، منها: مجمع البحرين ومطلع البدرين يفتح الجليل للبعد التليل في التفسير إلى علم التفسير، المداكر في ترتيب فقه الإمام مالك، رحمة الأمة في اختلاف الأئمة، زهرة الشماخ في علم التاريخ، در السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، عجائب الأسفار والطوائف الأخيار، القول المسلم في شرح السّلم.

12- **ابن العنابي** (1189 هـ / 1775-1851 م): وهو محمد بن محمود بن محمد بن حسين من أسرة علمية ودينية معروفة في عنابة، هذا الرجل كان يتبوأ مناصبا علميا وسياسيا رفيعا في آخر العهد العلماني بالجزائر، وقد غضب عليه الفرنسيون لما انتقد بشدة خرقهم للاتفاق الذي عقده مع الداي حسين، فقبضوا عليه وزجوا به في السجن ثم نفوه إلى مصر التي حظي فيها بمكانة خاصة وأصبح مدرسا في الأزهر الشريف، وبقي هناك حتى أدرسته الوفاة، وقد ترك عدة مؤلفات، منها: السعي المحمود في نظام الجنود.

من أعلام الجزائر خلال حقبة الاحتلال الفرنسي

عندما احتل الفرنسيون الجزائر، منذ سنة 1830 م، كان من بين خططهم التي عملوا على تنفيذها بحرص شديد، تجهيل الجزائريين بدينهم ولغتهم، وطمس معالم هويتهم، وتهيئة الجزائر شيئا فشيئا لتصبح - وإلى الأبد - جزءا من فرنسا، بحيث يصبح أهلها لا يعرفون إلى ما تعرفهم به فرنسا، ومع كل ما بذلته اللغة التي تعلمها لهم فرنسا، ومع كل ما بذلته سلطات الاحتلال الفرنسي من جهود وسخرته من إمكانيات، لم تستطع أن تمنع استمرار حلقات العلم والتعليم ومجال الدرس في الجزائر، والتي تخرج منها علماء حافظوا على الشخصية الوطنية الجزائرية بعدهم الإسلامي العربي، ومن هؤلاء العلماء:

1- **محمد بن أبي القاسم الهاملي** (1315-1240 هـ - 1897-1824 م): وهو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن ربيع الهاملي، أي من الهامل في بوسعادة، عرف بإنفاقه للقراءات السبع وقد أراد في سنة 1260 هـ / 1844 م الالتحاق بصوف المرافقة في جيش الأمير عبد القادر، إلا أن هذا الأخير رفض ورأى أنه من الأفضل له مواصلة تعلمه والقيام بمهمة التعليم والإرشاد والتوجيه، وقبلا عاد إلى بلدته واستمر في نشر العلم الشرعي والقيام على التوجيه والإرشاد حتى أدرسته منيته، وقد ترك عددا من الرسائل العلمية، منها: رسالة في الهجرة، رسالة في حرم الدخان، رسالة في تفسير سورة الفجر.

2- **عبد القادر المجاوي** (1267-1332 هـ - 1848-1914 م): الذي كان إماما قديرا وأستاذا متمكنا ومؤلفا نشطا ورجل إصلاح، وقد أحدث تأثيرا كبيرا في الأوساط الفكرية والشعبية بدروسه ومحاضراته العامة في كل من قسنطينة والجزائر العاصمة، وترك عددا من المؤلفات الهامة، منها: إرشاد المتعلمين نصيحة المريد.

3- **محمد بن عبد الرحمن الديسي** (1339-1270 هـ - 1921-1854 م): وهو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الطيب التلمساني، من بلدة الديس في نواحي بوسعادة، الذي قضى حياته متعلما، ومدرسا وأديبا منجحا، وقد ترك مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم العربية والإسلامية، طبع الفيل منها، من عناوينها: فوز الغام الزهرة للمنطقة وهو نظم في اللغة، عقد الجيد وهو منظومة في العقائد، العقيدة الفريدة، الشرب الراوي على منظومة الشيرازي في النحو، سلم الوصول وهو نظم الورقات في الأصول، إبراز الدقائق على كنوز الحقائق وهو شرح على كنوز الحقائق في الحديث للسنائي، تنوير الألباب بشرح أحاديث الشهاب، وغيرها.

4- **صالح بن مهنا القسنطيني** (1326-1271 هـ - 1910-1854 م): الذي عرف بلجأه الإصلاحية منذ

الرحمن، الفرشي المقرئ التلمساني، كان من أكابر المذهب المالكي في وقته، وعلى يديه تعلم كل من لسان الدين ابن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون، ترك مؤلفات رائدة منها كتابه الشهير في الفوائد الفقهية الذي سماه (قواعد الفقه)، وهو يعد من المصادر الأساسية في هذا العلم، وما من باحث كتب في هذا الموضوع إلا ورجع إليه واستفاد منه.

5- **عبد الرحمن الثعالبي** (872-786 هـ - 1385-1468 م): وهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، كان عالم زمانه في الفطر الجزائري في علوم التفسير، العقيدة، الفقه، والتصوف، وغيرها من العلوم الدينية الأخرى، وهو أحد أعلام القرن التاسع الهجري، ذلك أن الإنتاج الفكري للثعالبي انتشر في مختلف مكينات العالم العربي والغربي، اشتغل بالتدريس والتأليف، وكانت معظم مصنفاته في علوم الشريعة، وقد ترك في هذا الحقل ما يزيد على تسعين كتابا في التفسير والحديث والفقه واللغة والتاريخ والتراجم وغيرها، نذكر من بينها: تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن في أربعة أجزاء، روضة الأنوار ونزهة الأخيار في الفقه، جامع الهمم في أخبار الأئم، جامع الأمهات في أحكام العبادات، الأربعون حديثا في الوعظ، جامع الأمهات للمسائل المهمة في الفقه، رياض الصالحين وخفة المنفين في التصوف، وغيرها.

6- **محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني** (909-790 هـ / 1425-1504 م): العلامة الذي عاش في أواخر عهد ملكة بني زيان، وكان له دور كبير في نشر الإسلام في أدغال ومالك إفريقيا السوداء، كما اشتهر بقيادته حرب ضد اليهود في منطقة توات بصحراء أدرار بسبب محاولتهم مضايقة المسلمين، ترك هو الآخر مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم الإسلامية، منها: مصباح الأرواح وأصول الفلاح في العقيدة، لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب في المنطق، شرح التبيان في علم البيان، مختصران في الفرائض وغيرها.

7- **محمد بن يوسف السنوسي**: الذي عاش خلال القرن التاسع الهجري، حيث توفي سنة (896 هـ / 914 هـ / 1430 م / 1509 م): من علماء الجزائر الأعلام وفقيهاها البارزين في القرن التاسع الهجري، وقد اشتهر بكتابه الكبير المنقطع النظير (البيان المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء الأندلس وإفريقيا والمغرب)، وكذلك كتبه الفقهية الأخرى التي ما زالت إلى يومنا هذا تعتبر مصادر أساسية في موضوعاتها، ومنها: المنهج الفائق والنهل الرائق بأدب الموثق وأحكام الوثائق، الولايات في مناصب الحكومة الإسلامية والمخطط الشرعية، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، عدة البروق في تلخيص ما في المذهب من الجموع والفروق، وفيات السنوسي، وغيرها.

8- **أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي** (834-914 هـ / 1430 م / 1509 م): من علماء الجزائر الأعلام وفقيهاها البارزين في القرن التاسع الهجري، وقد اشتهر بكتابه الكبير المنقطع النظير (البيان المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء الأندلس وإفريقيا والمغرب)، وكذلك كتبه الفقهية الأخرى التي ما زالت إلى يومنا هذا تعتبر مصادر أساسية في موضوعاتها، ومنها: المنهج الفائق والنهل الرائق بأدب الموثق وأحكام الوثائق، الولايات في مناصب الحكومة الإسلامية والمخطط الشرعية، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك، عدة البروق في تلخيص ما في المذهب من الجموع والفروق، وفيات السنوسي، وغيرها.

9- **عبد الرحمن الأخضر**: وهو عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضر البنطوي البسكري الجزائري (953-920 هـ / 1545-1512 م)، المعروف بنظميه الشهيرين اللذين شرقا وغربا وهما (مختصر الأخضر في الفقه)، (والسلم اللزوق في علم المنطق)، وهذا الأخير من المصادر الأساسية في علم المنطق وكان يدرس في حواضر العلم في العالم الإسلامي كله، وما يزال إلى اليوم معتمدا في بعض الجامعات الإسلامية والعربية.

10- **عبد الكريم الفكون** (988-988 هـ - 1580-1663 م): الذي عرف بلقب شيخ الإسلام، والذي ترك هو الآخر مؤلفات عديدة في علوم مختلفة، منها: «منشور الهداية في كشف حال من اتقى العلم والولاية» وقد تعرض فيه إلى ترجمة أكثر من سبعين عالما، «فتح الهادي في شرح جمل الجردى ومخارج الحروف من الشاطبية» وهو مؤلف في القراءات، «الدور في شرح المختصر» والمقصود به «مختصر» عبد الرحمن الأخضر، «شرح البسط والتعريف في علم التصريف»، «فتح المالك في شرح ألفية ابن مالك».

وهكذا كان الحال بالنسبة لبلاد المغرب عموما، ومنها الجزائر خصوصا، منذ أن حل بها الإسلام وانتشر فيها ودخل أهلها فيه أفواجا، حيث نشأت فيها - منذ ذلك الحين - مجالس الدرس وحلقات التعليم، وبدأت بذلك إسهامات علماء هذه البلاد في الحضارة الإسلامية، وقد عرفت الجزائر ظهور حواضر علمية شهيرة كانت مقصدا لطلاب العلم عبر العصور، والذين كانوا يؤمنونها لطلب العلم ومجالسة العلماء والأخذ عنهم، منها: بجاية، والقلة، وتلمسان، وبونة، ووارجلان، والجزائر، ونوات، ونهيت... الخ، وفي كل حاضرة من هذه الحواضر كان هناك علماء بارزون ينشرون العلوم الإسلامية والعربية ويعلمونها لطلابها.

وقد شهدت كل المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر بعد الفتح الإسلامي ظهور علماء بارزين قدموا خدمات جليلة للعلوم الإسلامية واللغة العربية... وقد تعددت إسهامات علماء الجزائر في مختلف العلوم الإسلامية والعربية، فقد ألفوا في العقيدة والتفسير والحديث والفقه والأصول والمنطق والنحو والصرف والبلاغة والتاريخ والآداب... وتركوا فيها أنارا علمية خالدة.

وخلف كتب التاريخ والتراجم بأسماء كثيرة لعلماء جزائريين، وهناك كتب خصصها مؤلفوها للتعريف بعلماء الجزائر، مثل: «البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان» لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم، «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» لأبي العباس أحمد بن أحمد البربري، «تاريخ الجزائر العام» لعبد الرحمن بن محمد الجيلالي، «معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر» لعادل نويهيض، «تاريخ الجزائر الثقافي» لأبي القاسم سعد الله، وغيرها من الكتب والدراسات.

من أعلام الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي

ولأنه لا يمكن أن نعرف بكل العلماء الذين ظهروا في الجزائر عبر تاريخها في ظل الإسلام، لأن أسمائهم وحدها، دون تراجمهم، تملأ مجلدا كاملا، فإننا نكتفي بذكر أكثرهم شهرة، ومن هؤلاء:

1- **أبو علي الحسن بن رشيق المسيلي المعروف بالقيرواني** (456-390 هـ): أحد أعلام البلغاء والأدباء الذي اشتهر بكتابه (العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وبعيونه)، وهذا الكتاب ما يزال إلى اليوم من المصادر الأساسية في الأدب والنقد لا يستغني مؤلف في هذا الموضوع عن الرجوع إليه والاستفادة منه.

2- **أبو القاسم الهذلي العسكري الجزائري** (465 هـ): وهو يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عليل بن سواده، المقرئ الجوّال أحد من طاف الدنيا في طلب القراءات، ورحل من أقصى المغرب إلى بلاد الترك وكانت رحلته سنة 425 هـ ترك كتابا هاما ما يزال إلى اليوم يعتبر مصدرا أساسيا في علم القراءات، عنوانه: (الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها)، وهذا الكتاب يعد من أوسع وأغزر كتب القراءات رواية، فهو أشمل كتاب عرف في القراءات، جمع بين دفتيه القراءات العشر المشهورة والأربعين الزائدة عليها، وقد احتوى على كنوز من المعرفة المتعلقة بالقراءات والتجويد وقضايا سور القرآن الكريم وفضل قارئ القرآن الكريم.

3- **ابن معطي الزواوي** (628-564 هـ): وهو يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي، الذي يعد أول من ألف في النحو عن طريق النظم الشعري بكتابه الدرة الألفية في النحو، حيث سبقت ألفيته ألفية ابن مالك في هذا العلم، كما ترك كتابا مهما يعتبر من المصادر الهامة في اللغة هو كتاب (الفصول الخمسون) الذي كان يدرس في الأزهر الشريف، تصدّر الإمام ابن معطي للإقراء بالجامع الكبير في دمشق، وكذا في الجامع العتيق وفي جامع عمرو بن العاص في القاهرة، كما جلس محاضرا ومقرئا في مجالس الأمراء والحكام، وقد استفاد من علمه وأدبه جمع غفير من الطلبة الذين أصبحوا علماء.

4- **أبو عبد الله المقرئ** (759 هـ / 1359 م): وهو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد

وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ضيافة السودان الشقيق



بقلم: أ.د. مسعود فلوسي

مطار هواري بومدين، حيث استقل الوفد طائرة الخطوط الجوية القطرية التي استغرقت رحلتها ما بين الجزائر والدوحة ست ساعات، وبعد الوصول إلى الدوحة ظل أعضاء الوفد في المطار إلى غاية الساعة السابعة والنصف من صبيحة الجمعة 4 مارس بالتوقيت المحلي حيث أقلتهم الطائرة القطرية المتوجهة إلى الخرطوم، وقد وصلت بعد أربع ساعات.

ورغم أن الأصل في هذه الزيارة هو المشاركة في الأسبوع الثقافي الدعوي، بالمساهمة في إثراء محاضرات مقررة من قبل هيئة العلماء، موضوعها حول الفتوى وما يتعلق بها من أمور تمس حياة المسلم عامة، وطبيعة العقل الفقهي، فإن ما كان على هامش النشاط المقرر لهذه الزيارة مفيد جدا وغني وحافل بالأنشطة الدعوية المتنوعة، كما أن الزيارات العلمية إلى الكثير من المرافق العلمية والدعوية والمقرات العلمائية، كانت ثمرة جدا، وقد تزامنت هذه الزيارة مع وفاة الدكتور حسن الترابي رحمه الله، وكان على وفد جمعية العلماء القيام بواجب العزاء لآل الترابي، فكانت الرحلة بتفاصيلها وفق البرنامج التالي:

بدعوة من هيئة علماء السودان، زار البلد الشقيق السودان، خلال الفترة الممتدة من الجمعة 4 مارس وإلى غاية الثلاثاء 9 مارس 2016، وفد من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة رئيس الجمعية الأستاذ الدكتور عبدالرزاق قسوم وعضوية كل من: الأستاذ التهامي مجوري عضو المكتب الوطني للجمعية ورئيس تحرير جريدة البصائر، الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ بورديم عضو المجلس الوطني للجمعية وأستاذ بالمركز الجامعي لعين تموشنت، الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي عضو المجلس الوطني للجمعية وأستاذ بجامعة باتنة، الأستاذ الشيخ تهامي بن سعد عضو المكتب الوطني للجمعية وإمام خطيب بمدينة برج بوعريش، وذلك للمشاركة في الموسم الثقافي الدعوي الأول لهيئة علماء السودان، والذي نُظم تحت شعار (نحو وطن آمن ومجتمع متضامن)، برعاية كريمة الأستاذ حسبو محمد عبدالرحمن نائب رئيس الجمهورية السودانية.

كانت انطلاقا رحلة وفد جمعية العلماء مساء يوم الخميس 3 مارس من

1. لقاء مع إدارات هيئة العلماء، الهيئة المضييفة لوفد جمعية العلماء

2. نشاط إعلامي في محطات إذاعية وتلفزيونية

3. إلقاء محاضرات في الجامعة والمراكز الثقافية ومؤسسات المجتمع المدني والمساجد

4. زيارات لمؤسسات أكاديمية وعلمية ودعوية

5. جولة سياحية

6. القيام بواجب العزاء لآل الترابي

في أثناء الندوة خرج الأستاذ الدكتور عبدالرزاق قسوم من القاعة والتحق بمقر إذاعة الفرقان أين شارك في برنامج يذاع على المباشر، ليعود في ختام الندوة، ولذلك طلب منه أن يتقدم بكلمة بالمناسبة فارتجل كلمة هامة مما جاء فيها: "حتى نتخلص من فوضوية الفتاوى نحن مطالبون بالانتقال إلى فقه الفقه، فالمفتي كالمطبيب الذي يعطي كل مريض الدواء الذي يلزمه، مما يستدعي أن يكون الفقيه متعدد التكوين حتى يتمكن من تصور المسائل كما هي في الواقع ليفتي فيها بالأحكام المناسبة". وبعد كلمة الدكتور قسوم اختتمت الندوة ورفعت الجلسة.

مشاركة في برنامج تلفزيوني مباشر على قناة ساهور

في المساء كان كل من الأستاذ الدكتور عبدالرزاق قسوم والأستاذ الدكتور مسعود فلوسي على موعد مع المشاركة في برنامج تلفزيوني يبث على المباشر عبر قناة ساهور الفضائية من الساعة الخامسة والنصف إلى الساعة السادسة والنصف. عند وصولنا إلى مقر القناة لاحظت أنه مقر بسيط جدا، ويقوم على إدارة البرامج وإعدادها عدد من الشباب النشطين الذين استقبلونا بكل ترحاب وأكرمونا بما عندهم من حلويات ومشروبات. وقد أدار الحصة التي شاركنا فيها شاب اسمه الدكتور محمد وهو حاصل على الدكتوراه في التدريب ويحظى باحترام كبير من قبل زملائه، وهم ينادونه جميعا «مولانا»، وقد تشعب الحديث خلال الحصة إلى عدة موضوعات، فقد تحدثنا عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتاريخها وجهودها، وكذا عن فقه المقاصد وأهميته في الاجتهاد والفتوى، والتصوف الصحيح والحاجة إليه وكيفية تحقيقه. وبعد نهاية الحصة شكرنا القائمين على القناة وتمنينا لهم النجاح والتوفيق.

خبر وفاة الدكتور الترابي ودرس في مسجد الخرطوم الكبير

عند خروجنا من مقر القناة، أخبرنا الأخ بسبوني الذي كان بصحبتنا أن الدكتور الترابي قد توفي إثر نوبة قلبية ألمت به عندما كان يمارس مهامه في مكتبه بمقر حزبه، ورغم الإعاقات الأولية التي قدمت له بالمستشفى إلا أن المنية أدركته، وأخبرنا أن دفنه سيكون في الساعة السابعة صباحا من يوم غد وهو الأحد. كان علينا أن نتنقل إلى المسجد الكبير للخرطوم أين سيلقي الشيخ التهامي بن سعد درسا عاما بعد صلاة المغرب، وفعلنا وصلنا المسجد في الوقت المناسب وصلينا ثم جلسنا نستمع للدرس الذي أداره الشيخ التهامي حول النعم التي أنعم الله عز وجل بها على عباده، ومنها نعمة معرفة الحق والعمل به، وهي نعمة يفتقدها كثير من الناس، وهنا ركز الشيخ التهامي على قصة سلمان الفارسي باعتبارها قصة نموذجية للإنسان الباحث عن الحق والذي يوفقه الله للوصول إليه وإن طالت مدة الوصول، مستخرجا ما في القصة من عبر ودروس.

محاضرة في كلية أصول الدين بجامعة أم درمان

كان يوم الأحد 6 مارس يوما حافلا بالنشطة العلمية واللقاءات، حيث بدأنا نشاطنا بزيارة كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية، وهناك وجدنا في استقبالنا عميد الكلية الذي اصطحبنا إلى قاعة المحاضرات (الدوحة)، أين وجدنا عددا من أساتذة الكلية وباحثيها وطلبتها، وبعد الترحيب بأعضاء الوفد وتقديمهم للحاضرين من قبل عميد الكلية، صعد إلى المنصة كل من الأستاذ التهامي مجوري والأستاذ الدكتور مسعود فلوسي، اللذين اشتركا في إلقاء محاضرة بعنوان (العقل الفقهي قديما وحديثا)، كانت متبوعة بتدخلات وتعقيبات وتساؤلات من الحاضرين في القاعة.

ثم طلب عميد كلية أصول الدين من الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم أن يتقدم بكلمة بالمناسبة، فكان أن ارتجل كلمة ضافية تناول فيها أهم القضايا التي تشغل بال الباحثين والمهتمين بالدراسات الإسلامية والفكر الإسلامي وكيفية التعامل مع مختلف القضايا المطروحة في الواقع.

يتحلى به المفتي من صفات ومؤهلات. بعد ذلك فُسح المجال أمام المتدخلين في الندوة وهم أربعة من علماء السودان، وكان المطلوب منا نحن أعضاء الوفد الجزائري أن يتولى كل واحد منا التعقيب على إحدى المحاضرات، حيث خُصص لكل محاضرة ربع ساعة وخُصص لكل تعقيب عشر دقائق. كان أول المحاضرين هو الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد الكاروري عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة أم درمان الإسلامية والأمين العام لهيئة علماء السودان في محاضرة بعنوان (أسس بناء العقل الفقهي بين المراكز الفقهية والقانونية دراسة مقارنة)، وقد تولى التعقيب على محاضراته الأستاذ التهامي مجوري. وثاني المحاضرين كان الدكتور محمد عثمان النظيف أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة والقانون في جامعة أم درمان الذي تحدث عن (الفتوى بين العام والخاص)، وقد تولى التعقيب على المحاضرة الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ بورديم، حيث بدأ تدخله بقراءة مقطوعة شعرية خطرت له بعد سماع القصيدة التي رواها الأستاذ الدكتور عصام البشير. وقد جاء في مقطوعة الدكتور عبد الحفيظ قوله:

ما أعذب الشعر في السودان موئله



كأنه من عرى الإيمان منهله

سالت به روضة الوادي تردده

زكت جوانبه واخضر منزله

رقت حواشيه حتى خلت رطبا

طابت منابته واهتز محمله

أفدي الرجال: رجالا زانهم أدب

في طبعهم. وتقى فيهم يجمله

وهيته علماء الحق حليتها

هم الهداة ومنهم الخير نأمله

لله درهم كالصحب مطلبهم

الرمل والنيل يحكي ويرتله

فاموا كأنهم فرسان ملحمة

النخل شاهدهم والوحي جلله

حموا حمى الدين من مسخ ادعى كذبا

"ما يوم من تاه في الإضلال جلهه"

كسامري رأى الإعجاز فاخطلط

أمشأحه. ورسول العزم يبطله

أفدي العمائم أطهارا إذا سجدوا

بهم التأسي ومنهم الفضل أفضله

هم حرروا النيل من بغي ومن دجل

إن الجلال من القرآن أجمله

هم علموا سنن الهادي وسيرته

ففاض منهم التقى حبا يعلله

أما ثالث المتدخلين فكان الأستاذ علي محمد علي بديوي من معهد علوم الزكاة في السودان والذي تناول (منهج الفتوى في ضوء المستجدات نماذج تطبيقية) وقد عقب على مداخلته الأستاذ التهامي بن سعد. أما المتدخل الرابع والأخير فكان الشيخ محمود علي الطاهر أمين دائرة الفتوى بهيئة علماء السودان، والذي تحدث في موضوع (الفتوى بين الإطلاق والإلزام)، وقد تولى التعقيب على مداخلته الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي.



النيل الأزرق للمشاركة في برنامج فتاوى. خرجت معه من مقر هيئة علماء السودان واتجهنا مباشرة إلى مقر القناة، وهناك حظينا باستقبال طيب من مسؤولي القناة

استقبال الوفد في الخرطوم

في مطار الخرطوم كان في استقبال أعضاء الوفد الأستاذ الدكتور الشيخ محمد عثمان صالح رئيس هيئة علماء السودان الذي كان مرفوقا بعدد من مساعديه الذين تكفلوا بختم الجوازات وجلب الأمتعة ووضعها في السيارات، وبعد استراحة في القاعة الشرفية للمطار وتناول مشروب الكركديه الرائع واللذيذ تم نقلنا في سيارات تابعة لرئاسة الجمهورية السودانية (بقيت مسخرة لنا طيلة أيام تواجدها في السودان) إلى أحد مساجد الخرطوم أين أدينا صلاة الجمعة، وقد خطب الجمعة أحد المشايخ من السعودية وهو من أصل أراكاني وقد كان حديثه طيلة الخطبة حول معاناة المسلمين في إقليم أراكا ببورما وما يتعرضون له من تقتيل وترويع وتشتيت من قبل الأكثرية البوذية هناك، وبعد انتهائه من الخطبة كلف أحد مرافقيه وهو مقرئ أراكاني بإمامة المصلين.

بعد أداء الصلاة تم نقل الوفد إلى مقر إقامته في فندق قريب من المسجد اسمه فندق كورال وهو فندق فخم يحتوي على كل المرافق ومجهز بكل ما قد يحتاج إليه المقيم فيه. وقد تم إعلامنا أن هناك لقاء يجمع أعضاء الوفد الجزائري بنظرهم من علماء السودان في مقر الهيئة بعد صلاة المغرب يتلوه عشاء على شرف علماء الجزائر، كما أخبرت أنني معنيٌ بالمشاركة في برنامج فتاوى الذي يبث على المباشر عبر قناة النيل الأزرق في الساعة التاسعة ليلا.

لقاء بمقر هيئة علماء السودان

استرحنا بعض الوقت في الفندق، وهيانا أنفسنا للموعد المحدد، وما إن صلينا المغرب حتى جاءت السيارات التي أقلتنا إلى مقر هيئة علماء السودان، وهناك وجدنا عددا كبيرا من العلماء السودانيين الذين دُعوا لحضور هذا اللقاء، وبعد الترحيب وتبادل عبارات المودة والأخوة افتُتح الحفل بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم، ثم قام الأستاذ الدكتور محمد عثمان صالح رئيس هيئة علماء السودان ورحب بالوفد الجزائري وأشاد بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجهاد الشعب الجزائري ومقاومته للاستعمار الفرنسي، وأبرز ما تقوم به الجمعية اليوم من جهود في خدمة الإسلام والمسلمين، ليحيل الكلمة بعد ذلك إلى رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأستاذ الدكتور عبدالرزاق قسوم الذي ارتجل كلمة ضافية امتدت على أكثر من نصف ساعة تقدم في بدايتها باسمه ونياية عن بقية أعضاء الوفد بوافر الشكر إلى هيئة علماء السودان وإلى جميع أفراد الشعب السوداني على حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة والعناية الفائقة براحة الوفد، كما عرف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وظروف نشأتها، وأبرز باستفاضة ما قامت به من جهود خلال العهد الاستعماري وما تقوم به اليوم من أنشطة وأعمال في إطار التوعية الإسلامية وترقية أعمال الدعوة وتطوير وسائلها.

مشاركة في برنامج فتاوى على قناة النيل الأزرق

وفي أثناء كلمة الدكتور قسوم، جاءني الدكتور محمد هاشم الحكيم وطلب مني أن أصحبه إلى مقر قناة

لقاء بإدارة وإطارات جامعة أم درمان

بعد نهاية نشاطنا في كلية أصول الدين التقينا بالسيد نائب مدير الجامعة الأستاذ الدكتور الخضر علي إدريس الذي رحب بالوفد الجزائري واعتذر عن غياب السيد مدير الجامعة بسبب إرتباطات سابقة. وقد جرى اجتماع بين الفريقين حضره أعضاء الوفد وكل أعضاء إدارة الجامعة وبعض عمداء الكليات، وقد عرض خلال اللقاء فيلم وثائقي يعرف بجامعة أم درمان وكلياتها ومرافقها، حيث عرفنا أن نواة هذه الجامعة بدأت سنة 1901 على يد مجموعة من العلماء الذين كانوا يعلمون ويعطون الإجازات، ثم تطورت في سنة 1912 لتسمى المعهد العلمي، وتطورت بعد ذلك إلى أن أصبحت على شكلها الحالي، وهي تضم 60 ألف طالب وطالبة موزعين على 19 كلية وعدة معاهد، وتملك دار نشر منذ سنة 1982.

بعد مشاهدة الفيلم الوثائقي، أحييت الكلمة إلى رئيس الوفد الجزائري الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم، الذي ثمن هذا اللقاء وأبرز أهميته، وهنا إدارة الجامعة وطاقمها الإداري وأساتذتها وطلابها على المكاسب المحققة. وأكد طموح الجمعية إلى تعزيز التعاون والتكامل العلمي والثقافي مع مختلف الجامعات العربية ومنها خاصة جامعة أم درمان الإسلامية وهيئة علماء السودان، لتحقيق ما تطمح إليه شعوبنا وأوطاننا. كما أكد الدكتور قسوم أن مما يعزز هذا التعاون أن هناك مواصفات مشتركة بين شعبينا، ومنها: الطبية الفطرية، المناخ الجغرافي، المذهب المالكي، جهاد العدو ورفض الهيمنة الأجنبية، الاستقلال السياسي والحضاري، راجيا أن تكون هذه المواصفات حافزا للطرفين إلى تتين العلاقات وتبادل الخبرات.

وقد دار خلال اللقاء بعد ذلك حوار حول التكوين في مختلف المجالات الجامعية والمناهج المتبعة في البلدين. لينتهي اللقاء بإهداء وفد الجمعية آثار الشيخين ابن باديس والإبراهيمي إلى مكتبة جامعة أم درمان.

مشاركة في برنامج مباشر على التلفزيون الرسمي السوداني

بعد هذا اللقاء، غادرنا جامعة أم درمان، حيث اتجه الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم والأستاذ الدكتور مسعود إلى مقر التلفزيون القومي السوداني للمشاركة في برنامج (هدى للناس) الذي يبث مباشرة، بينما اتجه بقية أعضاء الوفد وجهات أخرى.

فيما يتعلق بالدكتور عبد الرزاق والدكتور مسعود بعد وصولهما إلى مقر التلفزيون القومي السوداني تم استقبالهما من قبل مدير البرامج وكذا معد البرنامج المذكور، وبعد الاتفاق مع مقدم البرنامج على أن يكون موضوع الحصة هو الاجتهاد ومتعلقاته، بدأت الحصة بالحديث عن مفهوم الاجتهاد ومواصفات المجتهد ومؤهلته، وواقع الاجتهاد وعلاقته بالمقاصد، ثم علاقة الاجتهاد بالنص الشرعي، ومختلف القضايا المرتبطة بالموضوع، وقد تقاسم الأستاذان الإجابة عن الأسئلة، سواء تلك المطروحة من قبل مقدم البرنامج أو الآتية من قبل المشاهدين الذين كانوا يتصلون ويتدخلون خلال الحصة.

محاضرات في محليات الخرطوم

أما بقية الأساتذة، فإن الأستاذ التهامي مجوري دُعي للقاء بإطارات وأئمة محلية (بلدية) كرري، حيث تحدث إليهم في موضوع (الاهتمام بالشان العام)، منطلقا من علاقته بعلماء السودان الذين تعلم منهم من خلال مؤلفاتهم، ومنهم: حسن الترابي، أبو القاسم حاج حمد، عصام البشير، مؤكدا أن أعمال هؤلاء كلها تمثل تجارب مهمة في إطار الاهتمام بالشان العام للمسلمين. واعتبر الاهتمام بالشان العام خدمة يقدمها الإنسان لمجتمعه، وأن العبادات من شأنها أن تربى الإنسان على هذا الأمر، وما لم تحقق العبادات هذا الشعور في الإنسان فمعنى ذلك أنها لم تخلصه من انانيته ولم تحقق هدفها في حياته. ثم أكد أن الفساد سببه معاصي الأفراد وتراجع الحس الاجتماعي، وهذا الفساد يعم الجميع بعد ذلك، مصدقا لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: 25].

من جهته الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ بورديم كانت له محاضرة بعنوان (العمل الجماعي بين الثواب والعقاب) بالمركز الثقافي لمحلية أم درمان، وقد انطلق فيها من قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105]، وهو خطاب موجه للجماعة يقتضي المحاسبة على الأعمال، وكذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الخلق كله عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله)، مؤكدا أن العيال هم المخلوقات كلها وليس الناس فقط. كما أشار إلى أن الإسلام شريعة تعلي من شان الخلق الفاضل، ودليل ذلك مدح الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم في حثه على التحلي بمكارم الأخلاق: (إن من أحبك إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا) [رواه الترمذي]. ليختتم محاضرتة بوقفه مع سورة الماعون التي تربط صدق التدين بعمل الخير.

درس في مسجد النور بالخرطوم

أما الأستاذ التهامي بن سعد فقد كان له درس بعد صلاة المغرب في مسجد النور الكبير بالخرطوم، وعنوانه (محبة الله وأثرها على سلوك الفرد)، تحدث فيه عن أن لكل إنسان غاية في هذه الحياة يسعى للوصول إليها ويسلك سبلا لتحقيقها، وأعظم غايات المؤمن أن تتاله محبة الله عز وجل. ومن سبل

تحقيق هذه المحبة التي فصل فيها الشيخ القول: امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، تقديم محاب الله عز وجل على محاب النفس، أن يعيش المؤمن لأمته ومجتمعه لا لنفسه فقط، تحقيق الأخوة والمحبة بين المؤمنين. وقد أورد في حديثه عن كل واحدة من هذه السبل أدلة من نصوص القرآن والسنة ونماذج عملية من سير الأنبياء والعلماء والصالحين.

جولة في المكتبات والسوق الشعبي لأم درمان

لم يكن هناك نشاط علمي أو ثقافي مبرمج للوفد الجزائري يوم الإثنين، ولذلك طلب أعضاءه من المنظمين تمكينهم من التجول في المدينة فاستجابوا مشكورين لذلك، وكانت البداية مع الكتاب، حيث نُقل أعضاء الوفد إلى مكتبة الدار السودانية للنشر والتوزيع، وهي مكتبة كبيرة وفيها كتب قيمة في العلوم المختلفة، وخاصة منها العلوم العربية والإسلامية، وقد اقتنى منها أعضاء الوفد ما طاب لكل واحد منهم، وخاصة مؤلفات كل من الشيخ حسن الترابي والأستاذ أبو القاسم حاج حمد رحمهما الله. لكن عندما أردنا أن نغادر المكتبة وتقدمنا لتسديد ثمن ما اقتناه كل واحد منا من كتب، أصر المضيفون من هيئة علماء السودان على أن الهيئة هي التي ستدفع وأنهم لن يسمحوا لأي واحد منا بدفع ثمن الكتب التي حملها، ورغم محاولتنا ثنيهم عن ذلك إلا أنهم أصرروا على الدفع، فجزاهم الله عنا كل خير، والحق أن تصرفهم هذا لم يكن غريبا، وما رأيناه منهم من كرم وحسن ضيافة وحرص على راحة الوفد يدل على أن هذا الخلق متأصل فيهم وليس فيه أي تكلف.

بعد خروجنا من المكتبة انتقلنا إلى السوق الشعبي لأم درمان، أين تواصلنا مع الشعب السوداني، ورأينا بساطة الحياة وتواضع الناس وسهولة العيش، وعلى رغم الحصار الذي يشن على هذا الشعب منذ سنوات، إلا أن السلع متوفرة والأسعار عادية وليس هناك غلاء فاحش.

وقد لفت انتباهنا أثناء التجوال محل لبيع المصنوعات الجلدية، وقد وجدنا فيه أنواعا من هذه المصنوعات، منها: أحذية ونعال ومحافظ، وهي كلها مصنوعة من جلود الحيات مثل الأناكوندا والكوبرا والتمساح، وقد وجدنا عنده جلدا للأناكوندا لا يقل طوله عن ستة أمتار، وهو جلد متين وخشن. وقد اقتنينا من هذا المحل بعض المصنوعات.

غذاء عند أحد مشايخ الخرطوم

بعد نهاية جولتنا في السوق عدنا إلى الفندق أين أخذنا قسطا من الراحة، لتنتج بعد ذلك إلى أحد أطراف مدينة الخرطوم أين كان في انتظارنا أحد المشايخ من أعيان المدينة، الذي أبقى إلّا أن يكرم الوفد الجزائري بغداء خاص. وعند وصولنا استقبلنا هناك بكل حفاوة واهتمام، وبعد التعارف وتبادل أطراف الحديث والتعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جيبى بالغداء الذي كان حافلا بمختلف أنواع الأطعمة والفواكه والحلويات.

وقد حضر الغداء إلى جانب الوفد الجزائري عدد كبير من الضيوف، منهم بعض علماء السودان، ومنهم إطارات في الدولة السودانية.

وعند خروجنا من بيت هذا الشيخ بعد صلاة العصر طلب منا أن ننتقل إلى مكان آخر أين كان مهيا لنا لقاء مع شيخ آخر من أعيان الخرطوم، إلا أننا اعتذرنا بسبب التعب والإرهاق الذي حل بنا بفعل النشاط المكثف خلال الأيام السابقة، وطلبنا أن ننقل إلى الفندق لناخذ قسطا من الراحة، وهو ما كان لنا.

زيارة مركز التنوير المعرفي

في صبيحة يوم الثلاثاء 8 مارس كانت لنا زيارة إلى مركز التنوير المعرفي بالخرطوم، وقد استقبلنا هناك مديره الأستاذ الدكتور محمد عبدالله النقراي الذي كان مرفوقا بعدد من مساعديه وإطارات المركز، وقدموا لنا بعض الإكراميات وطاقوا بنا في مرافق المجمع من مكتبة وقاعة محاضرات ومكاتب. وتم تبادل الحديث معهم بشأن إمكانية التعاون بين المركز وجمعية العلماء في مختلف مجالات البحث العلمي. وفي نهاية اللقاء قدموا لنا كهدية عددا من مطبوعات المركز وهي عبارة عن مجلة التنوير التي يصدرها المركز بانتظام وعددا من الكتب والرسائل الجامعية التي نشرها المركز. وهي كلها مطبوعات ذات أهمية كبيرة بالنظر إلى القضايا التي تعالجها والمسائل التي تناولتها بالدراسة.

زيارة مجمع الفقه الإسلامي ولقاء الدكتور عصام البشير عدنا بعد ذلك إلى الفندق، وما لبثنا أن جانا الأستاذ الدكتور محمد عثمان صالح رئيس هيئة علماء السودان، وأعلمنا بترتيب لقاء مع الأستاذ الدكتور عصام البشير رئيس مجمع الفقه الإسلامي السوداني في مقر المجمع. وفعلنا خرجنا من الفندق متجهين إلى المجمع، وهناك وجدنا في استقبالنا الدكتور عصام ومساعدته الدكتور عبد الله الزبير عبدالرحمن وعدد من إطارات المجمع. وبعد الجلوس في مكتب الدكتور عصام وتناول بعض الإكراميات التي أعدت للوفد، طاف بنا رئيس المجمع بمختلف مرافق المقر، من مكتبة وقاعة محاضرات كبرى وقاعة اجتماعات، وكلها مجهزة بأحدث التقنيات. وقد أخبرنا الدكتور عصام أن هذا المقر جديد، وأن الوفد الجزائري هو أول وفد رسمي يزوره.



في ختام اللقاء أهدانا الدكتور عصام بعض مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي السوداني، وخرجنا مرفوقين بالأستاذ الدكتور محمد عثمان صالح.

جولة نيلية وغداء على ظهر السفينة

انتقلنا بعد ذلك مباشرة إلى النيل أين أعدت لنا جولة خاصة على ظهر إحدى السفن. بعد وصولنا وركوبنا السفينة، وجدنا عددا من علماء السودان من أعضاء الهيئة، منهم مدير جامعة أم درمان ونائبه وعميد كلية الشريعة والقانون وعدد معتبر من الأساتذة والمشايخ الذين دعوا لحضور مأدبة غداء على شرف الوفد الجزائري.

تناول الكلمة الأستاذ الدكتور محمد عثمان صالح رئيس هيئة علماء السودان مرحبا بالوفد الجزائري، ومبديا سعادته وسعادة زملائه بهذا اللقاء، وشاكرا أعضاء الوفد على ما بذلوه من جهد خلال أيام إقامتهم. كما تحدث مدير جامعة أم درمان الإسلامية مبرزا أهمية العلاقات التي تجمع الشيعين الشقيقين وتمتينا توثيق العلاقات العلمية والثقافية بين مختلف الهيئات العلمية في البلدين. ثم تحدث الأستاذ الدكتور عبدالرزاق قسوم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وشكر هيئة علماء السودان على هذه الاستضافة الكريمة وعلى الرعاية الخاصة التي حظي بها الوفد الجزائري. كما طلب الكلمة الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ بورديم الذي قرأ مرة أخرى المقطوعة الشعرية التي سبق له أن القاها خلال تعقيبه في ندوة الفتوى.

أدبنا صلاة الظهر جماعة، ثم دُعي الجميع إلى تناول طعام الغداء، الذي كان معدا على شكل بوفيه مفتوح بحيث يأخذ كل شخص ما شاء من الطعام. وبعد الانتهاء من تناول الطعام كرمت هيئة علماء السودان أعضاء الوفد الجزائري



بتقديم شهادات شكر وتقدير مع عصا سودانية خاصة هدية لكل فرد منهم. كل ذلك والسفينة جارية بنا عبر النيل الأزرق.

في عزاء الشيخ الترابي

على إثر نهاية جولتنا على النيل الأزرق، انتقلنا رفقة الأستاذ الدكتور محمد عثمان صالح إلى بيت الشيخ الدكتور حسن الترابي رحمه الله لتقديم واجب العزاء. وهناك دخلنا خيمة كبيرة منصوبة أمام البيت هيئت خصيصا لاستقبال المعزين، وقد وجدنا في عين المكان أبناء الفقيد وشقيقه وأصهاره وإطارات حزبه وبعض الوزراء السابقين والحاليين وعددا كبيرا من الناس، كما وجدنا أيضا الدكتور عصام البشير الذي سبقنا إلى هناك.

جلسنا مع الدكتور عصام البشير بعض الوقت وتبادلنا أطراف الحديث مع بعض الحاضرين من علماء وسياسيين، ثم قام الأستاذ الدكتور محمد عثمان صالح وأخذ الميكروفون مُعلما الحاضرين بقدوم الوفد الجزائري للتعزية في وفاة الشيخ الترابي، ليحيل الكلمة إلى الأستاذ الدكتور عبدالرزاق قسوم الذي أشاد بخصال الفقيد وأبرز مكانته في الفكر الإسلامي المعاصر والجهود التي بذلها في إطار الدعوة الإسلامية منذ نعومة أظفاره، وقدم عزاء الشعب الجزائري عامة وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين خاصة إلى الشعب السوداني وخصوصا إلى أسرة الفقيد في وفاة هذا الرجل الكبير الذي لم تفقده السودان وحدها وإنما فقدته الأمة الإسلامية كلها، بالنظر إلى الثقل الذي كان يشكله والمكانة العلمية والفكرية التي كان يتبوهاها.

ودعنا الأستاذ الدكتور عصام البشير ثم عدنا إلى الفندق، وهناك ودعنا الأستاذ الدكتور محمد عثمان صالح، وقد أكد عليه الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم ضرورة حضور ملتقى الشيخين الثاني الذي سيعقد في برج بوغريبرج في شهر ماي القادم، وقد وعد بالحضور إن لم يمنعه من ذلك مانع.

نهاية الرحلة والعودة إلى الجزائر

في الساعة الأولى من صبيحة يوم الأربعاء 9 مارس، التحقنا بمطار الخرطوم، وقد جاء لتوديعنا هناك الأستاذ الدكتور إبراهيم الكاروري عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة أم درمان والأمين العام لهيئة علماء السودان الذي أكد عليه الأستاذ الدكتور قسوم أن يحضر هو الآخر ملتقى الشيخين وقد وعد خيرا، كما حضر الأخ أبو القاسم المدير التنفيذي للهيئة وعدد من زملائه الشباب الذين تكفلوا بكل الإجراءات من ختم للجوازات ودفع للامتنعة.

جلسنا بعد ذلك في القاعة الشرفية للمطار، ولما سمعنا النداء للركوب التحقنا بالطائرة القطرية التي انطلقت بنا من مطار الخرطوم في الساعة الثانية وأربعين دقيقة صباحا بتوقيت الخرطوم، لتصل بنا مطار الدوحة بعد ثلاث ساعات ونصف. وفي مطار الدوحة انتظرنا ساعتين ثم ركبنا الطائرة القطرية المتجهة إلى الجزائر، والتي وصلناها بعد سبع ساعات، وكان نزول الطائرة في مطار هواري بومدين في الساعة الواحدة زوالا بتوقيت الجزائر. وهكذا كانت نهاية هذه الرحلة الممتعة التي قادت وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى السودان الشقيق.

في الختام، لا يسع كل أعضاء وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلا تقديم خالص الشكر وجزيل التقدير وافر الامتنان إلى إخواننا في هيئة علماء السودان وجامعة أم درمان الإسلامية الذين أحاطونا بعنايتهم ورعايتهم ولم يدخروا أي جهد في تسخير كل ما توفر لهم من إمكانيات في سبيل إنجاح زيارتنا إلى بلدنا الشقيق السودان علميا وثقافيا واجتماعيا.

في «ملتقى الشيخين» الدولي الثاني ببرج بوعريريج

جمعية العلماء تحثي بالشهيد العربي التبسي والمجاهد إبراهيم اطفيش

تحت شعار: "الوفاء من علماء الخلف لعلماء السلف"، ويعنوان: "العلماء وقضايا الأمة"، نظمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ملتقى الشيخين الدولي الثاني في قاعة المحاضرات الكبرى لدار الثقافة محمد بوضياف بمدينة برج بوعريريج، أيام 10 و11 و12 شعبان 1437هـ، الموافق 18 و19 و20 ماي 2016م. وقد خصص ملتقى هذه السنة لدراسة سيرة ومآثر وآثار الشيخين العالمين الجليلين الشهيد العربي التبسي والمجاهد أبي إسحاق إبراهيم اطفيش عليهما رحمة الله، وشهد الملتقى مشاركة عدد كبير من العلماء والباحثين من عدة بلدان عربية وإسلامية: السودان، تونس، ليبيا، السعودية، سلطنة عُمان، إلى جانب أساتذة من مختلف الجامعات الجزائرية.

تغطية: أ.د. مسعود فلوسي

مجريات جلسة الافتتاح

شهد افتتاح الملتقى حضوراً معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف ووالي ولاية برج بوعريريج وممثلو السلطات المحلية، وكذا ممثلو بعض البعثات الدبلوماسية العربية والإسلامية. وقد بدأت مراسيم الجلسة الافتتاحية بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم من قبل القارئ الجزائري الشيخ يحيى صاري، ثم الاستماع إلى النشيد الوطني الجزائري "قسما" ونشيد "شعب الجزائر مسلم". تلت ذلك الكلمة الترحيبية التي القاها مدير الملتقى الشيخ التهامي بن سعد عضو المكتب الوطني لجمعية العلماء، والذي أشاد بمدينة برج بوعريريج ومن أنجبته من العلماء والشهداء، وأكد أن الملتقى يأتي لإبراز دور العلماء في النهوض بالأمة وتصحيح مسيرتها وإصلاح أوضاعها في ظل ما تعيشه من ضعف وما تعانيه من تداعي الأمم عليها.

تقدم بعد ذلك رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأستاذ الدكتور عبدالرزاق قسوم، وألقى كلمة أشاد فيها بهو الآخر - بمدينة برج بوعريريج باعتبارها مدينة العلماء والمجاهدين، وثنى مبادرة الجمعية بتنظيم الملتقى الدولي للشيخين معتبرا ذلك سنة حميدة، وأشار إلى ثنائية المشيخة العلمية في تاريخنا الإسلامي التي تبدأ من الشيخين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب. وأكد أن تخصيص ملتقى هذه السنة للشيخين العربي التبسي وإبراهيم اطفيش يأتي في إطار تعريف شعبنا وناشئتنا بأعلامنا الكبار الذين خدموا الدين والوطن وأبلاؤا البلاء الحسن في ذلك. وذكر أن الشيخ العربي التبسي كان مثالا للوطني الصحيح ونموذجا للعالم التقني ومثالا لزملائه علماء الجمعية، كما أن الشيخ إبراهيم اطفيش جسد مثال العالم الشجاع المجاهد الذي لا يبالي بما يلاقي من صعوبات. وأشاد رئيس جمعية العلماء بما كان عليه علمائنا من توحّد وتعاون، رغم اختلاف المذاهب، هذا الاختلاف الذي كان دائما عاملا ثراء ولم يكن أبدا عاملا تفرق أو شقاق. وركز على أن الجمعية ما فتئت تعمل بكل دأب على تعزيز الوحدة الوطنية، يحدها في ذلك التفاف الشعب الجزائري حولها، وما فتئت تتصدى لحملات التقييع والتشويه التي تُشن ضدها وضد الأسرة المسلمة الجزائرية، وتنظم الندوات والملتقيات في مدن شتى وهو ما يؤكد أصالة شعبنا وحرصه على البذل والعطاء..

أحيلت الكلمة بعد ذلك للسيد والي ولاية برج بوعريريج الذي ثمن مبادرة جمعية العلماء بتنظيم هذا الملتقى الدولي، معتبرا أن ذلك من السنن والفضائل الحميدة التي تحرص عليها الأمة في التعريف بعلمائها وتقديرهم، ومؤكدا أن انعقاد هذا الملتقى تحت الرعاية السامية لخامة رئيس الجمهورية يندرج ضمن اهتمام الدولة بالتراث الوطني ورعايته وحمانيته. كما أشاد بالشيخ العربي التبسي والشيخ إبراهيم اطفيش وما قدموا من تضحيات في سبيل الله ولتحرير الوطن والنهوض بالشعب، ولإنارة العقول ودحض الشعوذة والبدع، وهو ما لا بد للأجيال أن تستلهمه من مآثر رجال الجزائر الكبار.

كلمة ممثل الضيوف المشاركين في الملتقى ألقاها الأستاذ الدكتور عبد المجيد النجار من جامعة الزيتونة بتونس، الذي أكد بدوره أن الجزائر أنجبت الكثير من العلماء المجاهدين، كما أنها كانت دوما محجة للعلماء من مختلف البلاد العربية والإسلامية، وخاصة أيام ملتقيات الفكر الإسلامي. وحيى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تواصل إحياء سنة تلك الملتقيات. وركز على أن هذا الملتقى ينعقد تحت شعار الوفاء، والوفاء ليس للذكرى والترحم فقط، وإنما هو وفاء بالتأسي بهؤلاء العلماء فيما قدموا من جهود في سبيل إصلاح الأمة. وأشار إلى أنه إذا كان العلماء مطلوبوا منهم أن يكونوا حراسا للأمة فواجبهم يزداد حينما تتعرض الأمة للرياح الهوجاء وعندما تكون أمام تحديات تهدد وجودها المادي والمعنوي. وبما أن امتنا اليوم تتعرض إلى أعاصير من مختلف الأنواع منها: الخلل في المفاهيم، والفرقة التي وصلت إلى التقاتل، والهزيمة الحضارية في مختلف المستويات، فإن واجب العلماء اليوم عظيم، إذ عليهم أن يرافقوا الأمة في خططها الاستراتيجية بعيدة المدى وأن يوجهوا قابليتها للخلف والانحزام، وهذا ما كان عليه حال العلماء الذين أسسوا الجمعية.

العلماء لم تكن طفرة، وإنما جاءت لتؤدي مهمة التجديد. هذه الجمعية جاء علمائها في فترة عانت فيها الجزائر تراجعا في العلاقة بالعقيدة الإسلامية، وفي زمن احتفل فيه المستدمر بمرور قرن على احتلاله للبلاد تميز بأفعال وممارسات رهيبة في حق الجزائر والجزائريين، جاء علماء الجزائر في هذه الفترة تنفيذا لبشارة النبي صلى الله عليه وسلم بظهور المجددين في الأمة، فكانوا أوفياء لمن سبقهم من العلماء أمثال: أحمد بن نصر الداودي المسيلي وهود بن محكم الهواري وابن معطي وابن أجروم وعبد الرحمن الثعالبي وحمدان الونيسي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، وقبل هؤلاء يحيى بن يحيى الليثي وابن أبي زيد القيرواني وعبدالرحمن بن خلدون والوغييسيين والمشداليين والبجائيين، ميراث طويل من العلماء المتصلي السند عمن سبقهم من العلماء الذين أخذوا جميعا من العالم إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الذي ولاه عمر بن عبد العزيز على الغرب الإسلامي، الذي كان من التابعين ورواة الحديث. وقوة هذا النسب تزداد عندما نعرف أن الذي عينه وبعثه هو الخليفة عمر بن عبد العزيز سبط عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أنجب عبد الله بن عمر رضي الله عنه الذي كان يتتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم ويحاكيه في كل شيء.

هو سند متصل - يؤكد معالي الوزير - تجد الجمعية نفسها فيه وريثا شرعيا، لتنتقل المشعل إلى أعلامها الكبار الذين توالوا على قيادتها، وهو سند متصل نجد أنفسنا فيه بأمان عندما نطلب العلم. هذا السند المتصل يريد خفافيش الظلام أن يقطعونا عنه وأن يجعلونا ناخذ ديننا ونفهمه عن أناس



لا نسب لهم في الدين والعلم، فهناك جهات أصبحت مقاصدها مفضوحة تريد أن يؤخذ العلم بغير سنة النبي صلى الله عليه وسلم في طلب العلم التي أكدها حديث جبريل، وتريد إبطال نظام الإجازة في طلب العلم الذي جرى عليه علمائنا من السلف والخلف، والعلم لا يمكن أن يؤخذ إلا من هذا الطريق، ومن يريد أن يأخذه من غيره فهو إنما ينتسب إلى نسب مبتور.

وحذر معالي الوزير من المحاولات الدائبة لفصل امتنا الجزائرية عن مراجعها الأصلية واجتثاثها من تراثها وتاريخها، حيث يراد للملل والنحل الميته المندثرة من هذا الوطن أن تُبعث من جديد وتعمل على فصل أبنائنا عن شرفهم وأنوفتهم، كل ذلك بالتوازي مع انتشار الحركات التنصيرية التي تسعى لفصل شبابنا عن دينهم.

وأكد معالي الوزير أن جمعية العلماء علمتنا أن العمل للوطن هو عمل للإسلام، وهذا الملتقى هو فعلا ملتقى الوفاء، وهو يُسجل إلى جانب الجهود الوطنية الخيرة للدوائر الرسمية للدولة الجزائرية، وكذا الجهود التي تصدر من الجوامع والجامعات ومراكز الدراسات والأبحاث ودور النشر ومؤسسات الإعلام ورجال الزوايا الخيرين.

وفي آخر كلمته هنا السيد الوزير جمعية العلماء بإحيائها لهذه السنة الحميدة، سنة الوفاء وتعريف الأجيال برجال الأمة الأفاضل، حتى يحذوا حذوهم ويسيروا على منهجهم.

○○○

ثم جاءت كلمة وزيرة التربية الوطنية، التي قرأها ممثل شخصي عنها والذي أبلغ الحاضرين اعتذار السيدة الوزيرة عن الحضور بسبب التزام سابق. وقد ورد في كلمة الوزيرة التأكيد على أن الملتقى يعكس بحق الاهتمام الذي يُولى لربط علماء ماضي هذه الأمة بعلماء حاضرها في سلسلة متتابعة هدفها تعزيز التواصل بين الأجيال وبناء الأمة والوطن. وأن تخصيص الملتقى للشيخين التبسي وإبراهيم اطفيش فرصة لإمطة اللثام عن حياتهما وجهودهما ودورهما التربوي وجهادهما الإصلاحي وما تركاه من إرث علمي لا بد من نشره للاقتداء به لربط ماضي هذه الأمة بحاضرها من أجل بناء مستقبلها. وهنا يتقاطع عمل الجمعية مع عمل المؤسسات التربوية للدولة الجزائرية، ذلك أن من مهام المدرسة توعية التلاميذ بانتمائهم لهوية متميزة تجمع الإسلام والجزائر والعربية والأمازيغية. والهدف هو الوصول إلى الفهم الصحيح للإسلام وتعاليمه السمحاء، واللغة العربية تحظى باهتمام خاص باعتبارها وسيلة متميزة للتواصل، والأمازيغية جزء من مركبات الهوية الوطنية. وتبقى المدرسة هي البوتقة التي يُصهر فيها احترام التراث وتنشئة الأجيال على حب الوطن وصيانيته والدفاع عنه.

وقد أعقبت كلمة ممثل وزيرة التربية الوطنية قراءة قصيدة أرسل بها الشاعر الدكتور مبروك زيد الخير من جامعة الأغواط نظمها بالمناسبة.

كلمة معالي وزير الشؤون الدينية والأوقاف

في ختام الجلسة الافتتاحية تناول الكلمة معالي وزير الشؤون الدينية

والأوقاف الدكتور محمد عيسى، الذي إرتجل كلمة ضافية حيي في بدايتها جميع الحاضرين كلا باسمه ووصفه، وأشاد بالكلمات التي تعاقبت معتبرا أنها تضمنت معاني جميلة وإشارات لطيفة إلى أصالة هذا المجتمع والأمل في غد مشرق. وثنى انعقاد الملتقى في شهر ماي، هذا الشهر الذي تُحيا فيه كل سنة العديد من الذكريات، منها ذكرى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وذكرى يوم الطالب، وذكرى وفاة الإمام محمد البشير الإبراهيمي. وتزداد المناسبة سموا - في نظر معالي الوزير - إذ يأتي انعقاد الملتقى في شهر شعبان، الذي نتاهب فيه لاستقبال شهر رمضان المعظم. ورأى السيد الوزير أن المناسبة تزداد سموا أكثر فأكثر إذ ينعقد الملتقى في مدينة برج بوعريريج هذه المدينة التاريخية الخالدة الوفية التي تعطي معاني النسب الشريف لعلماء الجزائر، فهي المدينة التي مزجت بين قراءة القرآن ونشر العلم لتشع على أرض الجزائر ومنها إلى كل أنحاء العالم.

وثنى معالي الوزير مشاركة نخبة من العلماء والمفكرين والفقهائ من الجزائر والبلاد العربية والإسلامية في هذا الملتقى، مع اختلاف مذاهبهم ومشاربهم الفكرية، ورأى أن ذلك مما يمليه المقام الذي هو مقام وفاء يقوي الأمة ويعلي همتها ويدفعها إلى البذل والجهد والعطاء.

وأكد أن الجمعية إذ تنظم هذا الملتقى في إطار الوفاء، وتحثي بشيخين عظيمين من علماء الجزائر، إنما تنتسب إلى أصل شريف وعريق. فالجمعية، وإن جاء ظهورها سنة 1931، إلا أنها نشأت في الحقيقة من رحم عطاء سابق ونسب أثيل وسند متصل، هو رحم الأمة والجزائر خصوصا. فجمعية



○○○

دور العلماء ورسالتهم في الأمة

الجلسة الأولى للملتقى والتي ترأسها الأستاذ عبد العزيز بن الشلي، شهدت إلقاء محاضرتين: المحاضرة الأولى وعنوانها (رسالة العالم في الأمة كما جسدها الشيخان العربي التبسي وإبراهيم اطفيش)، تقدم بها الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي رئيس المجلس العلمي لكلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة، أبرز في بدايتها مفهوم العالم في المنظومة الثقافية الإسلامية و"هو من عَرَف ربه وَخَشِيَهُ، وعرف نفسه وزكاها، وفقه دينه من خلال كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتحقق لديه الوعي بواقع مجتمعه وواقع أمته، وعَرَف واجباته تجاه ربه ودينه وأمته ووطنه، وعمل بما عرف وقام بأداء تلك الواجبات على قدر استطاعته". هذا المفهوم يقتضي من العالم أن يتصف بمجموعة من الصفات، هي: أن تتمثل فيه حقيقة العلم من المعرفة والإدراك والفهم العميق للدين وللحياة وللواقع القائم. وخشية ربه سرا وعلانية، وإصلاح ظاهره وباطنه. والعمل بعلمه على قدر استطاعته، مع الزهد في الدنيا وابتغاء الدار الآخرة. والدعوة إلى الحق الذي يحمله وإلى العلم الذي يعرفه. ومواجهة الانحرافات والمفاسد في المجتمع بعزيمة الصادقين وتحمل المتقين. والتخلي بروح الاحتساب والإخلاص لوجه الله -عز وجل-، والشجاعة في قول الحق ونصرتة والدفاع عنه. والاستعداد لتحمل الأذى والتضحية بكل ما يملك من نفس ومال وجه، في سبيل الله. هذه الصفات اتصف بها الشيخان التبسي واطفيش، وذلك ما يتجلى من دراسة سيرة ومسيرة كل منهما. ثم تناول المحاضر رسالة العالم في الأمة وأكد أنها تتضمن جملة من الواجبات لا تتحقق في الواقع إلا بقيام العلماء بها، وهي: تعليم الأمة دينها من خلال كتاب ربه وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم -دعوة الأمة إلى النهوض والإصلاح والتجديد -حراسة الدين وحفظه والدفاع عنه في وجه المتألبين عليه- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة الانحرافات العقيدية والسلوكية -الوقوف في وجه الظلم والعدوان ومقاومة المعتدين- الاهتمام بأمر المسلمين في كل مكان ونصرتهم والتعريف بقضاياهم - السعي في تحقيق وحدة الأمة ومقاومة كل ما يفرقها ويشتها - بعث الأمل في نفوس أفراد الأمة في مواجهة حالات اليأس والإحباط. وأكد المحاضر أن الشيخين التبسي واطفيش قد قدم كل منهما ما استطاع من عمل وبذل ما أمكنه من جهد في إطار أداء هذه الواجبات. لينتهي المحاضر إلى القول "لقد جسد كل من الشيخين العربي بن بلقاسم التبسي وأبي إسحاق إبراهيم اطفيش نموذج العالم المسلم العامل المخلص لدينه وأمته ووطنه، حيث تحلى كل منهما - كما ذكر المترجمون لهما ومعاصروهما الذين عرفوهما عن قرب - بصفات العلماء الراسخين الصادقين، وأدى كل منهما - بقدر استطاعته وعلى حسب الظروف التي أحاطت به - ما عليه من واجبات استشعرها من انتماؤه إلى فئة العلماء، وحرصه على القيام لله بالحجة، وخوفه من الوقوع تحت طائلة كتمان العلم والتخلي عن فريضة الجهاد في سبيل الله".

أما المحاضرة الثانية فقد ألقاها الأستاذ الدكتور عبد المجيد النجار المفكر التونسي المعروف والأستاذ بجامعة الزيتونة، وكان تحت عنوان (دور العلماء في نهضة الأمة من خلال الإصلاح العقدي)، أكد في بدايتها أن الدافع إلى العمل والإنجاز هو الإيمان بالأفكار، وعلى قدر رسوخ الإيمان تكون قوة العمل، وأعلى الأفكار هو الإيمان بالمعتقدات. والإسلام قد جاء بالإيمان بجملة من المعتقدات التي أثمر رسوخها في نفوس المسلمين بناء الحضارة الإسلامية. هذه المعتقدات منها ما يتعلق بالغيب ومنها ما يتعلق بالشهادة، فالمعلقة بالغيب هي الإيمان بالله وملأئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والمتعلقة بعالم الشهادة منها: عمارة الكون، والشهادة على الناس، وكرامة الإنسان، والحرية. وقد تحمل المسلمون في أجيالهم الأولى الإيمان بالجمع بين عالم الغيب وعالم الشهادة، فاندفعوا إلى ذلك البناء الحضاري المعروف، فحققوا الشهادة على الناس. وبعد فترة من الزمن حصل خلل في هذا الإيمان، فأصبح متعلقا بالغيب فقط، وهمشت قضايا الإيمان المتعلقة بعالم الشهادة والواقع الاجتماعي. وكانت النتيجة ضعف الدافع الحضاري وتراجع الفعالية الحضارية للمسلم في الحياة. وهنا يأتي دور العلماء ليعيدوا المسار ويعيدوا للأمة في معتقداتها ما يجب أن يكون به الإيمان وأن يصلحوا إيمان الناس ليعود جامعا بين قضايا عالم الغيب وقضايا عالم الشهادة.. ويرى المحاضر أن هذا الإصلاح ينبغي أن يتطرق إلى عدة جوانب: 1- الإصلاح في مصدر العقيدة نفسها؛ بأن تؤخذ من القرآن والسنة، لتكون حية وفاعلة ويكون لها وقع في النفوس، كما حدث في أجيال المسلمين الأولى، فتتحرك العقول والإرادات ليكون للإيمان صدى في واقع حياة الناس يتجسد في البناء والتعمير وترقية الإنسان في مختلف جوانب حياته. 2- إصلاح مضمون العقيدة؛ أي المفردات الإيمانية، بأن يعاد إدخال مفردات عالم الشهادة في حيز الإيمان لتكون جنبا إلى جنب مع مفردات عالم الغيب، وذلك مثل قضايا: التضامن الاجتماعي، الشورى، الحرية، عمارة الأرض، ارتفاع الكون، التحرر من الاستبداد، توفير الكرامة الإنسانية، البحث العلمي واكتشاف قوانين الطبيعة. 3- تجاوز القضايا التي ليست من مشكلات المسلمين اليوم والتي ما يزال الناس يتخاصمون في شأنها، مع أمرها هين. 4- إعادة النظر في المنهجية التي تقدم بها هذه المفردات للناس، بحيث يكون لها أثر وعمق في النفس، لا أن تقع فيها وقعا جافا، فلا بد أن تتحرك النفوس والعقول لتندفع إلى الإنجاز والبناء.. وانتهى المحاضر إلى التأكيد على أن قادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضربوا النموذج والمثل في هذا الباب ولذلك استطاعوا أن يهبطوا الشعب الجزائري للثورة ضد الاستعمار.

محاضرات متنوعة

الجلسة الثانية للملتقى والتي عقدت مساء اليوم الثاني، وترأسها الأستاذ قدور قرناش، عرفت إلقاء ثلاث محاضرات متنوعة الموضوعات، وكان أول المحاضرين في هذه الجلسة هو الأستاذ الدكتور عمار الطالبي نائب رئيس جمعية العلماء، وعنوان محاضراته (التقارير السرية للمخابرات الفرنسية حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، عرض فيها مضمون عدد من التقارير السرية التي اكتشفت مؤخرا، والتي أعدت عن الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله في حياته وحتى بعد مماته، أحد هذه التقارير كتب سنة 1921 وفيه تتبع لنشاط الإمام أثناء زيارته لتونس ولقائه بالشيخ عبد العزيز الثعالبي رحمه الله وبغيره من رجال الإصلاح في تونس. وتقرير آخر تضمن أنه بعث برسالة إلى الشيخ الطيب العقبي يشير فيها إلى أن والده أمره بالتوقف عن العمل الإصلاحي وأنه رفض الاستجابة لأمره وأنه غادر بيت الأسرة بسبب ذلك. وتضمن تقرير ثالث كتب سنة 1933، أن والده منعه من التعليم في مكان معين. وهناك تقرير رابع سنة 1939 يؤكد أن نشاط ابن باديس امتد إلى المجال السياسي، وأن تأثيره تجاوز الجزائر إلى العالم العربي، وأنه يسافر أسبوعيا إلى الجزائر العاصمة ويقوم عند العقبي، وأنه اتصل بالقنصل الإسباني والقنصل الإيطالي، وأنه يحصل على أموال بالتنسيق مع الثعالبي، وأنه يجب مراقبة نشاطه. وهناك تقرير خامس أعد سنة 1940 بعد وفاة الإمام مباشرة، تضمن تفاصيل وفاته، حيث نقل يوم 14 أبريل إلى بيت والده، وقبل ذلك كان يسكن في شقة من الشقق التي يسكنها الفقراء، وفي يوم 15 أبريل زاره ابن جلول رفقة طبيبين إسرائيليين وبقوا معه إلى الثانية ليلا، وأن وفاته كانت في الساعة الثانية وعشرين دقيقة صباحا، وقد زاره قبل وفاته كل من المبلي والتبسي بينما منع آخرون من زيارته، وورد في التقرير أنه بعد تأكد وفاته خرج البراح في الصباح ينادي في شوارع قسنطينة أن مصباح العلم قد انطفأ. وهناك تقرير كتب بعد وفاة ابن باديس بثمانية عشر عاما أي سنة 1958، يؤكد أن الإمام هو سبب تمرد 1945، وأنه هو الذي ألهم جبهة التحرير مبادئها، في إشارة إلى نداء أول نوفمبر. إلى جانب تقارير أخرى تحدثت عن نشاطه في التعليم وتأثيره في تلاميذه، وتقارير أخرى تحدثت عن شجرة نسبه وزيجات والده وأولاده من هذه الزيجات، وغيرها من التقارير التي تحدثت عنها المحاضر.

أعقبت هذه المحاضرة محاضرة ثانية ألقاها الدكتور علي محمد الصلابي المؤرخ والكاتب والداعية الإسلامي الليبي، وعنوانها (فقهاء النهوض في الأمة والتعامل مع السنن الإلهية)، بين فيها أن فقهاء النهوض هم الذين لديهم القدرة على فهم واستيعاب سنن الله في قيام الحضارات والدول واندثارها، ولهم القدرة على التأثير في النفوس بتوفيق الله عز وجل، كما أن من مواصفاتهم: الجبوة العالية والنشاط الدائب، الثبات على المبدأ مهما كانت الظروف، الشجاعة والصراحة، الحلم والسماحة الواسعة، القدرة على التطوير والتجديد. وهذا النوع من الفقهاء قليلون. هؤلاء الفقهاء لهم علاقة خاصة بالقرآن قراءة وتدبرا واستلهاما للسنن الربانية منه. ومن هذه السنن: سنة تغيير النفوس، سنة التدرج، سنة الابتلاء، سنة التدافع، سنة التمكن، سنة الأخذ بالأسباب. وقد طبق المحاضر ما ذكره على سورة يوسف حيث استخرج منها صفات فقهاء النهوض وسنن التغيير ومنهج التعامل مع الأنظمة ومتى تتدخل إرادة الله في نصرة السمتضعفين وإهلاك المفسدين. كما طبقها كذلك على قصة موسى وقصة داود وسليمان. وأكد المحاضر أن الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله كانت له علاقة خاصة بالقرآن الكريم مكتبته من إدراك السنن الربانية في تغيير النفوس وأخذها بعين الاعتبار في عمله التغيير الذي مارسه في واقع المجتمع الجزائري.

أما المحاضرة الثالثة في هذه الجلسة فكانت من إلقاء الدكتور العربي كشاط عميد مسجد الدعوة في باريس، وعنوانها (من تجويد التلاوة اللفظية إلى تشييد التلاوة الحضارية)، أبرز فيها المقصود من التلاوة وهو تلك التلاوة التي توجب همة التالي وهمة المستمع لتكون هذه التلاوة مراقبة إلى المستوى الذي يرفع إليه الإسلام. وأكد ضرورة الانطلاق من التلاوة المجتمعية إلى التلاوة

اللفظية، بحيث ينفث المسلم على دنيا إخوانه المسلمين ودنيا الناس جميعا، وذلك يكون بتلاوة القرآن بوصفه خطاب الله عز وجل بصفة أمرية فنعرف من التلاوة ما يريد منا ربنا عز وجل فننفذه. وهذه التلاوة ينبغي أن تكون بمشاركة الغير أداء وفهما واستجابة واتباعا. وهو ما يقتضي معرفة المستوى النفسي والأوضاع الاجتماعية للمخاطبين. وتساءل المحاضر عن وضع المسلمين اليوم: أين الصلاح في حياتنا؟ لماذا استضعفنا في الأرض؟ ما هي العوامل التي وصلت بنا إلى هذا المستوى؟ وأكد أن الإجابة عن هذه التساؤلات بصدق هي التي تحدد علاقتنا بكتاب ربنا عز وجل وطبيعة تعاملنا معه.

وقد أعقبت هذه المحاضرات مناقشة تطرقت إلى مضمونها ومضمون المحاضرتين اللتين أقيتا في الجلسة الصباحية، وانتهت بإجابة المحاضرين عن تساؤلات المعقبين.

مواصفات العلماء الراسخين ومنهجهم في الإصلاح

صبيحة اليوم الثاني كانت موعدا لجلسة ثالثة ترأسها الأستاذ مرزوق خنشالي، وحاضر فيها عدد من الأساتذة المشاركين. وكان أول المتدخلين هو الأستاذ الدكتور أحمد عيسوي من كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة بمحاضرة عنوانها (مواصفات العلماء الراسخين: الشيخ العربي التبسي نموذجا). حيث تساءل عن هؤلاء العلماء: من هم؟ هل هم الذين لديهم كم هائل من المعارف والمعلومات؟ وهل هذا يكفي ليقودوا الأمة وينهضوا بها؟ ومن المؤهل ليتكلم في قضايا الأمة؟ ليجيب بان العالم الراسخ هو المؤهل عقليا وفكريا ووجدانيا، ومن المقتدرين علميا ومنهجيا، ومن المقبولين جماهيريا، والمستقلين فكريا، ومن المشهود لهم بالربانية والخشوع. وأكد أن العالم الحقيقي هو من يشير إليه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]. وأبرز الصفات التي تميز بها الإمام الشهيد الشيخ العربي التبسي رحمه الله وهي: الخشية والخشوع والزهد والتواضع والشجاعة والهيبة والانس وحلاوة الحديث وغيرها. وهذه الصفات، إلى جانب التمكن العلمي، هي التي مكنته من أن يتبوأ مكانة القيادة والريادة في مجتمعه وفي زمانه.

تلت هذه المحاضرة محاضرة أخرى ألقاها الدكتور موسى بن سعيد من جامعة المسيلة بعنوان (منهج العلماء في الإصلاح: الشيخ العربي التبسي نموذجا)، طرح في بدايتها جملة من التساؤلات: ما المراد بالمنهج؟ وما الصلاح والإصلاح؟ وما منهج العلماء في الإصلاح؟ وما ضوابط هذا المنهج؟ فذكر أن المراد بالمنهج هو المنهج الدعوي أو الطرق والخطط التي تسير وفقها الدعوة الإسلامية. والمراد بالصلاح هو ضد الفساد، كما أن الإصلاح هو ما كان على خلاف الإفساد. أما منهج العلماء في الإصلاح فأكد أن له ضوابط مستخرجة من القرآن والسنة هي: عبادة الله وتوحيده - إصلاح الفرد أولا ثم المجتمع ثانيا - العلم قبل القول والعمل - أن يكون على منهج السلف الصالح.. وأكد المحاضر أن الشيخ العربي التبسي سار على هذا المنهج، فكان يعلم الأمة ويربي ويرشد ويصلح على منهج النبي صلى الله عليه وسلم وسنته، وكان يرى أن الإرشاد هو سبب حياة الأمة ويفقدانه تفقد الأمة حياتها الحقيقية، كما أنه كان يدعو إلى الوحدة الوطنية ونبذ الفرقة والشقاق، ويحث على تعلم اللغة العربية ويعمل على إحيائها، ويشدد في ضرورة ممارسة الإصلاح. وقد جسد الشيخ التبسي حقيقة العالم العامل عمليا، وضحي بكل ما يملك دون أن يثني من عزمته أو ينقص من عمله ما واجهه من عقبات وتحديات. لينتهي المحاضر في الأخير إلى أن من أسباب اختطاف الشيخ العربي التبسي وإعدامه من قبل الاستعمار: فتواه بوجوب الجهاد، حثه لطلبة معهد ابن باديس على الالتحاق بصغوف المجاهدين، اشتراطه على الحكومة الاستعمارية التفاوض مع جبهة التحرير الوطني باعتبارها صاحب الحق الوحيد في التفاوض نيابة عن الشعب الجزائري.

○○○

الشيخ العربي التبسي بعيون مختلفة

بعد نهاية الجلسة الثالثة، شُرع في جلسة رابعة، تحدث فيها أولا الأستاذ الدكتور محمد الأمين بلغيت أستاذ التاريخ بجامعة الجزائر، حيث ألقى محاضرة بعنوان (الشيخ العربي التبسي بمنظار شاهد القرن مالك بن نبي)، المع في بدايتها إلى البيئة التي ولد فيها الشيخ العربي التبسي، فهو ابن عصر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وابن منطقة تبسة التي لم تكن حينئذ قد تأثرت بتيارات التغريب، وكانت تجمع بين وصف القرية ووصف بدايات المدينة. وكان أهله معروفين بالشدة، فأخذ منهم هذه الصفة. وقد نهل العلم من أماكن مختلفة، وعندما عاد إلى بلده سنة 1927، وجد أهل تبسة ما زالوا يعيشون على ذكريات رفض التجنيد الإجمالي سنة 1910 الذي أعقبته جهود بعض الرجال الكبار منهم الأخوان العنق إلى جانب عباس بن حمادة الذين أسسوا أول جمعية قامت ببناء مدرسة تهذيب البنين. ويشير المحاضر إلى أن مالك بن نبي تحدث عن الصراع الفكري وتطاحن العصب في منطقة تبسة في المرحلة المذكورة، وقد أدرج اغتيال عباس بن حمادة في هذا السياق، هذا الاغتيال الذي أثار أزمة في البرلمان الفرنسي واجهت به فرنسا تجربة التعليم العصري في تلك المرحلة، مما جعل المصلحين يبعثون بالطلبة إلى تونس للدراسة.. وفي مقارنة بين الشيخ العربي التبسي ومالك بن نبي؛ يرى المحاضر أن الأول رائد من رواد التنوير وفقه الواقع والدعوة إلى مستقبل طيب، بينما الثاني هو فقيه الحضارة وهو نسج وحده. وأورد المحاضر حديث مالك بن نبي عن خلافاته مع الشيخ التبسي في مؤلفاته وخاصة منها «الصراع الفكري» و«العنف»، ومن هذه الخلافات موقف مالك بن نبي من تعامل الجمعية مع كل من فرحات عباس وابن جلول وابن التهامي.

أما المتحدث الثاني في هذه الجلسة، فكانت الدكتورة مفيدة بلهامل من جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، التي تناولت موضوع (الشيخ العربي التبسي من خلال جريدة الشاب المسلم الناطقة بالفرنسية)، حيث تساءلت: كيف تناولت هذه الجريدة الشيخ العربي التبسي؟ وكيف ظهر على صفحاتها؟ وكيف عُرِضت قضية فصل الدين عن الحكومة في الجريدة والتي اهتم بها كل من الإبراهيمي والتبسي كثيرا؟ وتشير المحاضرة إلى ظروف نشأة الجريدة، حيث إنها كانت فكرة اخترعت في ذهن أحمد طالب الإبراهيمي الذي ما إن عرضها على الشيخ العربي الذي كان رئيس الجمعية بالنيابة حينئذ حتى وافق عليها مباشرة، باعتبارها وسيلة فاعلة لضرب المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر. وقد كتب في هذه الجريدة أشخاص أصبح بعضهم بعد الاستقلال مسؤولين في الدولة الجزائرية، منهم: مالك بن نبي، علي مراد، مصطفى الأشرف، أحمد طالب الإبراهيمي. وتؤكد المحاضرة أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كونت الإنسان الجزائري الذي يقف وجهه لوجه أمام الفرنسي، وهيات الجو الذي تفجرت في ظله الثورة، كما أنها سحبت البساط التعليمي والترابي للجزائريين من تحت أرجل فرنسا بفضل مؤسساتها التربوية التي أسستها في مختلف مناطق الوطن.

الشيخ إبراهيم اطفيش ومجلته المنهاج

مساء اليوم الثاني كان موعدا لجلسة خامسة خصصت للشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش وجهوده في الإصلاح، حيث كانت أول محاضرة فيها بعنوان (الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش حياته وجهوده) ألقاها القاضي عبدالله بن راشد من سلطنة عُمان، لخص فيها مراحل حياة الشيخ إبراهيم اطفيش رحمه الله، هذه الحياة التي بدأت بمولده سنة 1886م في بني يزقن وفي أسرة ينتهي نسبها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. حفظ القرآن الكريم وعمره أحد عشر عاما، وأخذ مبادئ العلوم العربية والشرعية عن عمه قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش، ثم رحل إلى الجزائر العاصمة أين تعلم على



ومواقف في المجال السياسي حيث كان مناضلا في الحزب الحر الدستوري التونسي كما ربط الاتصالات بين الثعالي في تونس والأمير خالد في الجزائر. 2- شارك في عضوية عدة جمعيات تحريرية في مصر كانت تنشط في المجال السياسي. 3- كان له نشاط بارز في خدمة القضية الفلسطينية بالكتابة أولا ثم بالإسهام المباشر في المؤتمر الإسلامي. 4- عمل في مقاومة الاستعمار بكل ما أوتي من جهد. 5- أبرز مسؤولية علماء الأمة وقادة المسلمين فيما كان يعيشه المسلمون في ذلك، فقد اعتبرهم سببا في الحالة التي انحدرت إليها الأمة.

وفي محاضرة ثالثة بعنوان (الخط الفكري والقضايا الجزائرية في مجلة المنهاج)، تحدث الدكتور قاسم الشيخ بلحاج عن الظروف والأجواء العامة التي ظهرت فيها (المنهاج) للشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش، ووصفها بأنها كانت ظروفًا سياسية واجتماعية عصيبة عاشتها جل البلاد العربية الإسلامية مشرقا ومغربا أبرز ما ميزها هيمنة الاستعمار الغربي. وقد جاء إصدار المنهاج لترفع التحدي وتعلن بشائر نهضة إسلامية جديدة. وقد ظهرت المنهاج في مصر قلب العالم الإسلامي التي كانت تعيش أوضاعا تعكس صورة حالة الأمة بصفة عامة. وفي تحليل لشخصية منشئ المجلة الشيخ أبي إسحاق اطفيش، أشار المحاضر إلى أن الرجل تميز بأنه كان رجلا يعيش الحرية ويغض الاستكانة والخنوع، كما أنه كان يرفض العصبيّة، ويملك فكرا ناقدا متفحصا، إضافة إلى أنه كان شديدا في الحق متمسكا بأصالته وانتماؤه الوطني للجزائر. وعن خصائص الخط الفكري لمجلة المنهاج يرى المحاضر أنها تصنف ضمن الجرائد والمجلات التي أصدرتها الحركة الإصلاحية الجزائرية في القرن العشرين لاستعمالها وسيلة لتحقيق أهدافها في النهضة والتغيير بإشاعة فكرة الإصلاح بين الجماهير على أوسع نطاق، حيث عبرت المنهاج عن توجهات الإصلاحيين الجزائريين خارج الجزائر. كما أن المنهاج كانت أحد منابر التوعية الحاملة لفكرة الإصلاح، فكانت صحافة رأي وفكرة وقضية، وقد اهتمت كثيرا بقضايا التعليم والتفتح الفكري والجد والكد والعمل وضرورة ترك الانحرافات الأخلاقية ومحاربة الفقر والدعوة إلى الوحدة. وفيما يتعلق بالقضايا الجزائرية في مجلة المنهاج، أشار المحاضر إلى أن المجلة نشرت حوالي عشرين مقالا حول القضايا الجزائرية في ذلك الحين، تناولت عددا من الموضوعات تندرج ضمن المحاور التالية: 1- محاربة التجنيد الإجمالي الذي فرضته السلطات الاستعمارية على الجزائريين، مع التركيز على ضرورة عدم الخضوع لهذا التجنيد. 2- التعريف بوجوه النهضة الإصلاحية في الجزائر. 3- إبراز الوجه الحضاري المشرق للجزائر المنتمي إلى حضارة الإسلام. 4- محاربة الجمود الفكري والتعصب المذهبي والانحلال الخلقي الذي كان مستفحلا. 5- فضح مخططات الاستعمار. 6- التعريف بالتراث العلمي للجزائر. 7- مناصرة الصحافة الجزائرية ذات التوجه العربي الإسلامي.. وبالإضافة إلى هذه القضايا التي عالجتها المنهاج، كانت لها أهداف كبرى عملت على تحقيقها، هي في نظر المحاضر: 1- معالجة القضايا المطروحة في العالم الإسلامي حينئذ. 2- نقل القضايا الجزائرية إلى الساحة المصرية بقصد التعريف بها. 3- تبني قضية عُمان في صراعها مع المستعمر الإنجليزي، ومناصرة حقها في التحرر. 4- العناية بقضايا وادي ميزاب بالتعريف بحضارته وربطه بالعالم الإسلامي.

بعد انتهاء الدكتور قاسم من محاضرتة وقبل رفع الجلسة، أُتيحت الفرصة للدكتور محمد أحمد الفطيسي من ليبيا الذي قدم مداخلة بعنوان (الغلو والتطرف.. المظاهر والعلاج انطلاقا)، أبرز فيها مخاطر التطرف والغلو التي تعاني منها الأمة اليوم، وكيف أن هذه المخاطر تنخر ليبيا بسبب تصرفات التكفيريين الذين يثيرون قضايا تافهة يشغلون بها عقول أبناء الأمة في حين تَنقُص الأوطان ويستولي الاعداء على الثروات. أُتيحت الفرصة بعد ذلك للمناقشة والحوار حول ما ألقى من محاضرات في الجلستين الرابعة والخامسة.

يدي الشيخ عبد القادر المجاوي. في سنة 1917 اتجه إلى تونس أين التحق بجامعة الزيتونة، ثم انخرط في الحزب الحر الدستوري التونسي الذي كان عبد العزيز الثعالبي زعيما له. وبسبب نشاطه السياسي نفى إلى مصر سنة 1923. أسس "المنهاج" سنة 1925 واستمرت في الصدور حتى سنة 1931، كما نشر مقالات مختلفة في "الفتح" و"الزهراء" في مصر. هيات له مصر مجاليا سياسة وثقافة رحبيين فنشر العلم الشرعي تأليفا وتحقيقا، وقاوم الاستعمار بكل وسيلة. وفي سنة 1940 عين مشرفا على قسم التصحيح بدار الكتب المصرية. حضر مؤتمر القدس سنة 1931. وفي سنة 1948 زار زنجبار، كما زارها أيضا سنة 1960. مثل إمامة عُمان في مؤتمر الجامعة العربية، وقاد بعثتها إلى الأمم المتحدة سنة 1960. أدى فريضة الحج مرتين. وترك عددا من المؤلفات منها: الدعاية إلى سبيل المؤمنين. ومن تلاميذه: مفدي زكريا، محمد علي دبور، حمد الخليل مفتي عُمان، وغيرهم. توفي في القاهرة فجر يوم الثلاثاء 20 شعبان 1385هـ، الموافق 14 ديسمبر 1965م، ودفن فيها. أما المحاضرة الثانية في هذه الجلسة فكانت بعنوان (أبو إسحاق اطفيش وقضايا التحرير والتنوير)، ألقاها الأستاذ الدكتور مولود عويسر أستاذ التاريخ بجامعة الجزائر، أبرز خلالها أن الشيخ اطفيش عاش في فترة امتياز بظهور مجموعة كبيرة من العلماء والمفكرين بعد فترات طويلة من الجهل والأمية مرت بها الأمة. وقد عاش الشيخ اطفيش سبعا وسبعين سنة من التنوير (العطاء الفكري والعلمي) والتحرير (النضال السياسي)، حيث دارت جهوده وأعماله بين هذين المجالين. وذكر المحاضر من بين جهود الشيخ اطفيش في مجال التنوير: 1- تجديد التعليم وإصلاحه في العالم العربي والإسلامي في الطرق والوسائل والمضمون، حيث طالب بإدخال العلوم الطبيعية واللغات الأجنبية ضمن مناهج التكوين في المدارس العربية والإسلامية، وقد سجل زيادة أفكاره في هذا الموضوع في كتابه "الدعاية إلى سبيل المؤمنين". 2- تجديد الفقه والفتوى واستعمال الوسائل الحديثة فيهما. 3- الاهتمام بالإعلام وتأسيس المجلات والكتابة في الصحف، باعتباره وسيلة مهمة جدا وسلاحا وقوة ولسانا للأمة، وقد أصدر في هذا الإطار مجلة (المنهاج).. أما في مجال التحرير فذكر المحاضر من جهود الشيخ اطفيش أنه: 1- كان صاحب آراء





فيه بعدما ضاعت الدول فأدركوا ما عجز عن إدراكه قادة الرأي وذلك بفضل مناهجهم واستراتيجيتهم واعتمادهم على نصوص الشريعة الإسلامية. وأما محاضرة الدكتور موسى الشريف فكان عنوانها (الشيخان العربي التبسي وأبو إسحاق أطفيش ونشاطهما الإصلاحية). دعا المحاضر تكوين طلبة العلم وبناء الوعي الفكري والثقافي حتى يقتدوا بهؤلاء العلماء الأجلاء، كما تطرق إلى الحديث عن المشاكل التي يعانيها العالم الإسلامي من تطرف وغلو وانحراف سلوكي.

طالب الدكتور موسى الشريف من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى تكوين طلبة يقتدون بسيرة هؤلاء العظماء من ابن باديس والبشير الإبراهيمي وإبراهيم أطفيش والعربي التبسي لإحياء مجدهم، وقال «هذه المسؤولية منوطة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين حصراً» وقال أيضاً «أمنيتي في المؤتمرات أن تحيي فيها نفوس بإحياء ذكرى أولئك وتعيد المجد للأجيال الناشئة». كما أعاد سبب ظهور الماسي التي يعاني منها العالم الإسلامي، إلى الافتقار لعالم يوجه الشباب، يربيهم ويعلمهم التعاليم الصحيحة لديننا الحنيف حتى لا يقعوا ضحية للدعوات المظلمة الخارجة عن جادة الصواب.

كما وجه موسى الشريف كلامه أيضاً لوسائل الإعلام الجزائرية لتهتم بهؤلاء الأجلاء من خلال نشر سيرتهم لترسيخ إنجازاتهم وما قدموه من أجل هذا الوطن العزيز، كما قال الداعية الإسلامي أنها أيضاً مسؤولية وزارة التربية والتعليم لتقتدي الأجيال الصاعدة بعلمائهم وغرس العزة والكرامة في نفوسهم. ويضيف الداعية السعودي موسى الشريف أن المشكلة الكبرى في العالم الإسلامي ليست في الأعداء اليهود والصليبيين ولا في أمراض المسلمين من فقر وجهل إنما المشكلة الكبرى تكمن في فقدان علماء موجهين مرشدين وبالتالي هو تقصير علماء العصر في عملهم الذي كلفهم الله تعالى به. إن العالم الكبير عبد الحميد بن باديس والعالم البشير الإبراهيمي يقول موسى الشريف كلاهما عانى من مضايقات، ورغم ذلك بذلا جهدهما وأكملتا رسالتهما.

وأكد الدكتور موسى الشريف، أن هذه الأمة الإسلامية ستنتصر وستتمكن من تجاوز كل العقبات التي تعيقها؛ لأن كل من ذهب أرواحهم في سبيل هذه الأمة هي ثمن لانتصار قادم وتمكين في أن واحد.

وقد تلا هاتين المحاضرتين حفل الاختتام تم خلاله تكريم الشيخ الطاهر آيت علجت وبعض الضيوف من المشاركين والمحاضرين في الملتقى من قبل السيد والي ولاية برج بوعريج، والسيد رئيس الجمعية.

الشيوعي بعد رصده وتحليله ومعرفة أسبابه وآثاره، واقترح كوسائل لذلك: نشر الوعي بالسنة، سن القوانين التي تجرم وتعاقب سب الصحابة، تعميق حب الناشئة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، مراقبة المدارس الخاصة، تنسيق الجهود بين الجهات الرسمية والشعبية للحفاظ على الهوية السنية للبلدان العربية والإسلامية، تكثيف الجهود لتوحيد الأمة، دراسة ورصد خطط الأعداء في استغلال هذه الظواهر، توصية الدعاة بترك الخلاف والصدام والشقاق.

الجلسة الأخيرة وحفل الاختتام

كانت صبيحة اليوم الثالث من أيام الملتقى وهو يوم الجمعة فرصة لاستراحة المشاركين، وللتهيؤ لصلاة الجمعة، ولذلك تم عقد الجلسة الأخيرة في المساء، حيث ترأسها الأستاذ الزبير طوالي، وحاضر فيها أستاذان كريمان، أولهما هو الأستاذ الشيخ محمد الهادي الحسني الكاتب والمفكر الجزائري المعروف، والثاني هو الأستاذ محمد بن موسى الشريف من المملكة العربية السعودية. وقد شهدت حضور جمهور كبير غصت به القاعة حتى لم يبق فيها مكان.

أما محاضرة الأستاذ محمد الهادي الحسني فقد كانت بعنوان (دور علمائنا في مواجهة المخطط الفرنسي الصليبي في الجزائر: الشيخان التبسي وأطفيش نموذجاً)، فقد انطلق من تصحيح خطأ في مصطلح شائع «المشروع الفرنسي»، حيث أن ما قامت به فرنسا وتقوم به هو «مخطط فرنسي» وليسا مشروعاً؛ لأن المشروع مستمد من الشريعة، كما ركز الأستاذ الحسني على التفتن والتمعن فيما بين مفهومي «المخطط» و«المشروع»، فمصطلح مشروع يصح على ما تقوم به نحن كجزائريين، أما بالنسبة لما تقوم به فرنسا فهو مخطط فرنسي، كما تحدث عن دور قادة الحركة الإصلاحية في مواجهة هذا المخطط، ومقاومة تمدده في الواقع وفي نفوس المهزومين، كما نبه إلى الفصل بين مفهومي الأمة والدولة. يقول الأستاذ الحسني إن الأمة نادى بها القرآن وهي التي قام على أساسها جهاد المصلحين، لأنها مهمة الرسل ومن خلفهم من العلماء، على خلاف الدولة التي يبنيناها أيا كان، وضرب لذلك مثلاً بابن باديس «الذي كان هو الجزائر» كما قال عنه الإمام العربي التبسي مخاطباً الجزائريين: «كان ابن باديس هو الجزائر وعلى الجزائر أن تجتهد لتكون ابن باديس»، ويضيف الأستاذ الحسني عن هؤلاء العلماء الأجلاء الذين أبدعوا في ظروف لم تسمح لهم بالإبداع إلا أنهم نهضوا بالأمة ومقوماتها في الوقت التي كادت أن تضيق

جلسة أخرى متنوعة الموضوعات

وقبل انتهاء أشغال اليوم الثاني، عُقدت جلسة سادسة ترأسها الأستاذ مصطفى بن عبد الرحمن، وأقيمت خلالها ثلاث محاضرات، كانت الأولى للأستاذ التهامي مجوري رئيس تحرير جريدة البصائر، وعنوانها (منهجية جمعية العلماء في الاهتمام بقضايا الأمة)، حيث انطلق المحاضر من الفكرة التي تبنتها الجمعية والمتمثلة في «بناء جبل بفكرة صحيحة ولو مع علم قليل»، وأبرز الوسائل التي اتخذتها لتحقيق مشروعها هي: التربية والتعليم، والإعلام، وبناء العلاقات مع الجمعيات والأحزاب الوطنية. هذه المنهجية هي التي طبقتها الجمعية في اهتمامها بقضايا الأمة، حيث ركزت جهودها في إطار إصلاح الأسرة وتكوينها تكويناً سليماً وتهيتها للقيام بوظيفتها الحضارية، وكذا تحرير الوطن وتحقيق استقلاله، ثم خدمة الإنسانية والإسهام في رقيها وتقدمها وصلاحها. وأكد المحاضر أن هذه المحاور التي ركزت عليها الجمعية جهودها وأعمالها هي التي جاء التأكيد عليها من قبل الإمام ابن باديس رحمه الله في مقاله الشهير (لمن أعيش؟).

أما المحاضرة الثانية فكانت من إلقاء الأستاذ عبد الحفيظ شريف، وعنوانها (مكانة المسألة اللغوية في مواثيق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، أبرز خلالها المحاضر أن أساس مرجعية الحركات الإصلاحية هو القرآن الكريم، وأن اللغة ليست أداة قراءة فحسب وإنما هي قضية هوية، وأكد أن الرؤية الاستعمارية للغة العربية كانت لها ثلاثة أبعاد هي التحييد والانفصام والمسخ. ولذلك فإن جمعية العلماء ركزت على مقومات الهوية وهي الإسلام والقرآن واللغة العربية، فاعتبرت اللغة هوية، وعملت على إحياء مجد اللسان العربي، وحاربت بكل قوة الأمية التي كانت مستفحلة في المجتمع الجزائري بفعل ممارسات الاستعمار.

ثم جاءت المحاضرة الأخيرة في هذه الجلسة والتي كانت بعنوان (الغلو والتطرف الطائفي في إفريقيا وسبل معالجته)، والتي قدمها الأستاذ الدكتور محمد عثمان صالح رئيس هيئة علماء السودان، وأبرز خلالها أن الإرهاب في المفهوم السياسي الحديث هو «القتل والتدمير والتفجير بحجة الجهاد في سبيل الله»، ومن أسبابه: سوء فهم مقاصد الشريعة وعدم رعايتها. وأكد المحاضر أن التطرف قرين الإرهاب، بل هو سببه المباشر، والتطرف هو الغلو في الدين، وهو قديم، لكن ما يحدث منه في عصرنا يفوق كل ما حدث من قبل. ويرى المحاضر أن العلاج إنما يكمن في اعتماد القرآن والسنة بفهم العلماء الربانيين الوسطيين، وأن تتوفر لدى العلماء الشجاعة التي تمكنهم من مواجهة هذه الآفة. كما ذكر المحاضر أن هناك أسباب واقعية لانتشار الإرهاب واستفحاله، منها ما هو سياسي متمثل في الفقر المنسي والغنى المطغي، ومنها ما هو اجتماعي يتمثل في غياب العدالة الاجتماعية وتفشي الخمر والمخدرات وانتشار الفساد الأخلاقي، ومنها ما هو سياسي يتمثل في غياب الحكم الراشد وخضوع معظم البلاد الإسلامية لحكم الاستعمار الصليبي العلماني وكذلك مشكلة تشريد أهل فلسطين وعدم فعل الحكام العرب شيئاً لنصرتهم. ولعلاج هذه المشكلات لابد من: تحقيق وحدة المسلمين وتضامنهم، الدفاع عن سيادة الدول وأراضيها، تعزيز التكامل السياسي والاجتماعي، تعزيز السلام.. وعن واقع الإرهاب في مختلف مناطق إفريقيا حالياً، أكد المحاضر أن هناك جماعات إرهابية كثيرة منتشرة في كل مكان من القارة، وقد أضيفت إلى هذه الجماعات ظاهرة التطرف الشيعي الرافضي التي بدأت تمتد وتستفحل في إفريقيا العربية بغرض اختراق أهل السنة. وأرجع المحاضر أسباب استفحال هذه الظاهرة إلى الجهل بالدين، وقلة العلماء وتقاعس بعضهم، وطغيان الخلاف ما بين الصوفية والسلفية. وشدد المحاضر على ضرورة العمل على تحجيم المد

البيان الختامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه أجمعين وبعد

إنطلاقاً من أهمية دور والمفكرين المسلمين في النهوض بأممتهم وتصحيح مسيرتها، نظمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الملتقى الثاني للشيخين في أيام مباركات من شهر شعبان والذي يتتبع المسلمون فيه لاستقبال شهر رمضان المبارك ويتزامن ذلك مع:

- الذكرى الخامسة والثمانين لإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
- وذكرى مجازر 8 ماي 1945 الأليمة
- ويوم الطالب 19 ماي 1956
- وذكرى وفاة العلامة محمد البشير الإبراهيمي

الإسلام الجامع، بعيداً عن الطائفية والمذهبية والجهوية والعرقية

وعلى المستوى الوطني:

فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعيد التذكير بمواقفها الثابتة في كل ما يتعلق بضرورة صيانة المجتمع في دينه ولغته ووحدة الوطنية. كما تحذر من المحاولات المستميتة للنيل من هويته فيما يثار من جدل عن المنظومة التربوية وكيان الأسرة وزعزعة استقرار المجتمع.

وفي الختام

نكرر شكرنا لكل من أسهم من قريب أو من بعيد لإنجاح هذا الملتقى من: علماء ومفكرين وضيوف وسلطات أمنية ومدنية ومؤسسات إعلامية والقائمين على بيت الشباب والمركز الثقافي محمد بوضياف ومدرسة الأمة والمحسنين.

ونخص بالشكر السيد والي ولاية برج بوعريج المضيافة على رعايته لهذا الملتقى الدولي، المنظم تحت الرعاية السامية لرئيس الجمهورية.

يوم 20 ماي 1965
- أيام 12/11/10 شعبان 1437هـ الموافق لـ 20/19/18 ماي 2016م بدار الثقافة محمد بوضياف لولاية برج بوعريج، والموسوم ب: العلماء وقضايا الأمة، تحت شعار: الوفاء من علماء الخلف لعلماء السلف.

وبعد ثماني جلسات علمية تخللتها مناقشات وإثراءات، وإذ تشتمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، هذا النشاط العلمي المعرفي، فإنها تؤكد على أهمية دور علماء الأمة في حل مشكلات العالم الإسلامي المختلفة، فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تدعو المجتمعات المسلمة إلى:

1. تعزيز مقام العلم وقيمه في النفوس وفق منهج الوسطية والاعتدال.
2. بيان أهمية دور العلماء في ظل الواقع المر الذي يعيشه العالم الإسلامي، وضرورة قيامهم بواجبهم ومسؤولياتهم، بكل شجاعة وصدق من أجل تجاوز هذه الفتن التي تعصف بالأمة
3. تدعو إلى ارتقاء العلماء بخطابهم الإسلامي، إلى مستوى

شيخنا الدكتور إسماعيل يحيى رضوان كما عرفته¹



أ.د. مسعود فلوسي

لم يكن من حظي أن أحضر تشييع جنازة شيخنا الراحل الأستاذ الدكتور إسماعيل يحيى رضوان عدارية ولا المشاركة في تأبينه بكلمة تليق بمقامه، فقد كنت في المسجد الحرام بمكة المكرمة أنتظر صلاة العصر حين سمعت إشارة هاتفني الجوال تعلمني بوصول رسالة نصية، فلما فتحت الرسالة لمعرفة ما تضمنته قرأت هذه العبارة الموجزة: "الأستاذ الدكتور إسماعيل يحيى رضوان توفي"، كان ذلك مساء يوم الجمعة 17 جوان 2016م، الموافق 12 رمضان 1437هـ. تملكنتني الدهشة ولم أعرف كيف أتصرف ولا ماذا أقول في تلك اللحظة، فقد حملت لي تلك العبارة الموجزة خبرا فاجعا بوفاة رجل ربطتني به علاقة وثيقة قامت على المحبة والمودة والتقدير المتبادل خلال عشرين سنة كاملة. لكن الله عز وجل أعاد إليّ وعيي وتماسكي فاسترجعت واستغفرت وترجعت على الفقيده وَخَصَّصْتُه بِدَعَاءٍ سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَه فِيهِ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالرَّضْوَانَ وَأَنْ يُوَفِّيَهُ الْفَرْدُوسَ الْأَعْلَى مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا.

ملخص حياته قبل مجيئه إلى الجزائر

الأستاذ الدكتور إسماعيل يحيى رضوان رحمه الله فلسطيني الأصل والمولد، فقد رأى النور سنة 1942م في بلدة الدوايمة، وهي قرية فلسطينية تبعد عن مدينة الخليل بنحو 24 كيلومترا. وفي هذه القرية تعلم مبادئ القراءة والكتابة وبدأ حفظ القرآن الكريم. لكن بقاءه في قريته لم يدم طويلا، فبعد نكبة 1948م تم تهجير سكانها العرب منها قسرا من قبل العصابات الصهيونية، ليجد نفسه هو وأسرته في مخيم "الجلزون" قرب مدينة رام الله في الضفة الغربية، وهناك درس المراحل الأولى للتعليم بشكل نظامي، ثم التحق بمدارس الحكومة الأردنية للمرحلة الثانوية في مدينة رام الله، منتسبا إلى القسم الأدبي، حتى تخرج منه عام 1962م، وهو العام نفسه الذي حصل فيه على الجنسية الأردنية. التحق إثر ذلك بمركز تدريب المعلمين التابع لوكالة "غوث الدولية" في مدينة رام الله، وتخرج منه عام 1964م.

بعد تخرجه من المركز المذكور أتاحت له فرصة التعاقد مع وزارة التربية الكويتية للعمل في مدارسها، فانتقل إلى الكويت التي ظل يعمل فيها مُدرّسا ثم مُشرفا مُوجّها إلى غاية خروجه منها بعد حرب الخليج وتحرير الكويت من القوات العراقية سنة 1991م.

لم يكتفِ أستاذنا بالانكفاء على عمله في التدريس فقط، وإنما قرر - إلى جانب ذلك - أن يواصل مسيرة التكوين والترقي العلمي، ولذلك انتسب إلى جامعة بيروت العربية التي حصل منها على شهادة الليسانس في اللغة العربية وأدابها عام 1973م، ليواصل المسيرة بالتسجيل في معهد الدراسات الإسلامية المعروف بمعهد الشيخ حسن الباقوري الكائن مقره بالزمالك في القاهرة، وبعد حصوله منه على دبلوم الدراسات العليا التحق بجامعة البنجاب في باكستان التي حصل منها على شهادة الماجستير في اللغة العربية سنة 1984م، ليواصل المسيرة العلمية بالتسجيل في الدكتوراه في تخصص علم أصول الفقه التي حصل عليها من الجامعة نفسها في شهر أوت من سنة 1989م.

وبعد حصوله على الدكتوراه شارك بالتدريس في كلية الشريعة بجامعة الكويت خلال السنة الجامعية 1990-1989م، وكان في نيته أن يتعاقد مع الجامعة، إلا أن احتلال الكويت من قبل القوات العراقية كان سببا في تغير مسار حياة أستاذنا، فقد استولى الجنود العراقيون - كما حدثني رحمه الله - على سيارته وعلى نصيب من ماله، وبسبب خشيتيه على نفسه وعلى أهله خرج من الكويت وعاد إلى الأردن التي يحمل جنسيتها، وهناك عمل مدرسا بالكلية العربية في عمان خلال العام الجامعي 1991-1992م.

وفي تلك الأثناء جاءه عرض للتعاقد مع جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، فوافق على العرض وقدم إلى الجزائر في بداية السنة الجامعية 1994-1993م. وقد حصل له عند نزوله أول مرة في مطار هوارى بومدين حادث مؤسف، حيث بمجرد أن خرج من قاعة المطار استقبله شاب وعرض عليه أن يساعد به حمل حبيبته، ولأن الأستاذ لم يخطر بباله أن يكون هذا الشاب محتالا، فقد سلمه إحدى حقائبه ليحملها، لكنه بعد أن سار بضعة أمتار انتبه إلى أن هذا الشاب قد اختفى واختفت معه الحقيبة التي كان من

بين محتوياتها نسخة من رسالته في الدكتوراه وبعض الوثائق الهامة.

لقاءاتي الأولى بالأستاذ

أول لقاء جمعني بشيخنا الراحل رحمه الله، كان يوم الأربعاء 6 محرم 1415هـ، الموافق 15 جوان 1994م، وذلك بمناسبة مناقشة رسالتي في الماجستير بالمعهد الوطني للتعليم العالي في العلوم الإسلامية بباتنة، فقد كان الأستاذ رحمه الله أحد أعضاء لجنة المناقشة قادما من جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة التي كان أستاذا فيها، حيث امتدت المناقشة من الساعة الثانية بعد الزوال إلى الساعة السادسة مساء، وقد كانت للأستاذ مداخلة ثمن فيها الجهد الذي بذلته في إعداد الرسالة وأبرز مزايا عملي فيها، إضافة إلى تقديمه بعض النصائح والتوجيهات التي راي ضرورة الأخذ بها للرقى بالرسالة إلى الصورة الأفضل.

بعد نهاية المناقشة عاد الأستاذ إلى قسنطينة، ولم يتسن لي أن التقى به مرة أخرى إلا بعد قريب من سنتين من ذلك اللقاء الأول، وكان اللقاء هذه المرة في مدينة وهران وفي رحاب المعهد الوطني للتعليم العالي في الحضارة الإسلامية، والمناسبة كانت الملتقى الدولي حول "المصطلح العلمي في التراث الإسلامي" الذي نظمه المعهد المذكور أيام 20 و 21 و 22 أبريل 1996م، فحين وصلت مدينة وهران وتم استقبالي على مستوى الفندق من قبل الأخ الفاضل الدكتور جيلالي سلطاني نائب مدير المعهد حينئذ والذي كان المشرف على تنظيم الملتقى، قال لي: هناك مكان في غرفة ثنائية يقيم فيها حاليا أستاذ من الأردن وهو مشارك مثلك في الملتقى، فهل

يمكنك أن تقيم معه؟ أجبته بالإيجاب دون أن أعرف من هي هذا الأستاذ. فلما ذهبت إلى الغرفة ودققت الباب إذا بي أفاجا بالدكتور إسماعيل يحيى رضوان هو من يفتح الباب، وإذا به يفاجا هو الآخر بحضوري. قضينا ثلاثة أيام جميلة مع بعضنا، حيث امتعنا رحمه الله بأحدثه العذبة ونكتته الممتعة، وقد جمعتنا الجلسة التي ألقى فيها كل منا بحثه وكان رئيسها هو الفقيه العلامة الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله. بعد الملتقى عاد هو إلى قسنطينة في الحافلة، بينما عدت أنا إلى الجزائر العاصمة ومنها إلى قسنطينة في الطائرة ثم إلى باتنة.

التحاقه بمعهدنا

في نهاية السنة الجامعية 1996-1995م، حصل سوء تفاهم بين الدكتور إسماعيل وإدارة جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة فقرر الاستقالة من الجامعة وأصر على عدم التراجع عنها وازرع العودة إلى الأردن، ولما علم مدير معهدنا حينئذ الدكتور محمد خزار رحمه الله بذلك، عرض على الأستاذ الالتحاق بالمعهد الوطني للتعليم العالي في العلوم الإسلامية بباتنة، فوافق، وكان التحاقه بالمعهد كاستاذ في بداية السنة الجامعية 1997-1996م.

لم يكن الهدف الأساس من استقدام الدكتور إسماعيل للالتحاق بالمعهد هو مجرد تدريس الطلبة، وإنما كان الهدف الأكبر هو أن يتولى تأطير طلبة الماجستير والإشراف على رسائلهم العلمية، خاصة مع توالي رحيل الأساتذة المتعاونين عن مختلف المؤسسات الجامعية الجزائرية ومنها معهدنا، وعند قدوم الدكتور إسماعيل كان هناك بعض هؤلاء الأساتذة ومنهم الأستاذ الدكتور حسيب حسن السامرائي والدكتور حمزة الملباري، لكن هذين الأستاذين لم يلبثا أن غادرا المعهد، فبقي الدكتور إسماعيل هو الأستاذ المتعاون الوحيد، ولم يكن هناك من يتولى معه تأطير الطلبة الباحثين من الأساتذة الجزائريين سوى الدكتور أحمد رحمانى والدكتور محمد محدة رحمه الله.

وقد كان من حسن حظي أن يقبل أستاذنا الإشراف على رسالتي في الدكتوراه بعد رحيل أستاذنا الشيخ الدكتور حسيب حسن

السامرائي وعودته إلى بلده العراق واعتذاره عن مواصلة الإشراف عليّ.

إشرافه على رسالتي في الدكتوراه

بعد تولي أستاذنا الإشراف على عملي في رسالة الدكتوراه، كان دائم الحث لي على إنجازها والانتهاء منها، وكنت حريصا على ذلك، إلا أن الظروف كان لها دورها في تأخر إنجازي للرسالة، حيث لم أتمكن من إتمامها إلا في بداية سنة 2001م، وفي أثناء كتابتي للرسالة كنت أعرض فصولها على أستاذنا أولا بأول، فيقرأ الفصل في مدة وجيزة ويعيده إليّ وعليه الملاحظات التي كان علي أن أخذ بها، وهكذا جرى العمل في كل الفصول حتى انتهينا من إنجاز الرسالة.

وبعد حصولي على إذنه لي بطبعها قدمت الرسالة إلى كلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر وتم توزيعها على مستوى مجلسها العلمي، إلا أنني ظلت أنتظر مدة تسعة أشهر كاملة حتى اجتمعت اللجنة المناقشة، وقد تمت المناقشة يوم 5 جوان 2002م بقاعة مكتبة الكلية.

مرافقتي له في الأسفار ومشاركتي في المناقشات إلى جانبه

بعد حصولي على الدكتوراه وترقيتي إلى رتبة أستاذ محاضر، سافرت معه عدة مرات لحضور بعض الملتقيات الدولية والوطنية التي كانت تعقد في بعض الجامعات الجزائرية، وكذلك لمناقشة الرسائل العلمية التي كانت تُرسل لنا للحكم عليها، وقد ناقشت إلى جانبه عدة رسائل في كل من باتنة والجزائر العاصمة.



كما أنه رحمه الله اقترحني للمشاركة في مناقشة عدة رسائل كان يشرف عليها سواء في الماجستير أو الدكتوراه، وعلى الرغم من الملاحظات التي كنت أوجهها إلى أصحاب تلك الرسائل مما كان البعض يعتبره ملاحظات شديدة الوقع، إلا أن أستاذنا لم يظهر عليه الانزعاج من ملاحظاتي إطلاقا، بل على العكس كان يشكرني في نهاية كل مناقشة ويبدى الاهتمام بتلك الملاحظات ويراهم جادة وهادفة.

وكانت آخر رسالتين اقترحني رئيسا للجنة مناقشتها، هما: رسالة الباحثة سليمة بن عبد السلام التي وزعت في حياته ولم تُناقش بعد، ورسالة الباحث الأستاذ جمعي بوقفة التي كتب له الإذن بطبعها لكنها لم توزع على مستوى المجلس العلمي إلا بعد وفاته رحمه الله.

خصال عرفتها في شيخنا

خلال عشرين سنة عرفت فيها الدكتور إسماعيل يحيى رضوان رحمه الله، لاحظت أن الرجل كان يتحلى ببجملة من الخصال الطيبة التي قلما تجتمع في شخص واحد، وهي خصال ظل يتحلى بها باستمرار، ولذلك يمكن اعتبارها سمات مميزة أصيلة شكلت شخصية أستاذنا ولم تكن مجرد مظاهر متكلفة. ومن هذه الخصال:

- 1- الصلوق في القول والعمل:** فقد كان أستاذنا رحمه الله واضحا في كل شؤونه، فلم يكن يحدث إلا بما يعرف، ولم يكن يقول إلا حقا، كما أنه لم يكن يعد بشيء إلا إذا كان يعلم أنه يمكنه الوفاء به، وإذا طلب منه عمل ما فهو يؤديه على قدر استطاعته دون تكلف أو محاولة الظهور بغير مظهره الحقيقي.
- 2- البساطة والتواضع الجرم:** فقد كان يعامل الناس جميعا معاملة واحدة أساسا احترام وتقدير الآخرين بغض النظر عن مراكزهم واتماءاتهم، لا فرق عنده بين طالب وأستاذ، ولا بين كبير وصغير، ولا بين رئيس ومرؤوس. وكانت معاملاته وعلاقاته كلها بسيطة لا تكلف فيها ولا استعلاء، بل كان مظهرها الأساس هو اللين والتواضع وخُضُفُ الجانب.
- 3- الجدية في العمل:** فقد كان رحمه الله حريصا على أداء واجباته في التدريس والإشراف العلمي والمراقبة في الامتحانات وحضور الاجتماعات بكل جدية واهتمام، ولم

يكن يغيب عن موعد أو يعتذر عن القيام بعمل إلا لعذر قاهر. وعلى الرغم من الإرهاق الذي كان يلحقه بسبب بعض الأعمال ومنها خاصة المناقشات العلمية التي كانت تتطلب كثرة القراءة للرسائل التي كانت تصله وكذا السفر لمناقشتها، إلا أنه لم يُعرف عنه أنه تأخر أو اعتذر مرة عن حضور مناقشة رسالة من تلك الرسائل.

4- النصيحة وحب الخير للغير: لم يكن أستاذنا رحمه الله أنانيا يحب الخير لنفسه فقط دون أن يبالي بغيره، كما هو حال الكثيرين مع الأسف، وإنما كان رجلا محبا للخير لغيره أكثر من حبه له نفسه، ولذلك لم يكن يتردد في أن يقدم خلاصة تجربته وخبرته للآخرين ويتوجه بالنصيحة إلى من يتوسم فيه قبولها منه. وقد نصحتني رحمه الله في مناسبات عديدة بنصائح ثمينة انتفعت بها في حياتي وفي عملي وفي علاقاتي مع زملائي.

5- الإياء وعزة النفس: لم يكن أستاذنا رحمه الله يطلب شيئا لنفسه، بل إنه لم يكن يطلب حتى حقه إذا رأى أن طلبه له قد يحمله على أن يتلقى غيره أو يذل أمامه، وهذا ما جعله يترك ما هو حق له ويتنازل عما هو جدير به حفاظا على كرامته وصيانة لعزة نفسه. كما أنه لم يكن يستعمل علاقاته للحصول على امتياز من الامتيازات، فإذا جاءه أمر بسهولة ويسر أخذه وحمد الله على تيسيره، وإذا لم يأت به فلم يكن يتكلف شيئا للحصول عليه.

6- الكرم وحسن الضيافة: كثيرا ما زرت الأستاذ رحمه الله في بيته إما وحدي أو بصحبة غيري من الزملاء، فكان رحمه الله لا يبخل علينا بشيء مما عنده من طعام أو شراب، بل يضع أمامنا ما توفر لديه، بوجه مشرق وثرغ باسم وترحيب صادق. وقد دعانا عدة مرات في مناسبات مختلفة إلى بيته وأكرمنا بما أعقد الله عليه من نعمه، كما أنه رحمه الله كان يجيب دعوة من يدعوه إلى طعام أو شراب، وقد زارني في بيتي عدة مرات، كما كان يزور غيري من الزملاء والأصدقاء إذا دعوه.

7- التحمل والصبر والاحتساب: تعرض أستاذنا رحمه الله لتعطل بعض مصالحه ومنها تأخير ترقيته إلى درجة أستاذ لسنتين تقريبا بعد إلزامه بمعادلة شهادته. كما تعرض للأذى من بعض من لم يعرفوا قدره من طلبته الذين نسوا فضله عليهم ودوره في حصولهم على الماجستير والدكتوراه وتبوءهم وظيفة التدريس وتوليهم المناصب الإدارية المختلفة في الجامعات الجزائرية. وأبثلي كذلك بسرفة سيارته الأولى التي استردها ثم احترقت بعد ذلك بصورة كلية في حادث اليه مات فيه صهره شقيق زوجته يوم عرسه. كما دخل الأشرار ببيته في غيابه واستولوا على الأشياء الثمينة فيه، إلا أنه قابل كل ذلك بالصبر والتحمل واحتساب الأجر عند الله عز وجل.

8- الحساسية المرفهة: بما أن أستاذنا رحمه الله لم يكن جزائريا وإنما متعازنا، فقد كان شديد الحساسية من عبارة (اجنبي) التي كان يواجه بها أحيانا سواء في الجامعة أو الوزارة أو الإدارات المختلفة التي كان يقصدها، وكثيرا ما كان يستثنى من بعض الامتيازات التي يحصل عليها الأساتذة الجزائريون، مما كان يسبب له الألم والمعاناة والشعور بالغربة. ومما كان يزيد في شعوره بالغربة أن أكثر من لجأوا إليه للإشراف عليهم سرعان ما انفضوا من حوله وتتركوا له بسجود حصولهم على الشهادات من ماجستير أو دكتوراه، ولذلك كان رحمه الله كثيرا ما يتحدث عن غربته، وكان يخشى أن يموت في غير بلده وبعدا عن أهله، وكان يسلي نفسه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل إذا مات بغير مولده، قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة). وقد ازداد هذا الهاجس في نفسه بعد وفاة والدته رحمه الله وهو بعيد عنها دون أن يتمكن من توديعها قبل وفاتها. وقد كنت دائما أحاول أن أخفف عليه وطأة هذا الشعور وأقول له في كل مرة: "إنك لست غريبا، انت بين أبنائك وإخوانك وأهلك وأصحابك"، فكان رحمه الله يبتسم ويبدى الرضا ويطوي ألمه بين جوانحه.

9- روح النكته والهداية: على الرغم من الآلام النفسية التي كان يتحملها أستاذنا رحمه الله بسبب غربته وبعدة عن موطنه، إلا أن كل من عرفه عرف فيه روح المرح والنكته الهادفة، وهو ما جعل كثيرين يحبونه ويتمنون لقاءه لما يتمتعهم به من فكاكة وما يدخله على قلوبهم من السرور وعلى نفوسهم من الانشراح. وكانت هذه الخاصة المميزة تظهر عليه أكثر في الملتقيات الوطنية والدولية التي نجتمع على هوامشها حيث يلتقي أساتذة من مختلف الجامعات الجزائرية والعربية، فكان شيخنا دائما محور هذه الاجتماعات فيتحدث الأساتذة من حوله للاستماع إلى طرائفه ونكتته. بل كانت روح الدعابة ملازمة له لا تفارقه، فكان كلما لقي واحدا من زملائه أو طلابه يداعبه بكلمات لطيفة تدخل السرور على قلبه وتذهب الملل والوحشة من نفسه.

- يُتبع -

شيخنا الدكتور إسماعيل يحيى رضوان كما عرفته²



أ.د. مسعود فلوسي

الحلقة الثانية -

في الحلقة الأولى من هذه المقالة التي قصدنا من كتابتها التعريف بشيخنا الأستاذ الدكتور إسماعيل يحيى رضوان رحمه الله - الفيلسوف الأصيل والمولد، الأردني الجنسية، الجزائري الإقامة والوفاة والمدفن - ألمحنا إلى موجز عن سيرة حياته قبل قدومه إلى الجزائر، ثم تحدثنا عن الملايسات التي رافقت مقدمه، والظروف التي تعرفت إليه فيها، والأعمال التي باشرها، والخصال التي تحلى بها.. ونواصل في هذه الحلقة الثانية الحديث عن بقية الجوانب المتعلقة بشخصيته العلمية رحمه الله، ومنها كتبه التي ألفها ويحوتها التي أعدها ونشرها في المجلات الأكاديمية الجزائرية، ومقالاته الصحفية، وكذا الرسائل العلمية التي أشرف عليها أو شارك في مناقشتها.

مؤلفاته العلمية

ترك شيخنا كتابين منشورين، هما:

1- كتاب «الإمام ابن حزم الأندلسي وأثر النزعة الظاهرية في اجتهاده»: هذا الكتاب يمثل في أصله الرسالة العلمية التي حصل بها أستاذنا على الدكتوراه من جامعة البنجاب في مدينة لاهور في باكستان سنة 1989م تحت إشراف الأستاذ الدكتور ذو الفقار علي مالك. وقد ظلت هذه الرسالة محفوظة لدى أستاذنا حتى نشرت رسالتي في الماجستير والدكتوراه لدى مكتبة الرشد في الرياض بالملكة العربية السعودية سنتي 2003 و2004م، وكان صاحب المكتبة رئيس جمعية الناشرين السعوديين الشيخ أبو فهد أحمد بن فهد الحمدان جازاه الله خيرا قد طلب مني أن أشرح له ما أراه جديرا بالنشر من الرسائل الجامعية الجزائرية، ففأثحت أستاذنا بشأن نشر رسالته لدى مكتبة الرشد، ومع أنه أبدى رغبته في ذلك إلا أنه تحجج بأن النص الإلكتروني للرسالة غير متوفر ولا بد من إعادة كتابتها من جديد. وقد وجدنا حلا لهذه المشكلة بقيام شقيقي عدنان بمهمة كتابة الرسالة من جديد على الكمبيوتر، ولذلك ما أن اكتمل العمل في الرسالة كتابة وتصحيحا، حتى حملت نسخة منها مصحوبة بقرص إلكتروني إلى القاهرة بمناسبة معرضها الدولي للكتاب سنة 2006م، وهناك لقيت أبا فهد صاحب مكتبة الرشد وسلمتها له وتعاقدت معه على نشرها نيابة عن الدكتور إسماعيل، وسلمني الحقوق التي أبلغتها إلى صاحبها مباشرة بعد عودتي إلى الجزائر. وهكذا لم يمض وقت طويل حتى كانت الرسالة مطبوعة ومنشورة وموزعة على نطاق واسع، إذ صدرت تحمل رقم (196) ضمن سلسلة الرشد للرسائل الجامعية سنة 1428هـ، 2007م، في 528 صفحة.

وعندما وصلته نسخ من الكتاب أهداني رحمه الله واحدة منها، وكتب لي عليها بخطه الرائع الجميل هذه الكلمات الرقيقة: «إلى الأمل الواعد بعلمه ودينه وخلقه، البار بوالديه وأساتذته وأمه، الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي، أهدى هذا الكتاب ليكون ذكرى طيبة تفوح بيننا، محبة لله ورسوله.. 7 جمادى الثاني 1429هـ، الموافق 11 جوان 2008م».

2- كتاب «مكفرات الذنوب»: هذا الكتاب له قصة هو الآخر، فشيخنا رحمه الله كان قد كتب مادته بخط يده في كرايس متفرقة، وهو عبارة عن تجميع وشرح للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة المتعلقة بالأعمال الصالحة التي إذا قام بها الإنسان فإنها تكفر الذنوب التي يقع فيها. وكان أستاذنا يحتفظ بهذه الكراسات لنفسه وكان يراجعها ويعلق على هوامشها كل ما وجد فرصة لذلك. وذات مرة زرت في بيته فأراني هذه الكراسات ولما نظرت فيها تبين لي أنها تمثل كتابا متكاملًا، فطلبت منه أن أخذها معي لتصويرها وترتيب مادتها فسلمها لي، وما هو إلا يوم أو يومان حتى أعدت أصولها إليه مصحوبة بصورة منها مرتبة ومنسقة ومجموعة في شكل كتاب. وصادف أن زاره كذلك زميلي الدكتور أحمد عيساوي الذي كان قد أشرف على رسالته في الدكتوراه هو الآخر، فلما رأى الكتاب عنده عرض عليه أن يكتبه له على الكمبيوتر، فلما أنجزه قام بتلميذه الآخر الدكتور رابح زرواتي بإرساله إلى دار ابن حزم في لبنان التي لم تتردد في طباعته ونشره، وهكذا صدر في طبعته الأولى سنة 1429هـ، 2008م،

وقد أهداني شيخنا رحمه الله نسخة منه وكتب لي فيها هذه العبارات الجميلة: «إلى الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي - حفظه الله - المؤمل عندنا دائما أن يكون من رجال الفكر الأفضل في هذه الأمة، أهدى هذا الكتاب المتواضع، والذي ساعدني في مراحل الأولى في تنسيقه وتنظيمه، ليكون وشيجة دائمة للشكر والغبطة والمودة والأمل الموعود، بإذن الله الواحد الأحد.. محبكم حب الوالد لولده إسماعيل رضوان، الإثنين 29 جمادى الثاني 1429هـ، الموافق 23 جوان 2009م».

هذا ولعل لشيخنا الفاضل كتبًا أخرى لم يتسن لي الاطلاع عليها، خاصة وأنه كان يحدثني أحيانا عن مشاريع له في التأليف والبحث، ومما ذكره في سيرته الذاتية أن له دراسات كان يصدد إعدادها، ومنها: المقاصد وأثرها في الترجيح بين الأحكام، تناغم النصوص في الشريعة الإسلامية، بدائل النقص في الشريعة الإسلامية، وغيرها.

أبحاثه العلمية

إلى جانب الكتابين المنشورين الأنفي الذكر، كتب شيخنا رحمه الله عددا من البحوث العلمية ونشرها في بعض المجلات الأكاديمية الصادرة عن بعض الجامعات الجزائرية، وبعض هذه البحوث شارك بها في بعض المنتديات العلمية ثم قام بنشرها، وقد وقفت على بحثه التالية:

1- المصطلحات العلمية في الفقه وأصوله، بحث شارك به في المنتدى الدولي حول (المصطلح العلمي في التراث الإسلامي)، المنظم من قبل المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية - جامعة وهران، أيام: 2 و3 و4 من ذي الحجة 1416هـ، الموافقة ل: 20 و21 و22 أبريل 1996م. ثم نشرته مجلة الحضارة الإسلامية التي يصدرها ذات المعهد، ع3، رجب 1418هـ، نوفمبر 1997م، الصفحات: 51-36.

2- البناء الروحي والخلقي للإنسان في الشرائع السابقة وفي شريعة الإسلام، بحث شارك به في المنتدى الدولي حول (الإنسان في الكتب السماوية)، المنظم من قبل المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية - جامعة وهران، أيام: 23 و24 و25 رجب 1418هـ، الموافقة لآيام: 23 و24 و25 نوفمبر 1997م. ونشرته مجلة الحضارة الإسلامية، ع4، شعبان 1419هـ، نوفمبر 1998م، الصفحات: 135-118.

3- مفارقات في التعصب والتسلك، بحث نشرته مجلة الإحياء، الصادرة عن المعهد الوطني للتعليم العالي للعلوم الإسلامية في باتنة، ع1، 1419هـ، 1998م، الصفحات: 105-96.

4- شواذ القياس، بحث نشرته مجلة الموافقات، الصادرة عن المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، ع6، 1418-1419هـ/ 1997-1998م، الصفحات: 105-76.

5- مبادئ حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية مبنية على التكريم والعدل، بحث نشرته مجلة الصراط، الصادرة عن كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، س2، ع3، جمادى الآخرة 1421هـ، سبتمبر 2000م، الصفحات: 106-78.

6- معجم أساليب التحريم في الفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف، بحث نشرته مجلة الإحياء، جامعة باتنة، ع3-2، 1421هـ، 2001م، الصفحات: 134-106.

7- فقه الاستنباط وعلاقته بالأصالة ومسالك التجديد، بحث شارك به في المنتدى الدولي حول (الأصالة والتجديد في مناهج البحث في العلوم الإسلامية والاجتماعية)، المنظم من قبل كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية في جامعة باتنة، أيام: 28 و29 و30 أكتوبر 2001م، ونشرته مجلة الإحياء، ع4، 1422هـ، 2001م، الصفحات: 154-143.

8- حقيقة الصهيونية وأطماعها في السيطرة على العالم، بحث شارك به في المنتدى الدولي حول (الإسلام وقضايا العصر)، المنظم من قبل كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية بجامعة باتنة، أيام: 12، 13، 14 شعبان 1423هـ، الموافق: 19، 20، 21 أكتوبر 2002م. ونشرته مجلة الإحياء، ع6، 1423هـ، 2002م، الصفحات: 271-286.

9- المرجعية الفلسفية للحريات العامة، مجلة الصراط، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، س2، ع5، محرم 1423هـ، مارس 2002م، الصفحات: 133-108.

10- الاستدلال بسد الذرائع عند المالكية، بحث شارك به في المنتدى الوطني الأول حول (المذهب المالكي في الجزائر)، المنظم من قبل مخبر بحث الشريعة بجامعة الجزائر، يومي: 2، 3 ربيع الأول 1425هـ، الموافق: 22، 23 أبريل 2004م. ونشرته مجلة البحوث العلمية

والدراسات الإسلامية، الصادرة عن المخبر نفسه، س1، ع1، 1425هـ، 2004م، الصفحات: 67-51.

مقالاته الصحفية

إضافة إلى الإنتاج العلمي لشيخنا رحمه الله، كانت له بعض الإسهامات الثقافية في الصحافة الجزائرية، من ذلك أنني عندما كنت أحرر الصفحة الإسلامية في جريدة «رسالة الأطلس» الأسبوعية التي كانت تصدر في مدينة باتنة وتوزع عبر التراب الوطني، طلبت من أستاذنا أن يسهم فيها بما يراه مناسبًا من مقالات لإفادة القارئ بما هو نافع من العلم والفكر، فاستجاب رحمه الله لطلبي وكتب عدة مقالات نُشرت في الجريدة، لكن علاقتي بالجريدة انقطعت بعد ذلك، وهو ما أدى إلى أن تتوقف مقالات الأستاذ كذلك. وهذه المقالات ليست الآن في متناول يدي، ولذلك لا يمكنني أن أورد عناوينها أو عناوين بعضها هنا، ولعلي أتمكن من ذلك في مناسبة أخرى إن شاء الله.

الرسائل العلمية التي أشرف عليها أو ناقشها

أشرف أستاذنا خلال عمله في الجزائر، على عدد كبير من الرسائل الجامعية التي أعدها باحثون جزائريون وغير جزائريين للحصول على الماجستير والدكتوراه، وذلك في كل من جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، وجامعة باتنة، وجامعة الجزائر.

وقد أحصيت من رسائل الماجستير التي أشرف عليها 24 رسالة في جامعة باتنة، و16 رسالة في جامعة الأمير بقسنطينة. أما رسائل الدكتوراه، فقد نُوقشت تحت إشرافه 3 رسائل في جامعة باتنة، و7 رسائل في جامعة الأمير بقسنطينة، و9 رسائل في كلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر. وهو ما يشكل في مجموعه 40 رسالة ماجستير و19 رسالة دكتوراه. وقد تكون هناك عناوين أخرى لرسائل أشرف عليها لم أتمكن من الوقوف عليها.

وإلى جانب الرسائل العلمية التي أشرف عليها ونوقشت تحت إشرافه، شارك شيخنا رحمه الله في مناقشة عشرات الرسائل العلمية التي أعدت لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراه، سواء في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة أو في جامعة باتنة أو في جامعة الجزائر، وذلك منذ حلوله بالجزائر سنة 1993م، إلى غاية وفاته سنة 2016م، أي طيلة ثلاث وعشرين سنة، وقد كثرت مشاركاته في المناقشات بصفة خاصة خلال مرحلة التسعينيات حين كان عدد الأساتذة المؤهلين للمناقشة قليلا جدا، أما بعد سنة 2000م، فقد حصل كثير من الباحثين الجزائريين على درجة الدكتوراه وصاروا يشاركون في المناقشات العلمية، فخف الحمل بذلك عن أستاذنا.

وقد شاركت معه في مناقشة عدة رسائل في كل من جامعة باتنة وجامعة الجزائر.

ويمكن أن أقول جازما غير متردد: إن معظم الأساتذة الجزائريين في العلوم الإسلامية الذين يسبقون كليات العلوم الإسلامية في الجزائر ويتولون تأطير طلبتها، لشيخنا رحمه الله فضل عليهم، إما تدريسًا أو إشرافًا أو مناقشة.

فمن أساتذة جامعة باتنة الذين أشرف عليهم الأستاذ أو ناقشهم، سواء في الماجستير أو الدكتوراه أو فيهما معا، نذكر: لخضر شايب، أحمد عيساوي، مسعود فلوسي، صالح بوشيش، عبد القادر بن حرز الله، رابح زرواتي، ميلود ميهوبي.

ومن أساتذة جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة: مصطفى باجو، خالد بابكر، سعد سطحي، كمال معزي.

ومن أساتذة جامعة الجزائر: محمد علي فركوس، نور الدين عباسي، علي عزوز، كمال أوقاسين، مسعودة علوش،



عبد المجيد بيرم، عبد القادر بن عزوز، نذير بوصيع. ومن أساتذة الجامعات الجزائرية الأخرى: يوسف بلمهدي، نجية رحمان، باهي التركي، عبد القادر داودي، أحمد أولاد سعيد، منصور رحمان، مراد كاملي، عز الدين كيجل، حسين علي موسى، محمد جراي، حميد عماري. ومن الباحثين الأجانب الذين أشرف عليهم: بشر تيار، صندل (تشاد)، عمار محمد أحمد التتمام (ليبيا).

آخر لقاء جمعني به

كان آخر لقاء جمعني بأستاذنا رحمه الله، يوم 1 جوان 2016م، بمناسبة مناقشة مذكرة ماستر للطلّاب فتحي قرازة على مستوى قسم اللغة والحضارة الإسلامية في كليتنا، فقد كنت المشرف على الطالب وكان أستاذنا هو رئيس لجنة المناقشة وقد حضر معنا كمتحن زميلنا الدكتور عمر حيدوسي، وكان لقاء حميميا بامتياز، فعندما أحال لي أستاذنا الكلمة وجدته فرصة سانحة لأعرف الطلبة وكل الحاضرين بفضل هذا الرجل والجهود التي بذلها في خدمة العلوم الإسلامية بالجزائر والتضحيات التي قدمها دون أن يطلب عنها أي مقابل، وضرورة أن نعرف له قدره ونحفظ جليله، ولم أكن أعلم أنني بذلك القي كلمة تايينية مسبقة في حق أستاذنا في حياته وبحضوره وقبل وفاته بأيام قليلة. وقد رد أستاذنا على كلمتي تلك بكلمة أجمل منها، فقد أطراني بما لا أستحقه ورفعني إلى مقام أنا دونه، ولكنه التواضع الجم الذي ظل يتميز به طول حياته رحمه الله.

بعد المناقشة خرجت معه إلى ساحة الجامعة حيث كنا أوقفنا سيارتنا، وعندما وصلنا إلى سيارته وجدنا أحد إطاريه الآخرين متقويا وفاقدًا لكل هوائه، فأكد لي رحمه الله أن هذه أول مرة يتعرض فيها لمشل هذا الموقف وأنه لا يعرف كيف يمكنه تغيير هذا الإطار، فقلت له إن الأمر سهل فهو لا يتطلب سوى وجود إطار بديل والآلة التي بها تُرفع السيارة وكذا المفتاح الذي تُدار به براغي العجلة، فتح رحمه الله الصندوق الخلفي للسيارة فوجدنا فيه كل هذه الأشياء، وفي دقائق معدودة كنت قد غيرت له إطار السيارة وصار بإمكانه قيادتها دون أي مشكلة. أخبرته أنني مقبل على السفر إلى البقاع المقدسة مع والدي لأداء مناسك العمرة وطلبت منه الدعاء لي ولوالدي ولأولادي، وكنت أطلب منه ذلك في كل لقاء، ووعده بالزيارة عند العودة. لكن اللقاء لم يتم، فقد بلغني خبر وفاة أستاذنا وأنا في المسجد الحرام، وتم دفنه في غيابه، ولم يكن من حظي أن أجمع به مرة أخرى في هذه الدنيا، فلعل الله عز وجل أن يجمعنا في جنته إخوانًا على سرر متقابلين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وإنه ليؤسفني أن أقول: إن كثيرا من طلبة الشيخ وتلاميذه الذين استفادوا منه لم يكلفوا أنفسهم حتى كتابة كلمات تعزية أو تأبين في حقّه، وهم الذين كانوا يتسابقون إليه لما كانوا بحاجة إلى خدماته، فلما استغنوا نسوا بل تنكروا وأعرضوا عنه حتى في حياته، ولا عجب أن يكون هذا حال الإنسان الذي وصفه ربه عز وجل بقوله: (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٌ) [العلق: 6-7]، وقوله: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٌ) [العديات: 6]، فإذا كان هذا موقفه من ربه سبحانه وتعالى الذي خلقه ورزقه وأنعم عليه بشئى النعم، فلا غرابة في أن يكون هو نفس موقفه من عبد مثله مهما كان له من فضل عليه. وقد عاني الأستاذ من بعض هذا الكنود في حياته، فلا عجب أن يلتقى نصيبا آخر منه بعد وفاته.

رحم الله أستاذنا الشيخ الدكتور إسماعيل يحيى رضوان عدارية وأسكنه فسيح جناته، وإلهمنا دوام الترحم عليه والاستغفار له كلما ذكرناه أو تناهى إلى مسامعنا ذكره.

صفات الباحث ومؤهلاته العلمية



أ.د/ مسعود فلوسي*

يحسب كثير من المنتسبين إلي الجامعات، سواء كأعضاء في هيئات التدريس، أو طلابا في مرحلة الدراسات العليا؛ أنهم بهذا الانتماء المبدئي يصبحون من فئة الباحثين بصورة تلقائية، وأن بإمكانهم أن يمارسوا البحث العلمي ببساطة، وأن تقبل منهم ممارساتهم تلك - إن وُجدت - وتُدرَج ضمن الأبحاث العلمية المعنّية. والحق أن هذا التصور خاطئ ويبعد تماما عن الحقيقة، فليس كل من يتولى التدريس في الجامعة هو باحث حقاً، وليس كل من يحمل بطاقة باحث أو طالب في الدراسات العليا يستطيع أن يكون باحثاً فعلاً.

حقيقة البحث العلمي وخصائصه

الانتماء لميدان البحث العلمي، لا يُكتسب بمجرد الحصول على شهادة جامعية أو بمجرد التسجيل في قائمة الباحثين على مستوى جامعة معينة، وإنما هو استعداد نفسي أولاً، ثم تحقق عملي بجملة من الصفات والمؤهلات ثانياً، ومن دون ذلك تبقى صفة الباحث مجرد شعار زائف يؤمُّه كثيرٌ من الناس أنفسهم باستحقاقه. والبحث العلمي لا يتحقق بإعداد رسالة جامعية للحصول على شهادة ماجستير أو دكتوراه، أو إنجاز مقالة بقصد الحصول على ترقية من رتبة إلى رتبة أعلى منها، وإنما هو اتخاذ البحث والتنقيب والاكتشاف والإبداع والترقي في مدارج العلم والمعرفة وظيفة يومية وممارسة حياتية، ونقل نتائج ما يصل إليه الباحث من ذلك إلى غيره من طلاب العلم والمعرفة وسائر أبناء المجتمع، بل وسائر أفراد النوع الإنساني، عن طريق الكتابة والتأليف أو الصناعة والاختراع.

والبحث العلمي بهذا المعنى لا يصلح له كل من تزيى بزيّه أو تلبّس بشعاره أو ادّعى الانتماء إلى ميدانه، وإنما يصلح له القليل ممن يستوفون شرائطه، ويحصلون المؤهلات التي تُحوّل لهم الانتماء إلى اهله.

وهذا ما يفسر كثرة الأساتذة الجامعيين وطلبة الدراسات العليا من جهة، وقلة الباحثين منهم من جهة أخرى. والواقع المُشاهد خير دليل على ذلك، فما أكثر الأساتذة الجامعيين الذين قضوا سنوات طويلة في حقل التدريس، ولم ينتجوا خلال مسيرتهم تلك سوى مقالة أو مقالتين بغرض الحصول على الترقية لا غير، دون أن يكون في تلك المقالة أو المقالات أي نفع للطلاب والمجتمع أو إضافة إلى رصيد العلم والمعرفة، أما أن ينجزوا مؤلفات رائدة أو بحوثاً جادة أو مقالات نافعة فهذا ما لم يحققه إلا القلة النادرة من الباحثين الحقيقيين.

ولعل سائلاً يسأل فيقول: ما هي الصفات التي يجب أن تتوفر في الشخص حتى يمكنه أن ينتمي إلى فئة الباحثين؟ وما هي المؤهلات التي عليه أن يحصلها حتى يُمكنه ممارسة البحث العلمي والنبوغ فيه؟ والجواب على ذلك، كما يلي:

الصفات الضرورية للباحث

هناك جملة من الصفات النفسية التي لا يتصور أن يتّسم الإنسان بصفة الباحث إذا لم يتحل بها أو لم يحرص على أن تتحقق فيه، ومنها:

1- **الازدياد المستمر من العلم والمعرفة:** فالإنسان الذي لا يعنيه من العلم والبحث العلمي سوى الحصول على شهادة جامعية تؤهله للحصول على منصب عمل، لا يمكنه أبداً أن يصبح باحثاً أو ينتمي إلى زمرة الباحثين. ذلك أن البحث العلمي تطلّع مستمرٌ إلى زيادة المعرفة، وتعطش دائمٌ إلى اكتشاف المجهر، وسلوك للسبيل التي من شأنها أن تقود إلى ذلك. والإنسان من هذا الطراز هو من لا يكف عن الاطلاع، ولا يتوقف عن القراءة، وليس لطموحاته إلى الازدياد من العلم والمعرفة حدود، ولا تقف دونها سدود، ولا تمنعها من الوصول إلى بغيتها قيود.

2- **طرح الأسئلة حول ما يواجهه من ظواهر وما يدور في ذهنه من خواطر:** ذلك أن تعامل الإنسان

باللامبالاة وعدم الاهتمام تجاه ما يلاحظه من ظواهر غير معهودة وما يتقدح في ذهنه من تساؤلات لا يعرف أجوبتها، من شأنه أن يصيبه بالبلادة ويجعله يميل إلى الكسل العقلي وترك البحث وعدم الاهتمام باكتشاف الأسرار الخفية للظواهر، وكذا الاستخفاف بالأسئلة التي تنقدح في ذهنه والاستهانة بمعرفة أجوبتها. ونتيجة كل ذلك أن يصبح الإنسان، وهو أستاذ جامعي أو طالب دراسات عليا محسوب على العلم وأهله، مجرد عامي يعيش على التوهُم مرحلة طفولة علمية لا علاقة لها بالبحث العلمي لا من قريب ولا من بعيد.

يُضاف إلى ذلك ما قد يرين على ضميره من تراكمات أخرى، لا صلة لها بأسباب البحث الذي تتحكم فيه سلطة المناهج والمعايير الأكاديمية السائدة، تلك التراكمات غير المجدية التي تصيبه بالبلادة وتجعله يميل إلى الكسل العقلي، والخلود إلى الراحة المطلقة، والاستسلام إلى ترك النشاط العلمي، وعدم الاهتمام بالتحصيل والحرص على المتابعة، والإعراض عن خوض غمار البحث ومعالجة متاعبه، وكلها من المشبطات التي تقتل روح الإبداع، وتصرف الهمم عن الطموح، وتجعل بينها وبين السعي الفكري والاطلاع سداً منيعاً وحجاباً مستوراً.

3- **الصبر واستسهال الصعاب:** البحث العلمي في الواقع من أصعب الأعمال وأشقها وأوجعها إلى بذل الكثير من الجهد واستفراغ ما أمكن من وُسْع، ويتطلب ممن يقتحم عالمه الواسع أن يتسلح بالطاقة الكافية والصبر المطلوب لمواجهة الصعاب والعقبات المُتوقّعة على طول قارعة البحث. فالبحث العلمي بما أنه اقتحامٌ للمجهول وسعي إلى كشف خباياه، لا يتيح للإنسان أن يصل إلى بُغيته من أقصر طريق أو في أول محاولة، بل إنه ليعتصم عليه ويرهقه، ولا يمكنه مما يطلب حتى يختبر صدقه وإخلاصه، ومع ذلك لا يُسعفه بما يريد إلا بعد الإلء المبين، والثبات في ميادين البحث، دون أن يظاطح رأسه للعواصف والأعاصير، ويُقدّم في هذا المجال ضريبة العلم، وهي ضريبة من نوع آخر لا يستطيعها إلا الباذلون بسخاء جهدهم ووقتهم وانفاسهم، ولا يعينهم بعد ذلك سوى الغاية التي راهنوا على تحقيقها بوساطة الإرادة التي لا تلبّث لها قناة، بلّة العزائم الصادقة التي جعلتهم يتجاوزون شيئاً فشيئاً العقبات الكؤود التي تقتضيها بدايات البحث، ثم تتضح معالم الطريق بعد زوال العتمة الحالكة، وتلاشي غبش الصبح الذي يأخذ في التراجع رويداً رويداً، ليفسح المجال ليوم جديد. وبما أن الأمر كذلك فإن الصابرين الذين يتحملون صعوبة المهمة ويكابدون كثرة المحاولة ويقبلون قلة المحصول قليلون، بل نادرين.

4- **التواضع والاستفادة من أي كان وعدم التعالي على النقد:** فلا يمكن أن ينتمي إلى ميدان البحث العلمي أو يفلح فيه إلا من كان متواضعاً، لينا بعيداً عن الغرور والغطرسة الزائفة والاستعلاء الكاذب، مستعداً لاستفادة المعرفة وأخذها من أي كان، بل حرصاً على تلقف الحكمة من حيث جاءت، لا يجد في نفسه حرجاً على تقبل النقد من الآخرين، حتى وإن كان مصحوباً بإيحاءات الاستفزاز والتحامل، ولا يرفض النصيحة من أهل الخبرة والعلم، بل يتقبل ذلك قبولاً حسناً، طالما أنه لا يتعارض مع الحق، ولا يتناقض مع أصول العلم الصحيح، أو يتنافى مع قواعد المعرفة اليقينية التي تعتبر عند الجميع مسلمة من المسلمات المتفق عليها.

5- **الأمانة العلمية:** والأمانة في العلم ليس المقصود بها مجرد نسبة الأقوال إلى قائلها، أو إحالة النصوص المقتبسة إلى مصادرها، فهذا يمثل الصورة المثلى للأمانة العلمية التي تفرضها السلطة الصارمة لتطبيقات المناهج الأكاديمية، وتتعامل بها شتى الجامعات في مختلف أنحاء العالم، أما جوهرها فهو الصدق في طلب العلم والإخلاص للمعرفة والحقيقة، والحرص على خدمة العلم والمجتمع، ونفع الناس بمرودية الأبحاث المثمرة. والإنسان الذي لا يتحلّى بهذه الصفة، ولا يستشعرها في نفسه، ولا يرى جدوى من ضرورتها في اشتغاله بالعلم والمعرفة، لا يمكنه أن يصبح باحثاً أو ينتمي إلى دائرة البحث العلمي بمعناه الصحيح.

6- **التجرد والاحتساب ونشدان الحقيقة الخالصة:** فالبحث العلمي لا يقبل بطبيعته أن يكون وسيلة إلى

تحقيق مأرب مادي أو الحصول على مَجْد شخصي، فهو يتطلب ممن يدخل عالمه أو يصبو إلى الانتماء إلى منسوبه التجرد من المارب الشخصية، والتحلي بروح الاحتساب وإبتغاء الوصول إلى المعرفة، واكتشاف المجهول والإضافة إلى الخبرات العلمية المتراكمة. أما من يريد أن يتخذ البحث العلمي وسيلة إلى غاية مادية أو مارب شخصي، فلا يلبث أن يجد نفسه خارج ميدانه ويعيدا عن مجاله، لأن البحث العلمي بطبيعته يرمي به بعيداً ولا يسمح له بالبقاء في مجاله أو ضمن دائرته.

7- **استثمار الفرص المشجعة على البحث:** بما أن العمل في ميدان البحث العلمي صعب وشاق، ويتطلب صبراً واحتساباً، فإن الباحث يحتاج إلى مُحفّزات ومُشجّعات تُعينه على المُرابطة في هذا الميدان ومواصلة الانتماء إلى أهله، ولذلك فهو حرص على انتهاز كل فرصة أو مناسبة من شأنها أن تمكنه من ذلك. ومن هذه الفرص والمناسبات: المشاركة في المؤتمرات العلمية بتقديم البحوث والمداخلات الجادة، الاشتراك في تأليف الكتب الجماعية بتدبير المقالات الرصينة المجدية، التقدم بالإسهامات العلمية والمشاركة في المنافسات الجادة التي لها صلة بتطوير البحث العلمي والإضافة إلى ذخائره، بلّة الجوائز العلمية والتقديرية التي تعلن عنها المؤسسات المشجعة للبحث العلمي، تقديم محاضرات ضمن ندوات أو حوارات في موضوعات شائكة تملئها قضايا الراهن، ويفرضها الشان العام، وتتطلب حلولاً فورية، وإجابات حاسمة من طرف العلماء وأهل الرأي في النقاش الدائر حولها...

مؤهلات الباحث لممارسة البحث العلمي

تلك أهم الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الإنسان إذا ما أراد أن ينتمي إلى ميدان البحث العلمي، وأن يحظى بشرف الانتساب إلى أهله وذويه. لكن هذه الصفات وحدها، وإن كانت ضرورية، إلا أنها لا تكفي وحدها لتصنع منه باحثاً، بل لابد أن يُحصّل إلى جانبها جملة من المؤهلات التي تمكنه من ممارسة البحث فعلاً، وتحقيق نتائج تخدم العلم وتضيف إلى رصيد المعرفة الإنسانية وتنفذ المجتمع والناس. ومن أهم هذه المؤهلات، ما يلي:

1- **التخصص العلمي والتعمق فيه:** البحث العلمي ليس هواية يمارسها الإنسان في أوقات الفراغ، وإنما هو عمل جاد وشاق، واقتحام لآفاق صعبة المسالك غير مطروقة، ويقتضي التسلح بالمعارف الأولية الضرورية في ميدانه، وهذا يتطلب ممن ينتمي إلى عالم البحث العلمي في مجال معين أن يكون متخصصاً في هذا المجال، وأن يكون قد حصل على الحد الأدنى من التكوين العلمي فيه، إذ لا يُتصور ممن يجهل المعارف الأساسية في مجال علمي معين أن يبدع فيه أو يضيف إلى رصيده المعرفي شيئاً، بل المتوقع أن يأتي فيه بما لا علاقة له به، وقديماً قيل: «من تحدث في غير فنه أتى بالعجائب». ولا يكفي مجرد التخصص، فهذا هو الحد الأدنى، بل لابد من التعمق فيه والحرص على بلوغ أسمى المراتب في مجاله.

2- **معرفة مصادر البحث في مجال التخصص:** وهذا أمر بدهي، إذ كيف يُتصور أن يلج إنسان ما ميدان البحث العلمي في تخصص معين، دون أن يكون له معرفة سابقة بمصادر البحث في هذا المجال، فضلاً عن الرصيد المعرفي الضخم الذي سبق للعلماء والباحثين أن قدموه فيه. ولا تكفي مجرد المعرفة السطحية المتوقفة عند معرفة عناوين الكتب وأسماء المؤلفين، بل لابد من الاطلاع الفعلي والتواصل العملي مع هذه المصادر ومعرفة مضمون كل منها، وما ورد في ثناياها من مزايا ونقاط، أو ملاحظات ومتابعات نص عليها العلماء الأعلام الراسخون في العلم. وإنه لغريب وعجيب ما رايناه في هذا الزمان من إقبال كثير من الناس على اقتحام ميدان البحث العلمي في تخصصات علمية، دون معرفة بمصادرها الأساسية، وما أنجزه العلماء السابقون فيها، فتجد أحدهم يريد أن يبحث في مجال معين وهو لم يقرأ في حياته كتاباً أو بحثاً ولا حتى مقالا موجزاً مما كتّب في هذا المجال!!! وهذا سر العجز الذي يعاني منه معظم طلبة الدراسات العليا حين يشكون من عدم تمكنهم من اختيار موضوعات جديرة بالبحث، ولو كانوا يقرؤون ويطلعون ويُتقنون لوجَد كل واحد منهم في مجال تخصصه عشرات الموضوعات

التي تستحق البحث ولم يطرقها غيرهم من الباحثين من قبل إما كلياً أو جزئياً.

3- **متابعة كل جديد في مجال التخصص:** إن الباحث الجاد والجدير بصفة الباحث فعلاً، هو من يعرف الرصيد العلمي المُنجَز في ميدان تخصصه، لكنه لا يكتفي بذلك ولا يخلد إليه، بل يضيف إليه متابعة كل جديد مُفيد في هذا التخصص، فتراه دائب السؤال عن الجديد، حرصاً على الحصول على كل كتاب أو بحث أو مقال يظهر، مُهتماً بمعرفة مضمونه وقيّمته، مُطلعاً ومُستفيداً من الإضافة التي يحملها. وذلك ما يؤهله لأن يكون مواكباً للتطور العلمي في تخصصه، إذا تحدث كان حديثه عن علم، وإذا ناقش أو حاور أو ناظر كان كل ذلك عن رصيد مذكور ومعرفة واسعة، وإحاطة شاملة بما يزخر به ميدانه من تنوع وثراء. أما من يتوقف عن متابعة الجديد في ميدان تخصصه، اغتراراً بما حصل عليه في مرحلة معينة، فهذا سرعان ما يتجاوز الزمان ويسبقه الركب، ولا يلبث أن يجد نفسه على الهامش، يجهل أكثر مما يعرف، فلا يقوى على مجاراة غيره ممن ظلوا يواكبون حركة البحث العلمي، ويتابعون كل تطور وتجديد في ميدان التخصص.

4- **الاطلاع على العلوم المكملة للتخصص:** التخصص العلمي لا يعني الانكفاء على مجال علمي واحد، والنبوغ فيه وترك الاهتمام بغيره من المجالات. موقف كهذا هو أيضاً مصدرُ خطرٍ على الباحث، فالعلوم متكاملة فيما بينها، وجسور التواصل والترابط بينها قائمة، وخاصة تلك العلوم التي تنتمي إلى مجال علمي واحد في الأصل، ثم انفصل بعضها عن الآخر لما تكاثر الرصيد المعرفي المتراكم منها. ولذلك لابد أن يكون الباحث على اطلاع كافٍ على هذه العلوم القريبة من العلم الذي تخصص فيه، وأن تكون له متابعة دائمة للجديد المفيد فيها، لأنه لا يستغني عن تكملة رصيده المعرفي في تخصصه مما قد يحتاج إليه منها، وقد يستخدم في أبحاثه التخصصية بعض المعطيات المعرفية من هذه العلوم المكملة.

5- **الممارسة الدائمة للبحث وعدم التوقف عنه:** البحث العلمي ليس محطة معينة أو مرحلة محددة يمر بها الإنسان ثم ينتقل منها إلى غيرها، البحث العلمي ليس رسالة جامعية يحصل بها الإنسان على شهادة تمكنه من الحصول على عمل، أو مقالة ينشرها ليحصل بها على ترقية إدارية. الأمر ليس كذلك ولا يمكن أن يكون كذلك أبداً، بل البحث العلمي هو مسيرة متكاملة يبدؤها الإنسان منذ أن يلجّ عالمها إلى أن يطويه الموت أو يمنعه العجز المطلق. ولذلك فإن الباحث هو من يمارس البحث العلمي بصفة دائمة، بل يُصبح البحث بالنسبة له هاجساً دائماً ووظيفة يومية مثل الطعام والشراب والنوم والمشي وغيرها من وظائف الحياة. ولذلك فإن من يمارس البحث العلمي لغاية معينة أو لغرض محدد ثم تنقطع صلته بالبحث وتنتهي علاقته به، فهذا لم يكتسب صفة الباحث ولن يكتسبها أبداً.

6- **الحرص على التجديد والإبداع في مجال البحث:** فالبحث العلمي ليس تجميع ما سبق أن قدمه الآخرون من العلماء والباحثين، أو إعادة تقديمه كما هو دون أية إضافة أو تجديد، ربما يصلح هذا في البدايات الأولى، أي في مرحلة التدريب والمران على البحث وبواكير ممارسته، أما بعد ذلك فإن البحث العلمي هو التجديد والإبداع، ولسنا نعني بذلك الانقطاع عن الرصيد المعرفي السابق، وإنما الانطلاق منه فهما ونقداً وتصحيحاً، ثم الإضافة إليه والإسهام في تطويره وإحيائه.

أخيراً، أقول لنفسي ولغيري ما قرره الشاعر قديماً:

دَبَبَتْ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْرَ يَلْفَا

جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقَا دُونَهُ الْأَزْرَا

فَكَابَدُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ

وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَرَا

لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ أَكَلَهُ

لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِيرَا

فالحبث العلمي هو السبيل إلى المجد والعبقرية، ولن يحظى بهذا المجد إلا من قدم ضربيته ودفع ثمنه وكابد مشقاته واقتحم عقباته.

*كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1

وجهة نظر في تجديد العلوم الشرعية



أ.د. مسعود فلوسي*

مقبول، ولكن ينبغي أن تتبين حدوده وتتضح معالمه حتى لا يتخذ ذلك ذريعة إلى الحط من العلوم الشرعية واعتبارها علوماً عفى عليها الزمن وتجاوزتها الأحداث.

المراد بالعلوم الشرعية:

لا بد لنا أولاً من أن نحدد بدقة مفهوم العلوم الشرعية، حتى لا يكون حديثنا عائماً لا تتضح حدوده ومعالمه.. إن المراد بالعلوم الشرعية: تلك العلوم التي قامت أساساً لخدمة الوحي وتيسير فهمه وتطبيق تعاليمه. فهي تستمد شرعيتها من مدى قربها من تحقيق هذا الهدف، وهو خدمة الوحي، سواء كان وحياً متلوّاً وهو القرآن، أو وحياً غير متلو وهو السنة النبوية الشريفة. هذه العلوم الشرعية بهذا المفهوم كثيرة ومتعددة، يأتي على رأسها علم التفسير بفروعه المتنوعة، وعلم الحديث رواية ودراية، وعلم الأصول، وعلم الفقه، وما تفرع عن هذه العلوم الرئيسية من علوم كثيرة عبر التاريخ العلمي الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً من الزمان.

وقد توالى العلماء قديماً وحديثاً على دراستها وتدريسها والتأليف فيها، وقد شهد التأليف في هذه العلوم في مختلف مراحل التاريخ تكديساً هائلاً في المؤلفات، ولا شك أن هذا التكديس قد نتج عنه توقف العقل المسلم في بعض مراحل التاريخ، مما استدعى تجديد النظر في هذه العلوم لتتجاوز ذلك التكديس وتتطلع من جديد في أداء دورها والقيام برسالتها.

وهذا ما حدث فعلاً في بعض مراحل التاريخ الإسلامي، مع الإمام الشافعي، ومع إمام الحرمين الجويني، ومع أبي حامد الغزالي، ومع الغزبي عبد السلام، ومع ابن تيمية وابن القيم، ومع الشاطبي، ومع محمد عبده ورشيد رضا وابن عاشور حديثاً، وغيرهم.

لقد كان تجديد هؤلاء العلماء الأعلام وغيرهم من المجددين، قائماً على إعادة الروح إلى العلوم الشرعية عندما يحدث أن يصل التأليف فيها ودراساتها على نمط معين إلى درجة التكديس الذي لا يحتمل المزيد، فيأتي التجديد حينئذ ليعيد بعث الروح في تلك العلوم لتتجاوز ذلك التكديس وتواصل مسيرتها في توجيه العقل وخدمة الوحي.

منهج التجديد:

إذا اتفقنا على إمكانية التجديد في العلوم الشرعية، بالمعنيين المقبولين المذكورين، فلا شك أن أي تجديد في هذه العلوم، يجب أن يقوم على منهج مدروس بعناية، هذا المنهج ينهض على أسس موضوعية وعلمية، لعل من بينها الأسس التالية:

1 - الكشف من جديد عن أهداف العلم وإعادة توجيه الأبحاث والدراسات فيه لخدمة هذه الأهداف. فإذا كان الهدف من علم العقيدة مثلاً هو توضيح أركان الإيمان للمسلم ليزداد يقيناً بها ودفع الشبهات عنها حتى لا يتطرق الشك أو الوهم إلى أذهان المسلمين بشائنها، وكذلك إقامة الحجج والبراهين الساطعة عليها أمام غير المؤمنين بها حتى يصدقوا بها، فلا ريب أنه من الضروري أن تنصّب الدراسات العقيدة حول هذا الهدف، وأن تتخذ أي وسيلة علمية سبيلاً إلى تحقيقه.

2 - الكشف عن القواعد والأسس الكلية التي يقوم عليها العلم وإعادة توجيه النظر إليها بعد أن انصرف اهتمام الدارسين إلى الجزئيات والتفاصيل.. فعلم أصول الفقه مثلاً يقوم على جملة من الكليات الأساسية التي تكشف عن أصول البيان في القرآن والسنة، وتشمل قواعد لتفسير هذه النصوص واستنباط الأحكام منها مباشرة أو من خلال روحها والمبادئ العامة التي تحيل إليها. هذه القواعد من الضروري أن تكون لب الدراسة الأصلية، وأن تكون الأبحاث والدراسات في علم أصول الفقه متوجهة إلى توضيح هذه القواعد وبيان كيفية استخدامها في استنباط الأحكام.

3 - تنقية العلم من الشوائب الفكرية التي أُلصقت به وحاصرته دون أن تكون هناك فائدة من دراستها في إطار هذا العلم.. فالذي لا شك فيه أن العلوم الشرعية كما هو واقعها اليوم تعاني من تكديس هائل، وتُحاط بمبادئها الأساسية وقواعدها الكلية بكُم من الرواسب الفكرية التي تشوب صفاءها وتعيق أداءها لرسالتها. هذه الشوائب من الضروري التخلص منها وتجديد العلوم الشرعية بتنقيتها منها.

4 - دراسة التطور التاريخي للعلم، حتى نتسكن من تحديد المفاصل التاريخية التي شهدت التجديد في مسيرة هذا العلم، وندرك كيف يُسهم التكديس في وقف مسيرة

العلم وطمس قواعده وأهدافه.. إن دراسة تاريخ أي علم مهمة جداً في معرفة لب هذا العلم والإحاطة بمسيرته التاريخية وما شهدته من تراكم وتجدد مستمرين، وبدون هذه الدراسة والإحاطة يصبح التفكير في تجديد علم من العلوم عبثاً لا طائل من ورائه، بل ربما كان سبباً إلى الضرر والإفساد.

ضوابط التجديد:

إذا كانت تلك بعض أسس منهج التجديد المنشود في العلوم الشرعية، فإن هذا التجديد ليتأطر أكثر بالإطار الشرعي ويحقق النتيجة المرجوة منه، ينبغي أن يتسبط بمجموعة من الضوابط، لعل من بينها:

1 - عدم تجاوز الأسس الشرعية التي تقوم عليها تلك العلوم، وعلى رأسها ارتباطها بالوحي.. فكما أكدنا من البداية، فإن علوم الشريعة الإسلامية هي علوم مرتبطة بالوحي كل الارتباط، ولم تنشأ إلا لخدمته والحفاظ على ارتباط المسلمين به فكراً وسلوكاً، وأي محاولة لدراسة هذه العلوم بمعزل عن طبيعتها الأولى يجعلها تتحول إلى أفكار مجردة لا غاية لها، وهو ما يعني أن تتحول إلى حلبة للفكر المجرد المعزول عن السلوك، مما يجعل أي محاولة للتجديد فيها محاولة تصب في إطار التحريف والتزييف لهذه العلوم ولمهيتها التي نشأت لأجل خدمتها وتحقيقها.

وهذا ما وقع فيه فعلاً الكثير ممن يدعون التحرر الفكري في عالمنا الإسلامي المعاصر، حين يتناولون العلوم الشرعية كما يتناولون الفلسفة أو الأدب أو الفكر المجرد، فيصدرون أحكاماً فكرية ما أنزل الله بها من سلطان، وحين يطلقون دعوات التجديد في العلوم الشرعية فهم يهدفون إلى فصلها عن منطلقاتها وإبعادها عن أهدافها التي نشأت لتحقيقها.

2 - عدم الإخلال بالقواعد العامة الثابتة التي توطر هذه العلوم.. فلا شك أن ما هو معلوم أن أي علم يتكون من قواعد كلية ثابتة، ونماذج جزئية متغيرة، والتجديد والتطوير في العلم، أياً كان، إنما يمس بالتفاصيل والجزئيات ولا يتطرق إلى القواعد والكليات.

فلا يمكن مثلاً تغيير قواعد تفسير النصوص الشرعية، بدعوى التجديد في علم التفسير أو في علم الفقه، كما لا يمكن تغيير قواعد نقد الحديث التي درج عليها المحدثون، ولا تغيير قواعد أصول الفقه فيما فيه نص أو فيما لا نص فيه، ولا تغيير قواعد اللغة العربية، لأن كل ذلك ثابت لا يتغير، وكل تغيير أو محاولة للتبديل فيه معناها التحريف والتزييف لا غير.

3 - أن يكون الهدف من التجديد هو إعادة العلم إلى أداء دوره المنوط به، لا أن يكون التجديد هدفاً بحد ذاته.. إن كثيراً من دعوات التجديد في واقع الأمر لا تستهدف من التجديد إلا التجديد بحد ذاته، لأن أكثرها ترديد لكلام لا يعقل أصحابه معناه أو يقصدون من ورائه بث الشك والاضطراب في النفوس والعقول.

ولكي يكون التجديد مقبولاً ومعقولاً، ينبغي أن يستهدف إزالة ما علق بالعلم من شوائب أضرت بمساره وانحرفت به عن غايته، فالتجديد يكون بإعادة العلم إلى هدفه الذي نشأ لأجل تحقيقه من خلال إعادة التذكير بهذا الهدف وتوجيه الدراسات والأبحاث من جديد للوصول إليه.

4 - أن يكون المتصدر للتجديد عالماً متمكناً من العلم محيطاً بجميع أصوله وفروعه، وأعباءه وأهدافه ووظيفته، متمكناً من تاريخه ومراحل تطوره، ومدركاً لجوانب النقص أو التكديس في مادته.. أما أن يقوم بالتجديد طالب مبتدئ أو عبيد دجيل لا يكاد حتى يعرف وظيفة العلم ولا تاريخه أو تطوره، ثم يدعي أنه سيحدث فيه، فهذا من الطامات التي تثير الضحك وتدعو إلى الاستنزاز.

صور من التجديد في العلوم الشرعية:

1 - تجديد أسلوب العرض. لا مرة أن عقل الإنسان يتطور بتطور الزمان، وتتغير نظراته بتغير البيئة والظروف المحيطة به، وهو ما يستدعي أن يكون هناك تنوع في عرض العلوم المختلفة على العقول، وأن تُراعى ظروف الزمان والمكان في ذلك، حتى تؤدي هذه العلوم وظيفتها وتصل إلى العقول كما هو هدفها والبراد منها.

ولا شك أن من بين صور التجديد المصكنة في العلوم الشرعية، تجديد أسلوب عرضها وتدريسها والتأليف فيها، حتى تؤدي دورها في كل زمان ومكان من خلال مخاطبة العقل الإنساني باللغة التي يفهمها وبالنماذج التي يتصورها، وعدم اجترار لغة معيثة في كل زمان

كثير الحديث في السنوات الأخيرة عن التجديد، وتركز هذا الحديث أكثر على التجديد في الفكر الإسلامي، وبخاصة تجديد العلوم الإسلامية أو ما يُعرف بالعلوم الشرعية. وصار هذا الحديث يتردد في كل مكان، حتى تناوله من لا يفهم منه كلمة واحدة، وليس له من نصيب فيه سوى أنه سمع الناس ينادون بتجديد العلوم الشرعية فصار ينادي معهم دون أن يدرك مغزى هذا التجديد أو أبعاده.. والغريب في الأمر أن أناساً لا يمتنون بصلة إلى العلوم الشرعية، ولم يطلعوا منها على شيء، يحملون هذا الشعار وينادون به في المجالس والمنتديات، وعبر المقالات في الصحف والمجلات، وكأنهم من كبار علماء الشريعة ومن جهاديين الباحثين فيها.. وإنه لواقع مزر، وسلوك لا يمت إلى العلم والموضوعية بصلة. وهو ما يتطلب الوقوف في وجه دعوات التجديد الأجوف من جهة، ومن جهة ثانية فضح هذه الصيحات من خلال الكشف عن الجوانب التي تقبل التجديد والتي لا تقبله في العلوم الشرعية، وكذا طبيعة هذا التجديد ومنهجه وضوابطه.

مفهوم التجديد:

يدور مفهوم التجديد حول معانٍ ثلاثة لا يخرج عنها، وهي:

1 - التجديد، بمعنى: إلغاء القديم واستحداث شيء جديد يحل محله في كل شيء.. وهذا المعنى قد يصدق على الماديات، فإذا ما تآكل شيء مادي ما ولم يعد يؤدي وظيفته، فإن الواجب استبداله بشيء آخر من جنسه يؤدي وظيفته ويحل محله. مثال ذلك أن تتآكل قطعة من قطع الغيار في سيارة أو آلة ما فتتوقف تلك السيارة أو الآلة عن العمل، فلا شك أنه لا يجدي لانتقال تلك الآلة من جديد سوى انتزاع تلك القطعة واستبدالها بأخرى جديدة تقوم مقامها وتؤدي الوظيفة التي كانت تؤديها.

ومن دون ذلك فإن السيارة أو الآلة ستبقى واقفة لا تتحرك.

كما قد يصدق هذا المعنى أيضاً على بعض المعنويات، فإذا كان الإنسان يعتنق فكرة ما، ثم تبين له أن هذه الفكرة ليست سوى ضلالة كان سادراً فيها، فإنه يقلع عنها تماماً ويستبدلها بغيرها من الأفكار مما يراه صائباً وجديراً بالاعتناق.

وكما هو واضح فإن هذا المعنى لا يمكن أن يصدق على أي علم من العلوم الدنيوية، فضلاً عن أن يصدق على العلوم الشرعية، لأن التجديد في أي علم لا يمكن أن يتم بإلغائه تماماً واستحداث علم جديد يحل محله.

2 - التجديد، بمعنى البناء على القديم والإضافة إليه. وهذا ما يجري عادة في الأفكار الصائبة والعلوم النافعة، حيث يتوالى العلماء على البناء على أفكار بعضهم البعض والإضافة إليها جيلاً بعد جيل، ولولا ذلك لما تطورت العلوم ولما وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم.

إن تطور العلوم المختلفة في الواقع ما هو إلا سلسلة طويلة من التقدم والتجدد المستمر، يمهّد فيها السابق لللاحق، ويكمل فيها اللاحق ما تركه السابق، أو يكتشف جديداً كان خافياً عليه.

3 - التجديد، بمعنى العودة إلى الأصول الأولى وإعادة إحيائها من جديد بعد أن تكسدت عليها إضافات لا فائدة منها ذهبت بقيمتها. ولعل هذا المعنى هو المراد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [رواه أبو داود، وصححه البخاري في «المقاصد الحسنة» (149)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم: 599)].

السؤال الذي يُطرح هنا، هو: ما هو التجديد الذي نريده في طرحننا اليوم؟

إن كان التجديد بالمعنى الأول هو المقصود، فهو مرفوض سلفاً، لأن العلوم الشرعية لا يمكن إلغاؤها وإحلال علوم جديدة محلها، كما لا يمكن إلغاء مضامينها واستحداث مضامين جديدة بدلا عنها.. أما إن كان التجديد المراد هو ما يدل عليه أحد المعنيين الثاني أو الثالث، فهو تجديد

ومكان.

2 - تجديد أسلوب التأليف في العلوم الشرعية وعرضها بأساليب توافق العصر.

إن أساليب علمائنا القدامى في التأليف والبحث والتحقيق هي أساليب بشرية كانت تتوافق مع طبيعة ما وصل إليه التطور العقلي والعلمي للإنسان في العصور التي عاشوا خلالها، وإذا كانت تلك الأساليب تصلح لتلك العصور، فقد لا تصلح لعصور أخرى، وهو ما يستدعي ضرورة التنوع في أساليب البحث والتحقيق والتأليف بما يتوافق وطبيعة التطور العلمي والعقلي لكل عصر.

ومن البدهي أنه لا يصلح أن نخاطب العقل المسلم المعاصر بنفس الصيغ التي كان يستخدمها علماءنا القدامى في خطابهم لأهل عصورهم، كما لا يليق أن نخاطب العقل غير المسلم المعاصر في مجال عرض العقيدة الإسلامية عليه بنفس الخطاب الذي وُجّه إلى غير المسلمين في عصور التاريخ الإسلامي المتوالية.

3 - تجديد النماذج والأمثلة، واستبدال الأمثلة القديمة بأمثلة جديدة يفهمها أهل العصر ويستوعبونها.. إن في كتب علمائنا القدامى نماذج كثيرة لوقائع ونوازل عُرضت عليهم وذكروا لها حلولاً تتناسب مع ما تستدعيه طبيعة العصور التي عاشوا فيها، وهذه النماذج لا يكاد يتصورها العقل اليوم لأنها مما لم يعد يقع مثله، فلا شك أن عرض هذه النماذج على الناس وتقديسها لهم على أنها من العلم الذي ينبغي معرفته واستيعابه هو محض عبث وتضييع للوقت وإرهاق للعقول بإرغامها على استيعاب ما لا يُستوعب.

لذلك من الضروري تجديد النماذج والأمثلة ومحاولة تقديم نماذج جديدة مما هو مُعاش في الواقع وبسكن للعقل تصوره واستيعابه وفهم طبيعة الحل الشرعي له، مما يكون له أثره في تقدير الشرع حق قدره واليقين بأهميته في حياة الإنسان في كل زمان ومكان.

4 - الرِبط ما أمكن بين النصوص الشرعية والواقع، بعيداً عن الوسائط من آراء العلماء والفقهاء القدامى، لأن الهدف من العلوم الشرعية هو خدمة الوحي وبنيانه للإنسان لكي يتمكن من تطبيق ما جاء فيه من أحكام وتوجيهات.

إن العقل المعاصر بحاجة إلى أن يعرف الحلول للمشكلات التي تواجهه من خلال ملاحظة الحل الشرعي المباشر لهذه المشكلات، لا أن تُستدعى الحلول لمشكلاته من كتب العلماء القدامى، تلك الحلول التي وُضعت لظروف غير ظروفه وزمان غير زمانه.

إن التجديد يقتضي أن يتم الاجتهاد لحل هذه المشكلات من طرف العلماء المسلمين المعاصرين في ضوء ظروف العصر وحاجاته، وأن تُراعى الظروف والملايسات الواقعية المعاصرة في تلك الحلول، وبذلك يكون الحل جديداً لواقعة جديدة، مما يبين معه مسطرة الشريعة الإسلامية لمشكلات الإنسان في كل زمان ومكان.

إن آراء فقهاءنا القدامى على الراس والعين، ولكن تلك الآراء ليست نصوصاً منزلة، وإنما هي حلول لمشكلات وقعت في عصورهم لأناس عاشوا في تلك العصور، ومن الإضرار بالشريعة نفسها عرض تلك الحلول على أنها أحكام شرعية يمكن أن تحل مشكلات الإنسان في هذا العصر أو في غيره من العصور.

جانب مهم يخدم فكرة التجديد في العلوم الشرعية:

ويتعلق هذا الجانب بضرورة تجديد نظرة الناس إلى العلوم الشرعية، وإخراجها إلى دائرة الضوء، ودفع الأوهام الكثيرة العالقة في عقول الناس حولها.

فلا بد من إشاعة ثقافة العلوم الشرعية، وتحويلها إلى ثقافة عامة لا يجهلها أحد من المتعلمين المثقفين على الأقل، وعدم تركها لاحتكار المتخصصين، الذين قد يتخذون منها حرفة يسترزقون منها، ولا يشعرون نحوها بأي مسؤولية.

ولا ريب أن من بين الآفات التي تعاني منها العلوم الشرعية، أنها علوم نخوية، وقد احاطت بها أوهام شتى في عقول عامة الناس، مما جعلها تنزوي في زاوية بعيدة عن اهتماماتهم وأفكارهم، وهو ما تسبب أكثر في انقسام العلاقة بين المسلمين ودينهم في هذا العصر.

لذلك كان من أولويات التجديد في العلوم الشرعية في هذا العصر: تجديد نظرة الناس إليها، وخاصة المثقفين منهم، حتى يمكنها أن تؤدي دورها في خدمة الإسلام والتوجيه الصحيح للمسلمين في هذا العصر.

والله ولي التوفيق.

• كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة1

الاحتلال.

13 - **المجاهدة الجزائرية:** في هذا الكتاب يشرح المؤلف معاناة المرأة الجزائرية في ظل الاستعمار، ويبرز الدور النضالي الرائد الذي كان لها في الثورة والاستقلال. ويخص المؤلف مجموعة من النساء الجزائريات بالذكر والتعريف لما كان لهن من أعمال نضالية واستشهادية رائدة.

14 - **الاستعمار الفرنسي (في مواجهة الثورة الجزائرية):** تحدث المؤلف في هذا الكتاب عن محاولات قادة الاحتلال وأد الثورة الجزائرية وإيقاف مسارها، من خلال المشاريع المختلفة التي وضعوها لهذا الغرض، ومنها مشاريع ديفول، واختطاف القادة الزعماء، ومحاولات فصل الصحراء، وغيرها. والتي انتهت كلها إلى الفشل أمام صمود الثورة ووعي قادتها.

15 - **جبهة التحرير الوطني الجزائري:** فصل المؤلف في هذا الكتاب القول عن مؤتمر الصومام ومقرراته، وتطور جبهة التحرير سنة 1957م، وتشكيل الحكومة المؤقتة، والاعترافات التي حصلت عليها، وكذا دخول القضية الجزائرية إلى الأمم المتحدة.

خاتمة

أخيرا، يمكن القول: إن الجهود التي بذلها بسام العسلي، والدراسات الفريدة التي أخرجها للناس، تعتبر أعمالا رائدة ومنجزات علمية وثقافية متميزة، دلت على طول نفس في البحث، وصبر دائب على جمع المعلومات، وعكوف طويل على الكتابة والتأليف، وما كان هذا ليتيسر له لولا التفريغ الذي أتت به له، والعزلة التي فرضها على نفسه، بعيدا عن إغراء الشهرة الزائفة والأضواء الخادعة. فرحم الله بسام العسلي، وأسكنه فسيح جناته، ونفع الأمة بما تركه من تراث تاريخي متميز، ودراسات استراتيجية رائدة.

عرّف المؤلف بجهود الأحزاب السياسية التي نشأت قبل الثورة والتي حاولت أن تفتك بعض الحقوق للجزائريين من فرنسا، ويبرز كيف أن أصحاب هذه الجهود أدركوا استحالة الحصول على ما يطلبون من فرنسا مع أحداث 8 ماي 1945م، وهو ما جعلهم يقتنعون بأنه لا سبيل للتحرر إلا بالعمل المسلح. وهنا يعرف المؤلف بأبرز القادة الذين بدأوا طريق العمل السري الذي انتهى إلى الثورة المسلحة، ومنهم: بن بولعيد، بن مهيدي، بن بلة، كريم بلقاسم، عبان رمضان.

9 - **الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر:** بعد توصيف الوضع العام في الجزائر عشية الثورة في مختلف المجالات، فصل المؤلف القول في فلسفة الثورة الجزائرية من خلال بيان أول نوفمبر، ثم تحدث عن بدايات العمل الثوري، والعقبات التي وقفت في وجه الثورة، والوسائل التي استعملها المجاهدون في الكفاح.

10 - **جيش التحرير الوطني الجزائري:** خصص المؤلف هذا الكتاب لتفصيل القول في نشأة وتطور جيش التحرير الوطني الجزائري، وتساعد صراعه المسلح ضد الاستعمار، وأبرز المعارك التي خاضها في مناطق مختلفة من البلاد.

11 - **أيام جزائرية خالدة:** أفرد المؤلف هذا الكتاب لإبراز بعض المحطات التاريخية المتميزة في مسيرة الثورة الجزائرية وما كان لها من آثار عميقة فيها، وكذا بعض المعارك الخالدة التي هزت كيان الاحتلال وزلزلت وجوده الاستعماري في الجزائر.

12 - **المجاهدون الجزائريون:** حرص المؤلف في هذا الكتاب على إبراز خصائص المجاهدين الجزائريين، وما تميزوا به من أخلاق سامية وفضائل نادرة، وتنظيم عسكري محكم وكفاءة قتالية عالية، وهو ما أسهم في انتصار الثورة وطرده

5 - **محمد المقراني:** أوجز المؤلف في البداية مسيرة الأحداث التي كان لها دورها في ثورة الإخوان الرحمانيين، ثم حدد الوضع السياسي العام في المشرق والوضع الخاص في الجزائر والظروف والأحداث التي كانت تتفاعل فيها. ليتناول بعد ذلك بالتفصيل ثورة 1871م وما ترتب عليها من نتائج، وأبرز الشخصيات التي كان لها إسهامها في هذه الثورة.

6 - **الأمير خالد الهاشمي الجزائري:** بعد سرد لموجز حياة الأمير خالد، عالج المؤلف مسألة هجرة المستوطنين إلى الجزائر وموقف الجزائريين منها؛ ثم تحدث عن جهود الأمير خالد والصراع السياسي الذي خاضه في الجزائر، وأبرز دوره التاريخي في أوائل العشرينيات من القرن العشرين، وما كان له من أثر في سير الأحداث بعد ذلك.

7 - **عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية:** يكشف المؤلف طبيعة الاستعمار الفرنسي في الجزائر وأنه استعمار تنصيري حضاري سلك كل الوسائل لإخراج الجزائر من محيطها العربي الإسلامي، وهو ما أغراه بأن يحتفل بمرور قرن على احتلاله للجزائر ليعلن نهاية علاقتها بالإسلام. لكن هذا الاحتفال أفسده إعلان مجموعة من علماء الجزائر تأسيس جمعية لهم هدفها ربط الجزائر بتاريخها ولغتها ودينها، وهي التي قادها الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله. هذه الجمعية هي التي كونت القاعدة البشرية التي أعلنت الثورة، وحملت لواءها حتى الاستقلال. ويعرّف المؤلف بجهود كل من المشايخ ابن باديس والإبراهيمي والتبسي والعقبي والميلسي والمديني ومحمد العيد واحمد رضا حوحو ويويوض، وما أسهم به كل منهم في تكوين قاعدة الثورة الجزائرية.

8 - **نهج الثورة الجزائرية (الصراع السياسي):**

2 - **الجزائر والحملات الصليبية (1547م-1791م):** عالج الكتاب الأوضاع التي عاشتها الجزائر ما بين القرن السادس عشر والقرن الثامن عشر، مبرزاً في التمهيد أهم الأحداث التي جرت في تلك الحقبة على المسرح الإسلامي وعلى المسرح العالمي وعلى مسرح الجزائر. وفي ثلاثة فصول يسرد المؤلف مختلف الأحداث التي جرت على مستوى المشرق الإسلامي مما كان له أثره على الجزائر، ثم تعرض للحملات التي شنتها كل من إنجلترا وإسبانيا على الجزائر وما انتهت إليه الحروب بين الطرفين، وأبرز السياسة الاستراتيجية للجزائر التي جعلتها تنبوا مكانة متميزة في البحر الأبيض المتوسط.

3 - **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي (1830م-1838م):** تناول الكتاب بالدراسة السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، وأبرز موقف كل من الدولة العثمانية وحاكم مصر محمد علي باشا من هذا الاحتلال. كما كشف تهافت السبب الذي تذرعه به الاستعمار الفرنسي لاحتلال الجزائر. ورصد بدايات المقاومة التي ظهرت في شكل انتفاضات محدودة في مناطق عديدة من الجزائر.

4 - **الأمير عبد القادر الجزائري:** بعد أن استعرض المؤلف مسيرة الأمير عبد القادر بمحي الدين، وأبرز أهم الأحداث في حياته، درس جهوده في إعداد القاعدة الصلبة المتمثلة في بناء دولة حرب لمقاومة الاحتلال، وحدد بدقة الأعداء الذين وقفوا في وجه هذه الدولة داخليا وخارجيا، وكذا الحروب المبررة التي خاضها الأمير ضد الفرنسيين، والمعاهدات التي جرت بينه وبينهم، ثم أخيرا استسلام الأمير ومغادرته للجزائر.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

ولاية : سطيف

دائرة : عين ولمان

بلدية : عين ولمان

رت. ج. 098419285156608

رقم الهاتف: 036.56.30.91

رقم الفاكس: 036.56.32.32

إعلان عن طلب عروض مفتوح

مع اشتراط قدرات دنيا رقم: 2018/02

يعلن رئيس المجلس الشعبي البلدي لبلدية عين ولمان عن إجراء طلب عروض المفتوح مع اشتراط قدرات دنيا خاص بمشروع :تهيئة المركز البيطري الى مذبح بلدي .

بإمكان المقاولين الراغبين في المشاركة في هذا الطلب سحب دفتر الشروط لدى مكتب الدراسات معاش نور الدين ، حي 583 مسكن - عين ولمان - مقابل دفع مبلغ مالي قدره :2500,00 دج .

*يوضع ملف المترشح والعرض التقني والعرض المالي في اظرفة منفصلة بين كل منها تسمية المؤسسة ومرجع الطلب وموضوعه *توضع هذه الأظرفة في ظرف آخر مقل ومجهول ويحمل عبارة "لايفتح إلا من طرف لجنة فتح الأظرفة وتقييم العروض طلب العروض رقمموضوع الطلب"

ملف الترشيح : ويحتوي على الوثائق التالية :

01- تصريح بالترشح : مملوء ومؤرخ وممضى
02 تصريح بالزاهة: مملوء ومؤرخ وممضى
03 نسخة من شهادة التأهيل والتصنيف المهنيين في ميدان البناء نشاط رئيسي او الصقالة المعدنية نشاط رئيسي من الدرجة الثانية (02) فما فوق
04 القانون الاساسي للشركات.

باقي الوثائق المحددة في دفتر الشروط.

العرض التقني ويحتوي على الوثائق التالية :

01 - وثيقة التصريح بالاكنتاب مملوءة ومؤرخة وممضاه
02- دفتر الشروط "العرض التقني " يحتوي في اخرصفحته على العبارة "قرئ وقبل"مكتوبة بخط اليد.

العرض المالي ويشتمل على الوثائق التالية:

01- رسالة العرض مملوءة ومؤرخة وممضاه
02- جدول الأسعار الوحوية مملوء ومؤرخ وممضى
03- الكشف الكمي والتقديري مملوء ومؤرخ وممضى.
♦ تودع لدى أمانة الأمين العام للبلدية

♦ حدد آخر أجل لإيداع العروض بخمسة عشر يوما (15) ابتداء من تاريخ صدور الإعلان عن طلب العروض في الصحف الوطنية.

♦ تتم عملية فتح الأظرفة بمقر البلدية في جلسة علنية بحضور العارضين في اليوم الأخير للأجل المحددة على الساعة الواحدة والنصف(13:30).زوالا، ويعتبر هذا الإعلان بمثابة دعوة لحضور المتعهدين

♦ يبقى العارضون ملتزمون بعروضهم لمدة مائة وعشرون يوما (120) ابتداء من تاريخ فتح الأظرفة.

إعلان

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جمعية مولود قامم نايت بلقاسم لإحياء التراث الثقافي والتاريخي والعلمي للجزائر- سيدي بلعباس

تنظم بالتنسيق مع :



• مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية سيدي بلعباس.

• النادي الاقتصادي الجزائري.

• مخبر تسيير المؤسسات كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير جامعة جيلالي ليايس- سيدي بلعباس

يوما دراسيا تحت عنوان :

" المعاملات المالية الإسلامية بين الواقع والمأمول "

من تأطير :

- الدكتور سماري عبد القادر: وزير سابق ، رئيس النادي الاقتصادي الجزائري ورئيس مؤسسة الإحياء والتنمية.
- الأستاذ الدكتور فارس مسدور: جامعة العلوم الاقتصادية - الجزائر -
- الدكتور يزيد بن موهوب: مدير بورصة الجزائر
- الأستاذ ناصر حيدر: المدير العام لبنك السلام
- الأستاذ الدكتور محمد بوجلل: عضو المجلس الإسلامي الأعلى - جامعة المسيلة -
- الأستاذ الدكتور الأخضر الأخضر: جامعة وهران

ومن جامعة جيلالي ليايس:

- الأستاذ الدكتور بن سعيد محمد
- الدكتور رديف مصطفى
- الأستاذ الدكتور بشونده رفيق
- الدكتور بحيح عبد القادر

بقاعة دار الثقافة كاتب ياسين - سيدي الجيلالي - سيدي بلعباس

يوم الثلاثاء 04 جمادى الثانية 1439 هـ الموافق لـ 20 فيراي 2018 م

على الساعة التاسعة صباحا

الفاكس : 048 69 41 32 الجوال : 05 57 24 71 57

مقر الجمعية : حي 85 مسكن (MGR) مقابل حي طيبي العربي س. ب. ع

نظرات في فكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله



أ.د. مسعود فلوسي

نعني بفكر الشيخ محمد الغزالي؛ التراث الفكري الذي خلفه بعد وفاته رحمه الله، والمتمثل في عشرات الكتب المطبوعة، ومئات المقالات المنشورة، وآلاف الدروس والخطب والمحاضرات المسموعة والمرئية والمسجلة في الأشرطة والأقراص المضغوطة والمبثوثة على الشبكة العنكبوتية العالمية؛ هذا التراث الطويل العريض، والثري الخصب، لا يمكن الإحاطة به عرضاً وتحليلاً في ساعات، فكيف يمكن ذلك في مداخلة محدودة النطاق؟ ولذلك اكتفي بإشارات سريعة ولمحات خاطفة أحاول من خلالها تقديم خلاصة شاملة في وصف هذا التراث ومعالمه الكبرى، وذلك في ثلاث نقاط رئيسة، هي:

- 1- المصادر المكوّنة لفكر الشيخ الغزالي.
 - 2- الاهتمامات الكبرى التي دار حولها فكر الشيخ الغزالي.
 - 3- الخصائص المميّزة لفكر الشيخ الغزالي.
- أولاً: المصادر المكونة لفكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:
- 1- القرآن الكريم: فقد حفظ محمد الغزالي كتاب الله في صباه، وظل مرتبطاً به طول حياته؛ فمنه كان ينهل، وعنه كان يصدر، وبه كان يحكم، وإليه كان يحاكم. وهو ما تشهد به مؤلفاته، ومقالاته ودروسه، وخطبه ومحاضراته.
 - 2- السنة النبوية الشريفة: فقد قرأ كتبها وحفظ الكثير من أحاديثها وشرح العشرات منها ووظف المئات منها في مؤلفاته، وهو ما تشهد به كذلك آثاره الفكرية التي خلفها من بعده.
 - 3- التراث الإسلامي الزاخر المتنوع: حيث استفاد من كل المدارس الفكرية الإسلامية، وقرأ لروادها بدون استثناء، فقد قرأ لكل من الغزالي وابن حزم والرازي وابن رشد وغيرهم من أعلام الفكر في التاريخ الإسلامي، وأخذ منهم ما وجده نافعا ومفيدا في دعوته واجتهاداته العلمية والفكرية.
 - 4- البيئة الثقافية والفكرية والدعوية:

عاش الشيخ في بيئة علمية وفكرية كانت مودة بالعلماء المُجدِّدين والحركات الإصلاحية النهضة، فقد درس على علماء كبار في الأزهر وتأثر بهم، مثل: الشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ محمد عبد الله دراز، والشيخ محمد المدني، والشيخ علي الخفيف، رحمهم الله جميعاً. وتأثر بالحركة التجديدية والإصلاحية التي قادها محمد عبده وتلميذه رشيد رضا، رحمهما الله، والتي كانت مجلة المنار صوتها المعبر. كما تأثر أكبر الناثر برائد الدعوة الإسلامية في مصر في العصر الحديث الشيخ حسن البنا رحمه الله؛ وقد التقى واحتك بأعلام الدعوة والإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي الذين كانوا يزورون مصر أو أقاموا فيها، واستفاد منهم وتأثر ببعضهم، ومنهم الإمام محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله.

5- الفكر الإنساني بأبعاده ومناهله المختلفة: فهو لم ينحصر داخل الفكر الإسلامي، وإنما انفتح على الفكر الإنساني بمشاربه وامتداداته الكثيرة، واستفاد منه، مع محاكمته إلى موازين الشرع والعقل ورفض ما يتعارض منه مع الإسلام.

6- التاريخ الإسلامي والعالمي:

فقد قرأ الشيخ تاريخ الإسلام والمسلمين وتتبّع مسار الدعوة الإسلامية خلال أربعة عشر قرناً، وخرج من ذلك بدروس وعبر وظيفها في أعماله الفكرية والدعوية. كما قرأ تاريخ الأمم والشعوب الأخرى وانتفع به في اكتشاف السنن

والقوانين التي تحكم حركة التاريخ، والمعادلات التي تفرض نمط العلاقات بين الشعوب.

7- الواقع المعاصر محلياً وعالمياً: شكل الواقع المحلي والعالمي بما أفرزه من مشكلات وما ماح به من صراعات، مصدراً هاماً لفكر الغزالي وثقافته ونظراته إلى الحياة، خاصة فيما يتعلق بحال المسلمين وعلاقتهم بغيرهم وما عانوه ويعانونه من مؤامرات وعدوان ومشكلات داخلية وخارجية.

ثانياً: الاهتمامات التي دار حولها فكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

يمكن القول: إن الشيخ الغزالي رحمه الله سخر نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين، ونذر نفسه لنصرة الحق ومقارعة الباطل، ولذلك لم يترك مجالاً رأى أنه يحقق ذلك إلا وأرتاده وجاهد فيه بما أمكنه من قوة وما توفر له من طاقة؛ والحق أن المجالات التي استولت على اهتمام الشيخ وظهرت فيها جهوده كثيرة ومتعددة، لكن يمكن حصرها في جبهتين:

أولاً: الجبهة الداخلية:

- 1- التعريف بالإسلام ومصادره وشرح أحكامه وتعاليمه:
- وظيفة العالم المسلم تعريف المسلمين بدينهم وشرح تعاليمه وأحكامه لهم بما يعينهم على إدراكها وحسن العمل بها. وقد نهض الشيخ رحمه الله بهذه المهمة، واتخذها وظيفة له في الحياة، وظل يمارسها إلى وفاته. وقد ألف في ذلك مجموعة من الكتب، منها: هذا ديننا، كيف نفهم الإسلام؟ الجانب العاطفي من الإسلام، نظرات في القرآن، كنوز من السنة، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، فقه السيرة، فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، مائة سؤال عن الإسلام، تأملات في الدين والحياة. كما تناول في دروسه وخطبه ومحاضراته الكثير من المسائل والموضوعات التي تندرج في هذا الإطار. وقد ظهر بعض ذلك في كتابيه: خطب الشيخ الغزالي في شؤون الدين والحياة، محاضرات الشيخ الغزالي في شؤون الفرد والمجتمع.
- 2- بناء شخصية الإنسان المسلم المعاصر عقلاً وروحاً:

رأى الشيخ رحمه الله أن الإنسان المسلم المعاصر يعاني من خلل في تكوينه الفكري وفي بنائه النفسي، وذلك بسبب مخلفات قرون الجمود والانحطاط التي مر بها العالم الإسلامي، وبسبب الاستعمار الذي أفسد العقل المسلم والنفس المسلمة بما الحقه بالمسلمين من تدمير في مختلف مجالات الحياة ومنها ميدان التربية والتعليم، وكذا بسبب غياب العلماء الراسخين والمربين العاملين. ولذلك أخذ الشيخ على عاتقه مهمة إصلاح وإعادة بناء النفس المسلمة عقلاً وروحاً؛ عقلياً بترتيب أولوياتها وتخليصها من الحرفية والجمود، وروحاً بترقية النفوس وتطهيرها من أمراض القلوب. وهو ما دار حوله عدد من مؤلفاته، ومنها عقيدة المسلم، خلق المسلم، جدد حياتك، في موكب الدعوة، مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، ركائز الإيمان بين العقل والقلب.

3- تشخيص الأمراض المستشرية في نفوس المسلمين ومجتمعاتهم، وتقديم الأدوية الناجعة لها:

ومن هذه الأمراض: الجهل بالدين الصحيح، والجهل بالحياة، والغفلة عن الوظيفة الحضارية، وغياب الرؤية الواضحة للواقع، والغفلة عن مخططات الأعداء ومؤامراتهم، والانشغال بتوافه الأمور وترك معاليها، ومنها

شيوع التدين المغشوش الذي يعتبر السبب الأساس في كثير من الأمراض التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية، والعامل الرئيس الذي يعوق نهضتها وتقدمها؛ وقد ظهر هذا الاهتمام عند الشيخ في عدد من كتبه، ومنها: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، سر تاخر العرب والمسلمين، الإسلام والطاقات المعطلة، علل وأدوية، من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، الحق المر.

4- محاربة البدع والخرافات والأوهام المعششة في أذهان المسلمين والظاهرة آثارها في سلوكياتهم:

بفعل التخلف الحضاري وسيادة الجهل وغياب العلم الصحيح، سادت في حياة المسلمين الكثير من البدع، وانتشرت بينهم الكثير من الخرافات والأوهام التي صدقتها عقولهم واستسلمت لها وعجزت عن إدراك تهافتها وسخفها؛ وقد كان مما اجتهد الشيخ رحمه الله في القيام به؛ العمل على محاربة هذه البدع والخرافات وتطهير حياة المسلمين وعقولهم منها. ومن مؤلفاته في ذلك:

ليس من الإسلام، الإسلام والطاقات المعطلة.

4- ترشيد مسار الدعوة الإسلامية وتصحيح أخطاء الدعاة:

قامت في هذا العصر صحوّة إسلامية كبيرة، وظهرت تيارات دعوية إسلامية عديدة، عمل كل منها على دعوة المسلمين إلى العودة إلى دينهم والالتزام بأحكامه، لكن هذه التيارات تباينت مناهجها وتعددت طرقها في الدعوة، وقد أدى ذلك إلى ظهور الخلافات والنزاعات والخصومات بينهم، كما أنها وقعت في أخطاء تنظيمية وحركية وسلوكية فادحة جرت عليها الوبال ومنعتها من تحقيق أهدافها وعاقبتها عن الوصول إلى غاياتها. لذلك كان من الاهتمامات التي شغلت الشيخ الغزالي رحمه الله؛ تصحيح مسار الدعوة وترشيد مسيرة الصحوّة وتوجيه الدعاة وتحذيرهم من الأخطاء المضرة بالدعوة وبالإسلام نفسه. وقد كتب في هذا الإطار عدة مؤلفات، منها: في موكب الدعوة، الدعوة الإسلامية تستقبل قرننا الخامس عشر، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، هموم داعية، مستقبل الإسلام خارج أرضه، الحق المر، الطريق من هنا، جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج.

5- تقويم التراث الإسلامي وتنقيته مما ليس منه وتصحيح المفاهيم الفكرية الخاطئة في أذهان المسلمين:

من خلال قراءاته الواسعة ومطالعته الكثيرة في كتب التراث الإسلامي بعد تسلحه بموازين القرآن والسنة؛ رأى الشيخ الغزالي رحمه الله أن هذا التراث على الرغم من الخير الكثير الذي ينطوي عليه، دخلته الكثير من المفاهيم الخاطئة، وتسربت إليه الكثير من الآراء الدخيلة والغريبة عن الإسلام، مما جعل هذا التراث يتحول إلى سبب للجمود والقعود والاستقالة من الحياة، وهو ما يتنافى مع الإسلام الذي يدعو إلى الحياة والحركة والنشاط. ولذلك ألف مجموعة من الكتب لتنقية التراث وتصحيح المفاهيم الخاطئة فيه وكشف الآراء الدخيلة التي تسربت إليه، ومنها: كيف نتعامل مع القرآن؟ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل.

6- مقاومة الاستبداد السياسي وكشف آثاره المدمرة في حياة المسلمين فرداً ومجتمعاً وأمة:

لاحظ الشيخ الغزالي من خلال قراءته للتاريخ

الإسلامي، أن الاستبداد السياسي وسيادة الملك العضوض الذي لا يعترف بالشورى في تاريخ المسلمين، كان أحد الأسباب الرئيسة لتخلف العالم الإسلامي وتراجعه الحضاري وعجزه عن النهوض، وسبباً رئيساً كذلك لوقوعه فريسة للاستعمار والاحتلال الأجنبي. وقد عالج الشيخ الغزالي موضوع الاستبداد السياسي وأثاره في حياة المسلمين وموقعهم في هذا العالم، باستفاضة في عدد من كتبه، ومنها:

الإسلام والاستبداد السياسي، كفاح دين، حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، أزمة الشورى في المجتمعات العربية والإسلامية، الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية.

7- الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، ومحاربة أسباب الشقاق والفرقة بين المسلمين:

أدرك الشيخ الغزالي رحمه الله أن من أسباب تخلف المسلمين وضعفهم أمام أعدائهم؛ شيوع الخصومات والنزاعات بينهم وتمزق كياناتهم وتشتت شملهم ونشوب الحروب بينهم، ولذلك كان من اهتماماته التي استأثرت بالكثير من جهوده وأنشطته: العمل على توحيد صفوف المسلمين والدعوة إلى التقارب بينهم ولم شملهم واجتماعهم على المتفق عليه وهو كثير والتسامح بينهم في المختلف فيه وهو قليل؛ ويمكن اعتبار مؤلفات الشيخ رحمه الله كلها تصب في هذا الاتجاه، إذ ما من كتاب منها إلا ونجد فيه حديثاً عن هذا الموضوع بتفصيل أو إيجاز، ونذكر منها:

دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، وغيرها.

ثانياً: الجبهة الخارجية:

1- رد الشبهات التي تُثار حول الإسلام وأحكامه:

لم يفتأ أعداء الإسلام من مستشرقين ومستغربين وعلمانيين يشنون الغارات الشعواء على أحكام الشريعة الإسلامية وتعاليمها، متهمين إياها بالجمود تارة، وبالتخلف تارة، وبالقسوة تارة. كل ذلك لصد غير المسلمين عن الإيمان بهذا الدين، وتزويد المسلمين أنفسهم في العمل بأحكامه. وقد حمل الشيخ رحمه الله لواء الدفاع عن الإسلام ومقارعة خصومه وإثبات تهافت ما يفترونه عليه من أكاذيب، وألف في ذلك عدة كتب منها: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، الإسلام والأوضاع الاقتصادية، الإسلام والمناهج الاشتراكية، الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والراسماليين، من هنا نعلم، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام: دحض شبهات ورد مفتريات.

2- مقاومة الغزو الفكري والثقافي الغربي:

في العصر الحديث، وبعد خروج الاستعمار العسكري من بلاد المسلمين، حل محله الاستعمار الثقافي والفكري، حيث سخر الغرب مراصده الفكرية ومراكزه الثقافية والإعلامية لبت السموم العقيدية والثقافية والفكرية التي من شأنها تشويش عقول المسلمين، وإصابتها بالشك في دينها وحضارتها وتاريخها؛ ولذلك نهض المفكرون المسلمون ومنهم الشيخ الغزالي رحمه الله بواجب مواجهة هذه السموم وكشفها وفضح الوسائل التي تُسوّق من خلالها، حيث ظهرت له عدة كتب في هذا المجال، منها: ظلام من الغرب، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا، معركة المصحف في العالم الإسلامي.

إشهار



وزارة الصحة و السكان وإصلاح المستشفيات
مديرية الصحة و السكان لولاية غرداية
رقم التعريف الجبائي: 000747059005245

متمثلي في

مديرية الصحة و السكان لولاية غرداية
المؤسسة العمومية الإستشفائية بمتمثلي
رقم التعريف الجبائي: 000747059005245

اعلان عن طلب العروض المفتوح مع اشتراط قدرات دنيا رقم 2018/02

تعلن إدارة المؤسسة العمومية الاستشفائية بمتمثلي عن طلب عروض مفتوح مع اشتراط قدرات دنيا للتزويد بالمستهلكات الطبية الجراحية الخاصة بمصلحة تصفية الدم وهذا على شكل حصة (01) على أساس ميزانية التسيير لسنة 2018.

PRODUITS ET CONSOMABLES POUR LE SERVICE D'HEMODIALYSE

يمكن للمؤسسات و الشركات المؤهلة لذلك سحب دفتر الشروط لدى إدارة المؤسسة العمومية الاستشفائية بمتمثلي مكتب الصفقات مقابل دفع مبلغ مالي قدره 3.000,00 دج غير قابلة للإسترجاع ، لدى محاسب المؤسسة .
تتكون العروض من ملف ترشح و ملف تقني و ملف مالي تحوي الوثائق الإلزامية المبينة أدناه ، على أن يكون أجل تحضير العروض (21) يوما ابتداء من أول ظهور في الجرائد أو في النشرة الرئيسية لصفقات المتعامل العمومي ويتم الإيداع في آخر يوم للمهلة من الساعة الثامنة (08:00 سا) صباحا إلى الساعة الثانية (14:00) زوالاً لدى المؤسسة العمومية بمتمثلي مكتب الصفقات وفي حالة تزامن يوم إيداع العروض يوم عطلة أو راحة قانونية يمدد أجل تحضير العروض إلى يوم العمل الموالي على أن يكون الفتح في نفس يوم الإيداع و على الساعة الثانية (14:00 سا) زوالاً .
وعملية فتح ملفات الترشح و الملفات التقنية و الملفات المالية للمؤهلين تقنيا تتم بحضور العارضين في نفس اليوم المذكور أعلاه على الساعة الثانية (14:00 سا) زوالاً .

أ/وثائق ملف الترشح :

- 1 - تصريح بالترشح
- 2 - التصريح بالزاهة ممضي و مختم
- 3 - نسخة من القانون الأساسي عندما يتعلق الأمر بشركة (مصادق عليه)
- 4 - قائمة الوسائل المادية المرتبطة بالنشاط (وسائل النقل، نسخة من بطاقة رمادية المركبة أو وثيقة أخرى تثبت الملكية بالإضافة إلى وثائق التأمين، وسائل التخزين مع الوثائق الثبوتية محررة من طرف محضر قضائي .
- 5-التقويض بالإمضاء .
- 6 - نسخة من سند دفع مصاريف سحب دفتر الشروط .
- 7- نسخة من شهادة المواقب القضائية (أصلية) رقم 03 للمتعهد عندما يعلق الأمر بشخص طبيعى و للميسر أو مدير العام للمؤسسة عندما يتعلق الأمر بشركة (صالحة لا يزيد تاريخ تحريرها على ثلاثة أشهر)

ب/وثائق ملف التقني :

- 1 - تصريح بالإنكتاب نموذج مرفق بـ دفتر الشروط (مؤرخ و ممضي من طرف العارض) .
- 2 - دفتر الشروط مؤثر عليه في جميع صفحاته من طرف المرشح يكتب عليه في آخر صفحاته بخط اليد عبارة قرأ و قبل .
- 3 - تعهد خطي بالزام الممون بتحديد مواعيد التسليم (عدد الأيام) (نموذج مرفق)
- 4 - مذكرة تقنية تيريرية .

ج/وثائق ملف المالي :

- 1 - رسالة التعهد مملوءة و ممضية من طرف المتعهد (نموذج مرفق بـ دفتر الشروط)
- 2 - الكشف الكمي التقديري مملوء و ممضي من طرف المتعهد (نموذج مرفق بـ دفتر الشروط) .
- 3 - جدول الأسعار الوحدوية مملوء و ممضي من طرف المتعهد (نموذج مرفق بـ دفتر الشروط)

يلبغني أن تودع العروض في ثلاثة ظروف مغلقة و منفصلة، ظرف خاص بملف الترشح ويكتب عليه ملف الترشح و ظرف خاص بالعرض التقني و يكتب عليه عرض تقني و الظرف الأخير خاص بالعرض المالي ويكتب عليه عرض مالي ، بحيث توضع الأظرفة داخل ظرف خارجي مغلق مكتوب عليه إلا العبارة التالية :

إلى السيد مدير المؤسسة العمومية الاستشفائية بمتمثلي

لا يفتح إلا من طرف لجنة فتح الأظرفة و تسليم العروض طلب العروض المفتوح مع اشتراط قدرات دنيا رقم 02 / 2018 متعلقة بتزويد بالمستهلكات الطبية الجراحية الخاصة بمصلحة تصفية الدم

يتم إيداع العروض في آخر يوم من مدة تحضير العروض و المحددة بواحد وعشرون 21 يوم ابتداء من تاريخ أول صدور لهذا الإعلان في الجرائد الرسمية أو النشرة الرسمية لصفقات المتعامل العمومي من الساعة 08 إلى ما 14:00 زولا .

تفتح العروض في آخر يوم من تحضير العروض بمقر المؤسسة العمومية الإستشفائية بتمكرت بمتمثلي على الساعة الثانية (14) زوالا كما أن المتعهدين مدعوون لحضور جلسة فتح الأظرفة .

يبنى المتعهدون ملتزمون بعروضهم لمدة 90 يوم+21 يوم حسب المادة 13 من دفتر الشروط ابتداء من التاريخ المحدد لإيداع العروض .

تضييع القطعيات، ومن يتتبعون المتشابهات وإن جئت على المحكمات.

4- الاستيعاب والشمول:

فقد تناول بالدراسة كل الموضوعات الإسلامية من عقيدة وعبادة ومعاملات وأخلاق، وعالج كل القضايا المطروحة في مجال الفكر الإسلامي المعاصر، وقارح خصوم الإسلام بتياراتهم المختلفة وتوجهاتهم المتعددة فيما طرحوه ضده من شبهات، وكشف مخططاتهم ومؤمراتهم على الإسلام والمسلمين؛ وإن رحمه الله أن يرتاد كل هاته المجالات ويعالج كل هذه القضايا ويحارب على كل هذه الجهات؟

إنها لاشك رعاية الله هي التي كانت تحوطه، وقوة الله هي التي كانت تدفعه وليست قوته الذاتية.

5- الوضوح والعمق:

فكر الشيخ الغزالي واضح وسهل الفهم والاستيعاب، فليس فيه غموض أو تمحل، حيث كان الشيخ يعبر عن رأيه بصراحة وشجاعة ووضوح ودون لف أو دوران، ومع ذلك فهو فكر عميق في مضمونه وأسلوب عرضه وحججه ومراميه، ورشيقي في عباراته وتراكيبه. وإنها لمعادلة صعبة أن تجمع بين الوضوح والعمق في أن واحد، في حين أن كثيرين يعتبرون أن من أمارات العمق في التفكير التعقيد في الأسلوب والغموض في العبارة، وهو ما كشف الشيخ الغزالي بمؤلفاته ومقالاته الفريدة ودروسه وخطبه ومحاضراته المتميزة خطاه وتهافته.

6- الوسطية والاعتدال:

حيث التزم الشيخ فيما انتهى إليه من آراء وما أدلى به من اجتهادات وما دعا إليه من أفكار، وفي تعامله مع الدين والواقع والحياة والناس، مبدأ التوسط والتوازن، وعدم التشدد والغلو أو التفریط والتسيب.

7- التجديد:

فقد جدد في الموضوعات وجدد في أسلوب العرض، حيث «قدم رؤى تجديدية في ميادين عدة، من أبرزها:

تفسير القرآن الكريم، وتصحيح تعامل المسلمين مع السنة النبوية، وطرح اجتهادات وترجيحات فقهية وفكرية في العديد من القضايا المعاصرة...».

كما أنه «بنى منهجاً جديداً في الدعوة، يتفق مع أحدث ما توصلت إليه نظريات الاتصال والإعلام في توصيل الرسالة إلى المتلقي وإقناعه بها، ما جعله ينقل مسيرة التجديد من الصفوة إلى الجماهير».

8- الجاذبية والتأثير:

فقد رزق الله عز وجل الشيخ أسلوباً رائعاً وعبارة رشيقة وقدرة كبيرة على حسن البيان وجودة العرض، إلى جانب الإخلاص والصدق اللذين يسريان في كلامه، وهو ما جعل كتاباته ودروسه ومحاضراته تحظى بالإعجاب والتقدير؛ ولذلك فإن كل من قرأ للشيخ رحمه الله أو سمعه يتحدث يتأثر به وينجذب إليه ويرغب في الاستفادة من علمه وفكره. أخيراً:

نقول إن فكر الشيخ الغزالي رحمه الله فكر حي متدفق بالعلم الغزير وموار بالنظرات العميقة والآراء الجادة، ومن واجب المسلمين أن يستفيدوا منه ولا يضيّعوه كما أضاعوا غيره من قبل. رحم الله الإمام الشيخ محمد الغزالي وأسكنه فسيح جناته.

كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1

3- كشف عيوب الحضارة الغربية المعاصرة وضررها على البشرية:

على الرغم من اعتراف الشيخ بما حققته الحضارة الغربية الحديثة من كشوف علمية وتقدم مادي هائل، ودعوته للإستفادة منها في هذا الإطار، إلا أنه كشف أن لهذه الحضارة وجهاً آخر مظلماً، وهو ما جرت على البشرية من عدوان على الشعوب المستضعفة، وما حملته من فساد في الأخلاق وانحطاط في الضمير ودمار في البيئة. وقد خصص لذلك عدداً من كتبه، ومنها: ظلام من الغرب، الاستعمار أحقاد وأطماع؛ كما أنه أشار إلى ذلك في كتب أخرى، ومنها: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم.

4- مواجهة التيارات والحركات المعادية للإسلام وفضح مخططات أتباعها ضده:

من استشرقا واستعمار وشيوعية وصهيونية وتبشير وعلمانية، هذه التيارات التي لم يدخر أتباعها ومعتنقوها وسعاً في الكيد للإسلام والتريص بالمسلمين وإيقاع الـأذى بهم، في الأزمنة الماضية وفي العصر الحاضر؛ وقد وجد الشيخ رحمه الله أن من واجبه أن ينهض إلى الإسهام بما يستطيع من جهد في مواجهة هذه التيارات وكشف الاعبيها وفضح مخططاتها ومؤمراتها، وتجلى هذا الجهد في عدد من كتبه، ومنها:

الإسلام في وجه الزحف الأحمر، اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل، قذائف الحق، صيحة تحذير من دعاة التنصير، حصاد الغرور، الحق المر.

ثالثاً: خصائص فكر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

1- الربانية (الحرارة الإيمانية):

تسري الروح الإيمانية في التراث الفكري للشيخ الغزالي كما تسري الكهرباء في أسلاكها، وهذه الروح يحسها القارئ لما كتب الشيخ والمستمع لما ألقى من دروس أو خطب أو محاضرات، وهي التي أعطت هذا الفكر القوة والتأثير، ومكنته من النفاذ إلى العقول المفتحة والقلوب الضامئة في سهولة ويسر.

2- الأصالة:

فهو من معين القرآن والسنة كان ينهل وإيها كان يؤوب، ومن معين التراث الفكري الإسلامي الزاخر كان يغرف ويستفيد.

3- المعاصرة:

فقد عاش بإسلامه في العصر الحاضر وليس في أزمنة ماضية، وعالج قضايا المسلمين في هذا العصر، وقدم الأدوية لأمرائهم الحضارية، ورسم الحلول الإسلامية لمشكلاتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ وإنه لكذب وافتراء ما زعمه البعض ممن يكتفون بإلقاء التهم الجزافية دون تثبت، من أن الشيخ الغزالي رحمه الله أخضع أحكام الإسلام لروح العصر وأراد أن يوافق معطيات الحضارة الغربية الحديثة وإن تعارضت مع الإسلام.

فالشيخ رحمه الله وإن دعا المسلمين إلى أن يعيشوا عصرهم لم يدعهم إلى ترك دينهم والتخلي عن أحكامه لتحقيق ذلك.

4- المقاصدية: ففكر الشيخ الغزالي فكر مقاصدي، يتوخى تحقيق مقاصد الشارع الحكيم في حياة المسلمين، ولذلك نجده يهتم بالكليات والمحكمات والقطعيات ويركز عليها ويجتهد في إثباتها، ويعتبر الجزئيات والفرعيات والظنيات وسائل لتحقيقها، وليست غايات بحد ذاتها. وينعى على من يتشبهون بالجزئيات حتى وإن أدت إلى هدم الكليات، ومن يحرصون على الظنيات وإن أدت إلى

وظائف الجامعة وواجبات الطالب الجامعي



أ.د / مسعود فلوسي*

ويوفر حاجاته ويحقق تنميته من خلال بناء الإنسان وترقية اهتماماته والسمو بتفكيره.

دور المرحلة الجامعية في حياة الطالب:

بعد ان بينا - بإيجاز - الوظائف والمهام التي تقوم بها الجامعة خدمة للمجتمع، نتساءل عما تحقّقه الجامعة للإنسان الذي يلتحق بها ويقضي سنوات تكوينه الجامعي فيها وينال منها الشهادة التي تمكنه من الالتحاق بإحدى الوظائف التي يسير بها المجتمع، الحقيقة أن الجامعة والمرحلة الجامعية التي تمتد في حياة الطالب لعدة سنوات، تحقق للإنسان الجامعي جملة من الفوائد، منها:

1- التكوين العلمي العالي:

فالطالب الجامعي الذي يقضي عدة سنوات في الجامعة، يتلقّى خلالها مئات الدروس والمحاضرات، ويطلع على عشرات المصادر والمراجع، ويحضر تظاهرات علمية وثقافية كثيرة، تتوسع مداركه وتتعمق معلوماته وتزداد ثقافته، فيتهيأ له بذلك تكوين علمي عال لا يمكن أن يحظى به غيره ممن لم يتمكن من الالتحاق بالجامعة ولم يطلع على المعارف والمعلومات التي توفرها الدراسة الجامعية.

2- التأهيل النفسي والاجتماعي:

يدخل الطالب الجامعة عادة في سن الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، أي في السن التي يصبح فيها راشداً ويتهيأ للتواصل مع الحياة وتحمل المسؤوليات، وفي هذه السن يحتاج عادة ليتأهل نفسياً واجتماعياً أن ينخرط في المجتمع ويتواصل مع فئاته، ولا شك أن الجامعة تعتبر أفضل مكان يمكن للطالب فيه أن يحصل هذا التأهيل، فالتأهيل النفسي الذي يُقدّم به نضج الملكات النفسية والعقلية، ممثلة في فهم حقائق الحياة والقدرة على مقاومة الصدمات ومواجهة التحديات وعدم الانهزام أمام الظروف، كل ذلك تعتبر الجامعة مجالاً لتحقيقه، لأن الطالب سيجد نفسه في كل مرة أمام تحديات من نوع ما علمية أو إدارية أو إنسانية، وكلما صبر عليها وعالجها بحكمة وروية ازداد نضجاً في نفسه وعقله. وكذلك الحال بالنسبة للتأهيل الاجتماعي؛ فالجامعة تهيئ للطالب فرصة الاحتكاك بأصناف متعددة من الناس، تختلف ميولهم ومواقفهم وسلوكياتهم وطريقة تعاملهم، وكلما ازداد احتكاك الطالب بهذه الأصناف المختلفة من الناس اكتسب التأهيل الاجتماعي الذي يمكنه بعد ذلك من التعامل مع القطاعات العريضة للمجتمع عندما تنتهي المرحلة الجامعية وينطلق منها إلى الحياة الرحيبة الفسيحة.

3- إثراء التجربة وتنويع العلاقات الإنسانية:

تهيئ الجامعة للطالب السور تجارب قد لا يمكنه أن يمر بها في أي مؤسسة أخرى أو مجال آخر من مجالات الحياة، فالاحتكاك بالأساتذة ذوي الخبرة والتجربة وطلب نصائحهم وتوجيهاتهم والاستفادة منهم في كل ذلك، تجربة غنية وثريّة لا يمكن أن يجدها الطالب بعد نهاية مرحلة دراسته الجامعية، وكذلك الاحتكاك مع طلبة من بيئات مختلفة وذوي اهتمامات متعددة وطموحات متباينة ومواهب واستعدادات متنوعة، كل ذلك مما يثري ثقافة الطالب ويغني تجربته وينوع علاقاته الإنسانية، ويمكنه من اكتساب تجارب غنية لا يتهيأ له أن يكتسبها بنفس الصورة والمستوى من بيئة أخرى غير الجامعة.

4- الانفتاح على الحياة العامة والاهتمام بقضايا المجتمع وحاجاته:

كانت الجامعة وما تزال مسرحاً للتيارات الفكرية والثقافية والسياسية التي تحاول دوماً أن تجد لها أتباعاً وانصاراً بين طلبة الجامعة، وتعمل على هيكلتهم ضمن التنظيمات الطلابية، بقصد توجيههم لخدمة أهدافها وتحقيق توجهاتها، التي عادة ما تكون مرتبطة بمواقفها من القضايا العامة المحلية أو الوطنية أو الإقليمية أو العالمية. والطالب الذكي هو الذي يحسن دراسة هذه التيارات ويقف منها كلها على مسافة واحدة، ويحرص على أن يستفيد منها كلها ما يمكنه من تكوين آراء صحيحة ومواقف موفقة من هذه القضايا، ولا شك أن انفتاح الطالب على القضايا العامة، واهتمامه بها، باعتباره مواطناً ينتمي إلى بلد عريق في التاريخ وإلى مجتمع متنوع الأعراق والثقافات، وبصفته إنساناً له انتماء حضاري إلى أمة رائدة هي أمة الشهادة والقيادة، مما يزيد في خبرته وتجربته في الحياة ويفتح له آفاقاً

تُعتبر الجامعة في أي مجتمع مؤسسة محورية لا غنى ولا بديل عنها، باعتبارها المؤسسة التعليمية والتكوينية العليا التي تتولى تخريج الأجيال المتتالية من الإطارات المعنية بتولي الوظائف المختلفة التي تُسبّر بها شؤون المجتمع وتوفر حاجاته وتُحقّق مصالحه ويضمن استمراره ودوام وجوده. فلا يُتصوّر أن تكون هناك مؤسسة أخرى تغني عن الجامعة أو تقوم مقامها، بل إن المؤسسات الأخرى كلها تحتاج إلى الخدمات التي توفرها الجامعة وتضمنها لها، ولذلك نعتني مختلف الدول في العالم ببناء الجامعات وتقريبها من أبنائها وتيسير أسباب التحاقهم بها وتوفير الخدمات الضرورية التي لا غنى لهم عنها للتمكن من الانتظام في الدراسة والتفرغ للتكوين والبحث العلمي. فما هي الوظائف التي تقوم بها الجامعة حتى تستحق كل هذا الاهتمام وهذه العناية؟ وما الذي تحقّقه المرحلة الجامعية في حياة الطالب؟ وما هي الواجبات المنوط بالطالب النهوض بها والحرص عليها حتى ينتفع في نفسه وينتفع به المجتمع بعد ذلك؟

وظائف الجامعة في المجتمع:

تحدد وظيفة الجامعة في أي مجتمع في ثلاث مهام تتكامل فيما بينها ولا تغني واحدة منها عن الآخرين، وهي: نقل المعرفة من خلال التعليم، وإنتاج المعرفة من خلال البحث العلمي، وتنمية المجتمع.

1- التعليم:

توفر الجامعة للطلّاب الملتحقين بها تعليمًا ثابتاً ومستمرًا لسنوات عديدة، هدفه تزويدهم بالخبرات والمهارات العلمية النظرية والتطبيقية التي تؤهلهم لتولي مسؤوليات العمل في القطاعات المختلفة للمجتمع، وهذا التعليم يتولى القيام به أساتذة ذوو تأهيل علمي عال ويحملون أعلى الشهادات العلمية ويمارسون مهام البحث، وهم أنفسهم معنيون بتطوير مهاراتهم وزيادة معارفهم والتعمق في تخصصاتهم ومواكبة التطور العلمي المستمر. ولا يمكن للجامعة أن تحقق هذه الوظيفة ما لم يكن هناك تواصل مستمر بين الطلبة والأساتذة، وما لم يكن هناك اهتمام من الطالب بحضور الدروس والمحاضرات واجتهاد في الازدياد من المعارف بارتياح المكتبة الجامعية والتعمق في المواد الدراسية من خلال التواصل مع المصادر والمراجع بأنواعها المختلفة الورقية والإلكترونية.

2- البحث العلمي:

تهيئ الجامعة للطالب أن يتدرب على البحث والتنقيب وجمع المعلومات وتحريرها أثناء المرحلة الجامعية، وبعد انتهاء المرحلة الجامعية الأولى، هناك من الطلاب المتخرجين يتفوق من يتفرغون لمرحلة جامعية ثانية تكون مهمتهم فيها هي البحث العلمي بغرض الوصول إلى معارف جديدة تُضاف إلى المعرفة العلمية، لتوظيفها في تطوير المجتمع وترقيته ومعالجة مشكلاته وتنمية قطاعاته، والتفرغ للبحث العلمي يتطلب استعدادات خاصة لا تتوفر عادة عند كل الطلاب، مثل الصبر واحتمال المتاعب والتحلي بروح الاحتساب وتوفير الأهلية العلمية والذكاء، ولذلك عادة ما يكون الباحثون في أي مجتمع قلة قليلة، ولكن نفعها للمجتمع قد يفوق نفع بقية أفراد.

3- تنمية المجتمع:

في عالمنا المعاصر الذي يميزه التقدم العلمي والتكنولوجي والسعي الدائب إلى المزيد من التقدم والتطور وتحقيق أعلى درجات الرفاهية واليسر في الحياة، لا يُتصوّر أن تكون هناك تنمية من أي نوع لا يكون عمادها وروحها ومبناها هو العلم والمعرفة.

وما دامت الجامعات هي المنوط بها تقديم العلم وتيسيره لطلّبيه، فلا شك أنها هي المنوط بها تهيئة أسباب التنمية الشاملة وتقديم الأبحاث والمعارف والخبرات الضرورية لدفع عجلة التنمية والتقدم، ويتم ذلك من خلال تطوير البحث العلمي وتوجيهه بما يخدم مصالح المجتمع

رحبة في تحقيق انتماؤه الحضاري وممارسة وظيفته الاجتماعية والإنسانية.

واجبات الطالب خلال المرحلة الجامعية:

إن الطالب الجامعي، وقد أتاحت له فرصة الانتماء إلى الجامعة، والتي لم يتمكن غيره من الوصول إليها، معنيّ بأن يفهم حقيقة المرحلة الجامعية ويستوعب خصوصياتها ويعرف قدر الجهود التي تبذل والأموال التي تنفق لتهيئ له الاستفادة القصوى من هذه الفرصة وتحصيل ما تحقّقه هذه المرحلة لمن يمر بها، وذلك من خلال التزامه بأداء وظيفته والقيام بواجباته كطالب جامعي سيصبح في المستقبل إطاراً يستفيد منه المجتمع ويعتمد عليه في مجال من مجالات مصالحه وحاجاته.

وتتجلى واجبات الطالب الجامعي التي يتعين عليه القيام بها والحرص على أدائها، فيما يلي:

1- التحصن بالإيمان المتين والتسلح بالأخلاق السامية:

يتطلب التفرغ للدراسة الجامعية قدراً كبيراً من الاحتساب والصبر وضبط النفس والاهتمام بالدراسة دون الانشغال بما إذا كانت ستتوفر للطالب وظيفة في المستقبل بالشهادة التي سيحصل عليها أم لا تتوفر له. ولا شك أن هذا لن يتحقق للطالب ما لم يكن متحصناً بالإيمان بالله، عز وجل، وأنه هو الذي يقسم الأرزاق بين عباده ويقدر نصيب كل منهم بحكمته وعلمه، وأنه سبحانه وتعالى يستحيل أن يترك أحداً منهم دون رزق مهما كان حاله من الإيمان أو الكفر، ومهما كانت درجة صلاحه أو فساده. هذا الإيمان الذي يجب على الطالب أن يرسّخه في نفسه بالازدياد من العلم والتفقه في الدين والممارسة المستمرة للعبادات المشروعة، من شأنه أن يهيئ الطالب للاستفادة الفعلية مما تهيئه مرحلة الدراسة الجامعية.. وهذا الإيمان هو الذي يهيئ الطالب بعد ذلك لأن يخدم مجتمعه ويلدّه ويحرص على ما فيه المصلحة ويتبعد عن كل ما يمكن أن يجره إلى الفساد والانحراف. ويضاف إلى الإيمان العميق بالله، عز وجل؛ ما يرتبط به عادة من أخلاق سامية وصفات رفيعة ومعاملة طيبة، مما ينبغي أن يتحلّى به الطالب في تعامله مع من يتواصل معهم من اساتذة وزملاء وموظفين، وهو ما من شأنه كذلك أن ييسر للطالب سبل الاستفادة من الجميع، وأن يستفيد منه المجتمع بعد أن ينخرط في مؤسسة من مؤسساته، لأن من يفتقد إلى الأخلاق لا يمكن أن يفكر في نفع المجتمع أو إفادة غيره من الناس.

2- الاجتهاد في التحصيل الجدية في التكوين:

من واجب الطالب أن يجعل غاية اهتمامه منذ دخوله الجامعة إلى حين تخرجه منها؛ الاجتهاد المتواصل في تحصيل العلم والمعرفة، والتحلي بروح الجدية في تكوين نفسه تكويناً عالياً، حتى إذا تخرج من الجامعة كان مؤهلاً لأن يمارس أي وظيفة تسند إليه دون الوقوع في أي قصور أو ضعف في التكوين أو الأداء. وهذا الاجتهاد وهذه الجدية هما أيضاً نوع من التكوين نفسه، لأن حرص الطالب على التحقق بهما في حضوره ومشاركاته وقراءاته ومراجعاته وتحصيله وبحوثه وسائر أعماله، يكسبه عادة متصلة تصبح له سلوكاً عادياً ثابتاً يسير عليه في مراحل حياته اللاحقة، وهو ما يجعل منه إطاراً فاعلاً ونافعاً لمجتمعه ويلدّه وامته، لأن أي وظيفة سيتولاها وأي مسؤولية سيكلف بها، سيقوم بها على خير وجه وسيؤديها بكل اهتمام وإخلاص. وإنه لمن الغريب ومن عدم التحلي بروح المسؤولية؛ أن لا يجد الطالب ولا يجتهد، على الرغم من كل ما هيئ له من مرافق ومبان ومكتبات، وما انفقته الدولة وتنفقه من أموال طائلة من أجل أن تُيسّر وسائل التحصيل العلمي وتوفر الجو الملائم للتكوين العلمي الجيد والمتميز.

3- توثيق الصلة بالأساتذة ودوام التواصل معهم:

لا يمكن للطلّاب أن يحظى بتكوين متميز بمجرد الحرس على الدراسة والتحصيل، بل لا بد له أن يتواصل بصورة دائمة مع أساتذته، من خلال حضور الدروس والمحاضرات والمشاركة في المناقشة والحوار، وكذا من خلال الاتصال بهم بعد الدروس والمحاضرات وسؤالهم عما يشكل عليه من المفاهيم والقضايا العلمية. هذا الاتصال والتواصل لا تغني عنه قراءة الكتب أو مطبوعات الأساتذة أنفسهم، لأن مجرد القراءة هي تعامل مع الورق الجاف، وهو تعامل يفتقد إلى التواصل الروحي والعاطفي والمعرفي، بينما

التواصل المباشر من خلال الحضور والحوار والمناقشة يضيف إلى الاستفادة العلمية من الرصيد المعرفي للأساتذة؛ التواصل الروحي والعاطفي والاستفادة من تجارب الأساتذة وخبراتهم في الحياة وهو ما لا يجده الطالب في الكتب والمطبوعات.

4- مصاحبة الزملاء المجدين والمجتهدين والإعراض عن الكسالى والتثبطين:

«المرء على دين خليله فلينظر أحداً من يخال» كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، و «الصاحب ساحب فانظر من تصاحب» كما تقول الحكمة الشهيرة. ومن المشهود الذي أكدته التجارب أن الفاسد أكثر تأثيراً في الصالح، وأن الإنسان الطيب يتأثر بالإنسان الفاسد إذا صحبه واتخذهُ صديقاً، وأدنى صور التأثر أن تشبوه سمعته بسبب صحبته له وأن يشغله عن معالي الأمور ويعطل إهتمامه بما ينفعه في دينه ودنياه، وربما دفعه إلى الخطأ والانحراف بما يزينه له من مفاصد وما يحرضه عليه من رذائل، فتكون صحبته له سبباً إلى خسارته وإضياع دينه ودنياه. والطالب الجامعي أحق الناس بانتقاء أصدقائه وأصحابه، ممن يجد منهم المشاركة والعون والتشجيع على حضور الدروس والمحاضرات، والنصيحة بالانكباب على التحصيل العلمي، والتحذير من التهاون والتكاسل. فإذا وجد الطالب زملاءً وأصدقاء من هذا النوع فليتمسك بهم وليحرص على دوام صحبتهم. أما إذا كان ممن يحيطون به أو يتواصلون معه من الزملاء لا يعيرون الدراسة اهتماماً ولا يلقون للتحصيل العلمي بالاً، فليجتهد في التخلص منهم وليتعامل معهم بقدر يعيد عن أي مصاحبة مستمرة أو ملازمة دائمة، لأن أمثال هؤلاء هم سبب كل بلاء يمكن أن يحيق به، وأي بلاء أعظم من أن يُضيع الطالب سنوات دراسته الجامعية في الكسل والتهاون والتسكع في الشوارع والغياب عن الدروس والمحاضرات وإهمال التحصيل والمراجعة والاشتغال بما فيه ضرر وليس فيه أي نفع.

5- التدرب على البحث والتنقيب والتواصل مع المصادر والمراجع في المكتبة:

المرحلة الجامعية الأولى فرصة جيدة للتدرب على البحث والتحرير والكتابة الإبداعية، وذلك من خلال البحوث الفصلية التي يُكلف بها الطلاب من قبل أساتذتهم، والتي يجب على هؤلاء الطلاب أن يحرصوا على القيام بها في إطار من الالتزام بشروط البحث العلمي الأساسية والتحلي بروح الأمانة العلمية وعدم انتحال جهود الآخرين وإتجاههم العلمي والفكري. فلابد من التواصل العملي مع المصادر والمراجع واستفادة المادة العلمية منها مباشرة وتحريرها بالأسلوب الشخصي. هذا الالتزام يتطلب من الطالب أن تكون له زيارات مستمرة إلى المكتبة للمطالعة وجمع المادة العلمية فيها مباشرة، أو استعارة ما توفره من مصادر ومراجع في موضوع البحث الذي يتناوله بالكتابة.. إن صبر الطالب على البحث ووفاء بما يلزم فيه من أدب البحث العلمي، وتدريبه المستمر على التنقيب والجمع والتحرير، يهيئه لأن يصبح باحثاً متميزاً يمكنه أن ينجز دراسات ينتفع بها هو وينفع بها مجتمعه وامته.

6- المطالعة الواسعة لتحصيل الثقافة العامة:

يحتاج الطالب الجامعي لتقوية رصيده العلمي وتثبيت ما يتلقاه من معارف ومعلومات، إلى الانفتاح على الكتب والدراسات الفكرية والثقافية العامة القريبة الصلة بتخصصه العلمي وحتى البعيدة عنه، فلا بد له من القراءة فيها والاستفادة منها لإغناء معلوماته وإثراء رصيده وتوسعة مداركه، حيث كلما اتسعت دائرة الثقافة العامة للطلّاب كلما كان تكوينه وتحصيله أقوى وأتقن. بعكس من يكفي بقراءة مطبوعات الأساتذة ليلة كل امتحان ثم تنقطع صلته بالدرس والتحصيل، فهذا سيكتشف - عندما يجد الجد - أنه خدع نفس وضحك على عقله، حيث سيخرج من الجامعة وليس في ذهنه أي فكرة عن صحيحة عن أي موضوع ثقافي عام. هذه بعض المعالم التي رايتها جديرة بالاهتمام منا جميعاً، ومن قبل طلبتنا الاعزاء خصوصاً، فهم المعنيون بها أكثر من غيرهم، وهي موجهة إليهم كنصائح وإرشادات وتنبهات، لن ينفقوا عليها في الكتب، وقد افادتنا بها تجربة ربع قرن من التعامل مع الطلبة في قاعات الدرس وملاحظة سلوكياتهم وتصرفاتهم في أروقة الجامعة وفي الحياة العامة. والله ولي التوفيق.

ضرورة الالتزام الأخلاقي في حياة الطالب الجامعي



أ.د. مسعود فلوسي*

من مقتضيات إطلاق وصف الحرم على مكان ما؛ أن تكون لهذا المكان قداسة يتصف بها في ذاته، وأن تكون له رهبة ومهابة في نفوس الناس يشعرون بها تجاهه، وهو إذ يكتسب ما يتصف به من قداسة ويحظى بما يحظى به من مهابة ورهبة، فإنما ذلك لما يتبوؤه من مكانة خاصة وما يكون له من تأثير مباشر أو غير مباشر في حياة الأفراد والمجتمعات.. ولعل مؤسسات التعليم الجامعي والبحث العلمي من الأماكن القليلة، وربما هي الوحيدة، إلى جانب البقاع المقدسة دينيا، التي حظيت بأن يُطلق عليها وصف الحرم، فيُقال (الحرم الجامعي)، وما ذلك إلا لما لهذه المؤسسات من دور في تكوين الأجيال وبناء العقول، وبالتالي في صناعة النخبة وتخريج الكفاءات وإمداد سائر قطاعات المجتمع المختلفة بالقيادات والإطارات التي تتكفل بتسيير دواليب الدولة وإدارة مؤسسات الأمة.

الجامعة معنية قبل غيرها بترسيخ الأخلاق

وبما أن كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية يخضع لنظام يحكم حياته وينظم العلاقات بين أفرادها، هذا النظام هو الذي يُمثل القيم الأخلاقية التي يحتكم إليها الأفراد ويحترمونها، ويشعرون بقداستها، والالتزام بهذه القيم ضروري في حياة الناس، أفرادا وجماعات، فلا ريب أن الجامعة هي المعنية -قبل غيرها من مؤسسات المجتمع الأخرى - بغرس الالتزام الأخلاقي في نفوس مرتاديها وقاصديها من الطلبة والباحثين وتكوينهم على أساس من تقديس الأخلاق والحرص على تمثلها والالتزام السلوكي بها في واقع الحياة. والطالب أو الباحث الجامعي هو المعني -قبل غيره من الناس- بأن يكون مثالا للإنسان المهيذب الذي يحترم نفسه أولا والآخرين ثانيا، الحريص على ألا يصدر منه أي سلوك يتعارض مع مبادئ الأخلاق الكريمة التي لها قداستها واحترامها عند الناس، وما ذلك إلا لما له من مكانة تجعله يتبوأ مقام القدوة في النفوس، لأن الناس دأبت على الحكم على الإنسان المثقف بأنه لا محالة مهذب باعتبار أن ما درسه من علم وما تلقاه من معرفة لا شك أن كل ذلك سيجعل سلوكه مهذبا وعلاقته بغيره قائمة على المودة والمحبة والاحترام والتعاون المتبادل.

ولا شك أن تحلل الطالب الجامعي من قيود الأخلاق وتصاممه عن نداء المبادئ والقيم، سيكون له تأثيره العميق بعد ذلك عندما ينطلق هذا الطالب إلى مجالات الحياة العملية، حيث سيظهر ذلك على سلوكه وعلى علاقته بعمله وبالمحيط الذي يعمل فيه.

ما هي الأخلاق التي ينبغي أن يلتزم بها الطالب الجامعي؟

إن من واجب الطالب الجامعي؛ أن يكون متحليا بحد إدنى - على الأقل - مما هو معروف عند الناس بأنها أخلاق لا يكاد ينفك عنها إنسان يحترم نفسه ويحترم مجتمعه ويحترم الناس الذين يتصل بهم ويحترم المحيط الذي يعيش فيه بوجه عام. فنحن نصف إنسانا ما بأنه متخلق؛ إذا كان بعيدا عن الشبهات ومواطني السوء، مترفعا عن التصرفات المخلة بأدب النفس أو ما يسمى بخوارم المروءة، مهتما بشؤونه وخاصة نفسه، بعيدا عن التفكير في إيذاء غيره من الناس أو الكيد لهم أو الإضرار بهم، حريصا على نفع الآخرين والانتفاع منهم ما استطاع.. هذا هو الحد الأدنى مما يمكن أن يُسمي التزاما أخلاقيا، ثم يتفاوت الناس بعد ذلك في ترقيعهم في مدارج الكمال النفسي والخلقي.

والالتزام المطلوب في الطالب الجامعي، والذي هو

المُراد من حديثنا هنا؛ هو أولا حرصه على احترام نفسه، ووضعه في موضعها الصحيح، فلا يرفعها فوق قدرها، ولا ينزل بها دون مكانتها.. ومن احترامه لنفسه؛ ألا يقف مواقف الشبهات، وألا يقع في الفواحش والمنكرات مما تشتمر منه النفوس السليمة وتباه الطباع النقية، وألا يصدر منه ما يزرى بالصفة الاجتماعية التي يحملها والتي لها في نفوس الناس قداستها واعتبارها، فلا يتفوه بالكلام البذيء مثلا، ولا تمتد يده إلى تخريب مرفق اجتماعي، ولا يصاحب من كان معروفا بالسفاهة والطيش والحق، ولا يتعصب تعصبا أعمى لرأي يراه أو جهة يرتبط بها، وإنما ينتصر دائما لما يقره العلم والمنطق والذوق السليم..

ويفرض الالتزام الأخلاقي على الطالب الجامعي؛ أن تكون علاقته حسنة، خاصة مع أساتذته، فلا يخرج عن حدود الأدب في التعامل معهم، ولا يخاطب أيا منهم كما يخاطب زميلا له أو صديقا، ولا ينظر إليهم إلا بمنظار التقدير والاحترام.. كما لا بد أن تكون علاقته حسنة ومتميزة أيضا مع زملائه في الدراسة والوسط الجامعي بوجه خاص، ومع كل من يتصل بهم من افراد المجتمع بوجه عام.

كما يفرض عليه أيضا تقديس النظام الجامعي، واحترام التنظيمات العلمية المعمول بها، واحترام الشهادة العلمية التي سيحصلها بعد التخرج، فيحرص على التطابق مع مضمونها، وهذا ما يجعله يقضي فترة دراسته الجامعية كلها منكبا على الدراسة والتحصيل، بعيدا عن الانشغال بتوافه الأمور، ملتزما بحضور الدروس والمحاضرات، حريصا على الاستفادة من المكتبة الجامعية، دأبا على الاحتكاك بالأساتذة والباحثين والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم، مهتما بالمواد العلمية التي يدرسها، دأبا على تحصيلها بقدر المستطاع، مراجعا لدروسه ومحاضراته في أوانها، قائما بواجباته العلمية والبحثية في أوقاتها، مهتما بنتائجه في الامتحان، حريصا على الحصول عليها بجهد الشخصي وتحصيله العلمي، بعيدا عن التفكير في الحصول عليها بالغش في الامتحان أو بالوسائط المختلفة والجيل المتنوعة.

أثر الالتزام الأخلاقي للطالب في حياته ودوره الاجتماعي

وإذا التزم الطالب هذه الأخلاق، وحرص على التمسك بها في حياته العلمية والاجتماعية، فلا شك أن تحصيله العلمي سيكون عاليا و متميزا، والشهادة العلمية التي سيحصلها بعد التخرج ستكون شهادة حق وصدق لا شهادة زور وكذب، يقتنع هو نفسه باستحقاقه لها قبل أن يقتنع غيره بذلك.

ولا شك أنه حين يخرج بعد ذلك إلى ميادين الحياة العملية، وبغض النظر عن الوظيفة الاجتماعية والحياتية التي سيمارسها، سيكون عضوا صالحا في المجتمع، وأحد عوامل البناء فيه، وسببا من أسباب تقدم هذا المجتمع وسير الحياة الإنسانية داخله سيرا طبيعيا مبنيا على تبادل المنافع والتعاون والتضامن. فالطالب الملتزم الذي هذا شأنه إن تبوأ - بعد تخرجه - منصب أستاذ أو معلم مثلا، فلا شك أنه سيبدل أقصى جهده وغاية وسعده في سبيل نفع طلبته وتلاميذه وإفادتهم علميا وتوجيههم وتهذيبهم خلقيا.

وإن تبوأ منصب طبيب، فإن اهتمامه سينصب حول مداواة من يلتجئون إليه، وسيبدل كل جهده في التعرف على ما يعانون منه، وسيحرص أشد الحرص على نصحتهم وتوجيههم وتحذيرهم مما يضرهم، ولن يتوانى في إرشادهم إلى غيره من الأطباء إذا ما وجد أن الحالة التي تعرض عليه لا يمكنه تشخيصها أو أن غيره أعلم بها منه، ولن يكون للمقابل المادي الذي سيحصل عليه أي تأثير في معاملته لمرضاه.

وإن تولي هذا الطالب منصب القضاء أو المحاماة مثلا، فلا شك أن هدفه الأول سيكون هو نصرة المظلومين وإنقاذ المهجورين والوقوف في وجوه الظالمين، وإحقاق الحق والدفاع عنه ومحاوله إثباته بأي وسيلة.

وإن تولى وظيفة إدارية ما، فإنه سيكون عاملا على حل مشكلات الناس، أو على الأقل مساعدا لهم على حلها، ولن يستغل وظيفته هذه في تعقيد الأمور

وإرهاق الناس وتعطيل مصالحهم.

وعلى كل حال، ففي أي منصب وجد هذا الطالب - بعد تخرجه وانطلاقه في شباب الحياة العملية - فإنه يكون عضوا صالحا في المجتمع، لا يصدر عنه إلا كل خير لهذا المجتمع وكل نفع لأبنائه.

أثر تحلل الطالب من الأخلاق على شخصيته ودوره في المجتمع

وفي المقابل، فإن غياب الالتزام الأخلاقي لدى الطالب أثناء دراسته الجامعية، يجعل منه مثلا سيئا سواء في محيطه الجامعي أو في حياته العملية.

فالطالب غير الملتزم، بعيد عن الشعور بواجبه في حضور المحاضرات والدروس، لأنه مشغول عن كل ذلك بأشياء كثيرة يتصورها هي واجباته الحقيقية التي ينبغي أن يوجه جهده ووقته لتحصيلها، فهو مشغول بالجلوس في المقاهي، أو مشغول بربط العلاقات المشبوهة، أو منكب على تزجية الأوقات في التجول في الشوارع والأسواق.

وهو بعيد عن احترام نفسه أو احترام أساتذته أو احترام زملائه أو المحيط الذي يعيش فيه، لأن كل هذه الأطراف بالنسبة إليه تقف موقف العداء له وتتنظر إلى سلوكه نظرة استنكار وازدراء، ولذلك فهو يعتقد أنه لا يد له أن يبادلها الازدراء ولا يشعر تجاهها بأي مودة أو احترام.

والطالب الذي من هذا النوع لن يكون للتحصيل العلمي أي مكانة في نفسه، لأن القضية بالنسبة إليه قضية شهادة.. وما الشهادة في نظره؟ إنها مجرد ورقة، وهذه الورقة ما دام يمكن الحصول عليها بالغش في الامتحان أو بمختلف الوسائط والشفاعات فلا داعي للشقاء والتعب في حضور المحاضرات واستذكار الدروس في سبيل الحصول عليها.

ولنتصور كيف سيكون حال مثل هذا الإنسان إذا ما تخرج بعد ذلك من الجامعة، وهو يحمل شهادة يشهد هو نفسه أنها شهادة زور وأنه ليس أهلا للحصول عليها لأنه لم يبذل أي جهد في سبيلها، وليس في عقله ولا ضميره أي شيء مما يدل عليها؟

لا شك أنه سيواصل حياته على نفس التوتيرة، وسيكون ديدنه الدائم طيلة حياته الغش والخداع والتحايل، لأنه في الواقع لن تكون بيده وسيلة أخرى يتحرك بها في أي مجال من مجالات الحياة التي يجد نفسه معنيا بالعمل فيها.

تري كيف يمكن لطالب حصل على شهادته بالغش ولم يكلف نفسه في يوم من الأيام عناء الدراسة والقراءة والتأمل والبحث، كيف يمكنه إذا ما بؤاته شهادته منصب أستاذ مثالا، أن يمنع تلاميذه من الغش أو يفرض عليهم استذكار دروسهم والاهتمام بواجباتهم؟.. لا شك أن اهتمامه سينصب أولا على تدبير الحيل لحملهم على بغض المادة التي يدرسها وبالتالي عدم الاهتمام بها، وهو ما يمكنه من التحلل من التزامه تجاهها، فيقضي أوقات الدروس كلها بعد ذلك في شغل تلاميذه وتضييع أوقاتهم في أمور لا علاقة لها بالمادة المطلوب تعلمها.

كيف يمكن لطالب حصل على شهادة دكتور في الطب مثلا، بغير تحصيل علمي ولا معاناة دراسية، أن يداوي المرضى أو يعاين امراضهم ويصف الدواء لمعاناتهم؟.. لا شك أنه سيحاول الظهور دائما بمظهر الطبيب الحاذق العالم بخفايا الأمور، الماهر في



الكشف عن أنواع الأمراض، الخبير بأصناف الأدوية النافعة، ولن يتوانى عن الوقوع في أخطاء قد تؤدي بحياة المرضى، ولن يعدم الوسائل للتخلص من أخطائه ونسبته إلى الأقدار.. والغاية المعروفة عند مثل هذا النوع من الأطباء عادة هي ابتزاز المرضى وسلب أموالهم وشغلهم بتحاليل طبية واشعة وما إلى ذلك، حتى يتم التمويه عليهم وخداعهم وإشعارهم بمهارة الطبيب وحذقه.

كيف يمكن لطالب قضى حياته الجامعية كلها غائبا عن محاضراته في كلية الحقوق مثلا، ولم يكن له من إلتناء يربطه بالجامعة إلا ورقة الامتحان التي يحسن أن يصب فيها المعلومات التي أعدها مسبقا في حروز وتمائم لا ينتبه إليها إلا دهاة الأساتذة، ثم يتيح له أن يتبوأ منصب المحاماة أو القضاء أو التوثيق أو ما إلى ذلك مما يمكن أن تبوئه الشهادة التي يحصل عليها من الجامعة، كيف سيكون تعامله مع وظيفته وهل سيؤدي حقها؟ وكيف سيكون موقفه من الناس والمجتمع، وأي نوع من السلوكات سيصدر عنه؟ إن الجواب معروف ولا شك..

لا ريب أن هذا النوع من الطلبة، في أي مجال سيوجد فيه بعد تخرجه من الجامعة، سيكون نقمة على المجتمع، وسببا من أسباب تنغيص حياة الناس وعاملا من عوامل فقدان الثقة وانعدام الرحمة وانفصام شبكة العلاقات الإنسانية داخل المجتمع.

ولله در حافظ إبراهيم، حين كتب قصيدة يتغنى فيها بمكارم الأخلاق، ويحذر من العلم المفصول عن القيم، وينبه إلى عدم الاغترار بحملة الشهادات والألقاب العلمية دون أن يكون للعلم في سلوكاتهم نصيب، وفيها يقول:

إني لتطربني الخلال كريمة

طرب الغريب بأوبة وتلاق

وتهزني ذكرى المروءة والندى

بين الشمائل هزة المشتاق

فإذا رزقت خليقة محمودة

فقد اصطفاك مقسم الأرزاق

فالناس هذا حظهم مال وذا

علم وذاك مكارم الأخلاق

والمال إن لم تدخره محصنا

بالعلم كان نهاية الإملاق

والعلم إن لم تكتنفه شمائل

تغليه كان مطية الإخفاق

لا تحسبن العلم ينفع وحده

ما لم يتزوج ربه بخلاق

كم عالما مد العلوم حيانلا

لوقعية وقطيعة وفراق

وفقيه قوم ظل يرصد فقهه

لمكيبة أو مستحل طلاق

يمشي وقد نصبت عليه عمامة

كالبرج لكن فوق تل نفاق

ختاما، نرجو أن يدرك طلبتنا وأحبهم، وأن يعرف كل منهم ما ينبغي أن يلتزم به من أخلاق وأن يتحلى به من سلوكات وتصرفات، وأن يستقر في نفوسهم أن كونهم طلبة علم يفرض عليهم أن يكونوا مثالا لغيرهم من أفراد المجتمع وفئاته، فلا يسقطوا فيما يشوه سمعتهم أو يجعلهم يوصفون بأوصاف يترفع عنها العقلاء من عامة الناس فضلا عن خاصتهم.

القرآن وتكامل مصادر المعرفة



د. بدر بن الحسن

عند النظر إلى الجدالات التي قامت منذ القدم ولا زالت بين الفلاسفة والمفكرين ممن تكلموا عن مصادر المعرفة، فإننا نجد مذاهب شتى في هذا الأمر؛ فإذا كانوا اتفقوا على أن الإنسان هو الذات المدركة العارفة، وهو الذي يحصل المعرفة ويسعى إليها، فإنهم اختلفوا في أي المصادر هي الأولى والمعتمدة مرجعاً؟!

فهناك من ذهب إلى أن الحس هو مصدر المعرفة، وأن إدراك الأشياء لا يكون إلا بالحواس، وما عمل العقل إلا تابع للحواس في ذلك. وهناك من ذهب إلى أن العقل هو مصدر المعرفة الوحيد، وهو الذي يقدر على تحصيل الحقيقة. وهناك من ذهب إلى أن الحقيقة لا يمكن تحصيلها إلا بالعقل ولا بالحواس، وإنما بطريق الباطن أو الإشراف والرياسة الروحية. وبين هذه الاتجاهات الثلاثة اتجاهات كثيرة أخذت بنصيب من هذا ونصيب من ذلك، ولذلك نجد هذه الاتجاهات الثلاثة الأساس منذ بدايات النظر الفلسفي في مسألة الحقيقة ومصادر المعرفة وطرق الإدراك.

فهل في الإسلام إجابة عن هذا الجدل؟ وهل فيه رؤية أخرى وطرح آخر يخرجنا من هذا التشبيص والجدال بين هذه المصادر؟ وماذا يقول لنا القرآن في هذا الأمر؟!

1. القرآن منبع التصورات والمفاهيم:

إن القرآن جاء ليؤسس رؤية توحيدية لشؤون الحياة وشؤون الآخرة، ولجعل حياة الإنسان متكاملة غير متنافرة، قائمة على سنن ناطمة في كل مجالات حياته، تتكامل فيها شخصيته، وتحقق فيها سعاده، ويحقق بها خيرته، فيعمر الأرض ويحقق الاستخلاف.

ولهذا هو جاء لتحقيق مصالح الإنسان في العاجل والأجل، ومن أهم ما يميز الإسلام (والقرآن مصدره) أنه وجه الإنسان إلى أن حياته وما فيها ينبغي أن تقوم على العلم والمعرفة، فكانت «أقرأ» التي أسست للوعي بضرورة العلم أساساً للدين والدنيا، وأساساً للحياة الدنيا والآخرة.

ولهذا، فإن القرآن (والسنة طبعاً) يشكل للإنسان مصدراً لتشكل التصورات والمفاهيم والقيم كلياً وجزئياً، ومنبعاً في بناء مفاهيمه ومناهجه في الدين والعلم والحياة، ولهذا فإنه يمثل منبع اعتماد لا ينضب لدراسة مختلف الظواهر والقضايا والأفكار والأحداث. فمنه نستمد الرؤية، والمنهج، والمقاصد التي يتناولها القرآن، ومختلف العلوم التي تستمد من القرآن إما بطريق مباشر؛ أي ما يتعلق منها بسنن الهداية، وإما بطريق غير مباشر؛ أي سنن الأفق والأنفس والتاريخ. إنها رؤية تجعل القرآن مركز اهتمام شامل ومتعدد الجوانب.

لأن القرآن كما يقول ابن عاشور «جامع لمصالح الدنيا والدين»، وموفق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والأخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره».

وهو كتاب الله الجامع لخيري الدنيا والآخرة،

ومنبع الحق والهداية، ومصدر العلوم على تنوعها، ومستمد الكليات في التشريع وفي العلم والأخلاق. وبالنظر في القرآن وتدبره نولد منه نماذج معرفية ومنهجية وعملية. وهو ليس كتاباً دينياً بالمفهوم الضيق للدين، وإنما هو كتاب هداية ورحمة وتبيان لكل شيء. ذلك أنه منبع للمعاني والمفاهيم والتصورات، والقيم والأدب، والأحكام والقصص، ومقاصده شاملة لمختلف جوانب الفكر والعمل، ومبتوثة في كل آياته.

وينبغي أن يأخذ القرآن مركز الاهتمام والاشتغال في تشكيل التصورات، وتحديد الرؤية، وبناء المناهج والمفاهيم، وفي مباشرة عملية التجديد الفكري والعلمي، والإصلاح التربوي والاجتماعي، بغية «التوصل إلى الوعي الحضاري العمراني بالقرآن» كما يقول الشيخ محمد الغزالي، لأن القرآن منبع الهداية ومصدر الصواب لهذه الأمة؛ منه يتكون الإنسان السوي والمجتمع السوي في كل زمان ومكان.

وعندما يتعامل الإنسان مع القرآن والسنة تعاملًا حسناً، فإنه يصل إلى فهم حسن للقضايا الكبرى التي تشغل بال الإنسان في كل مكان؛ قضية الخلق والخلق، والخلق والكون والحياة والهدف منها، ودور الإنسان في هذه الحياة، ومصيره بعدها، ويصل أيضاً إلى فهم حسن للمشكلات الحياتية والحضارية التي يعاني منها العالم الإسلامي في وقتنا الحاضر وتعاين منها الحضارة الإنسانية كلها (إسماعيل، 1987، ص 81).

ولعل من أهم القضايا التي ينبغي الرجوع فيها إلى القرآن قضية المعرفة ومصادرها، والجدل المثار بين مختلف المدارس لنعرف ما يزودنا به القرآن في هذا الموضوع.

2. القرآن ينهينا إلى تكامل مصادر المعرفة:

إن الرؤية التوحيدية التي أشرنا إليها في مقال سابق، وقلنا أنها توحد المعرفة، هي التي تؤسس لتكامل بين المصادر الممكنة للمعرفة، وتجعلنا ننظر إلى الحس والعقل والباطن بأنها متكاملة، وهذا بفضل توجيه الوحي (القرآن والسنة). فالمرحلة لا تقوم على مصدر واحد، بل تتكامل فيها الإدراكات الحسية، والإدراكات العقلية، والوحي، ولكل واحد منها مجاله الذي يغطيه، وشرطه الذي يجعله مصدراً للحقيقة ولل معرفة. وإذا كان الوحي هو المصدر الأعلى للحقيقة، فإنه تضمن حقائق الغيب، كما تضمن توجيهها كلياً لحقائق عالم الشهادة أو تفصيلاً في بعضها، ليجتبه الإنسان إلى إدراكها حساً وعقلاً.

ففي الحس نجد في القرآن عناية كبيرة جداً به، وآيات كثيرة تأمر باستعمال الحواس للوصول إلى الحقائق، ولعل منها قوله تعالى: «وَلَا تَقْفُ بِأَنفُسِكُمْ أَنَّهُ بِهَ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عِنْدَ مَسْئُولٍ» [الإسراء: 36].

ولكن آيات الحس كلها يعقبها تنبيه القرآن على النظر والتأمل والتفكير؛ أي إلى استعمال الإدراك العقلي في هذا الإدراك الحسي، فيما مترابطان. ولهذا نجد معظم الآيات التي تأمر باستعمال الحواس لمعرفة الحقائق، فتتختم بأمر بالتفكير، والتفقه، والتأمل، والتدبر، والإيمان، ومنها قوله تعالى: «الْقُلُوبُ يَسْوَءُونَ فِي الْأَرْضِ فَطَوَّنَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَفْهَمُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» [الحج: 46].

إلى تكامل ينطلق من رؤية توحيدية، ويقوم على تصور توجيهية تتكامل فيه حياة الإنسان، وتتكامل قواه الإدراكية على معرفة الحقيقة، بتوجيه القرآن الكريم.

* جامعة الدوحة

مؤلفون وكتّاب قرأت لهم واستفدت منهم

الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله (1889-1940)

وكتابة المؤلفات والبحوث والمقالات حولها. للإمام ابن باديس رحمه الله أسلوب خاص في الكتابة، يتميز بالسلامة والدقة والعمق والإحاطة؛ سلامة في تتبع الأفكار وترابطها، ودقة في التعبير والتحليل، وعمق في الفكرة والمضمون، وإحاطة بما يتعلق بالموضوع من عناصر. وهو متأثر في أسلوبه وطريقته في العرض والتحليل بصورة واضحة بالأمير أبي بكر ابن العربي الأندلسي الفقيه والأصولي والمفسر والمحدث المالكي رحمه الله، وربما جاء ذلك من تحفيقه ونشره لكتابه «العواصم من القواصم». ولا يُستبعد أن يكون قد اطلع على كتابه «أحكام القرآن» وكتابه «عارضة الاحوذى شرح سنن الترمذي» وغيرها. ويظهر هذا التأثير جلياً في مقالاته في التفسير وشرح الحديث؛ حيث ينهج نهج ابن العربي في ترتيب الأفكار وفي ضبط العناوين وفي أسلوب التعبير والعرض والتحليل.

لا يعني هذا أن ابن باديس كان مقلداً لابن العربي، فابن باديس عاش عصره واهتم بقضايا عصره وعالج مشكلات مجتمعه وتناول موضوعات لها صلة وثيقة بتوجهه الإصلاحية وأهدافه العلمية والعملية. ومن هنا جاء تميزه وتفرد به أسلوبه وفكره واهتماماته والموضوعات التي عالجها، فتشابه الأسلوب لا يعني التقليد في الموضوعات والاهتمامات.

إن قراءة آثار الإمام ابن باديس رحمه الله، تغني القارئ وتفيده بما يكتسبه منها من لغة راقية وأسلوب شيق متميز ومعلومات ثرية غزيرة وروحانية دافقة ونظرة متعمقة وغيرة إسلامية عالية.

* جامعة باتنة

وجمعه وتبنيته للنشر، وصدر في ستة أجزاء في سنوات عديدة. كما قام تلميذه الأستاذ محمد الحسن فضلاء رحمه الله بنشر كتابين له هما «العقائد الإسلامية» و«أصول الفقه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية».

كان أول ما قرأت من تراث الإمام «رجال السلف ونسأوه»، ثم «مبادئ الأصول»، ثم تفسيره «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير» وشرحه للحديث «مجالس التذكير من حديث البشير النذير»، ثم كتاب «العقائد الإسلامية» وكتاب «أصول الفقه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية»، وكذا مقالاته المنشورة ضمن أثاره والتي تناولت مختلف القضايا التي اهتم بها وعالجها وأبدى فيها آراءه.

وقد نهلت مما قرأت للإمام رحمه الله ما شاء الله لي أن أنهل من علم ومعرفة، وأن أستفيد وأنتفع من الروح الدافقة التي تسري في تراثه الفكري والتي لم يؤثر فيها طول العهد ومرور عشرات السنين على هذا التراث.

لم يكن الإمام ابن باديس رحمه الله يكتب ليُسبغ رغبة في نفسه أو ليشتهر بعلمه، وإنما كان يكتب وهو يخوض معركة ضارية ضد الجهل والتخلف والخوع للمستعمر، ويسعى لينشر الوعي واليقظة ويملاّ النفوس رغبة في التحرر من المحتل الغاصب، فجاءت مقالاته تحمل صدق هذه المعركة وهذه الاهتمامات والتطلعات.

ولذلك فإن مقالات الإمام ابن باديس رحمه الله وآثاره بصفة عامة تركت أثرها العميق في نفس كل من يقرأها، وتدعوه إلى مزيد الاهتمام بها وإعادة قراتها مرة بعد أخرى. ولعل هذا سر اشتغال العلماء والباحثين وطلاب العلم بها - من الجزائريين وغيرهم - وحرصهم على دراستها

حصل لدروس التفسير، وخرج أجبالاً من طلبة العلم الذين صاروا بعد استقلال الجزائر إطارات قامت عليهم مختلف قطاعات الدولة الجزائرية المستقلة. ومما أثر عنه رحمه الله أنه سئل: لماذا لا تشغل بالتأليف؟ فأجاب: «إني مشغول بتأليف الرجال عن تأليف الكتب.

لكن ذلك لا يعني أن الرجل لم يكن كاتباً أو مؤلفاً، بالعكس، لقد كان كاتباً من الطراز الرفيع، وقد نشر مئات المقالات في مختلف الصحف التي شارك في تحريرها أو أسسها وأشرف عليها، فقد كتب في كل من «النجاح» و«المنقذ» و«الصراف» و«السنة» و«الشريعة» و«البصائر»، وفي مجلته الشهيرة الشهاب التي كان يحرر فيها بابين شهريين أحدهما في التفسير والثاني في شرح الحديث إضافة إلى مقالات أخرى كان يكتبها ضمن أبواب المجلة.

هذه المقالات ظلت متفرقة ومنفصلة عن بعضها، حتى نهض لجمعها وتحقيقها عدد من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه، وأول من تولى جمعها هو تلميذه الأستاذ محمد الصالح رمضان رحمه الله الذي جمع مقالاته القليلة في التفسير في كتاب مستقل، كما نشر من مؤلفاته «العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية» وكتاب «رجال السلف ونسأوه»، ثم تولى الأستاذ الدكتور عمار طالبي جمع كل آثاره وأصدرها في أربع مجلدات سنة 1968 بعنوان «ابن باديس حياته وآثاره» جمع كل ما وصلت إليه يده من تراث الإمام، وواصل التتبع حتى أصدر الآثار في الطبعة الأخيرة في ستة مجلدات، كما نشر له كتاباً بعنوان «مبادئ الأصول». ثم كلفت وزارة الشؤون الدينية في عهد الوزير الشيخ عبد الرحمن شيبان رحمه الله مجموعة من الأساتذة بتتبع تراث الإمام



أ.د. مسعود فلويسي

عبد الحميد بن باديس، إمام الجزائر وفخر علمائها وأشهر رجالها وقائد حركتها الإصلاحية في العصر الحديث.

قرأت له كل ما كتبه، وقرأت معظم ما كتب عنه من مؤلفات ورسائل جامعية وبحوث أكاديمية ومقالات وقصائد في المجلات والجرائد، وألفت عن حياته وأعماله كتابين، ونشرت كتاباً لأحد تلاميذه، وكتبت عنه عدة بحوث ومقالات. كمعظم الجزائريين من أبناء جيل الاستقلال، طرق سمعي اسم الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله، منذ السنة الأولى الابتدائية، وذلك بمناسبة يوم العلم الذي تحتفل به الجزائر عامة والمؤسسات التربوية خصوصاً يوم 16 أبريل من كل سنة، وهو اليوم الذي توفي فيه الإمام سنة 1940. وقد حفظنا معلوماً تنبئده الشهير «شعب الجزائر مسلم» * إلى العروية ينسب، الذي كان يردد على ألسنا وكنا نرده بنحارجنا في المناسبات المختلفة.

لم يكن الإمام ابن باديس معروفاً كمؤلف، وإنما كمصلح وعالم فسر القرآن الكريم خلال خمس وعشرين سنة في دروس شقوية لم يُنح لها أن تسجل فلم يبق منها إلا ما حرره ونشره في «الشهاب» وهو قليل جداً، وشرح موطأ الإمام مالك رحمه الله في حوالى عشرين من الزمن في دروس شقوية حصل لها هي الأخرى ما

في حقيقة العلوم الإسلامية وأهميتها



د. بدران بن الحسن*

إن تناول مشكلتنا وقضايانا اليوم بمعزل عن المعطيات العلمية لهو ضرب من الوهم، وبخاصة أن المسلمين اليوم لا يصنعون مصيرهم منفردين بل في صلتهم بالعالم وفي صلتهم بالمرحلة الحضارية التي تعيشها الإنسانية اليوم، والتي جعلت العالم يعيش كأنه قرية واحدة، وكذلك لأن قيادة العالم اليوم ليست بأيديهم بل بأيدي غيرهم، وبخاصة الحضارة الغربية التي هيمنت على العالم وأشعت عليه بمنجزاتها وبمشاكلها منذ بدايات القرن التاسع عشر الميلادي على الأقل.

ولعل هذا ما جعل مالك بن نبي يقول، وهو يتحدث عن صلة الغرب بالمشكلة الحضارية في العالم الإسلامي: «ولا شك أن هذا الإشعاع العالمي الشامل الذي تتمتع به ثقافة الغرب، هو الذي يجعل من فوضاه الحالية مشكلة عالمية، ينبغي أن نحلها وأن نتفهمها في صلاتها بالمشكلة الإنسانية عامة، وبالتالي بالمشكلة الإسلامية» (بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص113).

وهو ما أشار له الدكتور طه جابر العلواني في تقديمه لكتاب «إشكالية التحيز رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد» الذي قام بتحريه الدكتور عبد الوهاب المسيري، ضمن سلسلة كتب المنهجية الإسلامية، حيث يؤكد ما ذكره بن نبي قبله

«التوحيد والعلم» للمفكر الماليزي عثمان بكر أن الكثير منهم اعتبر «بكل بساطة- أن العلوم الحديثة استمرار للعلوم الإسلامية، وأنها بضاعتنا ردت إلينا. ولذا ترى أن بعضهم اندرج في سياق توظيف مخرجات العلوم الحديثة في التفسير وفي الحديث عن الإعجاز العلمي وغيره، لإثبات وبيان كيف سبق القرآن المكتشفات العلمية الحديثة أو أنه تنبأ بها، ولهذا فالعلوم الحديثة هي في الحقيقة علوم «إسلامية» بمعناها العميق.

ولكن مثله هذه النقاشات- كما يقول سيد حسين نصر- تصدر لها شخصيات محدودة الاطلاع والعلم بما تتضمنه هذه العلوم الغربية الحديثة من أسس وخلفيات فلسفية، ومحدودية اطلاع على تاريخ العلوم الإسلامية، وعلى الفلسفة الإسلامية للعلم، ولم يُظهروا -بشكل عام- الصرامة الفكرية اللازمة للمهمة المطروحة أمامهم.

وإن جهودهم هذه، مهما كانت درجة نضجها ونوعيتها، فإنها أدت إلى هيمنة الوضعية العلمية «Positivistic Scienticism» التي ترى حضورها اليوم في دوائر كثيرة للتفكير والثقافة والعلم والفلسفة في العالم الإسلامي، والتي أدت إلى قيام بعض المسلمين أنفسهم بإنكار وجود علم إسلامي أو نظرية علم إسلامية لها مناهجها الخاصة ولها رؤيتها الكونية. وأمثلة هؤلاء الذين ينفون وجود علم إسلامي يرون أن «العلم هو العلم»، وفي السياق نفسه ليس هناك علم مسيحي، وبالتالي ليس هناك علم إسلامي أيضا.

وكما يؤكد سيد حسين نصر أيضاً، فإنه قبل خمسين سنة، حينما بدأت جهود إثبات حقيقة وجود نظرية علم إسلامية ووجود علم إسلامي،

بنصف قرن، بأنه في الميدان الفكري، فإن الحضارة الغربية قد فرضت نفسها منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم على العالم كله، وقد تبنت معظم الشعوب نموذج أوروبا إما كلياً أو معزلاً، فسادت مفاهيم الغرب ونظرياته المختلفة، في العلم والمعرفة والمناهج العلمية والتفسيرات العلمية، وفي السياسة والاقتصاد وغيرها، وهيمنت على سائر الرؤى الأخرى بحيث صارت وكأنها قانون العصر الذي لا محيد عنه (العلواني، من مقدمة كتاب التحيز، 1996).

فثقافة الغرب التي حصلت على هذا الإشعاع، وبما تتضمنه من عناصر إيجابية وأخرى سلبية، فإن التمدد الغربي في العالم، جعل مشكلاته الحضارية بمختلف أبعادها مشكلات عالمية. وعلينا أن نقوم بتقييمها ونقدنا وصياغة حلول تمكن المسلم من أن يحقق ذاته ويتجاوز الفوضى الغربية، ويستفيد من منجزاتها.

ولعلنا في سياق مقالات موضوعنا المتعلق بصلة الدين بالعلم، نركز على الجهود الإسلامية في تناول هذه الصلة في ظل هذه الفوضى المعرفية إن صح التعبير. ذلك أنه منذ تراجع الإدعاء العلمي لدى المسلمين في عصرهم المتأخر، وبخاصة مع بدايات القرن التاسع عشر الميلادي، وظهور العلوم الغربية موضوعاً ومنهجاً، وانتشارها في العالم بتوسع الحضارة الغربية، كما أسلفنا القول، وسيطرة الرؤية الغربية للعلم على العالم وعلى العلوم بدرجات متفاوتة في حجم الانتشار والتأثير، سعى كثير من المفكرين والعلماء المسلمين لتناول موضوع صلة الإسلام بالعلوم الحديثة. ويرى سيد حسين نصر في تقديمه لكتاب

وأهمية ذلك لعالمنا الإسلامي المعاصر، كانت المعارضة الأشد تأتي من العالم الإسلامي ذاته وليس العالم الغربي فقط، ولكن مع تطور الدراسات النقدية، وتوسع البحث في تاريخ العلم في الحضارة الإسلامية، وتطور البحث في فلسفة العلوم، والرؤى الكونية الثابتة خلفها، من قبل علماء مسلمين وغير مسلمين، ممن لهم اطلاع واسع بالعلوم الغربية الحديثة وفلسفتها واطلاع واسع أيضاً على العلوم الإسلامية وتاريخها وفلسفتها، بدأ تراجع المواقف الناكرة لوجود علوم إسلامية وأهميتها في التلاقي المهم بين الإسلام والعلوم الحديثة.

بسل وتعمق البحث أكثر وبدأت برامج جامعية للدرجة الأولى وللدراسات العليا في فلسفة العلوم الإسلامية وتاريخها ونشأت وتفتح في كثير من البلدان الإسلامية مثل ماليزيا وإيران وباكستان، لتنتشر بعدها هذه البرامج، وتتعمق الدراسة في فلسفة العلم في الإسلام، والبحث في تاريخ نشأة العلوم في الحضارة الإسلامية، وفي الأسس المؤسسية للعلوم في الحضارة الإسلامية، وفي تاريخ هذه العلوم، مما يعطي مبررات للحديث عن نظرية العلم الإسلامية، أو العلم الإسلامي؛ والذي نقصد به أن المسلم منطلقاً من الإسلام ومصادره (القرآن والسنة) ومن الرؤية الإسلامية للحياة والوجود، استطاعت أن تحدث نقلة حضارية فريدة في التاريخ، وبإمكان المسلم استعادة فعالية هذه الرؤية الكونية واستئناف القول العلمي على أساس الإسلام مرة أخرى بما يتجاوز فوضى الحضارة الغربية المعاصرة.

* مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعية والإنسانية/ جامعة قطر

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم

الإمام محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله (1889 - 1965)

ذاتها مدرسة رائدة في اللغة والأدب والفكر والثقافة يندر أن تجود الأيام بمثلها، وإذا كان لي أن أصف معالم هذه المدرسة، فلن أجد أفضل من وصف أساتذتنا الدكتور عبد الزراق أقسام في تقديمه للجزء الثالث من الآثار «عيون البصائر» [ص: 5]، حيث قال في وصف هذه المدرسة: «إنها مدرسة، ذات (أسلوبية) قل مثيلها في منهجية خطابنا العربي المرسل؛ فهي تضرب بجذورها في أعماق التراث العربي القديم، الذي تبسط فيه أعصابها المتعددة على فروع المعرفة الحديثة. وهي نسج فريد من الأدب يجمع بين حكمة قن ابن ساعدة الأيادي، وفصاحة سحبان، وعقلانية أبي عثمان الجاحظ، وإشارات أبي حسان التوحيدي، إلى جانب رشاقة أسلوب عبد الحميد الكاتب، وأناقة عبارة أحمد حسن الزيات، ورمزية مصطفى صادق الرافعي. غير أنها تزيد على ذلك كله، بخصوصيات أخرى هي أنها جزائرية العزيمة في التصدي للاستعمار، ومغربية الالتزام في الدفاع عن الحرية، وعروبية الانتماء في التواصل الحضاري، وإسلامية المنهج في علم التصحيح العقدي».

لم أتوقف ولن أتوقف - إن شاء الله - عن قراءة آثار الإمام الإبراهيمي، لأنني أجد نفسي أستفيد منها الجديد في كل مرة، فهي معين لا ينضب من اللغة والأدب والفكر والحكمة الراقية، وإنه لجدير بشبابنا أن يقبلوا عليها قراءة وتفهما وحفظاً لنصوص منها، فهي جديرة أن نقويهم من ضعف وتذبذب في عقولهم الوعي وفي نفوسهم الهمة والعزيمة التي يحتاجونها للنجاح في هذه الحياة.

جامعة باتنة

نشرها في بعض المجلات العربية بعد خروجه من الجزائر، وهذه المقالات جمع هو بنفسه جزءاً منها ونشره في القاهرة بعنوان «عيون البصائر»، ثم أعيد نشره في المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، كما نشرت المؤسسة جزءاً آخر من مقالاته. وكانت تلك الآثار القليلة نواة البحوث والدراسات التي كتبت عن الرجل خلال الثمانينيات وبداية التسعينيات من القرن الماضي.

لكن العمل الأكبر الذي خُدمت به آثار الشيخ رحمه الله هو ذلك الذي قام به نجله الوزير الأسبق الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي بمساعدة الأستاذ محمد الهادي الحسني في جمع ونشر الآثار كاملة في خمسة أجزاء صدرت في طبعته الأولى سنة 1997 عن دار الغرب الإسلامي في بيروت في حلة قشيبية بعنوان «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي». وبذلك توفرت الآثار كاملة في عمل واحد، وانتشرت في المعارض والمكتبات وصار بإمكان من شاء أن يحصل عليها.

استرشت هذه الآثار الكاملة فور صدورها سنة 1997، وانكببت عليها قراءة وتفهما وتعلما، واستطعت من خلال ذلك أن أكون نظرة شاملة على اهتمامات الإمام الإبراهيمي وطريقته في معالجة القضايا وأساليبه في تحليلها. وهو ما مكنتني من كتابة عدة بحوث ومقالات عنه في مجلات مختلفة. وقد وجدت فيها التنوع والثراء الذي يتمتع العقل ويشبع الوجدان ويثري المعرفة، فهي مزيج عجيب من اللغة، والتاريخ، والحكمة، والراي، والتوجيه، واللفظ، والتقديم.

إن آثار الإمام الإبراهيمي رحمه الله تمثل بحد

والإصلاحي وتراثه الفكري من شعر ونثر وذكر عدا من مؤلفاته.

اطلعت بعد ذلك على العدد 87 من مجلة «الثقافة» الجزائرية، الصادر في شعبان - رمضان 1405هـ/ مايو - يونيو 1985م، والذي خصص كله للإمام الإبراهيمي، حيث قرأت فيه مقالات لأعلام الفكر والثقافة في الجزائر والعالم العربي، من أمثال محمد حافظ الجمالي، إبراهيم السامرائي، جميل صليبا، محمد الغزالي، عبد الرحمن الجيلالي، عبد المجيد مزiane، عبد الرحمن شيبان، وغيرهم، والذين كتب كل منهم مقالا تحدث فيه عما عرفه عن الإمام وعن نبوغه العلمي والأدبي وتأثيره العميق فيمن عرفوه واتصلوا به وعن جهاد العلمي والعمل.

ومن بين مقالات هذا العدد ذلك المقال المطول الذي سبق للشيوخ أن كتبه بقلمه وقدمه لمجمع اللغة العربية بالقاهرة عند انتخابه عضواً فيه سنة 1961م، وأعادته مجلة الثقافة نشره في هذا العدد، وكان بعنوان «خلاصة تاريخ حياتي العلمية والعملية»، في هذا المقال عرف الشيخ بنفسه تعريفاً ضافياً وتحدث عن نشأته وتكوينه وأثر عمه محمد المكي الإبراهيمي في نبوغه، والكتب التي قرأها وحفظها، وكذا ما مر به من أطوار في حياته وعن أعماله في خدمة الثقافة الجزائرية وفي إعداد الجيل الذي يرعى منه أن يحرق البلاد وينفع العباد. وتحدث في هذا المقال عن أربعة عشر كتاباً أنجزها كاملة لكن زبانية الاستعمار سطوا عليها عندما فشتوا بيته، لما كان خارج الوطن، وذهبوا بها إلى غير رجعة قبل أن يتمكن من تقديمها للطباعة.

لم يبق من تراث الرجل سوى مقالاته التي كان ينشرها في بعض الجرائد الجزائرية أو التي



أ.د. / أ.د. / أ.د.

إمام البلاغة العربية ورائد المقالة الفكرية والأدبية في الجزائر والعالم العربي في العصر الحديث، العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله، رفيق درب الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله وقرينه في بناء النهضة الإصلاحية الجزائرية الحديثة وخليفته في رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

قرأت كل مقالاته وخطبه المجموعة في آثاره، كما قرأت الكثير من كتب عنه من مؤلفات ورسائل جامعية وبحوث أكاديمية ومقالات في المجلات والجرائد، وكتبت عنه عدة بحوث ومقالات. أول ما لفتني به قارئاً لتراثه الفكري، كان مع كتابه «عيون البصائر» الذي قرأته وأنا طليد في المرحلة المتوسطة، لم أفهم منه إلا القليل حينئذ، لكني انتهزت بأسلوب كاتبه ولغته العالية وتقننه في استعمال الألفاظ في التعبير عن المعاني. وهو ما جعلني أهتم بمعرفة سيرة الرجل وأطوار حياته وأعماله، فكان أن وقعت بعد ذلك على مقال نشر في عدد شوال 1404هـ من مجلة «الأمة» القطرية لكاتب مغربي غير معروف اسمه «ابن الريف [البلاخي أمحمد]»، بعنوان «العلامة المجاهد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي»، عرف فيه بالشيخ وجهاده العلمي

العلوم الإسلامية: التداخل والتكامل



د. بدران بن الحسن

ذكرنا في مقالنا السابق أن العلوم الإسلامية؛ أي العلوم التي نشأت في ظل الحضارة الإسلامية نابعة من الرؤية الإسلامية للكون والحياة، ونشأت مستمدة خلفيتها الفلسفية ومنهجيتها من التوحيد باعتباره مبدأ للمعرفة والقيم والاجتماع كما هو مبدأ للاعتقاد. ولكن نشأة العلوم المعاصرة في جو الصراع بين الدين والعلوم أدى إلى تفكك المعرفة وتناقض حقول المعرفة وتباعدها عن بعضها البعض، وكذلك بفعل توسع المعرفة ونشأة حقول معرفية كثيرة، مما أدى إلى أزمت معرفية كثيرة، دفعت فلاسفة العلم والعلماء في مختلف التخصصات إلى الانتباه إلى أن كثيرا من العلوم بينها صلة وبينها تداخل، وأن بعضها يكمل بعضا، مما جعلهم يدعون إلى ما يسمى بالبحث البيئي أو تناول البيئي للعلوم (interdisciplinarity)، الذي صار اتجاها راجعا في المعرفة المعاصرة، لعدم كفاية العلوم منفردة تناول الظواهر والقضايا المتعددة الأبعاد المتشابكة العوامل.

وكما يقول الدكتور محمد صالحين فإن الدراسات البيئية هي بحوث علمية معقدة، لا يفنّع أصحابها بالاكتمال والتخصص الدقيق؛ منفردا، بل يتوخون الكشف عن

مناطق التخم: (التجاور، التلاقي، التقاطع، التشابك، التقارب) بين العلوم، وهي دراسات تجمع بين النظرة التخصصية الدقيقة، والنظرة الموسوعية الشاملة، وتؤمن بالتكامل المعرفي بين كافة العلوم، وترى أن هذا التكامل بات ضرورة من ضرورات المنهج العلمي النافع، في هذا العصر.

فالدراسات البيئية لا تقتصر على صنف من العلوم، دون آخر، بل يمكن اكتشافها، وتسخيرها، بين كافة العلوم الإنسانية من جهة، وكافة العلوم الكونية من جهة أخرى، وكافة العلوم التطبيقية من جهة ثالثة. وتكمن أهميتها في كونها تبشّر بمنهجية جديدة؛ تتضافر فيها كافة العلوم؛ لخدمة الإنسان، وتيسير استخلافه في الأرض، وتفعيل التسخير الرياني لما في السماوات وما في الأرض لمنفعة بني آدم، ومصالحهم العاجلة، والأجلّة (صالحين، 2019).

ولهذا، فإن النظر في العلوم الإسلامية في نشأتها وفلسفتها وتاريخها، يساعدنا كثيرا على اكتشاف أمر بالغ الأهمية منهجيا؛ وهو أن العلوم الإسلامية تتميز بالتداخل والتكامل. فكيف ذلك؟!

إن العلوم الإسلامية عرفت منذ نشأتها أنها علوم تتداخل وتتكامل فيما بينها داخليا وخارجيا؛ أن هذه العلوم مبني بعضها على بعض، إضافة على أنها مفتوحة على العلوم التي تم «تقريبها» كما يقول ابن حزم وإدراجها في «المجال التداولي الإسلامي» كما يقول طه عبد الرحمن، من خلال ممارسة عملية النقد لأسسها الفلسفية، ولبنائها المنهجية، ولموضوعاتها ومسائلها، وإخضاعها للرؤية

الإسلامية التوحيدية، وتخليصها من خلفياتها الفلسفية غير المنسجمة مع عالمية الرسالة وكلية الحقيقة التي جاء بها الإسلام. ولهذا فإن دراستنا لتاريخ العلوم الإسلامية نجد أن التداخل والتكامل الداخلي الذي حصل بين «العلوم المليّة» إذا استعملنا تعبير ابن خلدون في مقدمته، فتداخلت وتكاملت علوم الفقه، وعلوم اللغة، وعلوم الحديث وعلوم القرآن وعلوم العقيدة، وغيرها، فاستطاعت أن تشكل منظومة معرفية متكاملة تقارب قضاياها من منظورات متعددة، وتخدم الحقيقة الواحدة. أما التداخل والتكامل الخارجي فكان مع «العلوم العقلية» أو «علوم الأوائل» بتعبير ابن خلدون، في انفتاح على الخبرة العلمية الإنسانية بطريقة نقدية جعلت حقول المعرفة الإسلامية تستعمل اليات التقريب المتعددة لعلوم الأوائل لتدرجها ضمن حقول المعرفة الإسلامية، وبهذا كانت العلوم الإسلامية تمارس التواصل المبدع مع تراث الإنسانية، في ظل مركزية الرؤية التوحيدية التي أمدت العقل المسلم بمبادئ الإدراك والعقلانية والانفتاح والتسامح كما يقول الفاروقي في كتابه «أطلس الحضارة الإسلامية» (الفاروقي، 1998، ص 137-134)، مما مكن من الاستفادة القصوى من الخبرة الحضارية الإنسانية.

ولعل الدكتور طه عبد الرحمن واحد من فلاسفة المسلمين المعاصرين ممن بذل وسعه في التأسيس للتداخل والتكامل المعرفي بين العلوم تأسيسا على فلسفة العلوم الإسلامية وتجربتها التاريخية، ونقدا للمعرفة المعاصرة في انقساماتها بين مختلف العلوم وفي سعيها

للبيئية بين العلوم. ففي كتابه تجديد المنهج في تقويم التراث بسط الحديث عن اليات التقريب، واليات التداخل، التي أنتجت حقول المعرفة الإسلامية، وكيف أن التقريب في آلية التداخل وآلية التقريب أدى بالعلوم الإسلامية أن تفقد فعاليتها، وقدرتها على الإبداع في خصوصها المتأخرة. بل وأدى إلى عجز تلك العلوم عن الإيفاء بمتطلبات الرؤية المعرفية الإسلامية نظريا، والعجز عن الإيفاء بمتطلبات حركة الاجتماع الإنساني والعمران البشري الذي شهد حركة كبيرة، أفضت إلى أن تلقف رايدها الحضارة الغربية لتنشئ علومها وتطور معارف خدمت الإنسانية، ولكنها أيضا أفضت إلى تساؤل الإنسان عن إمكانية أن تتكامل العلوم بدل أن تتناقض أو تتضاد أو تعيش في جزر معزولة عن بعضها، لن الظواهر الطبيعية والإنسانية والاجتماعية ظواهر متشابكة ومتداخلة ومتعددة الأبعاد، فلا يستطيع علم واحد الإيفاء بمقتضياتها. إن الكلام أعلاه، ويربطه بالمقالات السابقة، فإنه يدعو الباحثين إلى بذل الوسع في دراسة النظام المعرفي الإسلامي والنظام المعرفي المعاصر دراسة نقدية واكتشاف البنى المؤسسية لهما، وإحداث نوع من التصفية والتفاعل المتبادل من أجل مواكبة متطلبات فهم الواقع وتطويره وبناء جسر بين النظامين المعرفيين الإسلامي والغربي، ومن أجل إحداث تفاعل بين بتوطيف اليات التداخل والتكامل التي قامت عليها العلوم الإسلامية لإحداث تفاعل مبدع بين مختلف حقول المعرفة لصالح الإنسان والحضارة الإنسانية.

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم

الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله (1889 - 1964)



أ.د. مسعود فلوسي

الكاتب العماقي، المؤلف المجدّد، الأديب الكبير، المفكر المتميز، العبقري صاحب العبقريات، الشخصية المتعددة المواهب، الأستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله.

تراث العقاد الفكري لا يقل عن مائة كتاب، منها دراسات مبتكرة أنشأها كمؤلفات مستقلة، ومنها كتب هي تجميع لمقالاته الكثيرة التي كان ينشرها في المجلات والجرائد، ومنها دواوين شعرية. ومؤلفاته المستقلة تنوزع بين كتب تتناول قضايا إسلامية، ودراسات لشخصيات إسلامية وعربية وأجنبية، ومؤلفات في سيرته الذاتية، ومؤلفات تعالج بعض قضايا العصر.

لا أقول هنا: إني قرأت كل ما كتبه العقاد، لأن بعض ما كتبه لم أجد في نفسي ميلا إلى قراءته مثل دواوينه الشعرية. لكني أؤكد أنني قرأت أكثر إنتاجه الفكري. كما قرأت الكثير مما كتب عنه من مؤلفات ومقالات، ومنها خاصة كتاب «في صالون العقاد كانت لنا أيام أنبؤس منصور، ومؤلفات ابن أخيه عمر أحمد العقاد: «اللحظات الأخيرة في حياة العقاد»، «صفحات من حياة العقاد المجهولة»، «معارك العقاد الأدبية»، والكتاب الرائع الذي ألفه مجموعة من أصدقائه وتلاميذه بمناسبة إتمامه سبعين سنة من عمره بعنوان «العقاد: دراسة وثيقة بمناسبة بلوغه السبعين».

اكتشفت العقاد أول مرة من خلال كتابه «جُحَا الضاحك المضحك»، كنت تلميذا في المرحلة المتوسطة، فلما رأيت هذا الكتاب منبت النفس بجلسة ضحك وتسليّة طويلة لأني تصوره

عقائده وتشريعاته وتاريخه تفنيدا لم يترك لها بعده قائمة. وكذلك مؤلفاته القرآنية الرائدة في بابها، ومنها: «الفلسفة القرآنية»، «الإنسان في القرآن»، «المرأة في القرآن»، والتي يمكن اعتبارها من الإسهامات المتميزة ضمن ما يسمى في الدراسات الإسلامية حاليا بالتفسير الموضوعي، دون أن ننسى دراساته الإسلامية الأخرى التي أبداع فيها أيضا، ومنها: «ما يقال عن الإسلام»، «الإسلام والحضارة الإنسانية»، «الديمقراطية في الإسلام»، «الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام»، «الإسلام في القرن العشرين حاضرة ومستقبل»، «التفكير فريضة إسلامية».

أما دراساته عن الشخصيات، فقد انبهرت بها غاية الانبهار، سواء تلك التي كتبها عن الشخصيات الإسلامية، مثل: عائشة الصديقة بنت الصديق، معاوية بن أبي سفيان، عمرو بن العاص، بلال بن رباح، الحسين بن علي، أو عن الفلاسفة والأدباء مثل: ابن الرومي، رشيد، أو عن الشخصيات التي عاصرها، مثل: سعد زغلول، محمد عده، عبد الرحمن الكواكبي، أو عن الشخصيات الأجنبية مثل شكسبير وسن باتنسن وهنر وغاندي. وقد تأثرت كثيرا حين قرأت كتابه «سيد الشهداء الحسين بن علي»، حيث وصف فيه وصفا بارعا شخصيته وعرض له من خيانه من قبل من كانوا يدعونهم للخروج، وكذا التكتيل الرهيب الذي صب عليه من قبل أعدائه الذين لم يرقبوا فيه إلا ولا ذمة ولا صحة ولا قرابة. مؤلفات أخرى للعقاد أعجبت بها، هي تلك التي كتبها عن نفسه، وهي «أنا»، «في بيتي» «حياة

قلم»، التي تحدث فيها عن حياته الشخصية وعن اهتماماته وبرنامجه اليومي وما يحب وما يكره وعلاقاته ومنهجه في التأليف وعاداته في القراءة والكتابة. وكذلك كتابه «عالم السدود والقيود» الذي تحدث فيه عن فترة التسعة أشهر التي قضاه في السجن، وقد روى فيه عجائب ما رآه في السجن بأسلوب رائع. ليس من غرضي هنا أن أعرض كل مؤلفات العقاد وما استفدت من كل كتاب، هذا ما لا تنسج له هذه السلسلة من المقالات التي أردتها أن تكون موجزة، كما أنه ليس من غرضي أن أنقذ بعض ما جاء في هذه المؤلفات لأن القضايا الخلافية بين العقاد والعلماء والأدباء معروفة ومشهورة، وخاصة فكرته عن وصف العبقرية الذي أطلقه على كل من النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى النبي عيسى عليه السلام، وإنما الغرض تشويق شبابنا وحثهم على القراءة حتى يعرفوا أنفسهم وعصرهم وما ينبغي لهم في حاضرهم ومستقبلهم. إن قراءة كتب العقاد، وإن كان فيها بعض الصعوبة في البداية لمن لم يتعود عليها، إلا أن التمرس بقراءتها مررة بعد مرة تدلّ قيادها وتجعل القارئ بعد ذلك يتعود عليها ويقل عليها بسهولة ويسر. وهي إلى جانب ما تكسبه للقارئ من لغة عالية وما تفتح له من مغاليق فكرية، تكشف في سر عبقرية هذا الرجل التي تكونت بفعل عزمته القوية وهمة العالية وإقامه على مواجهة الصعاب ومقاومة الخطوب، وهو الذي لم يُبَحْ له أن يتجاوز في تعليمه المرحلة الابتدائية، إلا أنه استطاع أن يتغلغل الناس في حياته وبعد وفاته رحمه الله.

«قضية المرأة بين تحرير المرأة والتمركز حول الأنثى»

ما الذي دفع الفيلسوف الإسلامي عبد الوهاب المسيري رحمه الله إلى معاداة حركة ال Féminisme وتحرير الأنثى من الرجل والتاريخ والمجتمع، هل هي العقلية الشرقية الرجولية النرجسية والمتملكة؛ والتي انتهت عبر التاريخ باضطهاد واسع للمرأة وسلب لحقوقها كإنسان يشاطر الرجل المجتمع والحقوق والواجبات؛ أم أنه الخوف من تفوق المرأة في حال منحت الفرصة على الرجل في جميع الميادين؛ فتتقلب الآية وقتذاك حتى يستحيل التتابع متبوعا والمتبوع تابعا؛ ثم حتم هذا التوجس من الحركات النسبية - التحريرية الإنسانية العالمية كحركة تحرير الأنثى؛ وعلامة يتم رفضها لأنها فقط حركة دخيلة تفضل بها علينا العالم الغربي تكزما ومجبة لإعادة الاعتبار إلى المرأة أمام الرجل والمجتمع والتاريخ؛ ثم إلى متى سيظل المجتمع الإسلامي متخلفا رجعيًا بانغلاقه على الغرب وانطوائه على نفسه ورفضه لكل ما تصدره إلينا الفلسفة الغربية وفكرها؟



سيف الدين بن زهير

ثانويات تفكيكية دامة أخرى تُقضي بالمجتمع إلى التمزق، ولأن الأسرة هي أول البنات في هيك المجتمع فإن الفلسفة المادية طالت هذه اللبة فحاولت تقسيمها حين دعت إلى ثنائية عدائية تفكيكية أخرى (المرأة/ الرجل)، إذ سعت إلى إثبات اضطهاد الرجل والمجتمع والتاريخ للمرأة بشكل شامل، فدعت إلى قراءة التاريخ مرة أخرى قراءة تثبت مظلومية المرأة، وبدأت بمصطلح التاريخ في ذاته ففككته وأعادت تسميته History؛ المكون من His الذي يعني هو، و story الذي يعني قصته، فكان His-tory تسمى بمعنى قصته، وهذا يعزى من تجليات الباطريكية/ المجتمعات الرجولية، فدعت إلى إعادة تسمية التاريخ بحيث يتوافق مع حقوق المرأة وتحررها، واقتصرنا لذلك Herstory الذي يعني قصتها، وكذلك فعلوا بخصوص كلمة women حين قصدوا إلى إعادة كتابتها لتصبح womyn؛ لأن الأولى تشتمل على men التي تعني الرجل، وهذا يعزى من تجليات إمبريالية الرجل حتى لغويا وتسلطه على المرأة، كذلك بالنسبة للخلاص من تعالي عما يصفون قالوا بضرورة الابتعاد عن تذكره في الخطاب والإشارة إليه بضمير المذكر، ولأن التفكيكية العدائية هذه تهدف إلى الفصل الكلي بين الرجل والمرأة فإنهم حاولوا تطبيع السحق واللواط والشذوذ، حتى لقد قالت إحدى الداعيات إلى ال Féminisme:

«If feminism is the theory, lesbianism is the practice»

إذا كانت الفيمينيست هي النظرية فالسحق هو التطبيق!!!!

فكرة الأقليات في المجتمع؛ حين يصبح هذا الأخير أقلية لا غالبية فيه؛ فيفقد مرجعيته النهائية التي يستند إليها لتحديد مبادئه ونظامه الواحد المشترك الذي ينظمه...

الفصل 03: «السياق الحضاري المعرفي لحركتي تحرير المرأة والتمركز حول الأنثى»
كما أسلفنا الذكر فإن حركات تحرير المرأة القديمة مختلفة عنها حديثا؛ ومثال اختلاف هاتين الحركتين خلال الإنسانية المشتركة وغيرها من المراحل كالإمبريالية الفردية والثنائية الصلبة والواحدية الصلبة والواحدية السائلة واضح؛ فهي داخل منظومة الإنسانية المشتركة إنسان فاعل في المجتمع والتاريخ كالرجل؛ فهي فيها تدافع عن حقها الوظيفي وتضطلع بوظيفتها البناءة، وبحقها الأسري وحققا كام، أما في غيرها من المنظومات الأخرى فإنهم يحصرون المرأة في جانب مادي جسماني وسلي وسائلي اقتصادي محض، ويعيدون تعريف المرأة في إطار جديد إطار لا يقول بوجودها وفعاليتها وتحققها إلا بتحقيق شرطين أساسيين عملها الخارجي من جهة والعودة بالمنفعة المادية من جهة أخرى؛ وهما شقا المرجعية المادية؛ الكمي والبراني الخارجي، وفي المقابل تراجع دور المرأة الداخلي الأسري والكيفي..

الفصل 04: «الواحدية الإمبريالية والثنائية الصلبة والواحدية الصلبة، والتمركز حول الأنثى»:

لم تكف الفلسفة المادية بخلق ثنائية عدائية بين بني الإنسان (الأنثى/الأخر) حتى دعت إلى

بمتتالية خماسية حددها المفكر عبد الوهاب المسيري كمايلي:

الإنسانية المشتركة/ الواحدية الهيومانية؛ الإنسان باختلافه الفكري والجغرافي والديني سيد للكون ومركز له ومتحكم فيه ومتجاوز له

الواحدية الإمبريالية: ظهرت الثنائية العدائية (الأنثى/الأخر) وبدأت الحروب والرغبة في التسلط على الآخر والامتلاك...

الثنائية الصلبة: بين الإنسان والطبيعة؛ فتزاحم الاثنان وتقاظرا لاحتلال مركز المركزية الكونية.

الواحدية الصلبة: حين تمكنت الطبيعة/ المادة من تحييد الإنسان عن المركز واحتوائها له؛ فكان جزءا منها؛ لا يتجاوزها ولا يكون موجودا إلا في نطاقها.

الواحدية السائلة: حين تفقد الطبيعة مركزها ويصبح النسبي هو المطلق الوحيد والتغير هو نقطة الثبات الوحيدة، فتتصاعد معدلات الحلول والتفكيك حتى يفقد كل شيء ملامحه...

الفصل 02: المساواة والتسوية:

هدفت الفلسفة الغربية إلى تقويض مقولة الإنسان وتطويعه داخل إطار مادية محسوسة مقبنة؛ فسوته بكل شيء فيها؛ بالحيوان والنبات والأشياء...، ونبتذلت التاريخ ورفضته حتى طالبت بالانفتاح على التجريب غير المحدود؛ باعتبار العقل صفحة بيضاء ولوحا فارغا كما يقول جون لوك، كما دعت إلى تقديم الحقوق الفردية على المصلحة الجامعة وإلى

النسوة هذه المتمحورة حول فكر الفيلسوف عبد الوهاب المسيري في قضية الأنثى والذي أدعاه كتابه «قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى» أجابتنا عن هذه الأسئلة كلها من خلال فصول الكتاب الثمانية، والتي لضيق الوقت لنستطع أن نناقش منها إلا أربعة فصول، في حين أرجأنا مناقشة الأربعة الباقية إلى الأسبوع القادم بحول الله...

الفصل الأول: «بين الإنسان والإنسان الطبيعي»:

إن حركة التمرکز حول الأنثى حركة جديدة؛ لا باعتبار أن الأنثى لم تتحرك قبل عبر التاريخ بأية طريقة كانت لتطالب بحقوقها ولكن باعتبار المضامين الجديدة التي تحملها هذه الحركة الجديدة اليوم؛ فهي تتدرج تحت حركات الحقوق الجديدة، وهذه الأخيرة من منحنات ما بعد الحداثة والمادية والعلمانية؛ العلمانية القائلة بأن المبدأ المنظم للكون ليس منزها عنه ولا مفارقا له وإنما من ينظم الكون حال فيه، مادي منه؛ فالإنسان في النهاية محصول مادي محض، ولقد مرت العلمنة



أ.د/ مسعود فلوسي*

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله (1873 - 1958)

فيه علم والعلم فيه أدب، فالبحوث والدراسات العلمية صيغت في قالب أدبي جذاب وأسلوب رفيع يتمتع العاطفة ويروي الوجدان، والدراسات الأدبية صيغت بأسلوب علمي يُقنع العقل ويثري المعرفة. ولذلك، فقد اتخذت من هذه الموسوعة مصدرا أرجع إليه مرة بعد مرة لأزاد علما ومعرفة، وفي كل مرة أزداد إعجالا وإكبارا لهذا العالم الفذ الذي استطاع أن ينتج كل هذه الآثار العلمية والأدبية الفريدة على الرغم مما عاناه من متاعب وما واجهه من صعاب وما خاضه من معارك وما تولا مفردا من مسؤوليات تنوء بحملها المؤسسات الكبيرة، كما أزداد تقديرنا وإكبارنا للجهود الضخمة التي بذلها ابن أخيه الأستاذ علي الرضا الحسيني في تتبع هذه الآثار التي كانت متفرقة شتتة وجمعها في موسوعة واحدة سهلة مسورة.

يبقى على شبابنا وباحثينا وطالبي العلم والمعرفة عموما أن يتجهوا صوب هذه الموسوعة لينهلوا منها ما يُغني ثقافتهم ويروي ظمأهم من علوم ومعارف شرعية ولغوية وأدبية وتاريخية، وهم واجدون فيها الكثير من ذلك إن شاء الله.

«محمد رسول الله وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم».

وفيها الدفاع عن الإسلام ضد التيارات المعادية من إلحاد وبهائية وقاديانية وغيرها.

وفيها العلوم اللغوية، في دراسات من قبيل «القياس في اللغة العربية»، «دراسات في اللغة»، «دراسات في العربية وتاريخها».

وفيها الدراسات الأدبية، ومنها «الخيال في الشعر العربي».

وفيها الردود العلمية، مثل «نقض كتاب الشعر الجاهلي لطف حسين»، و«نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق».

وفيها القضايا الشعرية المائعة، في «ديوان خاوتر الحياة».

وفيها البحوث المتوعدة، والمذكرات والتجارب الشخصية، وتراجم الرجال، كما في «هدى ونور»، «مذكرات من أوراق الإمام»، «أحاديث في رحاب الأهر»، «الرحلات».

تراث علمي وأدبي وتاريخي وفكري زاخر، الأدب

لنشر سنة 1974م.

ثم أتيت لي بعد ذلك أن أطلع على بعض آثاره المتفرقة التي كان ينشرها في كتب مفردة على مدى سنوات عديدة ابن أخيه المحامي الأستاذ علي الرضا الحسيني المقيم في دمشق، هذه الكتب تم جمعها بعد ذلك في موسوعة أعمال كاملة من خمسة عشر مجلدا صدرت طبعها الأولى عن دار النوادر في دمشق وبيروت سنة 1431هـ، 2010م.

هذه الموسوعة الكاملة لأعمال الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله، تعتبر مصدرا ثرا

ومعينا غزيرا لمختلف فنون المعرفة اللغوية والشرعية والأدبية والتاريخية.

ففيها العلوم الشرعية من تفسير وفقه ودعوة وتربية، في مؤلفات عديدة تحمل عناوين «أسرار التنزيل» في التفسير، «بلاغة القرآن»، «دراسات في الشريعة الإسلامية»، «الشريعة الإسلامية

صالحة لكل زمان ومكان»، «محاضرات إسلامية»، «الدعوة إلى الإصلاح»، «رسائل الإصلاح»، «الهداية الإسلامية».

وفيها السيرة النبوية الشريفة وتحليل أحداثها واستخلاص العبر والدروس منها، في كتاب

عالم فذ وأديب كبير وشاعر مجيد وصحافي لاسع ورحالة جوال، جزائري الأصل تونسي المولد مصري الإقامة والوفاة، تولى مشيخة الأزهر خلال (1954-1952). هذا العالم الهام الذي ملأ الدنيا وشغل الناس في حياته بخبطه ودروسه ومحاضراته ومواقفه الشجاعة ومؤلفاته العلمية الرائدة ومقالاته المتميزة ومعاركه الأدبية الذائعة وتقلاته ورحلاته المختلفة، لا يعرفه كثيرون من طلبة العلم في وطنه الأصل الجزائر ولا في موطن مولده تونس ولا في موطن إقامته مصر، ولا في غيرهما من البلاد العربية والإسلامية، ولم يطلعوا على آثاره العلمية والفكرية.

أول ما قرأت له، وكنت في المرحلة الثانوية، كتاب (القياس في اللغة العربية) الذي أعادت نشره المؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر سنة 1986م، وأول ما قرأت عنه، وأنا طالب في الجامعة، كتاب (محمد الخضر حسين: حياته وآثاره، 1873 م - 1958م) للباحث التونسي محمد موعدة والذي أصدرته الدار التونسية

الرؤية الكونية الإسلامية والعلم الحديث



د. إدريس بن الحسين*

يشعر كثير من المسلمين بأن الحضارة المعاصرة بقدر ما أتاحت فرصا كبيرة للإنسان للارتقاء والتحضر في جوانب اجتماعية واقتصادية وتقنية وغيرها، فإنها حاصرت إنسانية الإنسان، وأفسدت عليه كيانه، فصار يعاني من أزمت روحية وفكرية وأخلاقية وبيئية وغيرها. وهذا أمر لا ينكره من أعمل أدنى تأمل في الحضارة المعاصرة ومنتجاتها المختلفة وآثارها على الإنسان والعمران والطبيعة.

لكن بمجرد أن تطرح عليهم أمر مراجعة هذه الحضارة ومساوماتها ونقد أسسها، ومسلّماتها، ورويتها الوجودية، ومناهجها المعرفية، فإن سيلاً من الاستكثار يواجهم؛ إما بحجة أنه ليس في الإسكان أبداع مما كان، وإما بحجة أن الكلام الذي نقوله كلام أيديولوجي ينطلق من دوافع أيديولوجية وليست دوافع علمية، وإما بحجة أن نقد الحضارة الغربية لا ينبغي أن ينطلق من وجهة نظر أيديولوجية أخرى بزعمهم، وإما بموقف مسبق مضاد لفكرة نقد الحضارة الغربية ذاتها، وغيرها من الاعتراضات. ولكن دعنا نتساءل عن الحضارة المعاصرة،

وعن الرؤية الكامنة التي أنتجتها، وعن مشروع الحداثة الغربية، ومفاهيم ومركزاته، ومقولاته في العقل والعلم والطبيعة والإنسان. هل هذه الحضارة وما يتعلق بها من قيم ومشروع ناتجة عشوائيا، أم أنها تنطلق من رؤية ما؟ وهل هذه الرؤية تتفق مع ما نجده راسخا في الإسلام من رؤية توحيدية، ومن قيم للحقيقة وللخير والمعرفة وللإنسان وللمجتمع والعمران؟! ولذلك فإن الحديث عن الحاجة إلى نقد إسلامي للعلم الحديث ليس حديثا أيديولوجيا، بل هو حديث معرفي عميق، ينظر إلى العلم في بنائه الكلي وفي خلفياته المؤسسة وفي ثمراته في الواقع. بل إن ما ينبغي التأكيد عليه أن هناك فرق بين العلم باعتباره منهجا لبناء المعرفة والوصول إلى الحقيقة، وبين العلموية (Scientism) التي هي رؤية كلية ينطلق منها العلم الحديث، ويحولها إلى أيديولوجيا ورؤية فلسفية للحقيقة، تنظر إلى العالم بطريقة تخالف ثوابت الإسلام وأسسها الدينية والفلسفية، كما تختزل العلم في حيز ضيق. إن هناك تعارضا جوهريا بين الرؤية الكونية الإسلامية وبين الرؤية العلموية؛ بمعنى أن النظر إلى العالم، والتصور عن العالم والكون والحياة والأصل والمصير كما - جاء بها الإسلام - تتعارض مع المفاهيم العلمانية والمادية والاختزالية للعالم الطبيعي التي صاغتها الرؤية التي تسمى بالرؤية «العلمية» للعالم، وهي في الحقيقة ليست علمية بأي معنى من المعاني ولكنها بناء أيديولوجي للعلم باعتبارها نظرة بديلة للنظرة الدينية، ولهذا

تعارض تماما ثوابت الإيمان بمبدأ الخلق، الذي هو مبدأ أساسي ثابت في تفسير الحياة على الأرض. لذلك ليس من الممكن التوفيق بين الافتراضات الفلسفية للعلموية الحديثة مع النظرة الدينية للكون التي يضع القرآن والسنة أسسها وتعرّفها التقاليد العلمية الإسلامية. فهما رؤيتان ومنظوران لا يمثلان مجالين منفصلين فحسب؛ أي الدين والعلموية، بل يمثلان طريقتين مختلفتين للنظر إلى الواقع والكون، مع مقدمات مختلفة جذريا، بل غالبا ما تكون متعارضة. إن الرؤية الكونية أو التصور عن العالم الذي ينتج تنتج من كلا الرئيّتين لها نتائج عميقة وبعيدة الأثر على مفهوم العلم، والنظريات المتعلقة به، والممارسة العلمية ذاتها في أي حضارة من الحضارات. ولهذا فإننا في الوقت الذي نجد كثيرا من أبناء المسلمين من المهندسين والتقنيين والمهندسين والتكنولوجيين الذين يركزون على التطبيقات العملية للعلم ويعتبرونها ضرورية لتقديم المجتمعات الإسلامية في القرن الحادي والعشرين، فإن فلاسفة العلم والمفكرين والنخبة التي استوعبت عمق الاختلاف بين الرؤية الكونية الإسلامية وبين الرؤية العلموية التي أثمرت العلم الحديث تنبه إلى ضرورة انتقاد الأسس الفلسفية والأيديولوجية للعلموية ويسعون إلى فلسفة علوم بديلة لفلسفة العلوم الحديثة.

* مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعية والإنسانية/ جامعة قطر

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - رحمه الله - (1849-1905)



د. محمد عبد الحسني*

رائد الإصلاح والنهضة في مصر والعالم العربي والإسلامي في العصر الحديث، المفكر المجدد، والمفتي المجتهد، والمرشد، والمصلح الموجه، الأستاذ الإمام الشيخ محمد بن عبده بن حسن خير الله رحمه الله. قرأت ما تركه من مؤلفات ومما جُمع له من مقالات، كما قرأت الكثير مما كتب عنه من مؤلفات وبحوث ودراسات. أول ما قرأت له وأنا طالب في المرحلة الثانوية، كتاب «تفسير القرآن الكريم: جزء عم»، الذي وجدته في إحدى المكتبات في مدينة باتنة، فاشتريته وعكفت على قراءته، وهو تفسير مدرسي مبسط، اعتنى فيه بشرح الألفاظ والمعاني، مع العناية بالربط بين الآيات وذكر أسباب النزول إن وجدت، والتقديم لكل سورة بمقدمة موجزة تحدد موضوعها العام. وفي المرحلة الجامعية قرأت كتابه «الإسلام والنسائية» الجمل، مع العناية بالربط بين الآيات التي نشرتها المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة 1988، وهو رد مفصّل على أحد الكتاب المسيحيين الذي قال: «إن المسيحية كانت أكثر تسامحا مع العلم من الإسلام، وإن الإسلام أكثر تضامنا للعلم والفلسفة من النصرانية»، حيث أثبت الإمام أن هذا الكلام مجرد افتراء لا أساس له من التاريخ ولا من الواقع، مؤكدا

رحمه الله كتابه «تفسير المنار». أما مقالاته فقد قرأت بعضها في كتاب العروة الوثقى الذي ألفه رفقة أستاذه الشيخ جمال الدين الأفغاني رحمه الله وجمعا فيه مقالاتهما المشتركة التي نشرها في مجلة «العروة الوثقى» لما كانا لاجئين في فرنسا. ثم وقفت بعد ذلك على أعماله الكاملة التي جمعها الأستاذ الدكتور محمد عمارة رحمه الله في خمسة مجلدات ضخمة، وهنا أذكر أنني عندما زرت جمهورية مصر العربية سنة 1999 وشهدت معرض القاهرة للكتاب، وقفت في جناح دار الشروق على هذه الأعمال، ولما رأى العارض اهتمامي بها ألح عليّ أن أشتري هذه الأعمال الكاملة وخضض لي السعر إلى أدنى حد، إلا أنني اعتذرت عن شرائها، ليس لغلاء ثمنها، ولكن لأنني كنت قد اشتريت قبل ذلك كتباً كثيرة ولم يعد بإمكانني أن أزيد عليها، لصعوبة حملها أولا ولغلاء تكلفة الوزن الزائد في المطار، فتركتها أسفا عليها. وقد أتبع لي بعد ذلك أن أفق عليها وأن أقرأ الكثير مما جاء فيها من مقالات وأبحاث، وهي متنوعة وكثيرة، بين مقالات سياسية، ومقالات مختلفة، وكلمات موجزة في مناسبات متعددة، وكتابات اجتماعية، وفتاوى فقهية، ومقدمات لكتب، وكتابات في الإصلاح الفكري والتربوي، ومقالات في تفسير القرآن الكريم، وغير ذلك من أعمال. ليس هذا فقط ما قرأته للإمام محمد عبده، هناك أيضا مذكراته التي جمعها وقدم لها وعلق عليها الأستاذ طاهر الطنّاحي رحمه الله، والتي تحدث فيها عن سيرته ومواقفه وعلاقاته إلى غاية دخوله السجن ثم نفيه إلى بيروت بعد مشاركته في الثورة العربية (1882-1879) وفشل هذه الثورة.

يُضاف إلى ذلك كله «تاريخ الأستاذ الإمام محمد

عبده» الذي جمعه تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا ونشره في مجلدين كبيرين، حيث ضمن الجزء الأول منه كل ما يتعلق بسيرة شيخه وأعماله العلمية والإصلاحية، وأدرج ضمن الجزء الثاني الكثير من مقالاته ورسائله. وللإمام محمد عبده مؤلفات أخرى هي عبارة عن شروح على كتب قديمة، منها «شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه»، و«حاشية على شرح الدواني للعقائد الصديقية»، و«شرح مقالات بديع الزمان الهمداني»، و«شرح دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني». أما ما كتب عن الإمام محمد عبده رحمه الله، فهو كثير جدا، ومتنوع بين كتب ورسائل جامعية وبحوث علمية ومقالات فكرية، بعض هذه الأعمال التي كتبت عنه مدّخ الإمام وجعله في طليعة المصلحين الكبار والمجددين الرواد، وبعضها كالله التهم ونسب إليه كل سوء، والقليل منها توسط فأبرز ما له وما عليه. ولعل من أفضل ما كتب عنه: كتاب الأستاذ عباس محمود العقاد «عقري الإصلاح والتعليم: الإمام محمد عبده»، وكتاب الأستاذ أحمد الشايب «الشيخ محمد عبده»، وكتاب الدكتور عثمان أمين «رائد الفكر المصري الإمام محمد عبده»، وكتاب الدكتور محمد عبده «عمره - المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده»، و«الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين»، وغيرها. إن قراءة آثار الإمام محمد عبده رحمه الله، شأنها أن تعرف القارئ بمكانة هذا الرجل وحقيقة ما يُنسب إليه من آراء، وطبيعة المواقف التي وقفها في حياته، والآثار التي تركها بعد وفاته. إضافة إلى ما يستفد منه من رصيد لغوي وعلمي وثقافي.



د. بدران بن الحسن*

الإسلام والعقلانية

في مقالنا السابق ذكرنا أن الرؤية التي توجه العلم الحديث هي العلمية، وهي أيديولوجيا مادية وضعية تدعي العلمية، ولكن ليس بالضرورة أنها علمية، ففيها من الدعاوى الفلسفية والقيمة الكثير. ولذلك فإن المثقف المسلم يجد نفسه في موقع نقدي لها، في الوقت الذي يسعى للاستفادة من العلم وتبينته فإنه يواجه الخلفيات الفلسفية والمقولات الأيديولوجية للعلم الحديث بما يخالف المنطق العلمي وحقيقة العلم موضوعاً ومنهجاً.

وقد تبنى العلم الحديث مقولة العقلانية، وحملها شعاراً، إلى جانب التجريبية (الأمبريقية)، وكان الإنسان كما يقول هيجل «استعاد ثقته بنفسه وفكره بما هو فكره، كما استعاد الثقة في الطبيعة الحسية الخارجية عنه وفي نفسه، ووجد الأهمية كلها والمتعة في اكتشاف الفنون والطبيعة، بإرادته وقدرته على إنجاز مراداته، كما أصبح هو يجد غاية المتعة في أرضه وترثته وإنشغالاته، وذلك لأنها كانت تشهد على حضور الحق والفهم فيها» (محمد الشيخ، 2007، ص 71). وفي سياق هذا التصور، صير العالم الحديث طبيعته عالم غير ديني، لأن الفكر الديني -المسيحي طبعاً- كان لا يتيح للإنسان ذلك.

ولكن بمنطق المركزية الغربية التي ترى أن الحضارة الغربية مركز العالم، فإن الموقف من

التاريخ الديني المسيحي يجب تعميمه على بقية الأديان، دون حاجة إلى فرق في مفهوم الدين ذاته، ولا الفرق بين التجربة الدينية المسيحية والتجربة الدينية للحضارات الأخرى، ولا موقف الدين من العقل والعلم في سياقات حضارية أخرى، بمنطق إمبريالي يعمم الخاص الغربي على العالم دون حرج، وهذا ما جعلنا نسميها برؤية علموية لا علمية.

وفي هذا السياق أيضاً، انبرى بعض فلاسفة الغرب على رسم الإسلام بأنه دين غير عقلاني، معتمدين في ذلك على إرث الحروب الصليبية من جهة، وعلى مقولات الاستشراق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من جهة ثانية، وعلى عقدة التفوق الغربية من جهة ثالثة، وعلى أيديولوجيا الفتح العلموي التي ظهرت في أوروبا وحولت العلم من منهج للبحث عن الحقيقة وبناء المعرفة إلى أيديولوجيا استبدادية لأي حضور ديني، وإقصائية لأي بعد ميتافيزيقي/غيبوي من جهة رابعة، وعلى النيات تفكيك الثوابت التي اعتمدها التوسع الاستعماري الأوروبي الحديث لكسر جدر الحماية الروحية والمادية للعالم الإسلامي من جهة خامسة.

ولهذا نجد أرنست رينان مثلاً، وهو فيلسوف ومستشرق فرنسي يقوم بحملة كبيرة على الإسلام منهجا إياه بأنه دين غير عقلاني. ففي محاضرة في جامعة السوربون عام 1883 ونشرت في كتاب بعنوان الإسلام والعلم (L'Islam et la science) اتهم رينان الإسلام بأنه بطبيعته غير عقلاني، وغير متسامح، وغير قادر بشكل

أساسي على إنتاج العلم والفلسفة. وأن الإسلام منع تطور العلم والتفكير الحر المستقل عن كل المفاهيم الميتافيزيقية والدينية. ولم يكن الهجوم العنصري لرينان دعوة لإجراء حوار حول الدين والعلم أو حول الإسلام وأوروبا، بل كان حكماً استعلائياً غير مبني على حقائق التاريخ ولا على نصوص الإسلام المرجعية (الكتاب والسنة)، مما ولد ردود فعل كثير من علماء المسلمين في وقته، ولعل من بينهم جمال الدين الأفغاني، ونامق كمال التركي. مع العلم أن نص رينان كان يفيض حقداً على العرب بخاصة، وتحيزاً ضدهم، ذلك أنه رأى أن العقل العربي غير قادر على التفلسف خلاف العقل الإسرائيلي، مع أن رينان نفسه يعلم أن العقل الإسرائيلي الذي أشار إليه كان عالمة على عقل ابن رشد والكندي وابن خلدون وابن حزم وغيرهم. ولكن خطاب العقلانية الغربي برغم شعار العقلانية الحالم، كان خطاباً لا علاقة له بالعقلانية لا في دلائلها العربية الإسلامية ولا في دلائلها الحديثة، بقدر ما كان خطاباً أيديولوجياً يعلن الانتصار النهائي للمركزية الأوروبية ونظرتها العلموية الجديدة إلى العالم الإسلامي وبقية العالم.

إن إشارتنا لهيجل ورينان أعلاه في سياق تبشيرهما بالعقلانية، وتجاوز الموروث الديني، يجعلنا نتساءل عن مضمون العقلانية التي يدعو إليها الغرب الحديث، كما يدعونا للتساؤل عن الأسس التي بنى عليها كلاهما موقفهما من الإسلام ومن العلم!!

*مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعية والإسلامية/ جامعة قطر

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله (1852-1920)

الحديث»، الذي نشرته دار القلم في دمشق سنة 2001م في سلسلة «علماء ومفكرون معاصرون»، وقد عرض فيه سيرة الشيخ طاهر، حيث تحدث عن حياته الخاصة وتكوينه العلمي، ثم عن حياته العامة ودوره العلمي والاجتماعي، وعرف بما تضمنته مؤلفاته ورسائله، وأبرز رؤيته الإصلاحية والدور الذي أداه في مجتمعه.

كما قرأت الكثير من البحوث والمقالات التي كتبت عن الشيخ في المجالات العلمية والثقافية، وأفضلها ما كتبه علماء الشام المعاصرون، من أمثال الدكتور عدنان الخطيب، والدكتور شكري فيصل، والدكتور شاكر الفحام، والدكتور مازن المبارك، والدكتور هاني المبارك، والدكتور نزار أباطة.

وهناك كتاب مهم لم أتمكن من الوقوف عليه وإنما قرأت عرضاً له فقط، وهو كتاب «الشيخ طاهر الجزائري: رائد النهضة العلمية في بلاد الشام وأعلام من خريجي مدرسته»، للدكتور عدنان الخطيب.

إن التراث الفكري للشيخ طاهر الجزائري رحمه الله، تراث زاهر وغني ومتنوع، وما زال الفكر منه مجهولاً لدى الباحثين وطلالهم، والعالم الإسلامي، وفي الجزائر بصفة خاصة، وما حظي منه بالاهتمام هو أقل القليل من آثاره ومؤلفاته. كما أن الدراسات الأكاديمية والمؤلفات العلمية عنه تعتبر قليلة جداً إذا ما قورنت إلى تراثه الحافل، وكذلك إذا ما قورنت إلى ما كتب عن غيره من العلماء والمفكرين والمصلحين. ولذلك فإني أدعو الطلبة إلى الإقبال على تراث الرجل للتعرف مما فيه من فوائد علمية غزيرة ونافعة، وأدعو الباحثين إلى التوجه إلى هذا التراث بالدراسة والبحث والكشف عما ينطوي عليه من إبداع وتجديد.

*جامعة باتنة

من دلالات ومعان، وعقد مقارنات بين مناهج علماء اللغة في ترتيب المعاجم المختلفة. ومما نشر له في السنوات الأخيرة، كتاب «تذكرة طاهر الجزائري»، الذي أصدرته دار ابن حزم في بيروت سنة 2012 في مجلدين، بتحقيق الأستاذ محمد خير رمضان يوسف، وهو عبارة عن كناس جامع لفوائد علمية وأدبية مختلفة جمعها الشيخ من كتب مختلفة مخطوطة ومطبوعة خلال قراءاته ومطالعته. وللشيخ مؤلفات أخرى كثيرة ما تزال مخطوطة أو طبعبت طبعات قديمة لم تعد نسخها متوفرة.

أما ما كتب عنه، فمما قرأته كتاب «تتوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر» لتلميذه محمد سعيد الباني، الذي ألفه ونشره مباشرة بعد وفاة الشيخ سنة 1920، وقد تناول فيه بتفصيل واف حياة الشيخ وأعماله وصفاته ومآثره العلمية والعملية، حيث أبرز جهوده في إصلاح المدارس والكتاتيب، وعنايته بجمع الكتب، وحرصه على إحياء التاريخ الإسلامي، ودعوته إلى الأخلاق والتربية، وإسهاماته في الصحافة، وأسلوبه في التعليم والإرشاد، ومواقفه من فئات المجتمع المختلفة، كما تحدث عن هجرته إلى مصر وأعماله فيها، وكذا مؤلفاته في مختلف أطوار حياته.

وقرأت أيضاً ما كتبه تلميذه الأستاذ محمد كدر على رحمه الله في كتابه «المعاصرون»، فقد تحدث عنه حديث العارف الخبير بأحواله وأعماله ومختلف مراحل حياته وصفاته ومواقفه وأخلاقه وعاداته في حياته ومؤلفاته. وكذلك ما كتبه في كتابه الأخير «كنوز الأجداد» الذي خصص الخمسين صفحة الأولى منه للحديث المتصل عن شيوخه طاهر الجزائري، حديث العارف بشؤونه والعلم بأحواله وأطوار حياته. وقرأت كذلك كتاب «الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر

كما طلعت على كتابه «التيان لبعض مباحث علوم القرآن على طريق الإتيان»، الذي حققه الشيخ أبو غدة أيضاً ونشره مكتب المطبوعات الإسلامية في حلب، وهو في الأصل عبارة عن مقدمة كتبها لتكون تمهيداً لكتابه الكبير في «تفسير القرآن الكريم» الذي ما يزال مخطوطاً، وقد جاءت هذه المقدمة جامعة لمباحث علوم القرآن بأسلوب مبسط ومقتن، حيث استفاد فيها مما كتبه السابقون ولخصه تلخيصاً وافياً وأضاف عليه المزيد من التحقيق والتدقيق والتنوير.

وقرأت أيضاً كتابه الموجز «الجوهرة في قواعد العقائد»، الذي نشرته دار القلم في دمشق سنة 2000م بعنوان الأستاذ حسن السماحي سويدان، وهو غير كتاب «الجواهر الكلامية» وقد عرض في مقدمته رحلة العقل إلى رحاب الإيمان بالله تعالى، ووسائل المعرفة وقواعدها، وخصص الباب الأول للحديث عن النبوة وما يتعلق بها، وتناول في الباب الثاني عدة قضايا أخرى متعلقة بالعقيدة الإسلامية، وختم الكتاب بخاتمة ضمنها جملة من الفوائد التي لا يستغني المسلم عن معرفتها.

وقرأت كذلك كتابه «أشهر الأمثال»، الذي جمع فيه الأمثال العربية المتداولة على الألسنة، ورتبها ترتيباً بحسب أوائلها، وشرحها شرحاً موجزاً، حيث يرد المثل إلى مصدره وبين المناسبة التي قيل فيها أو القائل، ثم يذكر معناه. وفي نهاية الكتاب عقد خاتمة ضمنها «فوائد شتى تتعلق بالأمثال» وضرب لكل فائدة عدة أمثلة.

ومن ذلك أيضاً كتابه «الكافي في اللغة»، الذي نشرته دار ابن حزم في بيروت، سنة 2007م، بتحقيق الأستاذ أبو بكر بلقاسم صيف الجزائري، وقد ضمنه مباحث في فقه اللغة العربية، مثل أصول اللغة ونشأتها وقواعد صرفها من اشتقاق وأبناء وأوزان وما يتصل بها



أ. د. ميسود فوسلي*

رائد الإصلاح والتجديد والنهضة في بلاد الشام أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، المعلم والمربي، واللغوي والأديب، والمصلح المجدد، الجزائري أصلاً والدمشقي مولداً ومنشأً ووفاء، العلامة الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الغوليسي الجزائري رحمه الله.

سمعت عنه وأنا تلميذ في المرحلة الثانوية، لكنني لم أطلع على بعض مؤلفاته إلا وأنا طالب في السنة الأخيرة من المرحلة الجامعية، لأن مؤلفاته المطبوعة وهي قليلة لم تنتشر في المكتبات الجزائرية إلا في عقد التسعينيات من القرن الماضي، وكان أول ما قرأت له، كتابه الموجز المبسط «الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية»، الذي اعتنى به الأستاذ محمد الصالح الصديق حفظه الله، ونشره ديوان المطبوعات الجامعية في الجزائر سنة 1990، وهو كتاب يعرض مبادئ العقيدة الإسلامية بإيجال وبسيط بطريقة السؤال والجواب، فهو كتاب تعليمي مدرسي.

بعد ذلك أتيت لي أن أقرأ بعض مؤلفاته الأخرى، ومنها: «توجيه النظر إلى أصول أهل الأثر»، الذي حققه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله ونشره مكتب المطبوعات الإسلامية في حلب سنة 1995م، وهو في مجلدين، وقد بحث فيه بتفصيل وتحقيق وتدقيق مسائل علوم الحديث ومصطلحه بطريقة مبتكرة.



د. بeldan بن الحسين*

أهمية ملكة العقل

ذكرنا في أحد المقالات السابقة حاجتنا إلى القرآن لضبط

الصلة بين الدين والعلم؛ أي البحث في التكامل أو التداخل أو التناقض أو التضاد بين الدين والعلم. وكان المقصود بالدين هو الإسلام أساساً، باعتباره أن الإسلام هو الدين الحق، وفي قمة هرم الأديان، ثم تأتي الأديان الأخرى بعده من حيث تضمنها لعناصر الحقيقة إلى أن تصل إلى مثل ونحل وأيديولوجيات وأساطير آمن بها كثير من الناس، ليس فيها من «أساس للتقديس» كما يقول الفخر الرازي إلا التقليد والانحراف عن الفطرة وعن هداية الأنبياء.

ولعل ما يجعل الحديث عن صلة الدين بالعلم مهمة، هو موقع العقل فيهما، ودوره في المعرفة ومصادرها ومناهجها وقضاياها ونتائجها. ولعل الناظر في القرآن يجد -خلاف ما يشاع في الأدبيات الاستشراقية أو التي وقعت في القابلية لجلد الذات- أن القرآن أولى عناية كبيرة للعقل، ووضع فيه نكتة كبيرة لتمييز الحق من الباطل، ولتأسيس الدين، والعلم، والعمران.

ولكن الملفت للنظر أن القرآن ذكر العقل باعتباره ملكة؛ أي صفة وميزة تميز بها الإنسان، أو وظائف تقوم بها القوى الإدراكية في الإنسان، وليس ذاتاً أو ماهية أو جوهرها، كما يقول الفلاسفة. بمعنى أن القرآن ذكر وظائف متعددة تعبر عن

العقل، ولكن نجد القرآن أيضاً يمدح الذين يعقلون ويذم الذين لا يعقلون، وذلك في سياق دعوة القرآن للإنسان ليستعمل هذه القوى الإدراكية متكاملة ليعقل بها، ويدرك عالم الغيب وعالم الشهادة، ليصل الإنسان إلى بناء صلة صحيحة بالله تعالى وبالإنسان وبالكون، محققاً العبادة على وجهها الذي لأجله تم تكليف الإنسان بتحقيق الاستخلاف.

فانظر إلى الآيات التالية لترى كيف يؤسس القرآن للثقة في العقل، هذه الملكة العظيمة؛ سواء الفطرية منها أم المكتسبة، التي بها يستطيع الإنسان أن يكون إنساناً، ويحقق رسالته في الوجود. بل عن الهداية، والأيمان، والضلال، والاستقامة، والانحراف، والنجاة من النار والفوز بالجنة، وتحقيق العدل والخير، وتحقيق الفهم، وحصول العلم، والتزام الأخلاق الكريمة أو الانحدار عنها، كلها مرتبطة بهذه الملكة العظيمة التي زود بها الإنسان، فكرة واكتساباً.

كقوله تعالى في سبب جعل القرآن بلسان عربي «إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» (الزخرف، 3)، وفي دعوته للتأمل في آيات الكون «وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون» (النحل، 12)، وفي

مسؤولية بعض من اعرض عن الإيمان وحرف الوحي «يسمعون كلام الله ثم يحرقونه من بعد ما عقلوه» (البقرة، 75)، وفي ضرب الأمثال من أجل أن يتم تعقلها «ولك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» (العنكبوت، 43)، وفي

مساءلة الذين ينقضون بين قولهم وفعلهم «إنا نمرؤن الناس بالبر ونسنون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون» (البقرة، 44)، وفي اعتراف أهل النار بأنهم لم يستعملوا قواهم الإدراكية في التعقل «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير» (الملك، 10)، وفي ذم من يعبد غير الله «ويعبد الله» (الأنبياء، 67).

وكذلك فإن القرآن يسأل المقلدين الذين يتبعون الموروث دون تمحيصه ودون تمييز الهداية من الضلال فيه لأنهم لم يستعملوا عقولهم «وإذا قيل لهم أتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما أفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون» (البقرة، 170)، وفي نفي العقل عن من لم يهتد «ولم يعب ما جاء به الوحي» (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون» (يونس، 100)، كما أن تخييب العال يودي إلى التفريق والتشتت «لا يقلونكم جميعاً إلا في فرى مخصصة أو من وراء حبر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون» (الحشر، 14).

ليس هذا فحسب، بل إن الذي يستخدم ملكة العقل سيحقق الفوز في الدار الآخرة، لأنه باستخدام عقله سيردك الفرق الكبير بين السدار الآخرة والدار الدنيا، «ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون» (يوسف، 109). بل عن التفكير في الكون وفي الموجودات واستعمال وظائف هذه الملكة العقلية كما قال تعالى «إن في خلق

المبانيات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأجيا به الأرض بحد موتها ونبت فيها من كل نبات وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون» (البقرة، 164)، فإن ذلك يؤدي إدراك الحقائق، ومعرفة الظواهر وما تنطوي عليه من حقائق باطنة وكامنة فيها.

ولهذا دعا القرآن الإنسان إلى التعقل وأعمال العقل، والتخلي عن التقليد، والغفلة، والجمود، ومتابعة السائد، حتى لا يصير مثل الدواب، قال تعالى: «إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون» (الأنفال، 22)، بل إن عدم استخدام القوى الإدراكية التي زود الله الإنسان بها ستقوده إلى الخسران المبين، «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير» (الملك، 10).

إن هذه الآيات وغيرها كثير في كتاب الله، تدلنا على أهمية ملكة العقل، وضرورة إعمالها، والثقة فيها، لأنها مناط التكليف، ولأن إعمال العقل فريضة والتفكير فريضة كما يقول الأستاذ عباس محمود العقاد. كما أن النظر في الثورة المعرفية التي أنتجها القرآن والسنة في تاريخ امتنا والأولوية الكبرى التي أولاها العلماء للعقل في مختلف العلوم تجعل من العقل ملك المواهب وملك القوى التي احتقي بها الإسلام وأولاه عناية عظيمة وشغ على من يعطلها.

*مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعية والإنسانية/ جامعة قطر

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم

الشيخ أبويعلى الزواوي رحمه الله (1862-1952)

قليلة جداً أيضاً، أما الملكيات، فقد نظم حول حياته وأعماله ملقى واحد، في مدينة أرفون بولاية تيزي وزو يومي 17 و 18 جويلية 2005، أشرفت عليه وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وقدمت فيه عدة مداخلات، نشرتها الوزارة في كتاب صغير (96 صفحة) بعنوان «أعمال ملقى أبي يعلى الزواوي المصلح الاجتماعي والتربوي»، وهي لا تفي بحق الرجل وأعماله وأثاره.

لقد قرأت مؤلفات الرجل وهي صغيرة وموجزة، وليست بالمؤلفات الكبيرة أو الضخمة، لكنها تنطوي على علم راسخ غزير وثقافة شرعية واجتماعية وتاريخية متينة، ويغلب عليها الطابع الإصلاحية التوجيهية التربوي. كما قرأت العديد من مقالاته التي تكشف عن فارس همام ومصالح مقدم عاش عصره وسجل حضوره وأدى دوره في واقع مجتمعه وحياته أمته، ففي هذه المقالات نجد النقد والتوجيه، كما نجد الجدول والحوار والرودود العلمية والمناظرات الفكرية، ونقف على التحليل الاجتماعي والعرض التاريخي.

وإذا كان المثل يقول «ليس من رأى كمن سمع»، فإن وصفي لمؤلفات الشيخ أبي يعلى الزواوي ومقالاته لا يعني القارئ عن التوجه إليها والانكباب على قراءتها ودراسة مضمونها والانتفاع بما فيها، من فقه وتفسير وحديث وتاريخ وتحليل للواقع وغيرها من جوانب التراث العلمي والفكري الزاخر لأبي يعلى رحمه الله.

*جامعة باتنة

– حياته وأثاره»، وقد قام بجمعها وإعدادها الأستاذان عبد الرحمن دويب ومحمد الأمين فضيل، وقدمتا لها بمقدمة ضافية عن حياة الشيخ وأعماله.

وقد ذكرت في ترجمته كتب ورسائل أخرى لم تنشر وما زالت في حكم المفقودة لم تصل إليها أيدي الباحثين إلى اليوم، ومنها: تعدد الزوجات في الإسلام، مرآة المرأة المسلمة، ذبايح أهل الكتاب، الفرق بين المشاركة والمغاربة في اللغة العامية وغيرها من الفروق، الخلافة قرشية، الكلام في علم الكلام، الغنى والفقر، أسلوب الحكيم في التعليم، النصوص التي ردها كفر صراح بإجماع المسلمين.

أما ما كتب عنه من دراسات فهو قليل جداً، إذا ما قورن إلى قيمة الرجل ومكانته العلمية، نذكر هنا الرسالة التي أعدها الأستاذ محمد أرزي فراك ونال بها درجة الماجستير من جامعة الجزائر سنة 2007، ونشرتها دار الأمل في تيزي وزو بعنوان «الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي»، سنة 2009. والرسالة التي أعدها الباحث أبو بكر صديقي تحت إشرافي ونال بها شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية من كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة سنة 2017، بعنوان «الشيخ أبو يعلى الزواوي وجهوده في الفقه والأصول»، وهي في أكثر من 500 صفحة. حتى المقالات العلمية عنه لا تكاد تذكر، فإذا ما بحثنا عما كتب عنه في البوابة الجزائرية للمجلات العلمية لا نقف سوى على مقالين اثنين لا غير. وكذلك المقالات الصحفية هي

دراسة تراثه وكتابة بعض الدراسات عنه، إلا أن هذا الاهتمام ما زال ضعيفاً جداً.

قرأت اسم هذا العالم أول مرة في مقال للدكتور أبو القاسم سعد الله رحمه الله نشره في مجلة الثقافة الجزائرية، العدد المزدوج: 74-73، ربيع الأول - جمادى الثانية 1403هـ/ يناير - أبريل 1983م، الصفحات: 34-15، بعنوان: (مشروع كتاب «تاريخ زواوة» لأبي يعلى الزواوي)، وقد ضم هذا المقال بعد ذلك إلى كتابه «أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر»، الجزء 2، الصفحات: 145-167.

ولم يتح لي بعد ذلك أن أقرا شيئاً من تراث الرجل أو ما كتب عنه إلا في السنوات الأخيرة حين اهتمت بعض دور النشر بطباعة مؤلفاته، حيث طبعت وزارة الثقافة كتابه «تاريخ الزواوة»، بعناية الأستاذ سهيل الخالدي رحمه الله (2005). ثم قامت منشورات البحر في الجزائر العاصمة بطباعة ثلاثة من مؤلفاته، وهي: جماعة المسلمين (2006)، خطب الزواوي (2007)، الإسلام الصحيح (2008). وقام الأستاذ أحمد الرفاعي شرفي رحمه الله بجمع مقالاته المنشورة في مجلة الشهاب وجرائد الجمعية ورتبها في كتاب أصدرته دار الهدى في عين مليلة سنة 2011 وهو يمثل المجلد الرابع من سلسلة «مقالات وآراء علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»، وفيه مقدمة تحليلية هامة. كما قامت دار زمرة في الجزائر سنة 2013، بنشر بعض مؤلفاته ورسائله وعدد كبير من مقالاته في أربعة مجلدات تحت عنوان «الشيخ أبو يعلى الزواوي



أ.د. / محمد سعدوي*

شيخ الشباب وشاب الشيوخ، الخطيب الشهير في جامع سيدي رمضان بالجزائر العاصمة، والفقيه المفتي، والكاتب الصحفي، أكبر مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنا، ورئيس لجنة الفتوى ورئيس لجنة العمل الدائمة فيها، أبو يعلى الزواوي السعيد بن محمد الشريف رحمه الله، عاش تسعين عاما زاهرة بالتقلبات وعامرة بجلائل الأعمال.

كان هذا العالم الفذ وما زال مجهولاً لدى أهل وطنه، سواء كانوا من عامة الناس أو من طلاب العلم، فلا تكاد تجد إلا القليل ممن سمع باسمه أو عرف شيئاً عن سيرته وعلمه ومؤلفاته. ولعل السبب في ذلك غياب مؤلفاته عن المكتبات العامة والخاصة وعدم اهتمام المؤسسات الرسمية ودور النشر الخاصة بنشرها وتوزيعها وتوفيرها لمن يرغب في الاطلاع عليها والانتفاع بها، وكذا ضعف اهتمام الباحثين بدراسة آثار علماء الجزائر عموماً، ودراسة تراث أبي يعلى والكشف عن الجوانب المختلفة منه خصوصاً، وهو تراث ثري وغني ومتنوع الجوانب.

وقد بدأ بعض الباحثين في السنوات الأخيرة



د. بلال بن الحسين*

سعة الوجود ومحدودية الوجدان

إن القارئ للقرآن الكريم وهو يحدثنا عن الوجود، يقف منذهشاً أمام سعة الوجود وامتداده في عالمي الغيب والشهادة، حتى أن الإنسان ليوقف متسائلاً عن إمكان معرفته للوجود، والموجودات، ومراتب الوجود، وعن قوى الإنسان الإدراكية التي يدرك بها الوجود، وما هي الطرق التي نسلها لتحصيل ذلك.

ويجول في خاطره ذلك الجدل بين الفلاسفة والمتكلمين والعلماء والمفكرين؛ مؤمنين وغير مؤمنين، عن مصادر المعرفة، وعن الطريق الموصل للمعرفة، أهو النقل أم العقل، أهو الوحي أم العقل أم الحس، كما يثار في ذهنه مسألة مدى قدرة العقل الإنساني على إدراك الوجود منفرداً.

ولعل هذه التساؤلات تجعلنا نتساءل عن الوجود في امتداده بين الغيب والشهادة، وفي مراتبه، لنصل إلى الأخير إلى حقيقة أن كل قوى الإنسان الإدراكية ينبغي أن تتناظر جميعها، ومستعملة الطرق كلها، سعياً لإدراك الوجود في سعة، وبالرغم من ذلك تبقى معرفة الإنسان به محدودة ونسبية وغير مكتملة، «وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» (سورة الإسراء: 85).

ولعل أدنى تأمل في عالم الشهادة يجعل الإنسان يدرك أن موجودات عالم الشهادة المادية والمعنوية لا تترك كلها بطريق واحد،

ولا تدرك كلها جملة واحدة، ولا يدركها كل الناس على درجة واحدة من الإدراك الموصل للعلم، بل هناك تفاوت، بيننا في إدراكها. فهناك ما يدركه الإنسان بحسسه وفطرته، وهناك ما يدركه ضرورة كما يقول العلماء بحيث لا يحتاج معه الإنسان إلى إثبات؛ كإدراك الإنسان ذاته مثلاً. وهناك ما يدركه الإنسان باستعمال حواسه سمعاً وبصراً وشماً ولمساً، وهذا في العادة للظواهر العادية المعتادة في العالم الخارجي، وهناك ما يدركه الإنسان بفكره وتأمله وإعمال عقله، وخاصة في الموجودات المعنوية أو المجرد، كالمفاهيم الكلية والمبادئ والقيم، من خلال تعييناتها الجزئية في الواقع الحسي أو إدراك صورها المجردة عقلاً مستقلاً عن التجسد الحسي. وهناك ما يدركه الإنسان بالأخبار الموثوقة إما متواترة أو أحاداً. وهناك ما يدركه الإنسان بقلبه أو فؤاده من المشاعر والأحاسيس والحقائق التي لا يمكن للعقل أو الحس أن يدركها، ولكن القلب يعيها بما لا يمكن رده. وهناك ما لا يمكن إدراكه بالطريق واحد فقط، بل تتناظر كل الطرق على التعاون في وعيه وتحصيل المعرفة به. ولهذا نجد في القرآن ذكراً وتبييناً لهذه الطرق في معرفة الحقيقة، وإدراك الوجود والموجودات. فذكر السمع والبصر والفؤاد في قوله تعالى: «وَلَا تُفِيهِمْ إِلَّا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْنُونًا» (سورة الإسراء: 36)، وقوله تعالى: «قُلْمْ يَسِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (سورة الحج: 46)، وذكر الفكر في قوله تعالى: «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» (سورة آل عمران: 191)، وذكر القرآن الكريم ظواهر كونية وطبيعية تقع تحت حس الإنسان ويلاحظها ويعلمها بادوات العلم، فقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ» (سورة فاطر: 28-27).

إن الآيات التي ذكرناها، تمثل عينة من آيات كثيرة في القرآن الكريم تدلنا على أدوات الإدراك وطرق المعرفة بالحقائق، من حواس، وحس، وإعمال العقل، والمقاييس، والمقارنة، وتبني القلب، وغيرها حتى يصل الإنسان إلى الحقيقة، في عالم الشهادة، ولكن مع عدم الوقوف عند ظاهر الظواهر، بل العبور إلى بواطنها، وإدراك حقائقها، وربط الشهادة بعالم أوسع، وأشمل، يدل عليه عالم الشهادة، وهو عالم الغيب الفسيح، الذي تتركه الحواس منفردة معزولة عن القلب والفؤاد، ولا مفصولة عن تبير الكليات العقلية. كما أن عالم الغيب الفسيح هذا لا ينفذ العقل

بكلياته إليه إذا وقف معزولاً عن القلب والفؤاد، وخاضها للتجريد من الحواس، غير عابر منها إلى عالم الغيب الفسيح الذي لا يستطيع العقل إدراك كنهه لوحده منفرداً مجرداً عن تأييد قوى إدراكية أحكم وأوسع وانفذ إلى عالم الغيب. ولهذا كان الوحي الطريق إلى إدراك كنه عالم الغيب بتفاصيله، خبراً صادقاً يبلغه الأنبياء، الذين يدرك العقل والحس والقلب والحواس صدقهم، وعصمتهم من التبليغ خطأ، وقدرتهم على الإخبار بالغيب، تكليفاً من الله تعالى، بدلائل من عالم الشهادة، تقوم قوى الإنسان الإدراكية متضافرة على فحصها وإدراك صدقها من زيفها.

ولهذا فإن من لا يدرك هذا الوجود الفسيح بشموله؛ عالم الغيب والشهادة، فإن المشكلة في عدم وجدانه وليس في عدم الوجود ذاته، والمشكلة في محدودية إدراك علمه، وليس في سعة الوجود غيباً وشهادة. ولهذا يعلمنا القرآن الكريم طريقة الأنبياء في التثبت من معرفة الوجود، من خلال قصة سيدنا إبراهيم لما سأل الله أن يعلمه كيف يحيي الموتى، ليؤمنن قلبه. فقدم طمأنينة القلب للحقائق ليس دليلاً على عدم وجودها، ولكنه طريق للبحث والتساؤل والاكتشاف حتى يطمئن قلب الإنسان بمعرفة الحقائق، «وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا».

* مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعية والإنسانية/ جامعة قطر

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم

الأمير عبد القادر الجزائري (1808 - 1883)



أ.د. مسعود فلوسي*

ربكنا للمكارم كل قول

وخضنا أنحراً ولها زجال
إذا عنها تواني الغير عجزا

فتحت الراحلون لها العجال
هذه القصيدة دفعتني إلى البحث لمعرفة المزيد عن مختلف جوانب شخصية الأمير، فقصدت مكتبة الثانوية التي وجدت فيها طبعة قديمة من ديوانه الذي حققه وشرحه الدكتور ممدوح حقي، كما وفقت كذلك على طبعة قديمة أيضاً للكتاب الذي ألفه عنه ابنه محمد بعنوان «تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وتاريخ الجزائر» في جزئين.

في تلك المرحلة كان فرع المؤسسة الوطنية للكتاب الكائن مقره في مرات بن بوعويد بمدينة باتنة، يعرض مجموعة من الكتب التي أصدرتها المؤسسة عن الأمير، ومنها: «الأمير عبد القادر متصوفاً وشاعراً» لفؤاد صالح سيد، «المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر» لإسماعيل العربي، «الأمير عبد القادر ثقافته وأثره في أدبه» لمحمد السيد وزير، «حياة الأمير عبد القادر» لشارل هنري تشرشل ترجمة أبو القاسم سعد الله، «التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري» لأديب حرب. كما كان هناك كتاب «الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري» ليجي بوعزيز رحمه الله الذي يعتبر من أوائل ما صدر عن الأمير من مؤلفات ودراسات. وكتاب «الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر» لمحمد العربي الزيربي. وكتاب المؤلف السوري بسام السلي «الأمير عبد القادر» الذي أصدرته دار النفائس في بيروت سنة 1986 ضمن سلسلة «جهاد شعب الجزائر».

في تلك المرحلة كذلك اطلعت على العدد 75 من مجلة «الثقافة» والذي خصص كله لمقالات ودراسات حول الجوانب المختلفة من شخصية الأمير بمناسبة الذكرى المئوية لوفاته (1883-1883).

وكذا المؤلفات العديدة التي أصدرتها حفيدته الأميرة بدية، و«عصر الأمير عبد القادر» لناصر الدين سعيدوني، و«الأمير عبد القادر السياسي» و«الأمير عبد القادر الشاعر» و«الأمير عبد القادر المفكر»، و«الأمير عبد القادر العرفاني»، و«الأمير عبد القادر في بلاد المشرق» وكلها لسليمان عثرائي، والكتب المترجمة من اللغات الأخرى، ومنها: «الأمير عبد القادر» لبرونو إتيين ترجمة ميشيل الخوري، و«الأمير عبد القادر» ليوهان كارل بينت ترجمة أبو العيد دودو، و«شباب الأمير عبد القادر» لقدر محمدصاغي، ولعل آخر ما صدر عن كتاب «سيرة الأمير عبد القادر قائد ريان ومجاهد إسلامي»، وهو جزء من سلسلة «كفاح الشعب الجزائري للاحتلال الفرنسي» من تأليف الدكتور علي محمد الصلاحي. كما نظمت العديد من الملتقيات في مناطق عدة من الوطن عالجت جوانب مختلفة من شخصية الأمير وأعماله ومآثره، بعضها طبعت أعماله في كتب، ومنها الملتقيات التي نظمتها مؤسسة الأمير عبد القادر.

إن شخصية الأمير عبد القادر رحمه الله - شخصية ثرية ومتعددة الجوانب، فهو مجاهد وبطل وطني ورجل دولة وقائد سياسي وعسكري ومفكر وفيلسوف وشاعر وأديب ومتكلم ومتصوف، وهي شخصية تبقى محل إعجاب واهتمام وجدل بين الباحثين والدارسين والمؤرخين، وهذا دليل عظمة هذه الشخصية ورفعة مكانتها بين الشخصيات الذين سجلت أسماؤهم بأحرف من نور في سجل هذا الوطن وفي سجل الشخصيات العالمية الخالدة. والعظمة لا تعني العصمة أو السلامة من الأخطاء، وإنما تعني التأثير في العصر الذي يعيش فيه العظيم ويمتد إلى عصور تليه، وهذا ما تحقق للأمير عبد القادر رحمه الله - وهو موضع الأسوة والقوة في شخصيته.

* جامعة باتنة



د. بدران بن الحسن*

بناء القرآن للعقل العلمي

إن النظر الفاحص المتدبر لنصوص القرآن من قبل من يؤمن به أو من قبل من لا يؤمن به سواء، سيجد تناولاً مكثفاً للقراءة والعلم والتدبر والتفكير والتساؤل والنظر والسير والفقه، والتعقل... الخ، ودعوة إلى أعمال السمع والبصر والفؤاد.

كما أن المتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتصرفاته وسنته سيجد أنه أولى عناية كبيرة للقراءة والإقراء والكتابة والتدوين والتعلم والتفقه، سواء في شؤون البيت أو الجماعة أو المجتمع أو الدولة، وسواء أكان ذلك في الحرب أم السلم. بل يكاد النبي صلى الله عليه وسلم يحصر رسالته في التعليم والتعلم والعلم، كما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه «إنما بعثت معلماً»، وهو ما يؤكد القرآن الكريم لما ذكر الذين أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: «الأميين» أنه أرسل لهم من يخرجهم من الأمية إلى العلم «هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين» (سورة الجمعة: 2)، والآيات والأحاديث الدالة على مركزية العلم وعلى ذكر أدوات العلم كثيرة العدد تنوء بإحسانها العقول النبيهة.

بل إنك تجد كتب السنة تخصص في بداياتها باباً تعونه «باب العلم قبل العمل»

كما فعل البخاري في صحيحه، وغيره من أعلام السنة. والعمل كما هو معروف عند علماء المسلمين هو «عمل القلب والجوارح» كما جاء عن أكثر من واحد منهم.

ولعلنا نتساءل عن هذه الكثافة في ذكر العلم والمفردات المتعلقة به، في القرآن والسنة، وفي كتب العلم في حضارتنا الإسلامية؟ وهل هو تكثيف عشوائي - معاذ الله - أم تأسيس عميق للعقل العلمي الذي سيقوم عليه الدين والتدين، وتقوم عليه الجماعة المسلمة والأمة والحضارة المسلمة، مما يجعل الإسلام ينقل العقل الإنساني من وضع إلى وضع؛ من وضع كان فيه العقل والتعقل والعلم والتعلم دائرة ضيقة إلى وضع يتحول فيه «الاجتماع الإنساني والعمران البشري» كله إلى البناء العلمي والاعتماد على العلم؟

والحقيقة كما قال الدكتور عمر عبيد حسنة في تقديمه لكتاب «توطئ العلوم» للدكتور علي القرشي، أن بداية الوحي الخاتم إلى الإنسانية بكلمة (اقرأ)، هو اعتبار أن القراءة وتحصيل المعرفة والعلم والتعلم والتعليم هو مفتاح هذا الدين وإدراك قيمه ومعرفة أحكامه، وهو سبيل النهوض والارتقاء بالإنسان والعمران، وإن شئت فقل: الارتقاء بخصائص الإنسان، وتنمية قدراته، والارتقاء بأشياء الإنسان وتحسين ظروف وشروط حياته؛ فبالعلم والمعرفة تتم ولادة الإنسان الصالح بذاته، المصلح لمجتمعه ومحيطه (القرشي، ص 5).

ويضيف الدكتور حسنة أن التدبر والتأمل والتفكير والاستكشاف لأبعاد وآفاق قوله تعالى «رسولاً منهم» وقوله تعالى «لسان

قومه» سيكون له أثر عظيم في عملية التغيير والارتقاء: رسولاً من بينهم، من بينهم، من مجتمعهم، من لغتهم، من أنسابهم، من وطنهم وقومهم... إن هذه الاستحقاقات مجتمعة تشكل شروط نجاح تركية الإنسان وبناء المعرفة والتدين وتحقيق العمران. (القرشي، ص 6).

بعبارة أخرى فإن الإسلام جاء برسالة تبني العقل العلمي الذي يقوم على تأسيس التدين الصحيح، وبناء شخصية الإنسان الذي يتزكى ويحقق العمران. وأن هذه الأبعاد كلها مرتبطة ببعضها البعض، وأنهما مسؤولية الإنسان الذي يستمد من القرآن الكريم ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته الطريق الذي يبني به عقلاً علمياً، يتجاوز العقل الخرافي، والأسطوري، ويتجاوز التقليد البليد للماضي وللحاضر، كما يتجاوز الآبائية القائمة على غير أسس علمية تصمد أمام النقد.

إن الله تعالى الذي قال في كتابه «اقرأ وريك الأكرم» (سورة العلق: 3)، قد تكرم على الإنسان بأن زوده بالقرى الإدراكية وأدوات تحقيق المعرفة، وبمصادر متعددة لتحصيلها، تتناظر جميعاً ليؤسس الإنسان صلة علمية بالوحي ذاته، ويحقق التدين على علم، وينجز مشروعه الاستخلافي إعادة وعامة.

والعقل العلمي الذي يؤسس القرآن عقل لا يقبل التدين الخرافي، أو التدين المغشوش، ولا يقبل الأساطير منبعاً للتدين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يكون عقلاً ناقداً، فاحصاً، متسائلاً، متشككاً شكاً منهجياً، كما ذكره أبو حامد الغزالي في

كتابه «المنقذ من الضلال»، وهذا يجعلها مفتوحة على أي تجربة دون أن يذوب فيها ويقدها ويتلبس بها تلبساً أعمى، ودون انغلاق يستبعد الحكمة التي يقبلها عقله العلمي الذي أسسه الوحي.

ولعل هذا العقل العلمي الذي جاء القرآن لتأسيسه هو ما تحتاجه أمتنا الآن، لأنه عقل لا يقبل بمقولات التناقض أو التضاد بين الدين والعلم، كما أنه عقل ناقد للمضامين الاختزالية للعلم الحديث، تلك الاختزالية التي حصرت العلم في دائرة ضيقة من الطبيعيات والتقنيات مستبعدة مجالات العلوم الشرعية والاجتماعية والإنسانية، أو واضحة لها وصمة الفنون غير القابلة لأن تكون علوماً، بحجة أنها لا تتبنى المنهج التجريبي.

وهو عقل ناقد للمضامين الاختزالية للدين في مضامينها الكتابية «اليهودية المسيحية»، التي جعلت الدين شأناً خاصاً لا علاقة له بالاجتماع الإنساني والعمران البشري في صورة «دع ما لله وما لقصر لقصر»، وفي مضامينها الحديثة، التي جعلت الدين ملحقاً بالسر والاساطير، وموسساً عليها، ولا دور له في الشأن العلمي والاجتماعي والحضاري.

بإستعادة هذا العقل العلمي فإننا نستطيع أن نؤسس من جديدة لدورنا الحضاري في ترشيد الحضارة الإنسانية، ونحمل رسالتنا إلى الناس مبنية على «اقرأ» كما بدأت أول مرة في حراء.

*مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعية والإنسانية/ جامعة قطر

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم

الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش رحمه الله (1818 - 1914)



د. أمحمد بن يوسف*

عكوش [جامعة وهران: 2012]، «المسائل التحقيقية في بيان التحفة الأجرومية للشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش - تحقيق ودراسة» لرشيد حيدرة [جامعة وهران: 2013]، «معتقد الصواب من شواهد قواعد الإعراب تأليف أمحمد بن يوسف أطفيش - تحقيق ودراسة» لإبراهيم بن علي [جامعة ورقلة: 2014]، «أمحمد بن يوسف أطفيش وجهوده البلاغية مع تحقيق كتابه (ربيع البديع)» - لا محمد لقي [جامعة باتنة: 2017]، «تخريج الفروع على الأصول عند الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش: دراسة تأصيلية تطبيقية» - لزهير باباواسماعيل [جامعة الأمير: 2018]، هذه الرسائل الجامعية لم تنشر ولم تصل إلى أيدي القراء وإنما ما زالت حبيسة أدرج مكتبات الجامعات التي نوقشت فيها.

كما نشر العديد من الباحثين الجامعيين بحثاً قليلة في المجالات الأكاديمية عالجت بعض القضايا المنهجية أو العلمية في تراث الشيخ أطفيش. وهذه المجالات لا توزع إلا في نطاق محدود.

لكن هذه الجهود - على الرغم من أهميتها - تبقى دون المطلوب، لأن هناك العديد من جوانب في شخصية الشيخ العلمية لم تدرس بعد، وكذلك لأن الكثير من كتب الشيخ ما زالت مخطوطة، وتنتظر من يخرجها محققة ويعمل على نشرها وتوزيعها وتيسير قراءتها ودراستها والاستفادة منها، حتى تعرف فعلاً جهود الشيخ وتقدر حق قدرها.

*جامعة باتنة

التوحيد لأبي حفص عمرو بن جميع» بتحقيق الأستاذ مصطفى وينتن، وأيضاً كتابه «السيرة الجامعة من المعجزات الالامعة»، وهو في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وما حياه الله به من معجزات وأمارات على نبوته.

أما ما ألف عن الشيخ من مؤلفات فلم يتح لي الاطلاع إلا على القليل منها، أذكر منها كتاب بكير بن سعيد عوشيت «قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش: حياته - آثاره الفكرية - جهاده» الذي نشرته مكتبة الضامري في سلطنة عُمان.

وقد أهتم العديد من الباحثين الجزائريين وغيرهم بدراسة تراث الشيخ وإعداد رسائل ماجستير ودكتوراه حوله، في اللغة، والتفسير، والفقه، والحديث، منها: «الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش»، لعدود جهان، [جامعة الجزائر: 1987]، «الشيخ محمد بن يوسف أطفيش ومذهبه في تفسير القرآن الكريم»، ليحيى صالح بوتريدين [جامعة عين شمس، القاهرة: 1989]، «محمد بن يوسف أطفيش ومنهجيته في تفسيره التيسير» لمحمد عكي غوانوي، [جامعة الجزائر: 1991]، «آراء الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش العقدية»، لمصطفى وينتن [جامعة الأمير عبد القادر: 1996]، «منهج الشيخ أطفيش في كتاب شرح النيل - قسم العبادات نموذجاً»، لطالب بن علي السعدي [جامعة مونة، الأردن: 2006]، «أثر التوظيف النحوي في تفسير التفسير، للشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش»، لهشام

ضمينه - إلى جانب التفسير - مباحث في العقيدة والفقه واللغة والنحو والبلاغة والسيرة والقصص والتاريخ، واعتنى فيه بأسباب النزول، وهو «تيسير التفسير» الذي ألفه في أواخر عمره، وهو من أشهر مؤلفاته، وقد ألف قبله تفسيرين آخرين، أحدهما مطبوع في 15 مجلداً وهو «هميان الزاد إلى دار المعاد»، والثاني ما يزال مخطوطاً وعنوانه «داعي العمل ليوم الأمل».

كما أطلعت على طبعة حجرية بالخط المغربي من كتابه العجيب والفريد من نوعه الذي أسماه «الغسل في أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم»، والذي أعادت طبعه ونشره دار السلام في القاهرة سنة 2019 في 400 صفحة بتحقيق فتحي بوعجيعة.

وعندما نرُثت مادة الفقه المقارن لطلبة السنة الثالثة لبياسات تخصص فقه وأصول (نظام قديم)، ما بين 1996 و 2008، حرصت على الاطلاع على آراء علماء الإباضية في المسائل المقررة، فكان أن وقفت على كتاب الشيخ أطفيش «شرح النيل وشفاء العليل» للعلامة عبد العزيز الثميني رحمه الله (1223-1131هـ)، وهذا الشرح صدرت طبعته الثانية سنة 1973 في 17 مجلداً، عن مكتبة الإرشاد في جدة ودار الفتح في بيروت، وهو عبارة عن موسوعة فقهية حاكمة يقرأ علماء الإباضية في مختلف مسائل الفقه الإسلامي، مع إيراد آراء فقهاء المذاهب الأخرى، فالكتاب موسوعة فقهية مقارنة. ومؤخراً أطلعت على كتابه «شرح عقيدة

قطب الأئمة، العالم العصامي المعمر، المفسر المتمرس، الفقيه المتوسع، اللغوي الضليع، المصلح المؤثر، والمؤلف المكثّر في مختلف الفنون من علوم شرعية ولغوية وتاريخية ومنطق وحساب وفلك وفلسفة وأخلاق وطب وفلاحة، تجاوز عدد مؤلفاته 130 كتاباً، وعلى الرغم مما طبع من هذه المؤلفات إلا أن الكثير منها ما زال مخطوطاً في مكتبته التي تركها في بلدته بني يزقن بوادي ميزاب في ولاية غرداية.

هذا الرجل، على ما بلغه من علم وما أنتجه من مؤلفات وما تركه من آثار، يبقى مجهولاً لدى بني وطنه الجزائر قبل غيرهم من أبناء الأمة الإسلامية، فلا يكاد يعرفه من طلبة العلم والأساتذة المشتغلين بالدراسات الإسلامية والعربية إلا القليل.

قرأت اسمه أول مرة على كتيب صغير بعنوان «كتاب الرسم في تعليم الخط»، أصدرته المؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر سنة 1986، وقد طبعت المؤسسة هذا الكتاب دون تحقيق ولا تعليق ولا تعريف بمؤلفه. ثم وقفت بعد ذلك على تفسيره المبسط الذي



د. بدران بن الحسن*

مبدأ تكامل الغيب والشهادة

عن السؤال الأشمل عن أصل الحياة والوجود وغايتها ويحدد بذلك معنى العلاقات الأساسية لهما (أبو سليمان، 122)، وباستحضار هذا التكامل بين الغيب والشهادة باعتباره بدا منها من أبعاد المنهجية الإسلامية في التفكير والنظر والعمل نستطيع أن نتحمل مسؤوليتنا الحضارية في تحقيق الاستخلاف في الأرض وتحقيق الصلاح والإصلاح، لأن كثيرا من معاناة الحضارة المعاصرة وأمراضها الاجتماعية، خاصة في محيط الصحة النفسية للفرد والأسرة التي يعاني منها الإنسان اليوم، إنما ترجع إلى هيمنة الغرب على صياغة فهمنا للوجود وما ترتب عليه من علوم واجتماع ونظم ومنجزات علمية وتقنية، حيث تفقد الحضارة الإنسانية يوما بعد يوم المزيد من القيم والمفاهيم والتقاليد التي حفظت إنسانية الإنسان. ونرى أثر ذلك اليوم واضحا في محيط الحياة الاجتماعية والأسرية المتهمة المتفجرة، كما نراه في اندام الالتزام الأخلاقي في ميدان العلم والتقنية والسياسة بما أصبح واضحا لكل ذي عينين أنه أمر يهدد الإنسانية قاطبة (أبو سليمان، 119-120)، لأنها تعيش ذلك التشظى الوجودي، الذي ترتب عنه تشظى معرفي بين الغيب والشهادة، وبين العلم والدين في المخيال العلمي الحديث والمعاصر، وبذوره بقود الحضارة الإنسانية إلى الاهتلاك والتدمير.

*مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعية والإسلامية/ جامعة قطر

عالم الغيب في كليته بقله، ولا يدرك تفاصيله إلا بالنظر في المعطيات التي تأتي بها النبوة، ذلك أن قرأنا الإدراكية حسا وتجزيدا وإدراكا تفصيليا تشغل في عالم الشهادة، أما عالم الغيب فإنه يتجاوز حدود العقل في الإدراك الجزئي فلا يدرك إلا كليته، ويعيب عن الحس لتعاليه عن الحس فلا يدرك إلا مؤشرات الظاهرية الحسية. ولكن الوحي الذي يأتي به الأنبياء - كما يذكر لنا القرآن الكريم - يقيم الدلائل الفطرية والعقلية والحسية على صدق ما أخبر به الأنبياء، وعلى حقيقة عالم الغيب، الذي لا يكتمل الوجود إلا به، وبهذا فإن عالم الغيب وعالم الشهادة صفتان من عالم الوجود تتكاملان، يفسر أحدهما الآخر، ويمعنه المعنى.

وتكمن أهمية تكامل الغيب والشهادة في أن هذا التكامل مبدأ تقوم عليه منهجية التفكير والنظر التي يؤسسها الإسلام، ووضوح هذا المفهوم وأبعاده في العقل والمنهج المسلم، له أهمية قصوى إذا أردنا فهم طبيعة الفكر الإسلامي ومنهجيته، وفهم معنى الحياة الإسلامية، والوجود الإنساني، والعلاقات والغايات الإنسانية، التي يسعى الإسلام، والوجود والإصلاح الإسلامي إلى تحقيقها. بل هو المفهوم الذي يحدد معنى الحياة والوجود، وغاية الحياة والوجود، وعلاقة ذلك بما وراء الحياة، وما وراء الوجود، وما وراء المادة. وهو الإطار الأمثل الذي يحدد معنى الوجود الإنساني ومعنى العقل الإنساني بدوره في الحياة الإنسانية، وحدود هذا الدور ومجالاته. ويمثل إطار الإجابة الإسلامية

والاستهلاك والترفيه واللذة، مقطوعا عن السماء، خاويا من الروح، فقيرا في القيم، مضطربا في وجهته.

وهذا ما جعل مالك بن نبي في كتابه «دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين» يدعو المسلم إلى الارتفاع إلى مستوى ما تحقق في الحضارة المعاصرة من إنجاز تقني وتنظيمي، ولكن أيضا الارتفاع إلى مستوى رسالته الإسلامية، التي هي وحدها ترفع بصره إلى ما يتجاوز كيف المادية والحياة الاستهلاكية، ليكون نموذجا قابلا لأن يقتدى به، ويبلغ سعة الحياة التي يوجه إليها الإسلام بحيث تشمل عالم الغيب وعالم الشهادة في تكامل؛ ليس فيه تفاضل ولا إنكار.

وهذا التكامل بين الغيب والشهادة، الذي تؤسسه الرؤية التوحيدية التي جاء بها الإسلام بعد مهم جدا من أبعاد المنهجية الإسلامية، وكذا قد أشيرنا له في مقالنا عن «سعة الوجود ومحدودية الوجدان». وهو تكامل يفتح أفق الإنسان إلى أبعاد من الجانب المادي والطبيعي إلى أبعاد أخرى، لا يستقيم وعي الإنسان دون الوعي بها، ولا تستقيم حياته دون وضعها في الاعتبار، ولا تستقر له قيم دون شمول حياته ببُعديها الغيبي والشهودي؛ وهذا يعطيه تصورا واضحا للوجود يستبعد الاختزال والتلفض.

إن هذا الوجود المتكامل بين الغيب والشهادة يوفر لنا الإسلام معطياته، ويوجه العقل إلى إدراكه. وإذا كان الإنسان يصل إلى إدراك عالم الشهادة بقله وحواسه على سبيل التفصيل، فإنه يدرك

نذكرنا في مقالنا السابقة التحدي الذي يفرضه علينا النموذج المعرفي الغربي، بحكم انتشاره وشهرته، وبفعل هيمنة الحضارة الغربية وتقليدا وخصوعا، بالرغم مما يعترضها من اختلالات بنوية في أسس المنهجية التي تقوم عليها، كما تعاني من اختلال أخلاقي كبير يكاد يعصف بالحضارة الإنسانية.

وهذا لا يجعلنا نحن البديل الجاهز، ولا يجعلنا الطبيب المعالج لأمراض الحضارة المعاصرة واختلالاتها وإخفاقاتها، لأننا نحن أيضا نعانى من اختلال مزدوج؛ أحدهما اختلال التبعية للنموذج الغربي انبهارا وتقليدا وخصوعا، والثاني اختلال عدم انتباهنا إلى مرجعيتنا القرآنية التي هي العلاج لنا ولغيرنا.

وإذا أردنا أن نعالج هذه الاختلالات المترابكة سواء التي فينا أم التي فرضها النموذج الغربي، فإن علينا استعادة وضوح ونسقية وفعالية المنهجية الإسلامية التي هي وحدها من أنجز حضارتها الإسلامية في «عالميتها الأولى» وموهلة لتفتح لنا طريق «العالمية الثانية»، فنعالج بها أمراضنا وأمراض العالم، وننقذ أنفسنا والإنسانية من هذا الارتكاس في المادية التي طغت على كل شيء، وهدمت بنيان إنسانية الإنسان، وامتهنت كرامته، وأضاعته في مآهات التكاليف على المادية

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم

الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله (1865 - 1935)



أ. د. مسعود فوسلي*

رضاء»، حيث جرد من مجلة المنار المقالات التي كتبها الشيخ عن الرحلات التي قاده إلى سوريا ولبنان.

وهناك أيضا كتب أخرى له أطلعت عليها، منها: «الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية»، «ترجمة القرآن وما فيها من المفاسد ومنافاة الإسلام»، «شبهات النصارى وحجج الإسلام»، «المنار والأزهر»، «عقيدة الصلب والغذاء»، «محاورات المصلح والمقلد».

كما أطلعت على تحقيقاته ومقدماته على عدد من كتب التراث، ومنها: «الاتصام» للإمام الشاطبي، «أسرار البلاغة» و«لائل العجاز» وكلاهما لعبد القاهر الجرجاني، «الغني» لابن قدامة المقدسي، «فضائل القرآن» لابن كثير.

لم تتوقف قراءاتي المتعلقة برشيد رضا عند مؤلفاته وآثاره، وإنما امتدت إلى ما كتب عنه من كتب ورسائل جامعية وبحوث أكاديمية ومقالات في الصحف والمجلات وهي كثيرة جدا يصعب إحصاؤها، فإضافة إلى ما كتبه كل من إبراهيم العدوي وشكيب أرسلان ومحمد الصالح المراكشي، هناك أيضا كتاب «رشيد رضا صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته» للدكتور أحمد الشرباصي، وكتاب «الشيخ رشيد رضا.. العلمانية والصهيونية والطائفية» للدكتور محمد عمار، وكتاب «رحلة في حياة الشيخ محمد رشيد رضا الشخصية والعلمية والسياسية» لفصل بن عبد العزيز السمحان، إلى جانب كتب ورسائل أخرى كثيرة درست آراءه وموقفه ومنهجه في التفسير والحديث والفقوى وفكره التجددي في الاجتهاد والسياسة والتربية والاجتماع.

في الأخير أشير إلى إشرافي على الرسالة المتميزة التي أعدها زميلتنا الأستاذة منوبة برهاني، ونالت بها درجة دكتوراه العلوم من كليتنا سنة 2008م، وكانت بعنوان «الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا»، وقد نشرتها دار ابن حزم في بيروت سنة 2010 في 452 صفحة.

*جامعة باتنة

بالخلافة الإسلامية، حيث عرف الخلافة، وبين حكم نصب الخليفة، ومن نصبه، وسلطة الأمة ومعنى الجماعة، وشروط أهل الاختيار للخليفة، والشروط المترتبة في الخليفة، وصيغة المبايع، وحقوق الخليفة على الأمة، وحقوق الأمة على الخليفة، والشورى، والتولية بالاستخلاف، وغيرها من المسائل المتعلقة بنظام الحكم أو الخلافة في الإسلام.

قرأت أيضا كتابه «الربا والمعاملات في الإسلام»، الذي ألقاه جوابا على رسالة جاءته من الهند يطلب أصحابها فتوى بشأن الموضوع، وقد فصل القول في موضوع الربا تفصيلا وافيا وأحاط بأقول فقهاء المذاهب فيه إحاطة شاملة، مؤكدا أن المعاملة التي يتوفر فيها مفهوم الربا القطعي تعتبر معاملة محرمة قطعاً، كما عالج بعض الحيل التي يلجأ إليها المتعاملون لاستباحة الربا، وبين الحكمة من تحريم الربا. وكذلك كتابه الضخم «تاريخ الأستاذ الإمام» الذي أحاط فيه بحياة وأعمال شيخه وأستاذه محمد عبده، وأورد فيه الكثير من مقالاته وآثاره.

ولا أنسى هنا رسالته المتميزة «بسر الإسلام وأصول التشريع العام»، والتي جردنا من تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِمُ الدِّينَ آمَنًا لَا تَسْأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: 101]، حيث بين سبب نزول هذه الآية وشرح معناها، وأورد أراء بعض المفسرين فيها، ثم شرح القواعد العشرة التي تقوم عليها التشريعات الإسلامية، ثم مد القول إلى الحديث عن الاجتهاد بال رأي، وفصل الكلام في القياس ومواقف المذاهب المختلفة منه.

أطلعت كذلك على فتاويه التي جمعها صلاح الدين المنجد ويوسف خوري ونشروها في ست مجلدات، وهي فتاوى متنوعة ومحيطه مختلف المسائل التي تهم المسلم في حياته، وكانت في أصلها إجابات عن الأسئلة التي كانت تصله من قراء مجلة المنار ويتولى الإجابة عنها في أعداد المجلة.

أطلعت أيضا على الكتاب الذي جمعه يوسف أبيش بعنوان «رحلات الإمام محمد رشيد

بالعرض والتحليل الكثير من أفكاره وآرائه.

في المرحلة الجامعية، توقفت علاقتي بترث الشيخ رشيد رضا أكثر، حيث وقعت على كتاب كبير (أكثر من 600 صفحة)، بعنوان «تفكير محمد رشيد رضا من خلال مجلة المنار - 1898-1935» لمؤلفه محمد صالح المراكشي، وهو في أصله رسالة جامعية قدمت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة التونسية، وقد عالج هذا الكتاب مختلف القضايا التي شغلت تفكير رشيد رضا والتي سجلها في مقالاته التي كان ينشرها في مجلته الشهيرة «المنار».

في هذه المرحلة أيضا بدأت أقرأ في تفسيره الكبير «تفسير المنار» [2 مجلدًا]، والذي أبهرني باستبحاره وتفرعه للمسائل وقدرته على الإحاطة بتفسير السور والآيات من جوانبها المختلفة، وتناوله لقضايا علمية وفكرية متعددة من واقع المسلمين المتردي ومشكلاتهم المعاصرة، حيث يربطها بالقرآن ويعالجها في ضوءه. والحق أنه يصدق في هذا التفسير وصف صاحبه له بأنه «جامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول، يبين حكم التشريع وسبب الله في الاجتماع البشري، وكون القرآن هداية عامة للبشر في كل زمان ومكان، وحجة الله وآياته المعجزة للإنس والجان، ويوازن بين هدايته وما عليه المسلمون في هذا العصر وقد أعرض أكثرهم عنها، وما كان عليه سلفهم إذ كانوا معترضين بحيلها».

قرأت أيضا كتابه المتميز والفريد من نوعه «الوحي المحمدي»، الذي حقق فيه معنى الوحي والرسالة وحاجة البشر إليها، وأقام الدليل على امتياز نبوة محمد صلى الله عليه وسلم على نبوات من قبله من الأنبياء واختلاف معجزته عن معجزاتهم، ورد الشبهات المثارة على الوحي المحمدي، كما تحدث بتفصيل عن إعجاز القرآن وتأثيره، وفصل القول في مقاصده التي اعتبرها عشرة مقاصد.

وبعد مرحلة الليسانس، وتبعاً لأهتماي العلمية، أتيج لي أن أطلع على بعض كتبه الأخرى الكثيرة، ومنها كتاب «الخلافة أو الإمامة العظمى»، الذي فصل فيه القول في الأحكام الشرعية المتعلقة

المفسر المدقق، والمحدث المتقن، والفقيه المجتهد المحقق، والمؤرخ الموثق، والمفكر المتعمق، والكاتب الصحفي المصلح، الشيخ محمد رشيد بن علي رضا، القلموني اللبناني مولدا ونشأة، المصري هجرة ونشاطا ووفاء.

أول ما قرأت له، وأنا تلميذ في المرحلة المتوسطة، كتيب صغير بعنوان «خلاصة السيرة المحمدية وحقيقة الدعوة الإسلامية وكليات الدين وحكمه»، الذي أوجز فيه الكلام عن السيرة النبوية الشريفة مركزا على أهم المحطات في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعثته الشريفة وحقيقة دعوته المباركة، وكليات الشريعة التي جاء بها من عنده ربه عز وجل.

وفي نفس المرحلة قرأت الكتاب الذي ألقاه عنه الدكتور إبراهيم العدوي ونشر في سلسلة أعلام العرب بعنوان «رشيد رضا الإمام الجهادية» الذي أحاط فيه بعصره وما كان يعج به من تيارات، وحياته في لبنان ثم في مصر، وصحبته للإمام محمد عبده، والأعمال التي تصدى لها والجهود التي قام بها، والآثار التي تركها.

وفي المرحلة الثانوية، قرأت كتابه «نداء إلى الجنس اللطيف: حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح العام»، وقد تناول فيه بالعرض والتحليل أحكام الشريعة الإسلامية المتعلقة بالمرأة، والتي أعلت من شأنها ورفعت عنها الأصار والأغلال التي كانت عليها، وجعلت منها إنسانا كامل الحقوق، كما تحدث عن أحكام العلاقة بين الرجل والمرأة من زواج وطلاق، وفصل القول في موضوع الحجاب وقضية تعدد الزوجات.

قرأت في هذه المرحلة كذلك، الكتاب الذي ألقاه عنه صديقه الأمير شكيب أرسلان بعنوان «السيد رشيد رضا أو إخوان أربعين سنة»، وهو كتاب ضخم من حوالي 800 صفحة، أحاط فيه المؤلف بكل جوانب حياة الشيخ رشيد رضا وأعماله، كما تحدث عن علاقته بمرزا جوانب هذه العلاقة ومؤكدا عمقها ومتانتها، وتناول

المناخ العقلي الذي أنشأه القرآن



د. بدران بن الحسن*

يتفكر

رأينا في بعض مقالاتنا السابقة كيف قام بعض المستشرقين بحرب نفسية تهدف إلى شل العقل المسلم، وتهوينه، وتعطيله عن التفكير، والباسه عقدة الدونية والنقص نحو الفكر الغربي، فتم تعميم الحكم الذي قد يصدق على مرحلة تاريخية اتسمت بهيمنة الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي، ولكنها لا تصدق؛ لا على التاريخ الإسلامي كله، ولا على الإسلام ذاته، وبالأخص لا تصدق على القرآن، لأن القرآن هو الذي أحدث تحولاً علمياً وعقلياً وحضارياً كبيراً في حياة المسلمين.

وفي هذا السياق نذكر ما قام به مالك بن نبي في كتابه «إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث»، فقد قام بن نبي بتحليل دور الاستشراق في ترسيخ عقدة النقص نحو المنجز العلمي الغربي والفكر العقلاني الغربي، سواء بنسبة النقص لتراثنا الحضاري الإسلامي، أو مدحه وتصوره بطريقة تجعل المسلم يتيه فرحاً وطرباً به، لكن دون صلة عملية به يستفيد من خلالها فعاليته الحضارية والمناخ العقلي الذي أنتج ذلك التراث الذي ينتقصه بعض المستشرقين ويمدحه بعضهم الآخر (بن نبي، 1969).

ولكن بن نبي قد قدم فكرة منهجية مهمة في سبيل

تفنيد دعاوى المستشرقين، وذلك بأن علينا ألا نكتفي برود الأفعال، ونحاول أن نثبت أن القرآن يدعو إلى العلم، أو أن فيه المعجزات العلمية، أو محاولة تطويع القرآن وتحويله تارة إلى كتاب فيزياء، وتارة كتاب فلك، وتارة أخرى كتاب جبر، وهكذا. بل علينا أن نطرح قضية «الإسلام والعلم في صورة جديدة تتماشى أكثر مع سمو الدين ومنطق العلم، بحيث لا نصبح نبحث في الآيات الكريمة هل ذكر فيها شيء عن غزو الفضاء أو تحليل الذرة، وإنما نتساءل هل في روحها مما يعطل حركة العلم، أو على العكس ما يشجعها وينميها» (بن نبي، 1969، 26).

ولهذا فإن بن نبي يؤكد على أننا ينبغي أن نطرح القضية بطريقة إيجابية، تستعيد للقرآن فعاليته، فنسأل «إذا ما كان يستطيع القرآن أن يخلق في مجتمع ما المناخ المناسب للروح العلمي، وأن يطلق فيه الأجهزة النفسية الضرورية لتقبل العلم من ناحية، ولتبلّغه من أخرى» (بن نبي، 1969، 26).

إن هذا السؤال بصيغته التي قدمها بن نبي تجعلنا نحتفظ للقرآن بأنه كتاب هداية، وليس كتاباً في العلوم أو التاريخ أو السياسة بالمعنى المدرسي. فننظر كيف شكل القرآن البيئة التي تأسست فيها الروح العلمية، والمناخ العقلي الذي أدى إلى قيام علوم ومعارف وظهور علماء أنجزوا أعمالاً عبقرية في شتى مجالات العلوم طيلة قرون، بتشكيلة للبيئة النفسية والاجتماعية التي تعمل على تشجيع العلم والأبداع العلمي ونشر العلم في العالم.

دعاة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بطريقة صيبانية.

ذلك أن «القرآن الكريم لم يأت قطعاً، وبصورة مباشرة، لا بالحساب العشري ولا بالجبر، ولكنه أتى بالمناخ العقلي الجديد الذي يتيح للعلم أن ينمو».

ونتساءل لماذا وكيف ربط بن نبي بين القرآن وبين تطور العلم وفي الوقت نفسه يرفض الربط الصيبناني للآيات بالمكتشفات العلمية؟!

فجيبنا بن نبي ملحوظة منهجية مهمة جداً، يعرفها علماء اجتماع المعرفة أو علم اجتماع العلم، وهي أن «تطور العلم لا ينطاط بالمعطيات العلمية الصيبنانية، بل بكل الظروف النفسية الاجتماعية التي تتكون في مناخ معين». ولا شك أن التحول التاريخي الذي أحدثه القرآن في بيئة التفكير، وفي البنى الاجتماعية والعلمية والثقافية، وفي مختلف المجالات لا يمكن إنكاره من له نظر وإطلاع، وبخاصة في نشأة العلم وتطوره.

وهذه هي الزاوية بالذات هي «التي نقرر منها العلاقات العامة بين الإسلام والعلم، فموقف الإنسان المسلم أمام عالم الظاهرات، والاتجاه الذي تتبعه العقيدة الإسلامية تحت دفعة النص القرآني، والمناخ العقلي الجديد الذي ستتطور فيه هذه العقيدة، هذه الأشياء هي في التالي العناصر الأساسية للقضية» (بن نبي، 1969، 30-28).

*مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعية والإسلامية/ جامعة قطر

إن التطور التكنولوجي المعروف اليوم لا يمكن نكران بنائه على بعض منجزات المسلمين العلمية، مثل النظام العشري في علم الجبر، والحساب والهندسة وكثير من علوم المسلمين التي اخترعوها بفعل المناخ العقلي الذي أسسه القرآن. ولهذا نتساءل مع بن نبي: هل يمكن لآلات والأجهزة الالكترونية والميكانيكية التي نعرفها اليوم - كما يقول بن نبي - أن تقوم بعملياتها لو لم يهيئ من قبل ذلك النظام العشري الذي نستطيع به كتابة رقم أفوجردو، على سبيل المثال، بخمسة رموز فقط، أو سبعة أذا تحرينا دقة أكثر؟ أسأنا ندين بوضع هذا النظام العبقري لذلك المناخ العقلي الذي كونته القيمة القرآنية في المجتمع الإسلامي؟

كما أننا لو تسألنا عن دور الجبر، في تطوير علم الحساب، بحيث يتحول من علم الأرقام المحسوسة إلى علم الرموز المجردة، لأدركنا بعد الأخذ في حسابنا أن اسم الجبر نفسه عربي من ناحية الصيغة والاستشراق، لأدركنا ما يدين به العقل الإنساني إلى العقل الإسلامي من وسيلة لا يستطيع بدونها السير والتقدم في ميدان علوم التفكير والضمير. وأن ذلك كله يرجع إلى المناخ الذي أنشأه القرآن. (بن نبي، 1969، 27).

إن الكلام الذي أورده بن نبي عن دور الحساب العشري والجبر وغيرها من علوم المسلمين في تطور العلم والحضارة، ليس المقصود منه ذلك التقليد الاندفاعي في ربط كل منجز علمي ربطاً آلياً بآية من الآيات أو حديث من الأحاديث النبوية الشريفة، كما دأب على ذلك كثير من

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستمدت منهم

الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله (1866-1914)



أ.د. مسعود فلويسي*

والقوة والدخان، المسح على الجوربين، شرف الأسباط، مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، رحلت إلى المدينة المنورة، الطائر الميمون في حل لغز الكثر المدفون، الاستشراق لتصحيح أنكحة الناس، إصلاح المساجد من البدع والعيادات، آداب الدارس والمدرس، سر الاستغفار عقب الصلوات، تنبيه الطالب إلى معرفة الغرض والواجب، نقد النصائح الكافية، أجوبة المسائل. هذا، وإن من البديهي أن يهتم الباحثون بتراث عالم مكثر كان له تأثيره في عصره، وكانت له مكانته التي اعترف لها بها العلماء والفضلاء، جمال الدين القاسمي رحمه الله، إلا أن الواقع أن هذا الاهتمام لم يبلغ أن يكون في مستوى مكانة وعلم الرجل وأثاره الجمة، حيث إن الدراسات التي تناولت هذا التراث قليلة إذا ما قورنت إلى ما حظي به غيره من العلماء والمفكرين ممن لا يبلغون مبلغه في غزارة العلم وتنوع مجالات التأليف والتأثير.

فن المؤلفات التي تناولت حياته وأعماله بصفة عامة، نذكر: جمال الدين القاسمي وعصره لأستاذ طاهر القاسمي [1965]، شيخ الشام جمال الدين القاسمي لمحمود مهدي الإستانبولي [1985]، جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام للدكتور زرار أباطة [1997]، إمام الشام في عصره جمال الدين القاسمي لمحمد بن ناصر العجمي [2009]. ومن الدراسات التي دارت حول أعماله وأثره، نذكر: «جمال الدين القاسمي علمه ودعوته» رسالة ماجستير لعبد العزيز بن إبراهيم بن محمد الأديب [1987]، «معد جمال الدين القاسمي» وأرواه الاعتقادية» لعلي محمود دبدوب [2007]، «الشيخ جمال الدين القاسمي واختياراته الفقهية» لسامي بن الأهرار الفرضي [2008]، «الشيخ محمد جمال الدين القاسمي وجهوده الحديثة» رسالة ماجستير لمحمد أنس سرميني [2010]، «التفسير اللغوي في محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي» لماهر جاسم حسن [2010].

*جامعة بائنة

علوم الحديث تشجع على الإقبال عليه. وقد قسم المؤلف كتابه إلى مقدمة وتسعة أبواب، هذه أبوابها: التنويه بشأن الحديث، معنى الحديث، بيان علم الحديث، معرفة أنواع الحديث، الجرح والتعديل، الإسناد، أحوال الرواية، آداب المحدث وطالب الحديث، كتب الحديث. كما اطلعت على كتابه «الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين وهو شرح الأربعين العجلونية»، الذي شرح فيه الأحاديث الأربعين التي انتخبها الإمام إسماعيل العجلوني رحمه الله (-1087 هـ) من أربعين كتاباً من كتب الحديث وجمعها في كتاب بعنوان «عقد الجواهر الثمين» وفي أربعين حديثاً من أحاديث سيد المرسلين، وقد جاء الشرح حافلاً بالفوائد العلمية واللغوية والحديثية والتاريخية، حيث تجاوز عدد صفحات الكتاب 500 صفحة.

في هذه المرحلة قرأت أيضاً كتابه الذي طبع في الجزائر حينئذ، «الفتوى في الإسلام»، وهو كتاب موجز في أقل من 200 صفحة، إلا أنه تضمن خلاصة شاملة ومبسطة وبأسلوب واضح عن الموضوعات التي يعالجها المؤلفون عادة في الموضوع، حيث قسم موضوعات الكتاب أربعة أقسام: أحكام الفتاوى، أحكام المفتين وأدابهم، آداب المفتي وأحكامه، مسائل متفرقة. اطلعت كذلك على تفسيره الشهير «تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل» الذي بلغ عدد مجلداته 17 مجلداً، أولها مقدمة شاملة عنوانها بـ «شهاد خضير في قواعد التفسير»، وضمنه 11 قاعدة، وقصد بها المعارف التي يجب أن تتوفر لدى كل من يقدم على تفسير كلام الله عز وجل..

وفي السنوات الأخيرة، وبعد ظهور الإنترنت، وتصوير آلاف الكتب ووضعها على الشبكات في مختلف المواقع التي اعتنت بهذا الأمر، أتيت لي الإطلاع على عدد من كتبه المطبوعة قديماً، أو التي أعيد طبعها حديثاً، ومنها: شذرة من السيرة المحمدية، مجموعة خطب، النفحة الرحمانية في التجويد، حياة البخاري، إرشاد الخلق إلى العمل بخير، تاريخ الجيمية والمعتزلة، جوامع الآداب في أخلاق الأتباع، رسالة في الشاي

الذي ألفه في إقامة الحجج على عقيدة التوحيد، والرد على شبهات الملحدين الذين استغل أمرهم في العصر الحديث، على طريقة علماء الكلام، مع الحرص على تبسيط الجبارات وتقريب المفاهيم وترتيب الموضوعات بأسلوب جديد يحقق الغرض من تأليفه، حيث بدأه بتعريفات سبع، ثم عقد المطلب الأول في الأدلة الواضحة على وجود الله تعالى وساق منها خمسة وعشرين دليلاً، تلاه المطلب الثاني في تحقيق مسائل الإلهيات، ثم المطلب الثالث في المادة وشبه الماديين وإبطالها، وأخيراً المطلب الرابع في مسائل مهمات من علم النبوات.

ففي تلك المرحلة قرأت أيضاً الكتاب الذي ألفه عنه ابنه الأستاذ طاهر القاسمي بعنوان «جمال الدين القاسمي وعصره»، وهو في أكثر من 700 صفحة، وقد أحاط في القسم الأول منه بالعصر الذي عاش فيه والده، وتحدث باستفاضة عن حياته الخاصة والعامة وأشار ومؤلفاته. وأورد القسم الثاني من الكتاب نقل مئات الفقرات من مؤلفاته تبرز مواقفه وآراءه في مختلف شؤون الحياة، وقسمها إلى ثلاث مجموعات: الآراء والأفكار، السوانح، المفكرات.

أما القسم الثالث من الكتاب فتحدث فيه عن علاقة والده بمعاصريه من العلماء والمفكرين والرسائل التي تبادلها معهم. ومما لفت انتباهي في هذا الكتاب الموضوع الأول فيه، وهو بعنوان «أكتب عن أبيك حب»، وهي كلمة قالها له أحد أصدقائه حين استشاره: هل أكتب عن أبي أم أترك لغزير أن يكتب عنه؟ وقد دفعته هذه الكلمة إلى أن يؤلف هذا الكتاب بعد أن كان متردداً في ذلك.

وفي المرحلة الجامعية قرأت باهتمام وإمعان - مع بعض زملاء الدراسة - كتابه الشهير «قواعد التحديث من فروع مصطلح الحديث»، الذي بسط فيه مبادئ علوم الحديث ومصطلحه وفروها وجعلها سائغة مبسورة الفهم والاستيعاب لمن يطلبها ويحرص على معرفتها، وهو كذلك كتاب كبير في أكثر من 700 صفحة، ومع ذلك فإن سهولة عبارته واستيعابه لمختلف مباحث

المؤلف المكثر، المفسر المجدد، الفقيه المواعظ لمستجدات عصره، المصلح الرائد، أحد أعلام النهضة الإسلامية في بلاد الشام في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة، الشيخ جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، الذي عاش حياة قصيرة بحسب السنين، حيث إنه لم يكن قد بلغ الخمسين من عمره حين وفاته، إلا أنها كانت حياة حافلة بجلال الأعمال، فقد ترك مؤلفات كثيرة تجاوز عددها المائة كتاب، فضلاً عن الأثر العلمي والاجتماعي الذي كان له في حياته واستمر بعد وفاته.

لكن، على الرغم من هذا العدد الكبير من المؤلفات التي تركها، إلا أن المنشور والمنشور منها لا يمثل سوى أقل القليل من هذا العدد الكبير، فمعظم مؤلفاته إما لا يزال مخطوطاً أو أنه طبع في حياته ولم تعد طابعته بعد ذلك، أو أعيد طبعه إلا أنه لم ينتشر على نطاق واسع، ولذلك يبقى أكثر تراثه العلمي والفكري مجهولاً لدى كثير من الباحثين وطلاب العلم وبعيداً عن أيديهم.

عرفت اسم الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله خلال المرحلة الثانوية، وذلك من خلال الاطلاع على مجموعة قليلة من كتبه التي نشرتها دار الفناش في بيروت خلال الثمانينيات من القرن الماضي، وانتشرت في المكتبات الجزائرية حينئذ.

وأول ما قرأت من هذه المؤلفات في تلك الفترة؛ كتابه «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» الذي لخص فيه كتاب الإحياء للإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله بأسلوب مبسط، مكتفياً في الغالب بالنصوص من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء، وذلك ليسر على الوعاظ والأئمة قراءته على العامة وتشرح محتواه لهم باعتبارهم من أفيد الكتب في التفكير والإرشاد وترقيق القلوب. وثاني هذه المؤلفات كتابه «لائل التوحيد»



د. بدران بن الحسن*

«اقرأ» ركزت قيمة العلم في ضمير المسلم

ذكرنا في مقالنا السابق أن أهم ما ينبغي أن ننسبه إليه هو «المناخ العقلي الذي أنشأه القرآن»؛ أي البيئة التي أنشأها لينمو فيها عقل جديد وشخصية جديدة أطلقت أكبر حركة علمية وفكرية شهدها العقل الإنساني وحولت الوجود كله إلى مصدر للنظر والعلم والمعرفة والفكر والتجربة والاعتبار، وانفتحت على ميراث الإنسانية كلها نقداً وتقييماً واستفادة وتقريباً له وفق الرؤية الجديدة الجديدة التي فتحت للإنسان القراءة باسم الله وكريماً منه سبحانه، وفي ظل ذلك المناخ العقلي القرآني نشأت الحضارة الإسلامية.

وهذا يجعلنا نتساءل: ماذا فعل القرآن حتى أحدث تلك الثورة العقلية والعلمية والفكرية في الفرد المسلم والجماعة المسلمة حتى يحدث ذلك الانقلاب العجيب والسريع، الذي أدى لتلك النهضة العلمية والفكرية، بل وفي مختلف جوانب الحياة؟! إن الإجابة عن هذا السؤال تتطلب إضافة إلى «المناخ العقلي الذي أنشأه القرآن» وتناولناه في المقال السابق، فإنها تتطلب منا الانتباه إلى أن الحركة العلمية وتطور العلم لا يمكن تسخيرهم خلال قواعد العلم وتوفر المنهج العلمي ووفرة المعطيات العلمية فقط، بل ينبغي أن ننظر في البنى النفسية والاجتماعية التي تشكل المحيط

الذي ينشأ ويتطور فيه العلم، وفي الخيمية الأخلاقية التي تجعل من العلم فضيلة وركيزة للحياة في مختلف جوانبها أيضاً. وهذا ما أكد عليه مالك بن نبي، بقوله «إن القرآن الكريم لم يأت قطعاً، وبصورة مباشرة، لا بالحساب العشري ولا بالجبر، ولكنه أتى بالمناخ العقلي الجديد الذي يتيح للعلم أن يتطور كما تطور بالنسبة إلى مرحلته السابقة في العهد الإغريقي والروماني، والأمر الجدير بالملاحظة هو أن تطور العلم لا يناط بالمعطيات العلمية فحسب، بل بكل الظروف النفسية الاجتماعية التي تتكون في مناخ معين، والأمر الجدير بالملاحظة أيضاً هو أن مراكز الاهتمام للعلم تتغير من عصر إلى آخر، من حضارة إلى غيرها، حسب التغيرات التي تحدث في المناخ العقلي بالذات» (بن نبي، 1969، 27).

ولننظر إلى فكرة «الظروف النفسية والاجتماعية» التي ذكرها بن نبي، فإننا نجد أن القرآن الكريم، ومنذ نزول «اقرأ» قد هيا مناخاً يؤمن بالقراءة والكتابة، ويؤمن بالعلم سبيلاً لمعرفة الحق والدفاع عنه وحمايته. ولهذا رأينا تلك العناية بالقراءة والكتابة منذ بدأ الوحي، وكيف اشتد «القراء» منذ أول أيام الإسلام، وكيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يقدم «اقرأ» للناس للقيادة العلمية والسياسية والاجتماعية وحتى القيادة الحربية. ولعل مالك بن نبي محق لما أشار إلى الفرق الجوهرية بين الكتب الدينية في اليهودية والنصرانية وبين كتاب الإسلام الأول القرآن.

يقول بن نبي: «بينما يفتح كتاب العهد القديم، منذ السطر الأول في سفر التكوين، على عالم الظواهر المادية، ويفتح كتاب العهد الجديد في إنجيل يوحنا، على عملية التجسيد، يفتح القرآن على الجانب العقلي: «اقرأ باسم ربك»، «فأول ما نزل به القرآن يشير إلى أهميتها، ويخصص موضوعها بالذكر، ويرسم في الضمير الإسلامي قيمتها من اللحظة الأولى في كلمة «اقرأ» (بن نبي، 1969، 34). وهي الكلمة التي رسمت وركزت في ضمير المسلم قيمة العلم في البناء الديني والاجتماعي والثقافي، وفي كل مناحي الحياة.

ولهذا شهدنا كيف نشأت في صدر الإسلام حركة التوحيين، وإنتاج علوم جديدة، وترجمة علوم الأوائل، والعمل على تقييمها ونقدها وتثبيتها في البيئة الإسلامية الوليدة في الوقت الذي كانت الكتب والعلوم أمراً خاصاً يحرمه الكهنة ويستأثر به الملوك والباطرة وذوو الشأن، بينما استوى في تحصيلها وطلبها في البيئة الإسلامي الملوك والرعية، والخاصة والعامة، والفقراء والأغنياء. بل إن «اقرأ» نقلت العرب «من أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب» (متفق عليه)، كما وصفها الحديث الشريف، إلى أمة القراءة والكتابة والتوحيين ونشأة العلوم والمعارف، وصار العلم فيها فريضة، وصارت الأمية مذمومة بنص القرآن والسنة. فانتظر إلى القرآن الكريم كيف جعل الأمية سبباً للانحراف عن الجادة في بقده لليهود، قال تعالى: «وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَتْلُمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ

يَقُولُونَ {الْبَقْرَةُ، 78}، وكذلك نقد القرآن الكريم لمن يقول في امر بغير علم، في قوله تعالى: {إِنْ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبِينَ رَبِّكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَتْلُمُ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}. (آل عمران، 66). لقد فعلت كلمة «اقرأ» فعلها في الضمير المسلم، بحيث أن كل ما في هذه الأمة تدبنا وإعماراً صار في ضمير المسلم خاضعاً للعلم والمنهج العلمي بناء على قراءة تستجلي الحقيقة في الكتاب وفي سلف لنا وأباؤنا، بل أوكل الأمر إلى العبرة من تجاربهم ومضاهيرهم، لينقل بناء المجتمع المسلم من مرحلة ما قبل الحضارة؛ مرحلة التمرکز على الأشياء والتقليد إلى مرحلة الحضارة: مرحلة الفكرة والتحرر من التقليد والاحتكام إلى القيم المجردة. بل إن آيات القرآن وأحاديثه وأحاديثه المصطفى صلى الله عليه وسلم تضع الفكر والضمير المسلم في طريق العلم، وتزوده بأحسن التوجيهات المنهجية لاكتسابه، وتؤسس في وعيه أن العلم يدخل في كل تفاصيل حياة المسلم اليومية ويدخل في توجيهه نشاطه، وتدعم عملية البناءات العقلية التي أنشأها القرآن في الفكر والضمير المسلم الذي ينطلق مصححاً، مزوداً، موجهاً للقيام بمهمته العلمية والسياسية والاجتماعية (بن نبي، 1969، 38).

*مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعية والإنسانية/ جامعة قطر

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم

الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله (1879-1973)



أ.د/ مسعود فلوسي*

المفسر النحرير، والمحدث البار، والفقيه المقاصدي المجدد، والأصولي البار، المسدد، والأديب الضليع، والكاتب البليغ، الإمام العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله.

خلال سنوات دراستي الثانوية، كنت أتردد على فرع المؤسسة الوطنية للكتاب الكائن مقره في ممرات بن بولعيد وسط مدينة باتنة، وكنت أجد بين الكتب المعروضة مؤلفات تحمل اسم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، كانت قد أصدرتها المؤسسة بالاشتراك مع الدار التونسية للنشر في تلك الفترة، أذكر من بين عناوين تلك المؤلفات: «أصول النظام الاجتماعي في الإسلام»، «مقاصد الشريعة الإسلامية»، «تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة»، «النظر الفصيح عند مضايقات الأنظار في الجامع الصحيح»، «كشف المغطى من الألفاظ والمعاني الواقعة في الموطأ»، وأجزاء متفرقة من تفسير «التحرير والتنوير». لكنني لم أكن أهتم بتلك المؤلفات ولم أفكر في شرائها لقراءتها، لأنني عندما تصفحتها أول مرة وجدتها صعبة للقراءة بسبب اللغة العالية لمؤلفها والتي لا تسمح لمن كان في مثل سني ومستوى الدراسي في تلك المرحلة أن يفهم موضوعاتها أو يستوعب ما فيها من معلومات.

ظلت علاقتي مقطوعة بمؤلفات الشيخ محمد الطاهر بن عاشور طيلة المرحلة الثانوية، وحتى نهاية المرحلة الجامعية، وعلى الرغم من أنني سمعت الأستاذ الدكتور عمار طالبي حفظه الله - في محاضرة ألقاها علينا حين زارنا لما كنا طلاباً في السنة الأولى الجامعية (1987-1988) - يثني على تفسير التحرير والتنوير ويقول إنه من أفضل التفسيرات في العصر الحديث، وأنه يرجع إليه كثيراً ويقرأ فيه، إلا أن انطباعي الأول عن مؤلفات الشيخ ابن عاشور بقي مناماً لي من التواصل مع مؤلفاته.

في السنة الأخيرة من المرحلة الجامعية درسنا مادة مقاصد الشريعة عند شيخنا الأستاذ الدكتور

ونشره الأستاذ محمد الطاهر الميساوي سنة 2015 بعنوان «جهمرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور» حيث أثرى به ثراث الإمام ابن عاشور من جهة وقدم خدمة جليلة للباحثين في هذا التراث من جهة ثانية. وأخر ما حصلت عليه وقرأته من مؤلفات الإمام رحمه الله كتاب «السيرة النبوية: قصة المولد»، الذي أعادت نشره دار السلام سنة 2018. هذا والإمام مؤلفات أخرى عديدة في الأدب والشعر واللغة أعيد طبعها في دار السلام بالقاهرة وأصبحت منشورة ومتوفرة في المكتبات في السنوات الأخيرة، إلا أنني لم أشتغل بقراءتها، ليس لعدم أهميتها أو لخوها من الفائدة، وإنما لأنني لم أجد في نفسي داعياً لإقبال عليها.

أذكر من أهم ما كتب عنه: كتاب «شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور - حياته وأثره»، للدكتور بلقاسم الغالي رحمه الله، الذي يعتبر من أوائل المؤلفات عنه، وقد صدر عن دار ابن حزم في بيروت سنة 1996.

وكتاب: «محمد الطاهر ابن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه»، للأستاذ إياد خالد الطباع، الذي أصدرته دار القلم في دمشق ضمن سلسلة «علماء ومفكرون معاصرون» سنة 2005.

وكتاب: «الشيخ العلامة محمد الطاهر ابن عاشور مفتي تونس الأشهر فيما نشر له من الفتاوى خلال القرن الرابع عشر الهجري»، للدكتور محمد السويسي العباسي التوزري.

كما عقدت عدة مؤتمرات أفرزت للبحث في تراث الإمام ابن عاشور ودراسة جهوده العلمية والأدبية، منها مؤتمر «الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر: رؤية معرفية ومنهجية» الذي جرت وقائعه في المغرب سنة 2009، وصدرت أعماله الكاملة في كتاب عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة 2011.

*جامعة باتنة

تفسيره الضخم والمتميز «التحرير والتنوير»، الذي قرأت الجزء الأول منه وقد تضمن عشر مقدمات في التفسير وعلوم القرآن، كما كنت أقرأ مواضيع متفرقة من أجزائه الأخرى عند الحاجة إلى تفسير آية معينة أو مجموعة آيات من كتاب الله عز وجل.

أتيسر لي بعد ذلك أن أقف على كتابه «تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة» الذي وجدته عند أحد الأصدقاء فاستعرت منه وقرأته، وقد تضمن بحثاً للشيخ رحمه الله حول آيات وأحاديث مشكلة، كما تضمن مباحث أخرى لها صلة بالسيرة النبوية الشريفة وكتاب الموطأ للإمام مالك ومبحثاً ضافياً في شرح حديث تجديد الدين.

كما قرأت كتابه الموجز «نقد علمي على كتاب الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبد الرازق، ومنهجه فيه قائم على إيراد فقرة من كلام المؤلف أو تلخيص فقرة من أفكاره وتحديد الصفحة التي وردت فيها، ثم نقضها مباشرة والاكتفاء بذلك، دون الخوض في قضايا جانبية أو الاستطراد إلى موضوعات متصلة.

وقرأت كذلك كتابه الموجزين: «موجز البلاغة» و«أصول الإنشاء والخطابة».

ومما أقرأته أيضاً كتابه «اليس الصبح قريب: التعليم العربي الإسلامي»، الذي عالج فيه قضايا التربية والتعليم في الإسلام، وتطور مدارس التعليم ومناهجها وطرقها في مختلف الأقطار الإسلامية عبر التاريخ، وتحدث عن التعليم في جامع الزيتونة والعلوم التي تدريس فيه والمشكلات التي كانت تواجهه، ثم تناول الإصلاح التربوي والتعليمي المنشود وكيف يمكن تحقيقه.

ظلت بعد ذلك أبحت عن مؤلفات الشيخ ابن عاشور الأخرى وأسعى إلى الحضور عليها وقرأتها، فتحصل لي منها كتاباه: «النظر الفصيح عند مضايقات الأنظار في الجامع الصحيح»، و«كشف المغطى من الألفاظ والمعاني الواقعة في الموطأ» بعد أن نشرتهما دار السلام في القاهرة بالتعاون مع دار سخون في تونس، إضافة إلى الكتاب المتميز ذي الأربع مجلدات الذي جمعه

يوسف حسين أحمد الهندي حفظه الله، الذي حجب إلينا هذه المادة وحشا على البحث والقراءة في مصادرها ومراجعتها، ولم تكن هناك في الواقع مصادر أو مراجع للمادة سنة (1990-1991) سوى كتابي «الموافقات» للشاطبي و«مقاصد الشريعة الإسلامية» لابن عاشور، إذ لم تكن حينئذ قد ظهرت الدراسات والمؤلفات الكثيرة في مقاصد الشريعة المتوفرة اليوم. وهناك كتاب مهم جداً ووقت عليه في السنة الأخيرة من المرحلة الجامعية في إحدى المكتبات العامة بمدينة باتنة، وهو «حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التقييد للقرافي»، وهو كتاب في أصول الفقه ألفه تعليقا وشرحا على كتاب «تنقيح الفصول» للإمام القرافي، وعلى الرغم من أن معارفي في علم أصول الفقه كانت جيدة حينئذ، إلا أنني وجدت صعوبة بالغة في فهم موضوعاته لعلو لغته وعقو مباحثه، ومما زاده صعوبة أنه مطبوع على الطريق القديمة أي أن نص كتاب القرافي في وسط الصفحة ونص كتاب ابن عاشور على هامشها.

وعندما توليت تدريس مادة «مقاصد الشريعة» لطلبة السنة الرابعة فقه وأصول خلال الفترة الممتدة ما بين سبتمبر 1994 وجويلية 2002، ازدادت صلتني بمؤلفات الإمام ابن عاشور، خاصة منها كتابه «مقاصد الشريعة الإسلامية»، وكتاب «أصول النظام الاجتماعي في الإسلام»، ومما أعانني على الاستفادة أكثر من ابن عاشور رحمه الله رسالة الماجستير للأستاذ إسماعيل الحسني المغربي التي نشرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة 1995، بعنوان «نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور»، والتي وفرت لي مادة جيدة في المقاصد واسترشدت من خلالها على مواضيع المادة المقاصدية في مؤلفات ابن عاشور وخاصة تفسيره «التحرير والتنوير».

كان هذا التواصل مع ابن عاشور من خلال الكتابيين المذكورين، سبباً إلى أن تتوسع دائرة علاقتي به لتشمل بقية مؤلفاته، ومنها خاصة



د. بدران بن الحسين*

الإنسان كائن متعلم وأخلاقي

إن القرآن الكريم يرسم لنا صورة واضحة جدا عن الإنسان تتجاوز الصور الخرافية والأسطورية للكتب الدينية التي ورثتها البشرية محرفة، كما تتجاوز الصورة التي يرسمها القرآن عن الإنسان ما رسمه له الفكر الإنساني المفارق للدين، وهي الصورة الفلسفية التي تختزل الإنسان في بعده العقلي، فتراه كأننا عاقل ولا نهتم بعد ذلك ببقية أجزاء الصورة وأبعادها إلا عرضا.

إن القرآن يعلمنا أن الإنسان كائن متعلم، وكائن أخلاقي، في الآن نفسه. فكيف ذلك؟!

دعنا نضرب لذلك مثالين عن فكرتين ذكرهما كل من الدكتور جيفري لانغ، فمنذ أيام كنت أستمع لمقطع على «اليوتيوب» للدكتور جيفري لانغ (Jeffrey Lang) البروفيسور الأمريكي في الرياضيات، الذي يعمل حاليا في قسم الرياضيات في جامعة كنساس، سمعته يتحدث فيه عن آيات من القرآن الكريم حددت مصيره الإنساني، ونقلته من الإلحاد إلى الإيمان. وفي حديثه عن فهمه للآيات كان يركز كثيرا على ثراء المفردة القرآنية، وعلى تميز القرآن في أسلوبه إلى درجة الإعجاز والقصاع، وعلى أن معاني القرآن ثرية وجذابة بحيث كلما حاولت أن تتعامل مع أمر إلا وجدت القرآن قد مهد له الأرضية وجعلك تفهم سواك

ولكن لو عرفوا السبب، فإن تعجبهم وتساولهم سيزول. فالملائكة تسألت كيف تجعل فيها هذا الكائن الذي سيفسد فيها ويسفك الدماء، وكأنها تقول يا رب: لم تجعل فيها هذا المخلوق الذي يفعل الشر ولا يفعل الخير.

لكن كما يقول لانغ، فإن القرآن يجيب عن ذلك إقبال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سيخافك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون.

فإنه تعالى أخبر الملائكة أنه يعلم عن هذا الإنسان ما لم يعلموه هم. ولهذا فإن القرآن يتحدث عن «تعليم آدم الأسماء»، بما يشير إلى قدرة آدم على التعلم، ومعرفة الأسماء، وتشكيل اللغة. فهذه القدرات التي زود الله بها الإنسان ستزِيل تساؤل الملائكة وتعجبهم، وسيذكرون أن هذه القدرة التي زود بها الإنسان تستحق التكريم، ولهذا لما أمرهم الله بالسجود، أي الملائكة، سجدوا بدون تردد.

وسيزداد الأمر وضوحا كما يقول لانغ حينما يرفض الشيطان السجود، تكبرا، بل ويوسوس للإنسان حتى يخرجه بأن يخالف أمر الله لأمه بالامتناع عن الأكل من الشجرة التي منع منها؛ لإزاد قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث

وتبحث عن الجواب الذي يعطيك معالمة. والآيات التي ذكرها جيفري لانغ هي الآيات المتعلقة بخلق الإنسان وتكليفه بالخلافة في الأرض، وتسؤال الملائكة، ووسوسة الشيطان لآدم وزوجه وهبوطهم إلى الأرض، وتوبة آدم ورحمة الله به ومغفرته لزلته، وما يتميز به الإنسان من خاصية التعلم، والإرادة، مما جعله كائنا متعلما وأخلاقيا. وهذا الذي نريد أن ننبه إليه في مقالنا هذا؛ أي تلازم العلم والموقف الأخلاقي لدى الإنسان، بما يحدد مصيره على أحد النجدين، «إما شاكرا وإما كفورا».

وقد ذكر ذلك مفصلا في كتابه «الصراع من أجل الإيمان»، الذي وصف فيه رحلته أنه وقف مصدوما متسائلا، لما وصل إلى الآيات من 30 إلى 37 من سورة البقرة وقف حائرا مصدوما مما وجده في القرآن، بحيث أنه جعله يراجع كل ثقافته الدينية المسيحية التي تربي عليها، والتي تصور أن حياة الإنسان على الأرض على أنها عقوبة بسبب ارتكابه «الخطيئة الأصلية». ففي الوقت الذي تصور الثقافة الدينية المسيحية هبوط آدم من الجنة إلى الأرض عقوبة وطردا، فإن القرآن تحدث عنه باعتباره خليفة في الأرض؛ لإزاد قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، وحتى تسأول الملائكة عن إفساد آدم وسفكه للدماء؛ «إتخيل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك»، فإن القرآن يصور لنا الأمر أن تسأول الملائكة مشرع،

شئنا ولا نقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين». والإنسان يتعلمه سيدرك الحق والباطل، والصواب والخطأ، ولكن أيضا يملك الإرادة على فعل الخير أو الشر، كما يملك الإرادة على الامتناع عن فعل الخير أو الشر.

ولهذا فإن هذا الإنسان المزود بقدرة التعلم، زل، واتبع وسوسة الشيطان، فاتخذ موقفا خطأ، وهذا يجعله يتحمل المسؤولية عن فعله، وهي الهبوط إلى الأرض، ولكن أيضا بإمكانه أن يستدرك، ويتخذ الموقف الصواب، ويتوب إلى الله، ولا يتبع وسوسة الشيطان؛ «فإزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم».

بعبارة أخرى، وكما يقول لانغ، فإن تلك الآيات التي أوردناها، تبين لنا أن الإنسان كائن تقوم حياته على العلم، وعلى الأخلاق؛ أي القابلية للتعلم والقابلية لتحمل المسؤولية بآرائه الحرة، وهو في ذلك إما يحقق الخير فلا يسفك الدماء ولا يفسد في الأرض كما تسألت الملائكة، بل ينجز الخلافة، وإما يستجيب لإغراءات الشيطان فيفسد عليه إبليس ظنه، ويقع في الفساد والإفساد. وكلا الاتجاهين مبنيان على الإنسان، لأنه الذي له قابلية التعلم واتخاذ موقف أخلاقي. فالإنسان كائن متعلم وكان أخلاقيا.

*مركز ابن خلدون للعلوم الاجتماعية والإنسانية/جامعة قطر

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم

الأستاذ محمد فريد وجدي رحمه الله (1878 - 1954)

ما نسي بعد وفاته وأهمل طلاب العلم أعماله ومؤلفاته، ولولا أن قبض الله له بعض تلاميذه وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي - رحمه الله - الذي ألى على نفسه أن يحيي ذكره وينشر مؤلفاته ومقالاته ويعرف سيرته وأعماله الرائدة، ما عرفنا شيئا عنه. سبته الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي رحمه الله كتابا متميزا نشر سنة 2003 بعنوان «محمد فريد وجدي الكاتب الإسلامي والمفكر الموسوعي»، من 330 صفحة، أحاط فيه بالظروف التي ولد فيها هذا العالم المفكر ونشأ وعاش، والأعمال التي قام بها، بالموضوعات التي شغلت فكره واستأثرت باهتماماته، والعلاقات التي ربطته بأعلام عصره، والمناقشات والمعارك التي دارت بينه وبين خصومه ومخالفيه، وما تميزت به ردوده من أدب جم وسمو أخلاقي رفيع، حيث إنه كان يركز على الموضوع ولا يتعرض لشخص المخالف بل كان يلتصق لمخالفه الأعداء والمبررات، فلم يكن هدفه الانتصار عليهم وإنما إثبات الحقائق العلمية.

وقبل هذا الكتاب ألف الدكتور محمد طه الحاجري كتابا بعنوان: «محمد فريد وجدي حياته وآثاره» نشر سنة 1970، كما ألف الأستاذ أنور الجندى كتابا بعنوان: «محمد فريد وجدي: رائد التوفيق بين العلم والدين» نشر سنة 1974، وهذا الكتابان لم تعد طبعتهما وذلك فيما مفقودان ولا يتاح الوصول إليهما. فيما عدا هذه الكتب الثلاثة لم أفق على مؤلفات أو دراسات عن حياة محمد فريد وجدي أو أعماله أو آرائه في مختلف القضايا التي عالجها وبحثها والموقف التي وقفها، ولذلك فهذه مناسبة لدعوة الباحثين وطلاب الدراسات العليا إلى أن ينتهوا إلى هذا الرجل وفكره وتراثه فيقبلوا على دراسته وإجلاء خصائصه وإبراز ما فيه من فوائد.

*جامعة باتنة

من مؤلفاته المتميزة كذلك؛ كتاب «على أطلال المذهب المادي»، الذي أفرده لنقد المذهب المادي الإلحادي الذي شاع في القرن العشرين واستولى على عقول كثير من الناس خاصتهم وعامتهم واستعمل التكشوف العلمية الحديثة والتطور العلمي الهائل في ازدياد الأدیان والاستهزاء بها وحمل الناس على الإعراض عنها والانسلاخ من تعاليمها.

وهناك أيضا كتابه المتميز «المرأة المسلمة: دراسة نقدية لدعاة تحرير المرأة وبيان دور المرأة في صلاح المجتمع وفساده»، والذي ألقى فيه الرد على قاسم أمين في دعوته لتحرير المرأة، حيث بين المؤلف أن الإسلام حرر المرأة ورفع شأنها وبوأها المكانة التي هي جديرة بها، وأكد أن الحجاب ضروري للمرأة لكونه الضمانة الوحيدة لاستقلالها وحريتها.

وهناك كتب أخرى مهمة وجديرة بالقراءة والإطلاع على ما تضمنته من علم نافع وتحقيقات علمية مائة، منها: كتاب «المدنية والإسلام» الذي نشر أيضا بعنوان «تطبيق الديانة الإسلامية على نواحي المدنية»، وهو أول مؤلفاته حيث ألقاه في العشرين من عمره وقصد منه إلى «تفهيم الأوروبيين حقيقة الدين الإسلامي وماهيته وإثبات أنه ضامن للإنسان نيل السعادات وكافل له راحة الحياتين». وكتاب «مقد كتاب الشعر الجاهلي» لطف حسين. وكتاب «الوجدات» الذي تضمن ثمانية عشرة وجدي هي عبارة عن «مسالات خيالية الغرض من نشرها تصوير مثل عليا للحياة الفاضلة لإمداد النفوس بالقرى الأدبية الضرورية لها»، وكتاب «الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية»، وكتاب «حوار الإيمان والإلحاد».

في الأخير، نسجل أن هذا العالم الفذ والمفكر العملاق الذي ملأ الدنيا وشغل الناس في حياته، وشهد له بالنوع والتميز أقرانه من العلماء والمفكرين مثل شكيب أرسلان وعباس محمود العقاد ومحمد حسين هيكل، سرعان

كتاب ألفه ليكون دليلا بين يدي قارئ التفسير ليُعرفه بمباحث ضرورية لفهم القرآن، تتعلق بتاريخه وكيفية نزوله وتعدد قراءاته وكيفية حفظه وترتيبه وبيان معجزته العلمية الكبرى التي تشهد بأنه كلام الله المنزل، وإقامة الأدلة على حفظه من التبدل والتحريف، وغير ذلك من المباحث الهامة.

وقد طبع المؤلف في حياته هذه المقدمة مفردة عن التفسير وبقيت طبع بعد وفاته مفردة كذلك. لم تتوقف علاقته مع العلامة محمد فريد وجدي اطلعت في المرحلة الجامعية كذلك على موسوعته الكبيرة المتميزة التي انفرد بها عن غيره من العلماء العرب والمسلمين في العصر الحديث، والتي تعجز عن إنجاز مثلها المؤسسات العلمية الكبيرة، فضلا عن أفراد الباحثين، ألا وهي «الآثر معارف القرن العشرين» في عشر مجلدات كبيرة بلغ عدد صفحاتها مجتمعة (8416 صفحة).

لم تتوقف علاقته مع العلامة محمد فريد وجدي عند هذه المؤلفات القليلة، فأعجابي بعمق أفكاره وبأسلوبه المتميز في دراسة المسائل وطريقته في الدفاع عن الإسلام وتعاليمه، كل ذلك جعلني أطلع إلى الإطلاع على بقية كتبه وأبحث عنها في المكتبات ومعارض الكتب، وقد أتيت لي الوقوف على عدد معتبر منها، وفي السنوات الأخيرة مكنتني شبكة الأنترنت من تنزيل العديد منها خاصة تلك التي طبعها قديما ولا تتوفر طبعات جديدة منها.

من هذه المؤلفات المفيدة والنافعة؛ الكتاب الذي نشر في حياة المؤلف بعنوان «الإسلام دين عام خالد»، ونشر بعد وفاته بعنوان آخر هو «الإسلام دين الهداية والإصلاح»، والذي نوه على نسق كتاب «الإسلام في عصر العلم»، وعالج فيه مسائل جديدة تتصل بموضوع ذلك الكتاب، وقد قصد من تأليفه الكشف عن طبيعة الإصلاح الذي جاء به الإسلام للعالم، ونحوض الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام في العصر الحديث.



أ.د. أسماء قلوبسي*

العالم الموسوعي، والمفكر العقلاني المتصق، والباحث المدقق، والمفسر المحقق، والصحفي الماهر، والكاتب اللامع، والمناظر العنيد في الدفاع عن الإسلام وعقيدته وشريعته، العلامة الأستاذ محمد فريد وجدي رحمه الله.

أول ما قرأت من مؤلفاته خلال مرحلة الدراسة الثانوية، هو كتابه «الإسلام في عصر العلم»، الذي أقدمت على قراءته على الرغم من دقة مباحثه وعمق أفكاره وروصانة لغته ومعالجته لقضايا فلسفية بأسلوب عقلاني وكذا ضخامة حجمه (أكثر من 800 صفحة)، وقد أراد من تأليف هذا الكتاب أن يثبت - للمبهورين بالفلسفات المادية وبالفتوحات العلمية التي عرفها العصر الحديث - أن الإسلام هو الدين الذي يواكب العلم ويساير تطوره ولا يتعارض معه، وأن العلم الصحيح هو - في كل عصر - خير دليل على صحة الإسلام وسلامة تعاليمه من التناقض وتوافقه مع فطرة الإنسان وحاجاته، وأن تأخر المسلمين ليس بسبب الإسلام وإنما لأنهم تركوا تعاليم هذا الدين التي تأمرهم بطلب العلم والنبوغ فيه، لذلك بحث المؤلف القضايا الكبرى في الإسلام من وجهة علمية ليثبت أن الإسلام هو الدين الصحيح الذي لا يصح أن يسمى غيره دينا، فالحج قضية الإنسان، ثم قضية المدنية، ثم حياة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم ما وراء المادة، إضافة إلى بعض المباحث ذات الصلة.

أعترف أنني حينئذ لم أفهم الكثير مما جاء في الكتاب، لكن مطالعتي له بعد ذلك مرة بعد مرة وزيادة معارفي شيئا فشيئا أمكنتني من فهم ما جاء فيه.

أتبع لي بعد ذلك أن أجد لدى أحد بائعي الكتب على قارعة الطريق في مدينة باتنة، كتابا صغيرا موجزا للمؤلف، عنوانه «مقدمة التفسير»، وهو

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله (1880 - 1937)



أ.د. مسعود فلويسي

الأديب الكبير، والكاتب البليغ، والشاعر المجيد، والناقد الفذ، والفارس المقدم في الدفاع عن الإسلام والقرآن واللغة العربية، العلامة الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله.

أول لقاء لي مع الأستاذ الرافعي رحمه الله كان خلال المرحلة المتوسطة، وذلك من خلال كتبه الأدبية التي طبعها التوجه العاطفي، وفي مقدمتها كتابه «أوراق الورد...» رسائلها ورسائله»، الذي كان أول ما قرأت من كتبه، ولا أبلغ إذا قلت إنني قرأته عدة مرات في تلك المرحلة.

يُكمل هذا الكتاب في توجيهه وموضوعه كتب أخرى ألفها الرافعي على نفس النسق، هي: «رسائل الأحزان في فلسفة الحب والجمال» و«السحاب الأحمر» و«حديث القمر». في هذه الكتب الثلاثة تحدث الرافعي كثيرا عن الحب وحاول أن يحلله من الناحية العقلية وأن يعطيه بعدا روحيا يسمو على نزعات الجسد. وهناك كتاب آخر يندرج ضمن التوجه العاطفي كذلك أفرد الرافعي للحديث عن الفقر وما يعاناه الفقراء من مأس ومتاعب بأسلوب قصصي غاية في الروعة والتأثير، هو «كتاب المساكين»، حيث يسرد فيه القصص المختلفة على لسان الشيخ علي شيخ المساكين الذي يمزج في حديثه بين الحكاية والموعظة ويحلق في آفاق فلسفية عالية.

هذه الكتب هي التي ربطتني بالرافعي رحمه الله في البداية، وكان هذا طبيعيا بالنسبة لمن كان في مثل سني في تلك المرحلة يهوى القراءة ويحرص على السليمانية.

لكن قرأتني لهذه الكتب وإعجابي بأسلوب الرافعي ولغته البليغة وتأثير بطريقته في العرض والتحليل، كل ذلك يسر لي أن أقبل بعد ذلك في المرحلة الجامعية على كتبه الفريدة ودراساته الفذة التي انفرد بها عن غيره من أدباء وأعلام جيله، وحلق فيها عاليا في سماء العلم والأدب. يأتي على رأس كتبه التي قرأتها وتركزت أثرها عميقا في نفسي: كتابه الشهير «وحي القلم» الذي قال فيه الزعيم المصري سعد زغلول كلمة هي أصدق وأبلغ ما يمكن أن يقال فيه حين وصفه بأنه «ببين كأنه تنزيل من التنزيل أو قيس من نور الذكر الحكيم». وقد جمع الرافعي في هذا الكتاب المقالات التي نشرها في مجلة «الرسالة» للأستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله بين سنتي 1934 و 1937. هذه المقالات ليست كلها من نوع واحد أو ذات أسلوب واحد، وإنما هي مقالات متنوعة الأسلوب ومتعددة الموضوعات والأغراض، ففيها القصة التاريخية، وفيها الترجمة للأعلام، وفيها النقد الأدبي، وفيها المقالة الدينية التوجيهية، وفيها التحليل الاجتماعي، وفيها التأمل الفلسفي، وفيها الرأي السياسي. كل ذلك مجموع بين دفتي هذا الكتاب

إلى الكتابة الثرية، ومؤلفاته، ومعاركه الفكرية والأدبية، وعمله في الرسالة، وطريقته في الكتابة، وغير ذلك من الموضوعات الكاشفة عن مسيرة حياة الرافعي وشخصيته.

جاء بعده كتاب الدكتور كمال نشأت الذي نشر في سلسلة أعلام العرب المصرية سنة 1968م في 152 صفحة، بعنوان «مصطفى صادق الرافعي»، قسمه المؤلف إلى ستة أبواب هذه عناوينها: حياته وموته، مع الوحي، المرأة في حياته، معاركه، مؤلفاته، فنه الأدبي.

يلس هذا الكتاب في الأهمية؛ كتاب آخر ألفه الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة رحمه الله، بعنوان «مصطفى صادق الرافعي كاتباً عربياً وفكراً إسلامياً»، صدرت طبعته الأولى عن دار عالم الكتب في بيروت سنة 1970م، في 239 صفحة، وجاء في خمسة فصول أحاط فيها المؤلف بمختلف جوانب حياة الرافعي وأفكره وأدبه، وهذه عناوينها: الرافعي نشأة وثقافة وزمانه، آداب العرب وإعجاز القرآن، معركة النقد المقدس، المقالة الإسلامية، الأثر الإسلامي للرافعي في أدباء عصره.

وهناك أيضاً كتاب مهم ومتميز ألفه الأديب الكبير والكاتب البليغ الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي رحمه الله، أصدرت طبعته الأولى دار القلم في دمشق ضمن سلسلة «أعلام المسلمين» سنة 1997م في 296 صفحة، وجاء بعنوان «مصطفى صادق الرافعي فارس القلم تحت راية القرآن»، أحاط فيه - بأسلوبه المتميز ولغته الفريدة - بمختلف جوانب حياة الرافعي وأنشطته وأعماله العلمية والأدبية، والمجالات التي برز فيها من شعر ونثر نقد ودفاع عن الإسلام، وعن رأيه في المرأة، ومعركته مع العقاد.

إلى جانب هذه الكتب التي ذكرتها والتي أطلعت عليها وقرأت فصولاً أو مباحث منها، هناك كتب كثيرة ألفت عن الرافعي، فضلاً عن الرسائل الجامعية التي أعدت حول مختلف جوانب حياته وفكره وأدبه وجهوده، أما المقالات التي كتبت عنه في حياته وبعد وفاته فهي أكثر من أن تحصر.

وقد شارك الباحثون الجزائريون في حركة التأليف عن الرافعي، حيث ألف العديد منهم رسائل لنيل الماجستير أو الدكتوراه عن جوانب مختلفة من حياة الرافعي وأدبه وآثاره المختلفة، وتمت مناقشتها في عدد من الجامعات الجزائرية. أشهر هنا - بصفة خاصة - إلى الرسالة التي أعدها زميلنا وأخونا الأكبر الأستاذ الدكتور محمد زمران ونال بها درجة الماجستير من معهد الآداب واللغة العربية بجامعة باتنة سنة 1987 وكانت بعنوان «المقال في أدب مصطفى صادق الرافعي» في أكثر من 350 صفحة، وقد حضرت مناقشتها يومئذ وكنت طالبا في السنة الأولى من المرحلة الجامعية، هذه الرسالة لم ينشرها الأستاذ الفاضل إلى اليوم، على الرغم من اشتغاله بالتأليف والبحث ونشره لكتب كثيرة ألفها بعدها.

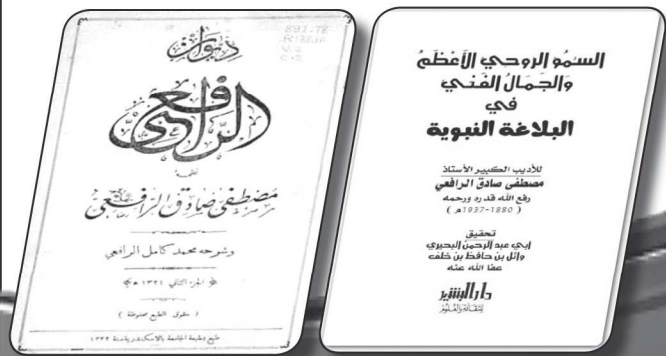
*جامعة باتنة

هو كتاب «على السفود» الذي أدار فيه معركة عنيفة بينه وبين الكاتب الكبير عباس محمود العقاد رحمه الله، وكان سبب بدء هذه المعركة ما أبداه العقاد من رأي في كتاب الرافعي عن «إعجاز القرآن والبلاغة النبوية»، حيث كان العقاد يذهب إلى غير ما يذهب إليه الرافعي في بعض الجوانب، فنشر رأيه في مقال أو عدة مقالات أطلع عليها الرافعي فتأثرت تأثرته وشحن على العقاد هجوما عنيفا أراد من خلاله أن يسكته نهائيا ولذلك اختار لمقالته التي رد بها عليه هذا العنوان العنيف «على السفود» أي المشواة. ولم يتناول الكتاب مجرد الرد على ما ذهب إليه العقاد، وإنما تناول مسائل أخرى انتقد فيها الرافعي العقاد، خاصة فيما يتعلق بشعر العقاد الذي كان الرافعي شديد النقد له. وقد بلغت الخصومة بينهما ذروتها حين أصدر العقاد ديوانه «وحي الأربعين» فتصدى الرافعي لنقده ورد عليه العقاد وأمدت بينهما المساجلات إلى أن توفي الرافعي دون أن تنتهي المعركة بينهما.



هذا وللرافعي ديوان جمع فيه ما كتبه من قصائد أنشأها في أوائل اشتغاله بالكتابة والنشر، وقد علق على قصائده وشرحها محمد كامل الرافعي، وكتب له صاحب الديوان مقدمة أكد فيها أن الشعر يرجع إلي طبع صقلته الحكمة وفكر جلا صفحته البيان، وأنه موجود في كل نفس من ذكر وأنثى، وأبرز كيف بدأ عند العرب وكيف تطور وازدهر، وتحدث عن مذاهبه وأغراضه، وفرق بين المترسلين والشعراء.

أسما ما كتب عن الرافعي مما أتيح لي قراءته أو الاطلاع عليه، فأذكر منه كتاب «حياة الرافعي» للأستاذ سعيد العريان رحمه الله، الذي قدم له الأستاذ محمد شاكور رحمه الله، هذا الكتاب ينشر في 270 صفحة سنة 1938م، أي في السنة المالية لسنة وفاة الرافعي ويعتبر أفضل ما كتب عنه لأنه كتب بقلم عارف خبير به ومصاحب ومجالس له لسنوات عديدة، وقد أحاط فيه بكل ما يتعلق بالمترجم له، من نسبه ومولده، وعلمه وثقافته، واشتغاله بالوظيفة وأحواله بين أهله، وكتابه للشعر أولا ثم انصرافه



مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم

الشيخ مبارك بن محمد الميلي رحمه الله (1898-1945م)

من أوائل تلاميذ الإمام ابن باديس رحمه الله، وأحد أبرز مؤازريه ومعاونيه المخلصين في أعماله الإصلاحية والصحفية والعلمية والإدارية، رائد التأليف في تاريخ الجزائر، ومديح المقالات الماتعة في صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المصلح المؤثر والمعلم المربي والصحفي اللامع والإداري المتقن، الشيخ العلامة مبارك بن محمد الميلي رحمه الله.



د. مسعود قنوسي

يخلف رحمه الله بعد وفاته سوى كتابين اثنين، إضافة إلى عدد من المقالات التي نشرها في صحف جمعية العلماء وغيرها من الصحف والمجلات التي عاصرها، ومع ذلك فإن هذه الآثار القليلة في عددها كان لها النصيب الأكبر من التأثير والانتشار والنفع والإفادة لجمهور القراء وطلاب العلم والمعرفة، في حياته وبعد وفاته رحمه الله.

عرفت الشيخ مبارك رحمه الله أول مرة من خلال كتابه «رسالة الشرك ومظاهره» الذي أعادته نشره دار البعث بقسنطينة، مصورا عن طبعته الأولى التي نشرت في حياة المؤلف رحمه الله، كان ذلك في أواسط الثمانينات من القرن الماضي، سنة 1985 تحديدًا، وقد قرأت تلك الرسالة في تلك المرحلة وتأثرت بما جاء فيها من فقه دقيق وعلم عميق في التمييز بين ما هو من صلب الدين ومقوماته وما هو دخيل عليه ومندسوس فيه من خرافات وبدع ومنكرات هي إلى الشرك أقرب منها إلى الإيمان، كما أعدت قراءة الكتاب بعد ذلك في طبعته التي أصدرتها دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 2000، والتي أشرف عليها وقدم لها نجل المؤلف الأستاذ محمد الميلي رحمه الله، والذي أبرز في تقديمه للكتاب الأسباب التي دفعته إلى إعادة طباعته من جديد، مركزا على الجهد الذي بذلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في محاربة البدع والخرافات ومقاومة نشاط المصيرين والملاحدين ضد الإسلام ومكافحة الحرب المعلنة على اللغة العربية لغة القرآن الكريم، مؤكدا أن هذا الكتاب ألف في هذا الإطار، وأن الحاجة إليه ما زالت مستمرة لأن ذلك النشاط ما زال يأتينا من وراء الحدود في صور جديدة وأشكال مستحدثة، وأن تلك الحرب على الإسلام واللغة العربية لم تتوقف مع رحيل الاستعمار العسكري من البلاد وإنما تجددت بعد ذلك في إطار الغزو الثقافي والفكري.

يجدر هنا التذكير بالحفاوة التي حظيت بها هذه الرسالة عند صدورها أول مرة عن المطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة سنة (1356هـ-1937م)، حيث زكاه المجلس الإداري لجمعية العلماء، إذ جاء في البيان الذي أمضاه الكاتب العام للجمعية الشيخ العربي التيسي رحمه الله ما يلي: «إن المجلس الإداري لجمعية العلماء يقرر بإجماع أعضائه أحقية ما اشتملت عليه هذه الرسالة العلمية المفيدة، ويوافق مؤلفها على ما فيها، ويدعو المسلمين إلى دراستها والعمل بما فيها فإنه العمل بالدين».

ثم كانت صلتني بعد ذلك بكتابه «تاريخ الجزائر في القديم والحديث» الذي أنجز المؤلف منه المجلدين الأولين مغنينا تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى بداية العهد العثماني، وأتم ابنه الأستاذ محمد الميلي رحمه الله المجلد الثالث الذي تتناول العهد العثماني كاملا. هذا الكتاب يعتبر أول ما ألف الجزائريون في تاريخ بلادهم، حيث حرص على إثبات وجود الأمة الجزائرية وإبراز دورها في التاريخ والحضارة، رادا بذلك على مزاعم المؤرخين الاستعماريين الذين حاولوا نفي وجود أمة جزائرية في التاريخ

ومنهجه في دراسة تاريخ الجزائر، وكذا جهوده الصحفية وما تميزت به مقالاته في أسلوبها ومضمونها، وأيضا جهوده الإدارية التي بذلها باعتباره مديرا لجريدة البصائر وأميناً للمال لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ثم إن هذه الرسائل قليلة جدا في حق الشيخ مبارك ولا تتلاءم مع مكانته العلمية والثقافية المتميزة في تاريخ الحركة الإصلاحية الجزائرية. وهناك عدد من المقالات والبحوث التي كتبت

أكثر إذا عرفنا أن المؤلف ضمنه عددا معتبرا من المقالات التي كتبها معاصرو الشيخ من أساتذته وزملاء وأقران وتلاميذ عنه وعن جهوده وأشاره الفكرية والإصلاحية وعمما عرفوا من أحواله وشؤونه وما خبروه من أخلاقه وخصاله، والتي لم يكن بالإمكان الوقوف عليها مجتمعة لولا صنيع المؤلف بجمعها في هذا الكتاب. يلي هذا الكتاب في الأهمية الكتاب الذي ألفه الدكتور عبد الطيف عبادة رحمه الله بعنوان «دراسة في فكر الشيخ مبارك الميلي» ونشرته شركة الأصالة في الجزائر العاصمة سنة 2015، وقد ضمن المؤلف كتابه هذا أربع دراسات عميقة ومتميزة عن حياة الشيخ مبارك وفكره العلمي والإصلاحية والسياسية،

حيث جاءت عناوين هذه الدراسات متتابعة كما يلي: «الشيخ مبارك بن محمد الهلالي الميلي المصلح

السلفي الوطني»، «فلسفة الشيخ الميلي السلفية»، «العلاقة بين الفلسفة والسياسة: الفكر الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي وعلاقته بالفكر السياسي السني»، «الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي

وشيوخ الإسلام ابن تيمية»، هذه الدراسات سبق للمؤلف أن نشرها متفرقة في المجلات ثم جمعها إلى بعضها في هذا

الكتاب. كما أعدت عن الشيخ مبارك الميلي أكثر من رسالة جامعية في

الجزائر، عنيت بإبراز فكره العلمي وجوده الإصلاحية والتربوية، منها رسالة الماجستير التي أعدها الأستاذ علي بن طاهر تحت

إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف وناقشها في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة سنة 2001، وكانت بعنوان «مبارك الميلي وجهوده العلمية في الحركة الإصلاحية في الجزائر».

والرسالة التي أعدتها الباحثة فوزية لوصيف تحت إشراف الأستاذ الدكتور مولود سعادة ونالت درجة الماجستير من نفس الجامعة سنة 2004، وكانت بعنوان «التجديد في الفكر العقدي عند الشيخ مبارك الميلي: دراسة في رسالة الشرك ومظاهره». ورسالة الماجستير التي أنجزها الباحث سليم مزهود تحت إشراف

الأستاذ الدكتور عبد الله حمادي، ونوقشت بجامعة منتوري في قسنطينة سنة 2006، بعنوان «مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي». ورسالة الماجستير التي كتبها الطالبة أمينة مطمع تحت إشراف الأستاذ

الدكتور عزيز سلامي بعنوان «الشيخ مبارك الميلي وجهوده في الإصلاح العقدي» ونوقشت في كلية العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر سنة 2009. وكما نلاحظ فكل هذه الرسائل

اهتمت بالجهود الإصلاحية للشيخ مبارك، في حين غابت الأعمال المتعلقة بجهوده التاريخية



عن الشيخ مبارك ونشرت في الجرائد والمجلات الثقافية والعلمية الجزائرية، وكلها لا تخرج عن الدوران في فلك الجهود والمواقف الإصلاحية للشيخ مبارك رحمه الله، كما لا توفيه حقه من الدرس والتعريف.

ولعل الأدهى والأمر أن آثار الشيخ مبارك لا يكاد يقف عليها في مكتبة من المكتبات من يبحث عنها ويريد أن يقتنيها، بسبب ندرتها وعدم إعادة طباعتها، إذ ما تكاد تنتشر منها طبعة حتى تنفذ بسرعة، فمثل هذه الآثار العلمية النافعة يجدر بذور النشر أن تحرس على إصدارها بصفة مستمرة ولا تكفي منها طبعة أو طبعتين.

إن فكر الشيخ مبارك رحمه الله فكر ثري وغزير، وجوانبه متعددة وواسعة، وأسلوبه في الكتابة رصين متين، ولغته علمية دقيقة، ومنهجه في البحث والتأليف قائم على الاستقصاء والتدقيق والتحقيق، ومن الإحجاف في حقه حصره في نطاق واحد والاكتفاء بالنظر إليه من زاوية واحدة، فحقق بالباحثين والمهتمين توسيع دائرة النظر إليه والعمل على اكتشاف خباياه وإبراز امتداداته المتعددة والحرص على الاستفادة منه والتعريف به من مختلف الجوانب.

مؤلفون وكتاب قرأت لهم واستفدت منهم

الأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله (1317-1404هـ / 1899-1983م)

أول ما قرأت من مؤلفات العلامة الأستاذ الشيخ أحمد توفيق بن محمد بن أحمد بن محمد المدني - رحمه الله - وكنت حينها أزاو لدراستي في المرحلة الثانوية: كتابه: "حياة كفاف" ذي الأجزاء الثلاثة، والذي سجل فيه مسيرته في الحياة خلال أزيد من ستين عاما، حيث تناول في الجزء الأول حياته في تونس منذ مولده سنة 1898 أو 1899 إلى تاريخ إبعاده منها إلى بلده الأم الجزائر سنة 1925، وسرد في الجزء الثاني ما عاشه من أحداث وما قام به من أعمال في الجزائر من سنة 1925 إلى اندلاع ثورة نوفمبر سنة 1954، وخصص الجزء الثالث للحديث عن الثورة التحريرية وما كان له فيها من إسهامات منذ انطلاقها إلى نهايتها برحيل قوات الاحتلال الفرنسي سنة 1962،



أ.د. مسعود فلوسي*



في العهد العثماني وأرخ فيه لعهود عدد من الحكام العثمانيين في الجزائر. في شهادة أدلى بها ودونها الشيخ عبد الرحمن الجيلالي - رحمه الله - والتي أبرز فيها مزية الأستاذ توفيق المدني على تاريخ المغرب العربي عموما وتاريخ الجزائر خصوصا، يقول: "لولا المدني ما عرف قراء العربية من أبناء هذا الشعب تاريخهم القديم، ولا عرفوا تاريخ بلادهم الزكية في قديم الزمان، ولا عرفوا وضعية بلادهم جغرافيا ولا سياسيا ولا طبيعيا، فيفضل المدني عرف طلاب المدارس العربية وغيرهم كل ذلك، فكان له في هذا المضمار - رحمه الله - القدم السابقة والمزية الظاهرة" [مجلة التاريخ، الجزائر، ع 18، 1985م، ص 26].

هذه المؤلفات أتيت لي أن أطلع عليها واستفيد منها ما شاء الله لي أن أسفيد في مراحل مختلفة، ويمكنني أن أقول: إن مما ميز الكتابات التاريخية للأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله، إلى جانب ريادتها وتفردا وسبقها، مجموعة من المزايا والخصائص:

أولا: الجمع بين اللغة التعليمية البسيطة التي يفهمها العام والخاص من جهة، والبحث التاريخي العميق من جهة أخرى.

ثانيا: الأسلوب الجذاب الأنيق الفخم الذي تغلب عليه روح الخطابة وما تحمله من قوة، فهو يخاطب القارئ كأنه يسمعه ويتابع حركاته ويميز نبرات صوته، مما يجعل أفكار المؤلف تنفذ إلى قلب القارئ وعقله بسهولة وبسرعة، وتحقق مفعولها من أقصر طريق.

ثالثا: الإيجاز والإجمال، والتفكير على الأهم فالمهم، دون الخوض في تفاصيل لا يستفيد منها القارئ ولا تنفعه في شيء، فالمؤلف يقصد من وراء مؤلفاته تلك إلى تحقيق أهداف تاريخية وحضارية وثقافية محددة، وذلك يقتضي التحديد والمباشرة وسلوك أقرب السبل وأسهل الطرق.

هذا، وعلى الرغم من هذه المزايا التي تفردت بها الأعمال التاريخية للأستاذ أحمد توفيق المدني، إلا أنها لم تحظ بالاهتمام الذي تستحقه من قبل الباحثين والدارسين وطلاب الدراسات التاريخية الجزائرية، ولم تكن محلا لدراسات جامعية تتناولها بالعرض والتقييم والتعمق في منهجها ومضمونها، بل إن شخصية الفذة الثرية نفسها لم تكن محلا للدراسة والبحث، حيث لم نقف سوى على دراسة جامعية واحدة هي عبارة عن رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بعنوان "أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1893-1899"، أعدها الباحث عبد القادر خليف تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوالصفا رحمه الله، ونوقشت في جامعة قسنطينة سنة 2007م. كما كتبت عنه مقالات علمية قليلة انصبت حول بعض أعماله التاريخية ومنهجها فيها، ظهر بعض هذه المقالات في العدد الذي خصص له من مجلة التاريخ بعد وفاته، وصدر البعض الآخر في مجلات جامعة جزائرية. وكل ذلك لا يرقى إلى أن يكون في مستوى مكانة الرجل وجهاده وجهوده وبحوثه ومؤلفاته التاريخية الرائدة.

إلى تعطش الناس لقراءة كل ما يتصل بالثورة الجزائرية التي كانت حينئذ حديث الساعة في وسائل الإعلام ومنابر السياسة في العالم كله عموما والعربي خصوصا، وقد تضمن الكتاب تعريفًا شاملا بالجزائر جغرافية، وسكانا، وتاريخا منذ أقدم العصور، كما تضمن عرضا لما تعرضت له الجزائر من ظلم وعدوان واحتلال من قبل الفرنسيين، وما قام ضد هذا الاحتلال من ثورات ومقاومات وحركات منذ بداياته الأولى إلى منتصف القرن العشرين، وأخيرا التعريف بثورة نوفمبر وأسبابها وأهدافها ووقائعها الأولى في مختلف مناطق البلاد.

وبعد استقلال الجزائر، عاد الأستاذ توفيق المدني من جديد إلى البحث التاريخي المنعمق، فأنجز كتاب: "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا" الذي أصدره سنة 1968، وقد تناول فيه الدراسة تاريخ الجزائر في العهد العثماني وما شهدته خلاله من غزو صليبي استدماري من قبل إسبانيا ظل متتابع طيلة ثلاثة قرون (1492-1792م).

وقد فصل في مقدمة الكتاب الأسباب التي دعت إلى تأليفه وإفراده لهذا الموضوع تحديدا، كما بين معالم المنهج الذي سلكه في تأليفه وبناء موضوعاته، استهل المؤلف كتابه بتمهيد طويل أبرز فيه الخلفية التاريخية للعلاقات الجزائرية الإسبانية، ثم قسم الكتاب إلى تسعة عشر فصلا، جاءت عناوينها متتالية كما يلي:

عصر العدوان الإسباني وأسبابه المباشرة، العدوان الإسباني قبل النجدة التركية، العدوان الإسباني بعد النجدة التركية، رد الفعل العنيف، شخصية خير الدين، تلاعب الإسبان بعرش تلمسان، أواخر بني زيان، غزوة شارلكان الكبرى للجزائر وانكساره الشنيع، حسان بن خير الدين، صالح ريس بطل الوحدة والجهاد، حسان بن خير الدين من جديد، قش على المجاهد العظيم، ما بين الصليبيين، شعراء الجزائر يستثيرون الحكومة والشعب، النظام الاستعماري الإسباني في وهران، الفتح الأكبر وإفناذ وهران، الصليبية الإسبانية الثانية: انتصار الجزائر الأكبر، الصليبية الثانية: صد العدوان البحري، فصل الخطاب وتصفية الحساب.

بين المؤلف في هذا الكتاب "أجل بيان حقيقة الوجود العثماني بالبلاد الجزائرية، وهي أن ذلك الوجود ما كان إلا فترة بطولية من تلك الملحمة الراهية التي شنتها أوروبا الصليبية ضد الإسلام، مبتدئة بنوالة الأندلس ذات المدينة الشامخة والعمران الزريع، مولية وجهها بعد ذلك شطر الديار الإسلامية بالشمال الإفريقي وكانت دولها وأهية، ونظامها مختل، وشعبها المناضل لا يجد الحاكم الصالح ولا الزعيم السدي يرفع راية الجهاد أمام العدو الغاصب القوي، وكان ذلك العدو الذي التفت حوله راية المسيحية هو إسبانيا".

وكان آخر ما صدر للأستاذ أحمد توفيق المدني رحمه الله سنة 1974، قبل أو بالترام مع الجزء الأول من مذكراته "حياة كفاف"؛ كتاب "مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهران" نقيب أشرف الجزائر 1246-1168هـ / 1830-754م، هذا الكتاب الذي حققه الأستاذ توفيق المدني، ألفه أحد أشرف الجزائر

ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالاتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية"، وهو كتاب تاريخي موجز أحاط فيه بتاريخ الجزائر منذ أقدم العصور إلى سنة تأليف الكتاب، وقصد من تأليفه تعريف الجزائريين بحقيقة بلادهم وشخصيتها ومراحل تاريخها سياسيا وثقافيا واجتماعيا، كما فصل القول في المعطيات والخصائص الجغرافية للبلاد والعناصر المكونة لها والثروات التي تزخر بها وحالتها في ظل الاحتلال الفرنسي من جوانبها المختلفة.

وفي سنة 1937 أصدر الأستاذ أحمد توفيق المدني كتابه: "محمد عثمان باشا داي الجزائر: سيرته وحروبه وأعماله ونظام الدولة والحياة العامة في عهده"، عقد في أوله تمهيدا حول دراسة تاريخ العهد التركي بالجزائر وما يكتنفها من جدل وما يتعلق بها من نقاش وأخذ ورد، ثم قسم الكتاب إلى أربعة أقسام، أورد في القسم الأول "خلاصة عن الولاة والحوادث في العصر التركي"، وقدم في القسم الثاني ترجمة مفصلة وشاملة لداي الجزائر ما بين 1766 و1791 "محمد عثمان باشا"، وخصص القسم الثالث لإيراد "مقتطفات من (دفتر تشرifications) الرسمي سجلت في عهد محمد عثمان باشا رحمه الله"، أما القسم الرابع والأخير من الكتاب فهو عبارة عن ملحق تضمن "مقتطفات من مذكرات فونتير دي بارادي المتعلقة بهذا العصر". وقد كان هذا الكتاب "أول كتاب أطاق التمام عن حقيقة الوجود العثماني التركي في هذه البلاد، ونسب تلك الخرافات والأكاذيب التي اختلقها الاستعمار من أجل تشويه هذا الوجود"، كما عبر المؤلف نفسه في كتاب آخر.

تلا هذا الكتاب كتاب آخر حمل عنوان: "المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا" صدر سنة 1946، وقد قسمه إلى تسعة أبواب حملت العناوين التالية على التوالي: وصف جزيرة صقلية، موجز تاريخ صقلية، أمهات المدن والمعالم والآثار، الحكم الإسلامي الأغلب، الحكم الإسلامي الفاطمي، عصر الاستقلال الذاتي، صقلية الإسلامية تحت الحكم النرمانسي، التمدن والعمران، العلوم والآداب.

ونظرا لحاجة تلاميذ مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى كتب تغطي مقررهم الدراسي، ألف الأستاذ توفيق المدني كتاب: "جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية" سنة 1948، ونظمه في ثلاثة أقسام، تناول في الأول منها "الجغرافيا الطبيعية"، وفي الثاني "الجغرافيا الاقتصادية"، وخصص القسم الثالث "الجغرافيا السياسية".

وفي سنة 1950، نشر الأستاذ توفيق المدني روايته التاريخية الممسوحة "حنبل" بعد أن كان قد ألفها قبل ذلك وتم تمثيلها على مسرح الأوبرا في الجزائر منذ سنة 1948.

بعد اندلاع ثورة أول نوفمبر التحريرية توجهت الجهود إلى التعريف بها إعلاميا وحشد الدعم والمساندة السياسية والامادية لها، وفي هذا السياق ألف الأستاذ توفيق المدني كتابه: "هذه هي الجزائر" بعد تتخاها بالقاهرة سنة 1956 بصفته عضوا في البعثة الخارجية لجهة التحرير الوطني، وقد جاء تأليف هذا الكتاب بناء على طلب من الأستاذ محمد فؤاد جلال سكرتير عام مجلس الخدمات ورئيس مؤتمر الحريجين العرب، وأصدرت الكتاب مكتبة النهضة المصرية، حيث طبعت منه آلاف النسخ نفدت في فترة وجيزة جدا، بالنظر

وقد ذكر في مقدمة الجزء الأول أن هناك جزءا رابعا متعلقا بمرحلة ما بعد الاستقلال إلا أن هذا الجزء لم يظهر ولعله لم يؤلف أصلا. وقد أثار كتاب "حياة كفاف" عند صدوره [الجزء الثاني منه بصفة خاصة] موجة من الردود الغاضبة والانتقادات اللاذعة من عدد من تلاميذ الإمام ابن باديس ورجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذين أنكروا على المؤلف ما نسبته إلى نفسه من أعمال وجهود في إطار جمعية العلماء، حيث كتب بعضهم مقالات نشرت في الصحف ومن هؤلاء الأستاذ محمد الصالح رمضان - رحمه الله - وابنرى أحدهم لتأليف كتاب كامل يرد به على المؤلف وهو الأستاذ محمد الطاهر فضلاء - رحمه الله - في كتابه: "التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاف" الذي أنشده دار البعث في قسنطينة سنة 1982م، وهو ما جعل الأستاذ توفيق المدني ينشئ كتابا جديدا رد فيه على هذه الانتقادات بعنوان: رد أديب على حملة أكاذيب، لم يتح له أن ينشر في حياة المؤلف، وإنما نشر بعد وفاته بمدة طويلة، حيث أصدرته دار البعث في الجزائر العاصمة ضمن سلسلة الأعمال الكاملة للمؤلف سنة 2008م.

كان كتاب "حياة كفاف" ومكملته "رد أديب" من آخر ما ألف أحمد توفيق المدني رحمه الله، وقبل ذلك كان قد ألف ونشر العديد من المؤلفات التي كان عليها متعلقا بتاريخ الجزائر منذ أقدم العصور إلى العصر الحديث، كما كتب ونشر مئات المقالات في الصحف والمجلات في مختلف الشؤون السياسية والثقافية والتاريخية التي اهتم بها وعالجها.

ولعل أول مؤلفاته التاريخية صدرها هو كتاب: "قرطاجنة في أربعة عصور: من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي"، الذي ظهر سنة 1927م، وقد أبرز فيه تاريخ الشمال الإفريقي منذ أقدم العصور إلى أن جاء الفاتحون المسلمون ونشروا الإسلام في ربوع هذه المنطقة، حيث بدأ الكتاب بمدخل وصف فيه بلاد المغرب من الناحية الجغرافية، وعرف بالنعصر البربري والأنواع المكونة له وعوائد البربر وحالة البلاد قبل التاريخ، ثم قسم الكتاب إلى أربعة أبواب سمي كل واحد منها كتابا، تحدث في الكتاب الأول عن "دولة قرطاجنة" وما مرت به من أطوار وما عرفته من رجال وما توالى عليها من أحداث، وتتوالى في الكتاب الثاني "قرطاجنة الرومانية" أي في ظل الاحتلال الروماني، وفي الكتاب الثالث "قرطاجنة الروندال"، وفي الكتاب الرابع "قرطاجنة البيزنطية"، وختم الكتاب بالحديث وتتوالى في الكتاب الخامس "قرطاجنة الإفريقي وما وقع فيه من أحداث. هذا الكتاب كان وما يزال رائدا في بابة فريدا من نوعه، وما من مؤلف طرق موضوعه إلا ورجع إليه ونهل منه.

أصدر بعده سنة 1932 الكتاب الذي جعل له عنوانا عاما: "كتاب الجزائر" وتحت عنوان فرعي شارح: "تاريخ بلاد الجزائر وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها



جاء في المثل:

قولهم: غراب نوح

فما معنى المثل؟ ولم يضرب؟ وما إعرابه؟

يقال: غَرَبَ يَغْرِبُ غرباً، اسود وجهه من ريح السموم (الريح الحارة).

والغراب الطائر المعروف جمع أغرب وإرب وغريان وأغربة وجمع الجمع غرابين (صيغة منتهى الجموع).

والغراب يتشاع منه الناس يُضرب به المثل في السواد والبُكور والبُعد والحذر فيقال: بكرت بكور الغراب وفلان أضر من الغراب، ويقال أيضاً: لا يطير غرابها أي مخصبة، ويُقال: طار غرابه أي شاب.

وقوله تعالى في فاطر: "وغرابيب سود" أي حجارة متناهية في السواد.

لم يضرب؟

هذا المثل يضرب لمن ذهب ولم يرجع، قال القرطبي: ذكر صاحب العروس وغيره أن نوحاً عليه السلام لما أراد أن يبعث من يأتيه بخبر الأرض أي أهل الأرض قال الدجاجة، أنا فأخذها وختم على جناحها وقال لها: أنت مختومة بخاتمي لا تطيري أبداً، أنت تنتفع بك أمتي، فبعث الغراب فأصاب جيفة فوقف عليها فاحتسب فلعهن، ولذا لا يقتل في الحل والحرم.

إعراب المثل: غراب: خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذا) وهو مضاف.

نوح: 2 مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. والجملة الاسمية استئنافية لا محل لها من الإعراب هي جواب لسؤال مقدر كأن يقال: ما هذا؟ فيأتي الجواب: غراب نوح.

1 تمثل الأمثال والحكم قسماً مهما في الأدب العربي إل جانب الفنون الأخرى كالقصة والمقالة والمقامة..

2 نوح علم أعجمي جاء مصروفاً (أي منوناً) لأنه ثلاثي ساكن الوسط.

المراجع: القاموس.

تفسير القرطبي (لجامع لأحكام القرآن)

إعداد المعلم بوخميس خريب
حامة بوزيان/قسنطينة

رمضان شهر الصيام والقرآن (1)

فَشَقَعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: أَي رَبِّ مَنْعَتُهُ النَّوْمُ بِاللَّيْلِ فَشَقَعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ..

ولذلك، المؤمن الحريص على مرضاة الله عز وجل، الحريص على أن يترقى في مدارج القرب من الله سبحانه وتعالى، الحريص على أن يملأ ميزانه بالحسنات وأن يملأ كتابه بالأجر والثواب، هو من يحرص على أن يصلح صيامه وأن يصلح علاقته بالقرآن.

هذان الأمران لابد أن يجتهد فيهما في هذا الشهر الفضيل، وأن نحصر على تحقيقهما كما يريد الله سبحانه وتعالى وكما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

وذلك أنه لا يكفي أن يقول الإنسان: أنا صائم، بمجرد أن يمتنع عن الطعام والشراب والشهوة، هذا هو المظهر الخارجي للصيام، لكن هناك الجانب الجوهري والحقيقي للصيام وهو أن يمتنع الإنسان عن كل ما يغضب الله سبحانه وتعالى.

حق صيامك أخي المؤمن، أصلح صيامك، احرص على صيامك، فكثير من الناس لا يحرسون

غفر لك ما تقدم من ذنبك، أي أن الإنسان إذا صام رمضان إيماناً واحتساباً يخرج منه صفحة بيضاء، كتابه تملأ منه السيئات ولا تبقى فيه إلا الحسنات.

الخاصية الثانية لشهر رمضان؛ والتي يندرب عليها الإنسان المؤمن أكثر في رمضان، ويجتهد فيها أكثر في رمضان، هي أنه شهر القرآن [يشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن] (البقرة: 185)، فالله عز وجل أخبر أن القرآن إنما أنزل في شهر رمضان، ولذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخص رمضان بمزيد الاهتمام بالقرآن، ويكفي لنذكر هذا الاهتمام تشريع صلاة التراويح التي سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الصلاة لا يهتم بها المؤمنون ولا يحرسون عليها في غير رمضان.

والهدف الأساس من صلاة التراويح هو إحياء العلاقة مع القرآن، حيث يهتم المؤمنون القرآن جماعة في صلاة التراويح، كما يهتم الكثيرون منهم بصفة فردية، حيث يجتهد كل منهم أن يهتم القرآن في رمضان، مرة أو مرتين أو أكثر كل حسب استطاعته، وجو رمضان يعين على

القرآن الكريم كله يتحدث عن التقوى ويأمر بالتقوى: إِيَّا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [الأحزاب: 71-70].

والتقوى هي الخوف من الله سبحانه وتعالى، والحرص على مرضاته، وامتنال أوامره، وهي ترك ما نهى الله عز وجل عنه، وبالجملة فهي فعل كل ما يحبب الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل». وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: [اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ] (آل عمران: 102)، قال: «أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى، وَأَنْ يُشْكَرَ فَلَا يُكْفَر».

والصيام وظيفته أن يدرّب الإنسان على التقوى، لأن الجو الذي يهيئه اجتماع الناس جميعاً على الصيام، وحرص المؤمن على أن يكون صيامه مقبولاً، هذا يجعله يكون أحرص على فعل المأمورات وترك المنهيات، وعندما يتعود على هذه التقوى في شهر رمضان، فهي تمثل بالنسبة له زادا يحفظه من المعاصي ويمنعه من الوقوع في المنكرات خلال الأحد عشر شهراً التي تأتي بعد رمضان حتى يعود رمضان من جديد.

وأحسن ما يتزود به المؤمن في هذه الدنيا للآخرة هو التقوى، كما قال سبحانه وتعالى: [وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا بَنِي أُولِي الْأَلْبَابِ] (البقرة: 197)، وذلك لأن التقوى هي المعيار الوحيد للنفاضل بين الناس عند الله عز وجل، قال تعالى: [إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ] (الحجرات: 13)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس، ألا إن ريكماً واحداً، وإن أباهم واحداً، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى».

فإن: أول خاصية لشهر رمضان أنه شهر الصيام، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، فإذا صمت رمضان «إيماناً» أي تصديفاً بأن هذه فريضة من الله سبحانه وتعالى، وإنك تتعبد لله عز وجل بهذه الفريضة، و«احتساباً» أي احتساباً لما فيه من المشقة والتعب، ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى ورجاء الحصول على ما عنده من الثواب والمغفرة والرضوان، فقد



أ.د. مسعود قلوبسي

نستقبل هذه الأيام موسماً مباركاً، شهراً فضيلاً كريماً، عزيزاً على قلوب المؤمنين جميعاً، شهر يكرم الله عز وجل فيه عباده بخبراته وبركاته وأفضاله ونعمه، فتزداد في هذا الشهر البركات، وتقضى الخيرات، وتحل الرحمت، وترطب القلوب، وتتلاقى مشاعر المؤمنين، وتجتمع أرواحهم على طاعة الله عز وجل وعبادته.

هذا الشهر الفضيل هو شهر رمضان، الشهر الذي خصه الله سبحانه وتعالى بفضائل وخصائص لم يعطها غيره من الشهور.

شهر رمضان مدرسة يتعلم فيها المؤمن الكثير من فضائل الإيمان، ويتزود منها بالتقوى والإيمان وبالخوف من الله سبحانه وتعالى وبالرجاء فيه عز وجل، زاد وفيه عبيته على طاعة الله عز وجل في بقية الشهور.

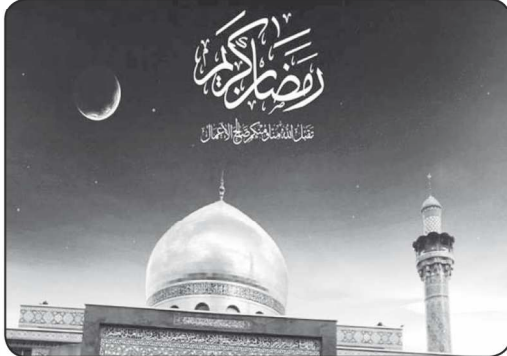
ما هي خصائص هذا الشهر وفضائله؟

لا بد أن نعرف هذه الخصائص والفضائل حتى نقدر هذا الشهر حق قدره ونستقبله بما يليق به من حفاوة، ونجتهد فيه بما يقربنا إلى الله سبحانه وتعالى ويزيد مكانتنا عنده عز وجل.

أول خصائص هذا الشهر؛ أنه شهر الصيام، وما أدراك ما الصيام، إنه فريضة من فرائض الإسلام وركن من أركانه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

فلو لم تكن لرمضان من مزية سوى أنه شهر الصيام لكفا ذلك فضلاً وفخراً.

والصيام - كما هو معلوم - عبادة فرضها الله عز وجل على عباده في الإسلام وفي الرسالات السابقة، كما قال سبحانه وتعالى: [إِنَّا أَنزَلْنَا الذِّكْرَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] (البقرة: 183)، فالصيام هو العبادة التي تدرّب الإنسان المؤمن على التقوى، والتقوى هي ما يربّد الله سبحانه وتعالى من عباده أن يحققوه.



على صيامهم، يصومون ولكنهم يضعون صيامهم، أحدهم يصوم ولكنه في النهاية لم يصم، أي أنه لم يحقق نوال الأجر والثواب، ولم يحقق مغفرة الذنوب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلُ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

لا ينبغي أن نكتفي بالصوم المظهري فقط، بل لابد أن نحقق الصوم في مظهره وجوهره معاً، هذا هو الصوم الذي قال لنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

يتبع

هذا، جو الصيام والطاعة وتعاون المؤمنين جميعاً على عبادة الله عز وجل يعين كلا منهم على أن يقترب من القرآن أكثر وأن يقرأه أكثر وأن يهتم به أكثر، حتى يتقوى بهذه العلاقة مع القرآن في سائر الشهور.

ولذلك، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يحثنا على الاجتهاد في قراءة القرآن وفي الصلاة بالقرآن في رمضان، يقول: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»؛ أي قامه بالصلاة وقراءة القرآن. وفي حديث آخر يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يُشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»؛ يقول الصَّيَّامُ: أَيُّ رَبِّ مَنْعَتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِاللَّهَارِ



الأحد: 13 - 19 رمضان 1442، الموافق: 25 أبريل 01 ماي 2021 م

البصائر

العدد: 1061

رمضان ياتك 12

الصيام والدعاء



أ.د. مسعود فلوسي*

الصيام عبادة من العبادات، لكنه عبادة متميزة، فهو في الحقيقة ليس عبادة مستقلة منفردة، وإنما هو عبادة مقرونة بعبادات أخرى. الصلاة مثلا عبادة مستقلة، لا تقرن بها عبادات أخرى. الزكاة عبادة مستقلة لوجدها، لا ترتبط بها عبادات أخرى. بينما الصيام هو عبادة جمع معه عبادات أخرى، وهذا ما يفصل عنه كثير من المسلمين حين يحسبون الصيام عبادة مستقلة، حيث تجد مسلما يصوم ولا يصلي مثلا، أو يصوم ولا يتصدق، أو يصوم ولا يدعو ولا يستغفر.

ربنا سبحانه وتعالى شرع لنا صلاة التراويح، فعلى الرغم من أنها مستحبة وليست واجبة، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم نذّب إليها وحثا عليها، نذينا إلى قيام ليالي رمضان، وأقل ما يتحقق به القيام هو صلاة التراويح، ما الذي نفهمه من هذا؟ المفهوم المتبادر أنه إذا كانت الصلاة المستحبة مطلوبة فكيف بالصلاة الواجبة؟ أي أن الإنسان الذي يضعف الصلاة الواجبة كأنه لم يصم، فليس له أجر، لأن الصوم ليس عبادة مستقلة، فربنا سبحانه وتعالى حثنا على الصلاة المستحبة حتى ندرك قيمة الصلاة المفروضة ولا نضيعها.

كما أن الشارع الحكيم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة في رمضان، والرسول عليه الصلاة والسلام أعطى المثل من نفسه، فكان أكثر الناس تصدقا في رمضان، يقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فليارسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة"، فهو صلى الله عليه وسلم أجود الناس في سائر الأيام، ومع ذلك فإن جوده يتضاعف ويزداد في رمضان، وصدقته تستفيض في هذا الشهر، حيث يأتيه جبريل كل رمضان يتدارس معه القرآن، لذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الصدقة أفضل؟ قال: "صدقة في رمضان".

فإن الصيام بدون صدقة، يكون ناقصا، صاحبه لا يحصل على الأجر الذي لأجله شرع الصوم، لأن مهمة الصوم في حياة الإنسان أن يعرفه حقيقة الحياة ويجعله يحس بالضعف والفقر والمساكين، فإذا لم يحرك فيه الصوم هذه الأحاسيس والمشاعر والعواطف ويدفعه إلى التواضع والتضامن، فمعنى ذلك أن صيامه لم يترك في نفسه أي أثر ولذلك لا يكون له أجر.

هناك عبادة أخرى مهمة أيضا، أمرنا الله عز وجل أن نحصر عليها، وأن نجتهد فيها، في هذا الشهر

وخاصة في الليالي العشر الأخيرة من رمضان، وهي عبادة الدعاء.

آيات الصيام في سورة البقرة تتحدث عن أحكام الصيام، حكم صيام المسافر والمريض، الأحكام المتعلقة بالعلاقة الزوجية في رمضان، وغيرها، وسط هذه الآيات نجد آية يبدو - من حيث الظاهر - أنه لا علاقة لها بأحكام الصيام، لكن هذا يدعونا إلى التأمل والتساؤل: لماذا ربنا سبحانه وتعالى وسط آيات الصيام، يورد لنا حكما آخر لا يتعلق بالصيام، في قوله سبحانه وتعالى: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ]؟ فجاء أولا بأحكام الصيام ثم أورد هذه الآيات ثم رجع إلى أحكام الصيام مرة أخرى: [لَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَّامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ...].

فبذرة الآية التي تتعلق بالدعاء أدرجت وسط آيات الصيام، ما ينبغي فهمه هنا أن من أهم ما ينبغي أن يحرص عليه المؤمن وأن يجتهد فيه مع صيامه هو أن يكثر من الدعاء، والدعاء هو التضرع إلى الله سبحانه وتعالى والتوجه إليه بطلب خير الدنيا والآخرة مما ليس فيه معصية أو عدوان.

فإنه عز وجل يريد من عباده، وهم صائمون، وهم قائمون ليلي رمضان، أن يجتهدوا في عبادة مهمة وهي عبادة الدعاء.

الدعاء عبادة تذكر الإنسان بحقيقته، وتذكره بجاحته إلى ربه، وأنه من دون الله لا شيء، فلو تركه الله لما استطاع فعل أي شيء، هذه الحقيقة يتذكرها الإنسان حين يرتبط بالله عز وجل بالدعاء. ولذلك يأمرنا ربنا سبحانه وتعالى أن ندعوه دائما، فالتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء واجب بصفة عامة: [وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ]، المعنى أن الإنسان الذي لا يدعو الله عز وجل ولا يسأله سبحانه وتعالى ولا يتوجه بحاجاته إليه، فهذا مثله مثل الكافر، فحتى ولو كان مسلما إلا أنه مثل الكافر، لأن الكافر هو الذي يستغني عن ربه عز وجل وينسى موقف العبودية أمامه، ولذلك الكافر يدخل النار، فالمسلم الذي لا يدعو ولا يسأل الله عز وجل كأنه مستكبر على الله وغير محتاج إليه سبحانه وتعالى..

إن المؤمن بجاحته إلى ربه عز وجل في كل شيء وفي كل شأن، وهذه الحاجة لابد من إظهارها بالدعاء والسؤال: [وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]، والإنسان يحقق فعلا موقف العبودية حين يدعو ربه ويسأله حاجته، فهو قد يصلي ولا يحقق موقف العبودية إذا كان يؤدي صلاته على سبيل العادة فقط، والكلام الذي يردده فيها لا يدرك معناه، فقد يصلي ولا يستحضر موقف العبودية، لكن في الدعاء هو يمارس العبودية.

وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الدعاء وصفا دقيقا وحدد حقيقته تحديدا بلغيا حين قال عليه الصلاة والسلام: "الدعاء مخ العبادة"، فحسم

الإنسان الجهاز الرئيس فيه هو الجهاز العصبي ممثلا في المخ، إذا توقف هذا الجهاز لا تنبثق للإنسان حياة، وحتى إذا بقيت الروح إلا أن الأعضاء كلها تتوقف، كذلك الحال في العبادة التي لا دعاء معها فهي مثل الجسم الذي تلف جهازه العصبي.

الصلاة إذا لم تكن مقرونة بالدعاء، تصبح هيكلا بلا روح، ولذلك أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندعو في أثناء الصلاة، فقال صلى الله عليه وسلم: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثَرُوا الدَّعَاءَ) [رواه مسلم]، فلكي نحقق موقف العبودية ونستحضر الخشوع لابد من الدعاء.

كذلك شرع لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعية ندعو بها بعد الصلاة، حتى يبقى موقف العبودية مستمرا.

في رمضان، من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندعو عند الإفطار: "اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَيْ رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ فَغُفِّرْ بَنِي إِلَهكَ أَتَيْتُكَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ذَهَبَ الظَّمْ وَأَبْثَلَتِ الْعُرُوقُ وَتَبَّتِ الْأَجْرُ إِن شَاءَ"، فهذا دعاء جميل، فيه استشعار لنعمة الله وفضله، وطلب منه عز وجل أن ينعم هذه النعمة وهذا الفضل، فيه امتنان لله سبحانه وتعالى بنعمته على عبده بما شرع له من الصيام، وبما أباح له من النعم بعد الصيام.

والدعاء مطلوب لذاته، لا لهدف آخر، بمعنى أن المؤمن مطالب بأن يدعو الله عز وجل لأجل الدعاء، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن ندعوه وأن نسأله وأن نتوجه إليه وأن نتضرع إليه، سواء كانت الاستجابة أم لم تكن.

فليس للعبد أن يشترط على ربه أن يستجيب له، المطلوب منه أن يدعو، كما في الصلاة والصوم وغيرها من العبادات، فالصلاة مطلوبة لذاتها والصوم مطلوب لذاته والزكاة مطلوبة لذاتها والحج مطلوب لذاته، كذلك الدعاء مطلوب لذاته، ومن واجب المؤمن أن يدعو ربه سبحانه وتعالى، لكن من فضل الله عز وجل أنه وعدنا بالاستجابة: [وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]، فبقينا إذا دعوت يستجيب الله دعاءك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا] [رواه أبو داود والترمذي]. لكن هذه الاستجابة تكون كما يشاء الله لا كما يريد العبد، فقد يطلب العبد شيئا ويعطيه الله شيئا آخر، لأنه سبحانه وتعالى يعرف ما يصلح للعبد، فهو الذي خلقه وهو الذي يرزقه وهو الذي يرسم حياته في هذه الدنيا وهو الذي يحفظه، ولذلك فهو أعرف من العبد بما يصلح له، العبد لا يعرف، فقد يعتبر شيئا ما مصلحة له وهو في الحقيقة مفسدة ومضرة له، ولذلك لا يعطيه الله إياه إذا طلبه وإنما يعوضه بدلا منه شيئا آخر، أو يدفع عنه بلاء عظيما كان سيأتيه وهو لا يعرف فيصرفه

عنه، لكن الاستجابة ستكون يقينا، ولذلك أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن نستيقن الإجابة مع الدعاء فقال: "القلوب أوعية، وبعضها [أوعى] من بعض، فإذا سألتكم الله عز وجل أيها الناس، فسولوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل"، فلابد أن يكون لدى العبد يقين أن الله عز وجل سيسجيب دعاه، ولكن كما شاء سبحانه وتعالى لا كما يريد العبد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل". قالوا: يا نبي الله وكيف تستعجل؟ قال: يقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي".

ومما ينبغي أن يحرص عليه المؤمن: أن يدعو بخير، فإنه عز وجل يستجيب الدعاء إذا كان خيرا، أما إذا كان شرا أو فيه عدوان على الغير أو فيه ظلم فإنه سبحانه وتعالى لا يستجيب، بل إن هذا النوع من الدعاء محرم شرعا ولا يجوز، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بائنه، أو فطرية رجم) [متفق عليه].

كما يجب أن يغلب على الدعاء طلب خير الآخرة، لأن الآخرة غير مضمونة، أما الدنيا فما كتب للإنسان فيها مضمون، فعندما يطلب الإنسان المال أو الجاه أو الولد، هذه كلها أمور مقدر للإنسان قبل أن يولد وهو سبحانه وتعالى يملك أن يزيد فيها أو ينقص منها لأن القدر بيده لا يدع بائنه، أو فطرية رجم) [متفق عليه]. كما يجب أن يغلب على الدعاء طلب خير الآخرة، لأن الآخرة غير مضمونة، أما الدنيا فما كتب للإنسان فيها مضمون، فعندما يطلب الإنسان المال أو الجاه أو الولد، هذه كلها أمور مقدر للإنسان قبل أن يولد وهو سبحانه وتعالى يملك أن يزيد فيها أو ينقص منها لأن القدر بيده لا يدع بائنه، أو فطرية رجم) [متفق عليه]. كما يجب أن يغلب على الدعاء طلب خير الآخرة، لأن الآخرة غير مضمونة، أما الدنيا فما كتب للإنسان فيها مضمون، فعندما يطلب الإنسان المال أو الجاه أو الولد، هذه كلها أمور مقدر للإنسان قبل أن يولد وهو سبحانه وتعالى يملك أن يزيد فيها أو ينقص منها لأن القدر بيده لا يدع بائنه، أو فطرية رجم) [متفق عليه].

هذا أن يطلب الإنسان من ربه أن يستجيب له، المطلوب منه أن يدعو، كما في الصلاة والصوم وغيرها من العبادات، فالصلاة مطلوبة لذاتها والصوم مطلوب لذاته والزكاة مطلوبة لذاتها والحج مطلوب لذاته، كذلك الدعاء مطلوب لذاته، ومن واجب المؤمن أن يدعو ربه سبحانه وتعالى، لكن من فضل الله عز وجل أنه وعدنا بالاستجابة: [وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]، فبقينا إذا دعوت يستجيب الله دعاءك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا] [رواه أبو داود والترمذي]. لكن هذه الاستجابة تكون كما يشاء الله لا كما يريد العبد، فقد يطلب العبد شيئا ويعطيه الله شيئا آخر، لأنه سبحانه وتعالى يعرف ما يصلح للعبد، فهو الذي خلقه وهو الذي يرزقه وهو الذي يرسم حياته في هذه الدنيا وهو الذي يحفظه، ولذلك فهو أعرف من العبد بما يصلح له، العبد لا يعرف، فقد يعتبر شيئا ما مصلحة له وهو في الحقيقة مفسدة ومضرة له، ولذلك لا يعطيه الله إياه إذا طلبه وإنما يعوضه بدلا منه شيئا آخر، أو يدفع عنه بلاء عظيما كان سيأتيه وهو لا يعرف فيصرفه

بالدعاء بخير الآخرة هو الأنفع والأفيد، لكن ليس عيبا أن يطلب الإنسان من ربه شيئا من خير الدنيا إذا كان حلالا وكان خيرا، لكن دون أن يشترط على الله أن يستجيب لما يطلب وإنما يترك ذلك لله عز وجل لأنه أعرف بمصلحة العبد. ذلك أن الدعاء لا يشترط على ربه أن يستجيب له، المطلوب منه أن يدعو، كما في الصلاة والصوم وغيرها من العبادات، فالصلاة مطلوبة لذاتها والصوم مطلوب لذاته والزكاة مطلوبة لذاتها والحج مطلوب لذاته، كذلك الدعاء مطلوب لذاته، ومن واجب المؤمن أن يدعو ربه سبحانه وتعالى، لكن من فضل الله عز وجل أنه وعدنا بالاستجابة: [وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ]، فبقينا إذا دعوت يستجيب الله دعاءك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا] [رواه أبو داود والترمذي]. لكن هذه الاستجابة تكون كما يشاء الله لا كما يريد العبد، فقد يطلب العبد شيئا ويعطيه الله شيئا آخر، لأنه سبحانه وتعالى يعرف ما يصلح للعبد، فهو الذي خلقه وهو الذي يرزقه وهو الذي يرسم حياته في هذه الدنيا وهو الذي يحفظه، ولذلك فهو أعرف من العبد بما يصلح له، العبد لا يعرف، فقد يعتبر شيئا ما مصلحة له وهو في الحقيقة مفسدة ومضرة له، ولذلك لا يعطيه الله إياه إذا طلبه وإنما يعوضه بدلا منه شيئا آخر، أو يدفع عنه بلاء عظيما كان سيأتيه وهو لا يعرف فيصرفه

تعزية

بعيون دامعة وقلوب خاشعة راضية بقضاء الله وقدره، تلقينا نبأ وفاة المهندس **طه صخري** ابن الأستاذ الهاشمي صخري عن عمر ناهز 35 سنة، القاطن بدارية. وهذه المناسبة الأليمة يتقدم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الدكتور **عبد الرزاق قسوم** وأعضاء المكتب الوطني بأخلص وأصدق التعازي والمواساة لعائلة الفقيد، راجين من العلي القدير أن يغفر للمرحوم وأن يرزق أهله وذويه جميل الصبر والسلوان. اللهم اغفر له وارحمه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وفقه فتنة القبر وعذاب النار.

إنا لله وإنا إليه راجعون

تعزية

على إثر وفاة **والد الأستاذ الحاج عباس** مدير المكتب الولائي لجمعية البركة بولاية الشلف، ووفاته **عبد الشيخ قدور قرناش** عضو المكتب الوطني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تتقدم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بخالص العزاء وعظيم المواساة سائلين الله تعالى أن يرحمهما برحمته الواسعة وأن يجعل الجنة مثلهما ومثواهما وأن يرزق ذويهما الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون

الذكرى التسعون

لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين



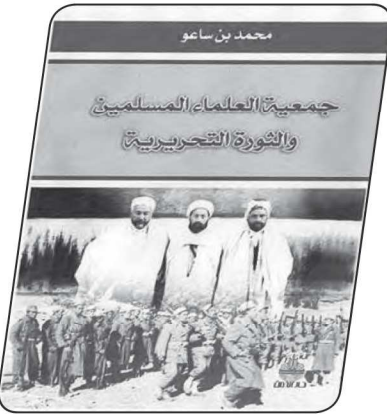
إفادة الباحثين بما كُتب عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

إعلام الفضلاء بما كُتب عن جمعية العلماء

خلال التسعة عقود التي مرت على تأسيسها، استقطبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية اهتمام الباحثين والمؤرخين، نظرا لما كان لها من دور في تاريخ الجزائر المعاصر بما بذلته من جهود وما حققتة من نتائج، وهذا الاهتمام لم ينحصر لدى الباحثين والمؤرخين الجزائريين فحسب، وإنما تعداهم إلى غيرهم من رجال العلم والفكر في العالم العربي والإسلامي الذين وجدوا في جهود جمعية العلماء وأعمالها مجالا رحبا للبحث والدراسة. في هذه المساهمة نحاول أن نعرف ببعض الدراسات والمؤلفات التي كتبت عن جمعية العلماء باللغة العربية، سواء من قبل الباحثين الجزائريين أو العرب، وقد قسمناها إلى ثلاثة أقسام، ونورد مواد كل قسم بحسب ترتيبها الألفبائي. وقد اكتفينا بإيراد ما كتب عن الجمعية فحسب، دون ما كتب عن جهود قادتها وعلمائها وإسهاماتهم الفردية.



أ.د. مسعود فلويسي



18- حقائق وأبطال، عبد الرحمن شيبان، ط1، منشورات دار قالة، الجزائر، 2009م، 352 ص.

19- رد شبهات حول موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من ثورة أول نوفمبر 1954، سليمان الصيد، ط1، دار هومة، الجزائر، 1416هـ، 1995، 96 ص.

20- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009، 272 ص.

21- صفحات من إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، محمد بن سميعة، ط1، دار منشي، الجزائر، 2004م، 48 ص.

22- فتاوى علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واختياراتهم الفقهية، مصطفى صابر، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2020م، 557 ص.

23- معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دراسة تحليلية، يوسف بوعابة، دار زمورة، الجزائر، 2013.

24- موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الحضارة الغربية، يوسف بوعابة، عالم المعرفة، الجزائر، 2018، 488 ص.

25- من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عبد الرحمن شيبان، دار المعرفة، الجزائر، 122 ص.

26- ميادين الصراع بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والاستعمار الفرنسي، يوسف بوعابة، عالم المعرفة، الجزائر، 2019، 592 ص.

27- نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا 1936-1956، سعيد بورنان، ط1، دار هومة، الجزائر، 2011م، 318 ص. وأصله رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الجزائر، 2009.

○○○

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، سنة 1404هـ، 1984م.

11- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية -1931-1945، عبد الكريم بوصفصاف، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1402هـ، 1981م، 421 ص.

12- دار عالم المعرفة، الجزائر، 2009، 416 ص. وأصل الكتاب رسالة قدمت لنيل دبلوم الدراسات المعمقة من جامعة قسنطينة عام 1398هـ، 1978م.

12- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالعالم العربي (1947-1956)، حميد أبو بكر الصديق، دار المتعلم، الجزائر، 2015، 232 ص.

13- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى -1931-1945: دراسة تاريخية وإيدولوجية مقارنة، عبد الكريم بوصفصاف، ط1، المتحف الوطني للمجاهد بالجزائر، 1996م، 2 ط، دار بهاء الدين، قسنطينة، 1430هـ، 2009م، 557 صفحة. وأصله رسالة دكتوراه الطور الثالث بجامعة قسنطينة، 1403هـ، 1983م.

14- جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، نور الدين بولحية، ط1، دار علي بن زيد، بسكرة، 2015، 449 ص.

15- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، عقيلة حسين، ط2، دار الوصي، الجزائر، 2015، 458 ص.

16- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر، مراد مزعاش، ط1، مؤسسة الإمام ابن باديس، قسنطينة، 2018، 320 ص.

17- جوانب الخلاف بين جمعية العلماء والطرق الصوفية وأسبابها، نور الدين بولحية، ط1، دار علي بن زيد، بسكرة، 2015، 419 ص.

4- جمعية العلماء: الخطاب والقراءة، محمد زيمان، ط1، دار الأعلام في عمان بالأردن، 1431هـ، 2010م، 188 ص.

5- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جاك كاري، ترجمة: عبد الرزاق قسوم، ط1، عالم الأفكار، الجزائر، 2015، 144 ص.

6- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية، -1931-1956 رؤساؤها الثلاثة، تركي رابح عامرة، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر، 1425هـ، 2004م، 438 ص.

7- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مسارات وبصمات، مولود عويمر، ط1، مؤسسة الأصالة، الجزائر، 2016، 208 ص.

8- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، أحمد الخطيب، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1405هـ، 1985م، 306 ص.

9- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية 1945-1962، إسعد لهاللي، ط1، بيت الحكمة، سطيف، 2015، 352 ص. وهو في الأصل أطروحة دكتوراه علوم بجامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 1420هـ، 2000م.

10- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية -1349-1358هـ/ -1931-1939م، مازن صلاح حامد مطبقاني، ط1، دار القلم، دمشق، 1408هـ، 1988م، 296 ص. والكتاب في الأصل رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك عبد العزيز في جدة،

أولا: الكتب المنشورة

ظهر العديد من الكتب التي ألفها علماء وباحثون جزائريون عن الجمعية وجهودها وإسهاماتها، بعض هذه الكتب مؤلفات من الأصل، وبعضها أعدت كرسائل جامعية ثم طبعت ككتب، ومنها: 1- الاتجاهات الفكرية لجمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية، نور الدين بولحية، ط1، دار علي بن زيد، بسكرة، 2015، 408 ص.

2- المقالة الوجدانية في نثر أدباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، محمد زعيقة، ط1، دار الهدى، عين مليلة، 2005م، 96 ص.

3- أهمية العامل الفكري في تشكيل الهوية واسترجاع الحرية: الجزائر نموذجا: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في إشعال فتيل الثورة التحريرية 1931-1962، أمانة بواشري، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2008م، 174 ص.

4- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية 1945-1962، إسعد لهاللي، ط1، بيت الحكمة، سطيف، 2015، 352 ص. وهو في الأصل أطروحة دكتوراه علوم بجامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 1420هـ، 2000م.

5- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية -1349-1358هـ/ -1931-1939م، مازن صلاح حامد مطبقاني، ط1، دار القلم، دمشق، 1408هـ، 1988م، 296 ص. والكتاب في الأصل رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك عبد العزيز في جدة،

6- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية 1945-1962، إسعد لهاللي، ط1، بيت الحكمة، سطيف، 2015، 352 ص. وهو في الأصل أطروحة دكتوراه علوم بجامعة قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 1420هـ، 2000م.

7- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية -1349-1358هـ/ -1931-1939م، مازن صلاح حامد مطبقاني، ط1، دار القلم، دمشق، 1408هـ، 1988م، 296 ص. والكتاب في الأصل رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك عبد العزيز في جدة،

8- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية -1349-1358هـ/ -1931-1939م، مازن صلاح حامد مطبقاني، ط1، دار القلم، دمشق، 1408هـ، 1988م، 296 ص. والكتاب في الأصل رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك عبد العزيز في جدة،

9- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية -1349-1358هـ/ -1931-1939م، مازن صلاح حامد مطبقاني، ط1، دار القلم، دمشق، 1408هـ، 1988م، 296 ص. والكتاب في الأصل رسالة قدمت لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك عبد العزيز في جدة،



○○○

ثانيا: الرسائل والأطروحات الجامعية
أعد الباحثون أو الدكتوراه عددا معتبرا من الرسائل والأطروحات حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، منها ما تعلق بالعمل الإصلاحي وهو الميدان الأبرز الذي نشطت فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وسخرت له جهود علمائها وأتباعها، واتخذت له الوسائل المناسبة والمتوفرة في المرحلة التي ظهرت فيها. ومنها ما تناول إسهام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ثورة أول نوفمبر التحريرية.

ومنها ما عالج مجالات فكرية وثقافية ودعوية وأدبية ولغوية شارك فيها رجال الجمعية. وقد وقفنا على الرسائل والأطروحات التالية:
28- أثر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحركة الأدبية في الجزائر، إعداد: سعيد الأخضر سلام، رسالة ماجستير بجامعة عين شمس في القاهرة، قسم اللغة العربية وآدابها، 1979م.

29- أدب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إعداد: عبد القادر فريش، رسالة ماجستير بجامعة بغداد، قسم الآداب، 1983م، 374 ورقة.

30- إشكالية الهوية في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: محمد البشير الإبراهيمي نموذجاً، إعداد: شهيدة لعموري، إشراف: إسماعيل زروخي، مذكرة ماجستير بجامعة الجزائر، قسم الفلسفة، 2006م، 170 ورقة.
31- أصول التربية والتعليم عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إعداد: إبراهيم نواري، إشراف: رشيد مرجانة، مذكرة ماجستير في الفلسفة، المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، 2015م، 165 ورقة.

32- الإصلاح العقدي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحيفة السنة النبوية: دراسة تحليلية، إعداد: محمد أنيس بوكركور، إشراف: بشير قلاتي، رسالة ماجستير بجامعة باتنة، كلية العلوم الإسلامية، 1432هـ، 2015م، 278 ورقة.

33- البعد المقاصدي في فتاوى أعلام جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين: دراسة من خلال جريدة البصائر 1937-1956، إعداد: أبو بكر صديقي، إشراف: مسعود فلويسي، رسالة ماجستير بجامعة باتنة، كلية العلوم الإسلامية، 1432هـ، 2011م، 264 ورقة.

34- التأثير الثقافي للنخبة الدينية في الجزائر بين العظالة والفاعلية: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931-1956)، إعداد: براهيم مغيوش، إشراف: عبد الغني مغربي، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي بجامعة الجزائر 2، قسم علم الاجتماع، 2018م، 506 ورقة.

35- التنشئة السياسية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إعداد: أمين بلعيفة، إشراف: عامر مصباح، أطروحة ماجستير بجامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، 1429هـ، 2008م، 337 ورقة.

36- التهيئة اللغوية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية: التخطيط اللغوي، إعداد: بلال دربال، إشراف: فرحات عياش، أطروحة دكتوراه بجامعة باتنة 1، كلية اللغة والأدب العربي، 2020م، 309 ورقة.

37- الجهود التربوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931-1956)، إعداد: صالح سليمان مقتن، إشراف: محمد إبراهيم غزويات الخوالدة ومروان إبراهيم القيسي، أطروحة ماجستير بجامعة اليرموك، الأردن، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1416هـ، 204 ورقة.

38- الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، إعداد: شهيرة شكري، إشراف: محمد زمران، مذكرة ماجستير بجامعة باتنة، كلية العلوم الإسلامية، 1430هـ، 2009م، 279 ورقة.

39- الخطاب النقدي الثقافي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إعداد: محمد ديدان، إشراف: خالد عيقون، مذكرة ماجستير بجامعة تيزي وزو، 2015م، 135 ورقة.

40- السياسة التعليمية الفرنسية ودور جمعية العلماء في الرد عليها، إعداد: رابع دبي، إشراف: الطيب بلعربي، أطروحة دكتوراه في علوم التربية بجامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1430هـ، 2011م، 237 ورقة.

41- السياسة اللغوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إعداد: بلال دربال، إشراف: فرحات عياش، مذكرة ماجستير بجامعة باتنة، كلية العلوم والآداب واللغات، 2011م، 246 ورقة.

42- الفكر التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: عبد الحميد بن باديس نموذجاً، إعداد: سمير نعموني، إشراف: جمال معتوق، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التربوي بجامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2012م، 388 ورقة.

43- الفكر العقدي بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والحركة الوهابية، إعداد: فوزية

لوصيف، إشراف: أسعيد علويان، أطروحة دكتوراه بجامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2016م، 577 ورقة.

44- القضايا العقيدية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إعداد: عمر شيباني، إشراف: عبد الحليم بيشي، مذكرة ماجستير بجامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، 2014م، 226 ورقة.

45- القضايا الوطنية من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: البصائر نموذجاً، إعداد: محمد بوسلما، إشراف: إبراهيم لونيسي، أطروحة دكتوراه بجامعة سيدي بلعباس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2018م، 498 ورقة.

46- المساجد الرسمية وموقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منها، إعداد: علي بشير بلمهدي، إشراف: عبد المجيد بن نعمية، مذكرة ماجستير بجامعة وهران، 2002م، 209 ورقة.

45- المشروع العلماني التغريبي الفرنسي وموقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منه، إعداد: مصطفى هادف، إشراف: محمد زمران، رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2004م، 209 ورقة.

47- المنهج الإصلاحي عند جمعية العلماء المسلمين وعلاقته بالمناهج الإصلاحية الأخرى (تأثراً وتأثيراً)، إعداد: هارون الرشيد بن موسى، إشراف: عبد الرزاق قسوم، مذكرة ماجستير بجامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، 2009م، 178 ورقة.

48- المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931-1939، إعداد: علي حشلاف، إشراف: زهير إحدان، رسالة ماجستير بجامعة الجزائر، معهد علم الإعلام والاتصال، 1994م، 256 ورقة.

49- النشاط الصحفي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين: دراسة تحليلية لعينة من صحيفة البصائر لعينة من صحف البصائر (1932-1939)، إعداد: نور الدين بليغة، إشراف: عبدالله بوجلال، رسالة

ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2002م، 233 ورقة.

50- النقد الأدبي الجزائري الحديث من خلال دوريات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1925-1956، إعداد: عمار بن زايد، إشراف: محمد مصافي، رسالة ماجستير بجامعة الجزائر، 1984م، 235 ورقة.

51- تأسيس ونشاط جمعية العلماء في

ولاية وهران 1935-1931م، إعداد: محمد القورصو، بحث قدم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة بقسم التاريخ في جامعة وهران عام 1397هـ، 1977م.

52- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: منهجها وأثارها، إعداد: إسحاق عبد الله السعدي، إشراف: عمر عودة الخطيب، أطروحة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، كلية الشريعة، 1407هـ، 1987م، 783 ورقة.

53- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: نشأة وتطور الإصلاح بمدينة الجزائر -1931-1940، إعداد: عفاف زقور، إشراف: محمد القورصو، أطروحة

قدمت لنيل درجة الماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 1427هـ، 2007م، في 300 ورقة.

54- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها في اللغة والأدب، إعداد: صالح بن عبد الله بن محمد الجلود، إشراف: محمد عبد المنعم خفاجي، أطروحة ماجستير بجامعة الأزهر في القاهرة، سنة 1394هـ، 1974م، 208 ورقة.

55- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجهودها في الدفاع عن الإسلام، إعداد: صابر أحمد طه، إشراف: أحمد عبد المبدى أحمد، أطروحة دكتوراه بجامعة الأزهر في القاهرة، 2009م، 388 ورقة.

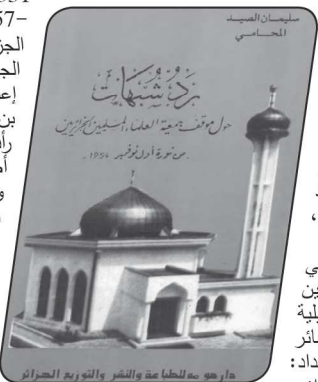
56- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية 1945-1956، إعداد: أحمد بوقجاني، إشراف: عبد الحميد زوزو، أطروحة ماجستير بجامعة الجزائر، 1420هـ، 2000م، 331 ورقة.

57- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تحرير الجزائر 1939-1962، إعداد: عبد القادر بن محمد بن عمر النعيمي، إشراف: رافت غنيمي الشبخ، أطروحة دكتوراه، 397 ورقة، وقد نشرها المؤلف سنة 1423هـ، 2002م، في 500 صفحة.

58- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تقرير توحيد العبادة والرد على المخالفين فيه، إعداد: سليم فؤاد مجوبي، رسالة

ماجستير بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، نوقشت بتاريخ: 20 ذو القعدة 1429هـ.

59- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مقاومة الانحرافات الطرقية، إعداد: أنيسة زغود، إشراف: محمد زمران، رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، 1421هـ، 2000م.





○○○

مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران 1، المجلد 4، العدد 12، جانفي 2018، الصفحات 363-371.

89- المرأة والإصلاح الديني في كتابات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عجنك بمينة، حوليات جامعة الجزائر، المجلد 20، العدد 1، نوفمبر 2011، الصفحات 54-41.

90- المشروع التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (الأسس والأهداف)، نورالدين زمام، سميير أبيش، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة محمد خيبر، بسكرة، المجلد 5، العدد 4، ديسمبر 2016، الصفحات 73-92.

91- الهوية الوطنية والإصلاح الديني والثقافي في كتابات جمعية العلماء المسلمين الصحفية، الذير بولمعلي، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة 2، المجلد 1، العدد 1، جوان 2013، الصفحات 168-151.

92- أهمية التعلم الذاتي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عمر عمار، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عشور، الجلفة، المجلد 12، العدد 1، جانفي 2020، الصفحات 1155-1163.

93- بناء المجتمع الجزائري بين التنوير والتحرير في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أرفيس علي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة المسيلة، المجلد 10، العدد 2، جانفي 2021، الصفحات 292-278.

94- تأثير التعليم العربي الحر في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية 1931-1954 (تجربة جمعية العلماء المسلمين أنموذجاً)، بلوج سليم، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشلف، المجلد 12، العدد 2، جانفي 2020، الصفحات 197-205.

95- تداعيات اغتيال المفتي كحول بن دالي على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والمؤتمر الإسلامي الجزائري 1936-1939، لونيبي براهم، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المتوسطة، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، المجلد 5، العدد 2، ديسمبر 2019، الصفحات 89-116.

96- تصحيح مسار المدرسة الجزائرية على ضوء تجربة مدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حمدي شريف سعيد، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشلف، المجلد 12، العدد 2، جانفي 2020، الصفحات 160-150.

97- تفاعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع قضايا بلاد المغرب العربي خلال الفترة الاستعمارية، رمضان كمال، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، الجزائر، المجلد 7، العدد 1، ماي 2019، الصفحات 32-16.

98- جمعية العلماء: الأسس والمبادئ وجهات النضال، عبد الملك مرتاض، مجلة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، العدد 2، رمضان 1425هـ، نوفمبر 2004، الصفحات 51-35.

99- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931-1940)، علا عباس نعمة الصافي، مجلة اللغة والتربية، جامعة واسط، العراق، 2016، المجلد 1، العدد 24، الصفحات 134-115.

المسلمين الجزائريين الاسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا، البشير بوقاعدة، مجلة قضايا تاريخية، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، المجلد 1، العدد 4، ديسمبر 2016، الصفحات 118-101.

78- البعد السياسي في نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: المفهوم والمنهج، أحمد معروف، حوليات جامعة الجزائر، المجلد 33، العدد 2، جوان 2019، الصفحات 516-537.

79- التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تركي رابح عمار، مجلة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، العدد 2، رمضان 1425هـ، نوفمبر 2004م، الصفحات 34-11.

80- الدور الإعلامي لجمعية العلماء المسلمين في التوعية الوطنية، صباح نوري هادي العبيدي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العراق، 2021، المجلد 28، العدد 3، الجزء 4، الصفحات 319-298.

81- الدور الريادي لصحافة جمعية العلماء المسلمين في نشر الوعي الوطني في المجتمع الجزائري، ليلي يحيوي، مجلة الإعلام والمجتمع، جامعة الوادي، المجلد 2، العدد 2، جوان 2018، الصفحات 30-37.

82- الجهود الإصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في منطقة الأوراس، محادي محمد، المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد 5، جوان 2017، الصفحات 227-244.

83- الصحافة الإسلامية بالجزائر في الفترة الاستعمارية. جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجاً، معوش براهم، مجلة الشباب، جامعة الوادي، المجلد 6، العدد 4، ديسمبر 2020، الصفحات 319-330.

84- الصراع بين جمعية العلماء والإدارة الفرنسية (1933-1939) تركي رابح، مجلة الثقافة، الجزائر، السنة 15، العدد 85، يناير، فبراير 1985، الصفحات 202-183.

85- العلاقة بين جمعية العلماء المسلمين والحركات الاستقلالية بالقاهرة والجزائر من خلال التقارير الفرنسية 1953-1956، مصطفى حجازي، مجلة الناصرية، جامعة معسكر، المجلد 3، العدد 1، ديسمبر 2012، الصفحات 376-363.

86- الفعل الإصلاحي وإشكالية النهضة - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجاً، بن عون بن عتو، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، المجلد 2، العدد 1، جوان 2010، الصفحات 223-203.

87- الفكر الاجتماعي الإصلاحي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سومية بوسعيد، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، المجلد 23، العدد 1، جانفي 2019، الصفحات 689-666.

88- اللغة والتعليم في الجزائر من خلال جهود جمعية العلماء المسلمين، زبيد الخداوية مريم،

بوجلال، رسالة ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، 1997م.

ثالثاً: بحوث المجلات العلمية

كتب الكثير من الباحثين بحوثاً ومقالات علمية عن جمعية العلماء، وقد نشرت هذه البحوث في العديد من المجلات العلمية الجزائرية والعربية، ففي المجلات العلمية الجزائرية نشر ما لا يقل عن مائة بحث ومقال عن الجمعية من مختلف الجوانب المتعلقة بها،

أما في المجلات العلمية العربية فليس سهلاً إحصاء كل البحوث المنشورة فيها حول جمعية العلماء بالنظر إلى أن معظم هذه المجلات ليس لها مواقع إلكترونية، وإن وجدت هذه المواقع فلا

نقف فيها على أرشيف الأعداد القديمة والسابقة لهذه المجلات، وفيما يلي ما أمكن الوقوف عليه من بحوث المجلات حول الجمعية:

69- أسس الدعوة الإصلاحية في حركة علماء الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين، مجلة سيرتا، جامعة قسنطينة، السنة 6، العدد 10.

70- إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الأدبية الحديثة، سميير جريدي، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة برج بوعريش، المجلد 1، العدد 1، جوان 2015، الصفحات 63-46.

71- إسهامات جمعية العلماء للإعداد لنورة نوفمبر، محمد العيد تاورتة، مجلة الإحياء، جامعة باتنة 1، المجلد 1، العدد 1، ديسمبر 1998، الصفحات 225-216.

72- اعتبار المآلات في تقرير مسائل الاعتقاد عند أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عبد القادر، قسنطينة، المجلد 14، العدد 2، مارس 2020، الصفحات 160-134.

73- أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالغرب الجزائري الشيخ محمد القباطي (1907-2010) أنموذجاً، توفيق برنو، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، جامعة ابن خلدون، تيارت، المجلد 1، العدد 2، سبتمبر 2018، الصفحات 423-402.

74- اغتيال المفتي كحول وموقف جمعية العلماء منه، بشير بلهدي علي، مجلة المصادر، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة عام 1954، المجلد 9، العدد 16، نوفمبر 2007، الصفحات 62-45.

75- الأحوال الشخصية الجزائرية في ميزان المشاريع الفرنسية الإستعمارية - قراءة لمواقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سومية بوسعيد، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، المجلد 10، العدد 3، ديسمبر 2018، الصفحات 175-148.

76- الأسرة الجزائرية في نضال الحركة الوطنية الجزائرية " قضايا الزواج عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أسعد لهلاي، مجلة البحوث التاريخية، جامعة المسيلة، المجلد 3، العدد 1، ماي 2019، الصفحات 111-90.

77- البعد التاريخي لشعار جمعية العلماء



60- دراسة في بيان حدود التأثير الثقافي لحركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على المجتمع الجزائري (1931-1956)، إعداد: براهيم معوش، إشراف: عبد الغني مغربي. مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي بجامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2012م، 251 ورقة.

61- دور رجال جمعية العلماء المسلمين في حشد دعم المشرق العربي للثورة التحريرية، إعداد: كريمة عرار، إشراف: علي أجقو، رسالة ماجستير بقسم التاريخ، جامعة باتنة، 2006م، 266 ورقة.

62- دور مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التربوي، إعداد: مريم العمري، إشراف: محمد بوحلف، مذكرة ماجستير بالبحوث، قسم علم الاجتماع، 2009م، 283 ورقة.

63- سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجاً، إعداد: زليخة بوقرة، إشراف: بلقاسم بوقرة، مذكرة ماجستير بجامعة باتنة، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديموغرافية، 2009م، 198 ورقة.

64- فتاوى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إعداد: هجيرة صالح، رسالة ماجستير بالمعهد الوطني العالي لأصول الدين في الجزائر، 1995م.

65- مقومات الشخصية الوطنية والمشروع التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إعداد: سميير أبيش، إشراف: نور الدين زمام، دكتوراه الدور الثالث في علم اجتماع التربية بجامعة بسكرة، 2016م، 461 ورقة.

66- ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب المقال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إعداد: محمد درق، إشراف: زين الدين مختاري، مذكرة ماجستير بجامعة تلمسان، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 1431هـ، 2010م، 168 ورقة.

67- موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر (1954-1956)، إعداد: عبد الغفور شريف، إشراف: أحسن بومالي، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال بجامعة الجزائر 3، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2011، 307 ورقة.

68- وسائل الاتصال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إعداد: مفيدة بلهامل، إشراف: عبد الله

عبد الله

عبد الله

عبد الله

عبد الله

عبد الله

○○○



الذكرى التسعون

لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين



○○○

- 2008، الصفحات 150-193.
- 109- جمعية العلماء والثورة الجزائرية في اهتمامات الاستخبارات الفرنسية ما بين 1956/1953، مريوش أحمد، مجلة المصادر، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة عام 1954، المجلد 17، العدد 1، مارس 2020، الصفحات 87-116.
- 110- جمعية العلماء وثورة التحرير المباركة، عبد الرحمن شيبان، مجلة بونة للبحوث والدراسات، غابة، العدد 2، رمضان 1425هـ، نوفمبر 2004م، الصفحات 96-91.
- 111- جمعية العلماء ودورها القاندي والاجتماعي والثقافي، محمد الصالح رمضان، مجلة الثقافة، الجزائر، السنة 14، العدد 83، سبتمبر، أكتوبر 1984، الصفحات 357-369.
- 112- جمعية العلماء ومرور خمسين عاما على تأسيسها، علي مرحوم، مجلة الثقافة، الجزائر، السنة 11، العدد 66، نوفمبر، ديسمبر 1981، الصفحات 33-13.
- 113- جمعية العلماء ومنهجها في تجديد العقيدة الإسلامية، زمران محمد، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 16، العدد 1، ماي 2001، الصفحات 89-61.
- 114- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الدفاع عن الهوية الوطنية، مقارنة يوسف، مجلة الإحياء، جامعة باتنة 1، المجلد 19، العدد 1، سبتمبر 2019، الصفحات 730-707.
- 115- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إرسال البعثات الطلابية إلى الخارج 1931-1956 -جامع القرويين بفاس أنموذجاً، عبد الرحمن بن بوزريان، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، المجلد 4، العدد 4، سبتمبر 2018، الصفحات 84-55.
- 116- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الدفاع عن الهوية الوطنية وموقف الإدارة الفرنسية منهم - دراسة من خلال وثائق أرشيفية مخبرية فرنسية حول مدارس ابن باديس، عائشة الحسيني، مجلة آداب الفراهيدي، العراق، 2020، المجلد 12، العدد 40، الصفحات 277-258.
- 117- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تعليم المرأة (1931-1956)، سمير أبيض، مجلة السائرة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة بشار، المجلد 3، العدد 3، جوان 2017، الصفحات 140-123.
- 118- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة السنة النبوية، سيداتي ولد محمد عبد الله، مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1، المجلد 16، العدد 26، فبراير 2015، الصفحات 412-397.
- 119- خطوط عريضة لجهود التعريب بالجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجاً (1931م-1956م)، إبراهيم معيوش، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 5، العدد 10،
- جوان 2017، الصفحات 229-209.
- 120- دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الإشراف على البعثات الطلابية إلى جامع القرويين بفاس 1956-1931، بن بوزيان عبد الرحمان، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطة، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، المجلد 4، العدد 3، أكتوبر 2018، الصفحات 144-110.
- 121- دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التصدي للمشروع الثقافي الاستعماري، السعيد بن عمرة، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، المجلد 5، العدد 10، ماي 2005، الصفحات 375-367.
- 122- دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة الجزائرية 1962-1954، فركوس صالح، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، المجلد 18، العدد 3، ديسمبر 2007، الصفحات 268-257.
- 123- دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنظيم وتوحيد جهود الحركة الإصلاحية لتحليل مضمون لجنة من صحيفة البصائر 1935-1936، مريم لعاري، مجلة معارف، جامعة البويرة، المجلد 11، العدد 21، جوان 2016، الصفحات 212-162.
- 124- دور جمعية العلماء في الثورة الجزائرية، تاليت علي، مجلة المصادر، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة عام 1954، المجلد 14، العدد 25، جوان 2012، الصفحات 111-60.
- 125- دور صحافة العلماء المسلمين الجزائريين في تعزيز مكانة المرأة في المجتمع الجزائري - قراءة في صحف جمعية العلماء المسلمين، عائشة فرة، مجلة آفاق للبحوث والدراسات، المركز الجامعي لإليري، المجلد 1، العدد 3، جويلية 2018، الصفحات 289-282.
- 126- دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تنشئة الشباب على الوطنية والاعتدال، الأزهر بوقطيط، مجلة المنهل، جامعة الوادي، المجلد 3، العدد 1، جانفي 2017، الصفحات 250-233.
- 127- دور جمعية العلماء في المقاومة الوطنية، محمد الطاهر فضلاء، مجلة الثقافة، الجزائر، السنة 15، العدد 86، مارس، أبريل 1985، الصفحات 262-239.
- 128- رواد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجنوب الغربي الجزائري، أمال طيبي، مجلة مدارات تاريخية، المركز المعرفي للدراسات والبحوث، الجزائر، المجلد 1، العدد 2، أبريل 2019، الصفحات 345-328.
- 129- سياسة الحاكم العام جول هنري كارد تجاه جمعية العلماء وجماعة النخبة في الجزائر بين 1935-1930، مسعودي أمينة، تكران جيلالي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشلف، المجلد 10، العدد 2، جويلية 2018، الصفحات 195-186.
- 130- صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، محمد رايح، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية

- 100- جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف بين التحامل الاستعماري والتدافع الطرقي (1931 - 1937)، موسى بن موسى، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، المجلد 10، العدد 2، جوان 2013، الصفحات 279-306.
- 101- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فكر الأستاذ مالك بن نبي، لخضر شبيب، مجلة الإحياء، جامعة باتنة 1، المجلد 2، العدد 1، ديسمبر 2000، الصفحات 79-59.
- 102- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: نشأة وتطور الإصلاح وهياكله بعملية الجزائر 1956-1931، زقور عفاف، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، المجلد 4، العدد 1، جويلية 2018، الصفحات 231-225.
- 103- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة الجزائرية (1962-1954)، سعدوني بشير، حويلات جامعة الجزائر، المجلد 31، العدد 1، جوان 2017، الصفحات 263-300.
- 104- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والكشافة الإسلامية الجزائرية بالغرب الجزائري بين التأثير والتأثر، رامي سيدي محمد، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة العربي التبسي، تبسة، المجلد 3، العدد 1، مارس 2018، الصفحات 60-53.
- 105- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحوادث الثامن ماي 1945، أحمد مريوش، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، المجلد 7، العدد 1، جانفي 1997، الصفحات 70-63.
- 106- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في إعادة بعث الهوية الوطنية - 1931-1939، شوبوب محمد، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشلف، المجلد 10، العدد 1، جانفي 2018، الصفحات 172-169.
- 107- جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية، بن سادات نصر الدين، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة وهران 1، المجلد 2، العدد 1، ديسمبر 2012، الصفحات 370-377.
- 108- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية المباركة (1962-1931)، الطيب بوسعد، الصراط، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، المجلد 10، العدد 1، جانفي

مع كتاب «رحلة عمر مناضل من الأوراس»



د. / مسعود فوسسي

من الكتب التي أهوى قراءتها وأجد الراحة والمتعة في مطالعتها؛ كتب المذكرات والسير الذاتية التي يتحدث فيها المؤلفون عن حياة كل منهم وما مر به خلال رحلته الدنيوية من أحداث وما واجهه من عقبات وما عاناه من صعوبات وما حققه من إنجازات وما ناله من إخفاقات، وكذا علاقاته بمعاصريه، وصداقاته وعداواته، وأعماله ووظائفه، وأماله وتطلعاته وما تحقق له منها وما لم يتحقق، فضلا عن عرض وجهات نظره في أحداث عصره في بلد أو في العالم بأسره.

هذا النوع من التأليف برع فيه الغربيون قديما وحديثا، ولا أعرف ممن كتب فيه من علمائنا القدامى سوى العلامة ابن خلدون الذي سجل مسيرة حياته في كتاب بعنوان «التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا»، لكن في عصرنا شارك في هذا الفن أعلام من أدباء العرب والمسلمين في المشرق العربي من المصريين بصفة خاصة ك: طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وإبراهيم المازني وعبد الحميد جودة السحار، ومن غير المصريين: محمد كرد علي وشكيب أرسلان، وبعد هؤلاء انتشرت الكتابة في هذا الموضوع وشارك فيها الجم الغفير من الكتبة والمؤلفين العرب والمسلمين، نذكر منهم: محمد عزة دروزة، محمد الغزالي، أبو الحسن الندوي، علي الطنطاوي، نجيب الكيلاني، عبد الوهاب المسيري، يوسف القرضاوي، نجيب الكيلاني، أنور الجندي، عماد الدين خليل، جلال أمين، سعيد إسماعيل علي، سمير سرحان، إحسان عباس، أحمد علي طه ريان، وغيرهم كثيرون.

مشاركة الجزائريين في فن السيرة الذاتية

أما في المغرب العربي فالتأليف في هذا الفن قليل، وهو عند الجزائريين أقل، فمن القدامى نذكر الإمام «أبو راس الناصري المعسكري» الذي دون سيرته الذاتية في كتاب بعنوان «فتح أحمد الشريف الزهار الذي عاش في أواخر العهد العثماني ودون مذكراته التي حققها ونشرها الأستاذ أحمد توفيق المدني». أما في هذا العصر فعمل أول من كتب سيرة حياته بإيجاز هو العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في مقال المطول الذي كتبه بمناسبة انتخابه عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وحمل عنوان «أنا»، تلاه بعد ذلك المناضل الشجاع المكي، ثم الأستاذ مالك بن نبي رحمه الله الذي كتب عن أطوار حياته بالتفصيل في كتابين هما «مذكرات شاهد القرن» و«العفن»، وجاء بعدها الأستاذ أحمد توفيق المدني في كتابه «حياة كفاح» ذي الأجزاء الثلاثة، ثم الأستاذ عبد الرحمن بلعوق في كتابه «الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر» و«من وراء القضبان».

لكن حدث في العقد الأخير من القرن العشرين والعقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين ما يمكن اعتباره إقبالا غير مسبوق على الكتابة في هذا المجال من قبل الجزائريين، علماء وسياسيين ومفكرين ومجاهدين. فمن العلماء: محمد الصالح بن عتيق، محمد خير الدين، زروق موساوي، عمار مطاطلة، محمد الطيب العلوي، محمود عبد السلام «ما زالت مذكراته مخطوطة»، ومن السياسيين والدبلوماسيين والعسكريين: أحمد بن بلة، الشاذلي بن جديد، علي كافي، أحمد طالب الإبراهيمي، محمد الميلي، لخضر بورقعة، بلعيد عبد السلام، سعد دحلب، الطاهر زبيري، بوعلام بن حمودة، الأمين بشيشي، حسين بن معلم، محمود ملاوي، مصطفى بن عمر، محمد جعابة، حمود شايد، محمد الخضر بلعيد، محمد بجاي، عبد الحميد مهري «مذكراته ما زالت مخطوطة»، ومن الأدباء والمفكرين: مصطفى لشرف، محمد قناش، عبد المالك مرتاض، أبو القاسم سعد الله، زهور ونيسي، محمد الصالح الصديق، محمد ناصر، عبد الله ركيبي، يحيى بوعزيز، عثمان سعدي «الدكتور»، حسان الجيلاني.

كما انخرط عدد كبير من المجاهدين والمناضلين الذين شاركوا في ثورة التحرير في التأليف في السيرة الذاتية، سواء بأقلامهم الشخصية بالنسبة للمفكرين منهم، أو بأقلام غيرهم من الكتاب الذين تولوا تحرير هذه السير نيابة عنهم بعد أخذ المعلومات المفصلة منهم، نذكر منهم: الحاج لخضر، مصطفى مرادة «ابن النوي»، عثمان سعدي «الرائد»، عمار ملاح، محمد الصغير هلايلي، عبد الحفيظ أمقران، محمد الشريف عبد السلام، محمد

مهري، محمد آكلي بن يونس، لوزية إيجيل أحرز، رشيد أجعود، زهرة طريف «بيطاط»، نجادي محمد مقران، منني بجاي، محمد دباح، جودي لخضر بالطين، رايح مشحود، عفرون محرز، محمد الوردي قصابية، لخضر مزاني، جمال الدين ميهوبي، علي مزور، محمد صابكي، وغيرهم.

هذا الكتاب ومؤلفه

في هذا السياق يأتي هذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي يجمع بين دفتيه مذكرات رجل مخضرم، ولد وترعرع في جنوب الأوراس، ودرس في معهد ابن باديس، ثم في الزيتونة بتونس قبل الثورة، ليعود إلى أرض الوطن بعد اندلاع الثورة، ويشارك فيها ويتعرض للاعتقال لسنوات عديدة، وبعد الاستقلال انخرط في الإدارة العمومية، ثم في سلك التربية والتعليم إلى غاية تقاعده من الوظيفة العمومية، واشتغل بعد ذلك بالمحاماة حتى قرر التقاعد النهائي من كل الوظائف بعد أن تقدم به العمر وصار يحتاج إلى الراحة التي باتت ضرورية له من عناء الحياة وتعبها.

هذا الرجل هو المجاهد والأستاذ فرحات نجاحي، ابن الأوراس مولدا ومنتشا وجهادا وتعلما، الذي إلا أن لا يسجل ما مر به من أحداث في رحلة الحياة، ويخلص لنا تجربته وشهادته في كتاب موجز صدر مؤخرا بمدينة باتنة بعنوان «رحلة عمر مناضل من الأوراس»، حيث ألفه بعد أن تجاوز السابعة والثمانين من العمر. وقد جاء الكتاب مختصرا معتمدا، لأن المؤلف كان يسابق الزمن في تأليفه خشية أن يدرسه الأجل قبل إتمامه، والحمد لله عز وجل أن مدّ في عمره حتى أنجزه وتابع تنقيده ومراجعته وتصحيحه بنفسه، ونسأله سبحانه وتعالى أن يمتعه بالصحة والعافية وطول العمر في عمل الصالحات والمشاركة في الخيرات.

وهذا الكتاب هو الثالث للمؤلف بعد كتابيه الصادرين خلال الستة أشهر الماضية وهما: «الولاية الأولى التاريخية وشهادات عن قائدها البطل الشهيد مصطفى بن بولعيد» و«شخصيات ومناقب»، اللذين لقيا قبولا حسنا عند كل من طلع عليهما وأحاط بهما فيهما من مادة تاريخية وشهادات تسهم في دعم مآثر الذاكرة الوطنية عموما والمحلية في منطقة الأوراس خصوصا.

فصول الكتاب

قسم المؤلف مذكراته هذه إلى تسعة فصول؛ تحدث في الأول من حياته منذ مولده أواخر سنة 1932 وما كانت تعيشه عائلته - على غرار سائر العائلات الجزائرية - من ظروف في ذلك الحين تحت سطوة الاحتلال الفرنسي، ومشاهداته وذكرياته عن تلك المرحلة الباكرة من عمره، وكذا انتقاله رفقة عائلته إلى أكثر من مكان تبعه لعمل والده.

كما تحدث في الفصل الثاني عن طلبه للعلم والذي بدأ من بلدة مشونش على يد الشيخ أحمد تيمقيلن السرحاني رحمه الله، واستمر في معهد الإمام عبد الحميد ابن باديس في قسنطينة الذي تتلمذ فيه على يد عدد من أعلام الجزائر، لنكتمل سيرته في طلب العلم بالتخرج من جامع الزيتونة بتونس. وهنا أيضا يروي لنا بعض ذكرياته في مختلف هذه المراحل التعليمية التي مر بها.

في الفصل الثالث يسرد المؤلف الظروف التي دعت به إلى العودة إلى الوطن على الرغم من رغبته في إتمام الدراسة في تونس أو في المشرق العربي، وهنا يخبرنا عن التحاقه بسلك التدريس في مدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ببسكرة والتي كان يديرها الأستاذ علي مرحوم رحمه الله.

وفي الفصل الرابع يكشف لنا عن انخراطه في العمل السياسي السري قبل الثورة في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي إطار حزب الشعب الجزائري كذلك.

أما في الفصل الخامس فيحدثنا عن تكليفه وتوسيعه لنشاطه السياسي بعد اندلاع الثورة، والأعمال التي كان ينهض بها، والشخصيات التي كان يتصل بها ويتعاون معها في هذا الإطار.

هذا النشاط لفت انتباه مصالح الاحتلال التي ما لبثت أن ألقت عليه القبض في مدرسته ببسكرة ونقلته إلى مدينة باتنة حيث زج به في السجن في شهر ماي سنة 1955، ليتعرض للتلقي

الأستاذ فرحات نجاحي

رحلة عمر مناضل من الأوراس



بعد ذلك إلى عدة معتقلات في مناطق مختلفة من الوطن، ويمر بمحن وصعوبات جمة في هذه المعتقلات، ويتعرف إلى مناضلين كبار عرفوا مثلته حياة الاعتقال والحرمان من أبسط الحقوق، من أمثال: المشايخ عبد القادر الباجوري ومحمد الصالح بن عتيق وحويشق مصباح ومحمد الطاهر الأطرش، والمناضلين: بشير بومزة والحواس بوقادوم والعربي رولا وحرشة حسان، هذه الفترة من حياة المؤلف هي التي خصص لها الفصل السادس من مذكراته هذه، وقد أفاض فيها القول وعالجها من مختلف الجوانب.

في الفصل السابع يحدثنا المؤلف عن إطلاق سراحه في فبراير من سنة 1959، ولقائه بالمجاهد محمد الشريف جاز الله وتنسيقه معه للالتحاق بالمجاهدين والانخراط في صفوف جيش التحرير الوطني، وكذا المواقف التي عاشها بعد تكليفه بمهمة القضاء في إطار نظام الثورة بمدينة باتنة، ثم التحاقه الفعلي بالجبل تحت قيادة سي محمد الشريف جاز الله، والمواقف التي شهدتها معه إلى غاية الاستقلال.

أما في الفصل الثامن فقد أجمل المؤلف كل ما مر به مما له صلة بمرحلة الاستقلال من حين وقف القتال إلى غاية تقاعده النهائي من مهنة المحاماة سنة 2012، وفيه حديث عن عمله كاتبا في مكتب محافظة الحزب بمدينة باتنة مع الشيخ محمود الواعي ومع غيره ممن خلفه في منصبه، ثم التحاقه بالتعليم في ثانوية عباس لغرور، وتكليفه بعد ذلك برئاسة دائرة مروانة، واستقالته منها وعودته إلى التعليم موظفا، ثم مديرا للتربية والتعليم والشباب بولاية بسكرة، ثم مفتشا عاما للتربية والتكوين بوزارة التربية، ليتقاعد بعد ذلك وينخرط في سلك المحاماة بعد حصوله على شهادة الليسانس في الحقوق، حيث قضى في هذه المهنة سبعا وعشرين سنة، من سنة 1986 إلى سنة 2012، وهنا يحدثنا عن الأحداث التي عاشها في كل هذه المراحل والمواقف التي وقفها منها.

ويختتم المؤلف مذكراته بخاتمة طريفة اعتبرها الفصل التاسع من الكتاب ووسمها بعنوان «أسفار وأفكار»، تحدث فيها عن أسفاره

خارج الوطن وما سجله من مشاهد، وما انطبع في ذهنه من ذكريات وملاحظات أثبتتها في مكانها وفق ترتيبها في السرد والتحليل. كما ضمنها جملة من الأفكار التي تعتبر خلاصة لتجربته في الحياة وفي وطنه الجزائر وما يراه من منظره الخاص أجدى وأصوب أن تسير عليه الأمور في مختلف مجالات الحياة في هذه البلاد.

مزاياء هذه المذكرات

هذه، وإذا كان لي من ملاحظات أسجلها على هذه المذكرات، بعد قراءتي لها ومساعدتي للمؤلف في مراجعتها وتدقيقها، فإني أؤكد على ما يلي:

- 1- قدم المؤلف للقارئ الكريم نظرة شاملة على حياته التي لم تقتصر على شخصه وحده، وإنما يمكن التعرف من خلالها على حياة عامة الجزائريين خاصة في مرحلة ما قبل الاستقلال.
- 2- لم يهتم المؤلف بذكر التفاصيل والجزيئات، وإنما اهتم بالكتابات والعموميات، وحاول أن يركز على الأهم فالمهم، مراعاة للاختصار وبعدا عن الإطناب الممل والإسهاب الذي لا يتناسب مع الإيجاز والتلخيص.
- 3- حرص المؤلف على تسجيل انطباعاته وملاحظاته على كل مرحلة من مراحل حياته، وهذا في الحقيقة هو الغرض الأول من كتابة المذكرات، فهي ليست مجرد سرد لأحداث أو كلام عن أشخاص وإنما هي عبر وعظات ينبغي للإنسان أن يستخلصها ويستفيد منها ليقدّمها للآخرين لعلمهم ينتفعون بها.
- 4- ضمن المؤلف مذكراته هذه الكثير من المواقف الصعبة والطريفة التي مر بها، ترويعا في العرض وتشويقا للقارئ لمواصلة القراءة إلى النهاية.
- 5- صاغ المؤلف مذكراته بلغة عربية رصينة وأسلوب جزل رفيع، ولا ريب في ذلك فهو خريج معهد ابن باديس وجامع الزيتونة حيث تلقى العلم على أيدي أساطين البلاغة في هاتين المؤسساتين، كما أنه صقل معارفه اللغوية بقراءاته الكثيرة في مختلف فنون المعرفة عبر مسيرة حياته الحافلة.

لقد سعدت بقراءة هذه المذكرات واستمتعت بما سرده المؤلف فيها من مواقف وطرائف، واستندت مما عرضه خلالها من تجارب، وتجاوبت مع ما قدمه من أفكار وأنظار.

حفظ الله أستاذنا الفاضل سي فرحات نجاحي ومتعه بالصحة والعافية وأمد في عمره ليقدّم المزيد من تجاربه وخبراته في الحياة في مؤلفات أخرى.

أربعة أعلام جزائريون رحلوا في صمت

فقدت الجزائر خلال النصف الأول من شهر أوت 2021 أربعة من رجالها الأعلام الذين اشتغلوا بالتعلم واكتساب المعرفة والبحث العلمي والتعليم والتأليف وإفادة العديد من الأجيال المتتالية من أبناء هذا الوطن، وقد مر رحيل هؤلاء الأعلام في صمت غريب، فلم يحظوا إلا باهتمام القليل من المدونين على صفحات التواصل الاجتماعي، في حين تجاهلت رحيلهم وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمكتوبة إلا ما ندر منها، فلم تهتم بالإعلان عن وفياتهم ولم تعرف متابعتها بهم وبأعمالهم ومآثرهم وآثارهم، وكان هؤلاء الأعلام ما عاشوا في هذه البلاد وما قدموا لها شيئا ولم يعرفهم أحد. وليس هذا بالامر الجديد علينا نحن الجزائريين، فقد تعودنا -مع كل أسف- على معاملة أعلامنا ورجالنا الكبار بالكنود والجحود وهم أحياء، وبالتجاهل والنسيان بعد رحيلهم إلى دار البقاء.



أ.د / مسعود فلويسي

الشيخ بشير كاشة الفرحي رحمه الله
(20 مارس 1926م - 6 أوت 2021م)



أول هؤلاء الراحلين هو الشيخ بشير كاشة الفرحي، أحد قدامى تلاميذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن المناضلين المندمين خلال ثورة التحرير، ومن إدارات وزارة الشؤون الدينية ووزارة العدل بعد الاستقلال، ومؤلف العديد من الكتب حول تاريخ وعلماء الجزائر إضافة إلى العديد من الكتب الأخرى ذات الطابع شبه المدرسي.

ولد بشير بن صالح بن مسعود كاشة الفرحي يوم الإثنين 9 رمضان 1344هـ، الموافق 20 مارس 1926 بقرية عفان التابعة لبلدية وادي الطاقية في ولاية باتنة. حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية بمدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي المسجد العتيق بمدينة باتنة، على أيدي كل من الشيخ محمد الصغير زيدان المعافي والشيخ الطاهر مسعودان الحركاتي وشاعر الجزائر الكبير الشيخ محمد العبد آل خليفة رحمهم الله جميعا.

انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس فدرس به ثلاث سنوات (سبتمبر 1945 - سبتمبر 1948)، ثم تحصل في نهايتها على الشهادة الأهلية. ثم انقطع عن الدراسة مدة أربع سنوات (سبتمبر 1945 - سبتمبر 1952) هاجر خلالها إلى فرنسا حيث عمل في مصانع لإنتاج الزجاج، وإنتاج السيارات، وإنتاج الأدوية، وفي قطاع البناء.

وفي سنة 1952 عاد إلى الدراسة، حيث أرسلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لمواصلة دراسته الثانوية والجامعية في العراق، وهناك درس في قسم الآداب بدار المعلمين العالية في بغداد (سبتمبر 1952 - جوان 1954)، كما تحصل بالمصاحفة على دبلوم الصحافة العربية من كلية الصحافة المصرية بالتوازي مع دراسته في بغداد. وفي جويلية 1954 انتقل إلى المملكة العربية السعودية، أين تحصل على الشهادة الثانوية من معهد الرياض العلمي، كما تحصل على شهادة الليسانس في الشريعة من كلية العلوم الشرعية بالرياض سنة 1962.

مارس النضال في فترة مبكرة من حياته (منذ 1945) في إطار حزب الشعب الجزائري، ثم في حركة انتصار الحريات الديمقراطية المنبثقة عن حزب الشعب منذ سنة 1947. كما ناضل

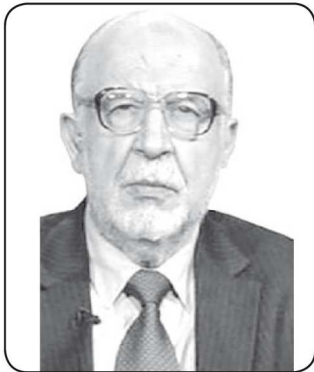
العلامة المؤرخ الشيخ مبارك الميلي رحمه الله، وحفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم العربية والإسلامية.

عند اندلاع الثورة التحريرية عمل مناضلا في صفوفها، ثم التحق بجيش التحرير الوطني عام 1956 ونقل رتبة ضابط في وحدات العمليات حتى عام 1962. بعد الاستقلال عين واليا لعناية سنة 1963، وفي سنة 1968 أصبح مديرا لمكتب منظمة التعاون الصناعي في باريس.

وأصل دراسته الجامعية العليا حتى حصل على دكتوراه في الاقتصاد من إحدى الجامعات الأمريكية، التحق بعدها بجامعة الجزائر وعمل فيها أستاذًا للاقتصاد في (من 1970 إلى 1973)، ثم ترك الجامعة والتحق بشركة سوناطراك التي عمل بها مستشارا اقتصاديا من 1973 إلى 1976، وفي عام 1976 عين رئيسا لفرع الشركة (سوناطراك) في الولايات المتحدة الأمريكية.

في عام 1979 أصبح وزيرا للتخطيط في الحكومة الجزائرية، ومن عام 1984 إلى عام 1988 شغل منصب الوزير الأول، وعضوا في المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني. وفي سنة 1990 استقال من اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني، واستأنف نشاطه الأكاديمي في الجزائر، ثم هاجر إلى بريطانيا أين شغل منصب مدير عام لمركز دراسات المغرب العربي في لندن. أقام في بريطانيا مدة 26 سنة، وخلال هذه المدة درس في العديد من الجامعات منها الفرنسية والبريطانية وحتى الأمريكية، على غرار جامعة جورج تاون يونيفيرسيتي، وواشنطن يونيفيرسيتي. عاد إلى الجزائر في جاني سنة 2016.

من مؤلفاته :



أبعاد الاندماج الاقتصادي العربي واحتمالات المستقبل - المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية - العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي - في أصل الأزمة الجزائرية: 1958 - 1999. وقد صدرت كلها عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت. كما نشرت له العديد من الأبحاث حول نمو الشركات المتعددة الجنسيات، و"استراتيجيات للتنمية في الجزائر"، و"القضاء على الفقر والتنمية من وجهة نظر إسلامية". توفي يوم الأحد 6 محرم 1443هـ، الموافق 15 أوت 2021م. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

○○○

أما العلم الثاني الراحل، فهو المؤرخ الجزائري الأستاذ الدكتور جمال قنان أستاذ تاريخ الجزائر في قسم التاريخ بجامعة الجزائر وأحد رواد المدرسة التاريخية الوطنية الجزائرية، ومؤلف العديد من الكتب الرائدة في تاريخ الجزائر الحديث والعلاقات الجزائرية الفرنسية والمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي.

ولد جمال قنان عام 1936 ببلدة قنات بني يعل في ولاية سطيف. أتم دراسته الابتدائية في مسقط رأسه، ثم التحق بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة عام 1952م. وبعد ثلاث سنوات من الدراسة التحق بالثورة عام 1955م. ثم أوفد في بعثة علمية إلى المشرق سنة 1958م وحصل على شهادة ليسانس في التاريخ من جامعة القاهرة سنة 1963م.

بعد الاستقلال التحق بجامعة السوربون في باريس عام 1963 لتحضير شهادة دكتوراه الطور الثالث، وتحصل عليها سنة 1970م. عين سنة 1971م رئيسا لقسم التاريخ بجامعة الجزائر، فمديرا لمعهد العلوم الاجتماعية سنة 1979م، ثم رئيسا للمجلس العلمي للمتحف الوطني للمجاهد.

كان عضوا في هيئات علمية وتاريخية كثيرة، كما له مؤلفات وإسهامات في الصحافة الوطنية. من مؤلفاته المطبوعة: معاهدات الجزائر مع فرنسا (-1830 1619) - العلاقات الفرنسية الجزائرية (1830-1790) - دراسات في المقاومة والاستعمار - المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي من احتلال فاس إلى معركة الهري (1914-1911) - قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر - نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (-1500 1830) - نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر (1830 - 1914) - التوسع الاستعماري ظاهرة عذرية تسلطية واستغلالية - مظاهر من تطور أوروبا في القرن الثامن عشر - التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاحتلال (1830-1944) - الكفاح الوطني وردود فعل الاحتلال في الفترة ما بين الحربين (1919-1939) - ديوان الشهيد الربيع بوشامة (جمع وتحقيق).

وله إلى جانب هذه المؤلفات بحوث كثيرة منشورة في المجالات العلمية الجزائرية والأجنبية. كما أشرف على الكثير من الرسائل الجامعية لنيل الماجستير والدكتوراه. وقد كرمه زملاؤه وتلاميذه في حياته بإصدار كتاب جماعي تذكاري بعنوان "دراسات تاريخية مهادة إلى المجاهد المؤرخ جمال قنان"، صدر سنة 2019م في 434 صفحة.

توفي الخميس 3 محرم 1443هـ، الموافق 12 أوت 2021م. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

الدكتور عبد الحميد براهيمى رحمه الله
(2 أفريل 1936 - 15 أوت 2021)

ثالث الراحلين كان هو الخبير الاقتصادي الدولي والوزير الأول الأسبق في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد -رحمه الله- الدكتور عبد الحميد براهيمى، أصغر أبناء العلامة المؤرخ الشيخ مبارك الميلي -رحمه الله- والشقيق الأصغر للكاتب والوزير والسفير الأسبق الأستاذ محمد الميلي رحمه الله.

هو عبد الحميد بن مبارك بن محمد الميلي. ولد في قسنطينة يوم الخميس 9 محرم 1355هـ، الموافق 2 أبريل 1936م. تربي على يدي والده

بصفته عضوا في المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني وعمل في ممثليتها بالمملكة العربية السعودية منذ إنشائها سنة 1955 حتى استرجاع السيادة الوطنية سنة 1962. أدى فريضة الحج سنة 1954، كما تزوج في أوائل سنة 1955.

اشتغل مدرسا بالمدراس السعودية مدة ثلاث سنوات (سبتمبر 1959 - سبتمبر 1962)، وبعد الاستقلال التحق بوزارة الشؤون الدينية، من أول نوفمبر 1962 إلى 31 ديسمبر 1970 برتبة متصرف مدني، وشغل منصب رئيس مكتبة التوجيه الديني من أول يناير 1965، ثم نائباً لمدير الشؤون الدينية من 22 يناير 1969.

ابتداء من فاتح يناير 1971، التحق بوزارة العدل برتبة متصرف إداري، حيث شغل منصب رئيس مكتب التعريب مدة عشرة أشهر، ثم منصب رئيس مكتب الدراسات الفقهية. وعين عضوا في المجلس الأعلى للغة العربية ممثلاً للإدارة المكلفة بالعدل منذ 26 سبتمبر 1998 إلى غاية إحالته على التقاعد في فاتح من سبتمبر 1999م.

تفرغ بعد تقاعده للبحث والتأليف حيث أنجز عدة كتب ونشر الكثير من المقالات في الصحف والمجلات. من مؤلفاته: - محمد البشير الإبراهيمي شيخ العلماء وفارس البيان - إمام المجاهدين الشهيد الشيخ العربي التبسي - محمد العبد آل خليفة شاعر الجزائر والعروبة والإسلام - الشيخ الطاهر مسعودان الحركاتي الإمام المفتي - الشيخ أحمد حماني العالم المجاهد المجتهد - عقبة بن نافع (تحقيق) محاضرة للباحث المؤرخ الأديب الشاعر عبد المجيد بن حبة) - مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر: 1830-1962 - صفحات مشرقة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية: -1951 1953 - جزآن - السياسة اللغوية في الجزائر (التعريب - الأمازيغية - اللغات الأجنبية)، إضافة إلى سلسلة "المُرشد" في التربية الإسلامية واللغة العربية للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة والتي بلغت 14 كتابا.

إضافة إلى هذه المؤلفات، شارك في الكتابة في عدة جرائد ومجلات منذ أن كان طالبا، منها: - التحرير (عراقية) - السجل (عراقية) - اليمامة (سعودية) - القيس (الجزائر) - البصائر (الجزائر).

توفي بعد عصر يوم الجمعة 27 ذي الحجة 1442هـ، الموافق 6 أوت 2021م. ودفن بعد ظهر اليوم الموالي السبت بمقبرة العالية في الجزائر العاصمة. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

الدكتور جمال قنان رحمه الله
(1936 - 12 أوت 2021)



الدكتور عبد الحميد حاجيات رحمه الله
(20 أكتوبر 1929 - 16 أوت 2021)



وكان آخر هؤلاء الراحلين - بعد حياة حافلة بالعباء العلمية والبحثي - هو الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات أحد مؤسسي المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة وأستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الجزائر ثم بجامعة تلمسان.

هو عبد الحميد بن محمد حاجيات، من مواليد تلمسان يوم الأحد 17 جمادى الأولى 1348هـ، الموافق 20 أكتوبر من سنة 1929م، في أسرة متواضعة ومحافظنة من أصل أندلسي، وكان أكبر إخوته الخمسة. تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في الكتاب، وموازية لذلك التحق بالمدرسة الفرنسية في تلمسان سنة 1935 وأتم تعليمه بها. وفي سنة 1945، التحق بمدرسة دار الحديث وتعلم على يدي الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله. وفي سنة 1950 تحصل على شهادة البكالوريا بهران، مما مكّنه من الانتقال إلى فرنسا ليزاول دراسته هناك، فحصل شهادة الليسانس في الآداب العربية من كلية الآداب في ليون سنة 1954م، ودبلوم الدراسات العليا من جامعة بوردو سنة 1959، ثم شهادة التبريز في الآداب العربية من جامعة السوربون سنة 1960. أثناء دراسته بفرنسا انضم سنة 1956 إلى اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، وكان له نشاط بارز في خدمة الثورة التحريرية،

مما جعله عرضة لملاحقات السلطات الفرنسية، ففر إلى المغرب. وبعد الاستقلال واصل دراساته العليا، حيث نال سنة 1974 دكتوراه الحلقة الثالثة من جامعة اكس - أن - بروفانس بفرنسا، ثم دكتوراه الدولة في التاريخ الوسيط الإسلامي من نفس الجامعة وذلك سنة 1991م. وهو متخصص في تاريخ المغرب الإسلامي.

هذا عن مساره التكويني، أما مساره الوظيفي فقد بدأه قبل الاستقلال، حيث عمل مدرسا بثانوية مولاي إدريس في الدار البيضاء بالمغرب، ثم في ثانوية أخرى في الرباط. أما بعد الاستقلال فقد عينه الرئيس أحمد بن بلة عضوا في الهيئة الاستشارية برئاسة الجمهورية، لكنه لم يلبث أن استقال مفضلا العمل في المجال العلمي. عمل في الفترة الممتدة من 1966 إلى 1975 أستاذا مساعدا بمعهد التاريخ بجامعة الجزائر، ثم أستاذا مكلفا بالدروس من 1975 إلى 1992، وأستاذا محاضرا من 1992 إلى 2001، ثم حصل على لقب الأستاذية سنة 2001. بعد عشرين سنة من العمل في جامعة الجزائر انتقل سنة 1986 إلى تلمسان، حيث عين مديرا للمعهد الوطني للتعليم العالي للثقافة الشعبية بتلمسان من 1986 إلى 1989، وانتخب رئيسا للمجلس العلمي لكلية الآداب والعلوم الإنسانية سابقا بجامعة تلمسان من 1999-2003. أحيل على التقاعد سنة 2015، بعد أن بلغ 86 سنة من العمر. إلى جانب عمله الجامعي، عمل عضوا في الهيئة الإدارية لجمعية المؤرخين الجزائريين. وكان رئيسا لعدة مشاريع بحثية في التاريخ الإسلامي الوسيط، كما ترأس عدة هيئات ولجان علمية داخل جامعة تلمسان وفي الجامعات الجزائرية الأخرى. وقد حصل على شهادات تقديرية من عدة جامعات جزائرية وأجنبية لمساهماته في إجاح الندوات و الملتقيات والمشاركة فيها، كما كرم مرات عديدة من قبل بعض الوزارات كوزارة الشؤون الدينية الأوقاف، ووزارة الثقافة، وكذا من قبل بعض رؤساء الجامعات تقديرا لخدماته العلمية الجليلة.

من مؤلفاته: أبو حمو موسى الزياتي حياته وآثاره - عبد الله بن المقفع حياته وآثاره - الشيخ أبو مدين شعيب الإشبيلي حياته وآثاره - عبد المؤمن بن علي - الجزائر في التاريخ، ج3 العهد الإسلامي - دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي - تاريخ الجزائر في العصر الوسيط (بالاشتراك). ومن تحقيقاته: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، لأبي زكريا يحيى ابن خلدون - الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان - سلوان المطاع في عدوان الأتباع، لأبي عبد الله محمد بن الطغر الصقلي - أخبار المهدي بن تومرت، لأبي بكر الصنهاجي - أنس الوحيد و زهرة المريد، للشيخ العلامة المتصوف أبي مدين شعيب - زهر البستان، لمؤلف مجهول - تاريخ دولة الأدارسة، من كتاب: نظم الدر والعقيان، لأبي عبدالله التتسي - دولة بني عبد الواد، من كتاب: ترجمان العبر وديوان المبتدا والخبر، لعبد الرحمن بن خلدون. كما ترجم من اللغة الفرنسية كتاب «ابن تومرت» للدكتور رشيد بورويبة. أما أبحاثه ومقالاته العلمية فهي كثيرة تجاوزت المائتين، نشرها في مختلف المجالات الجزائرية والعربية. كما أشرف على الرسائل العلمية التي أنجزها عدد معتبر من الباحثين لنيل الماجستير والدكتوراه.

توفي يوم الإثنين 9 محرم 1443هـ، الموافق 16 أوت 2021م، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته. إن وفاء هؤلاء الأعلام تعتبر خسارة فادحة لوطننا الذي مافئ - منذ عدة سنوات - يعاني نزيفا في كفاءاته العلمية الوطنية الرائدة، حيث تتابع رحيل أبرز علمائه وأعلامه الذين كانوا رواد الدراسات العلمية الدقيقة والنافعة في مختلف مجالات المعرفة، خاصة منها ما يتعلق بتاريخ الجزائر في مراحلها المختلفة. ومما يدعو إلى الأسف والحسرة أن هؤلاء الرواد لم يتركوا خلفاء لهم في مستوى عطائهم وكفاءتهم، وهو ما يندر بتردي الأوضاع العلمية وتراجع العبء العلمي الجزائري في مختلف مجالات العلم والمعرفة.

* العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1



أ.د. سليم قلاله*

إمّا تغيير الوجهة أو الغرق في الفتن...

ينبغي وضع حدّ نهائي وسريع لهذا التوجه الذي بدأت تأخذه بلادنا مهما كان موقفا من السلطة أو موقفا منها. الصحيح ليس أن تكون مع الفتنة أو ضدها، مع التفرقة أو ضدها، إنما أن لا تكون هناك بالأساس فتنة ولا تفرقة. وحتى لا تكون هناك فتنة أو تفرقة علينا إيجاد الطرح البديل الذي يلئمنا جميعا، والطرح البديل هذا لن يكون إلا بضبط دقيق للوجهة التي نسحق من خلالها التنمية والتقدم والازدهار بعيدا عن أي مزايدات.

لن تتطوّر الفتنة بوجود من معها ومن ضدها، إنما ببديل آخر، بغاية سامية أخرى تشدنا إليها. ومادامت هذه الغاية لم تتحول إلى نقطة جذب مركزية لنا، فإننا لن نستطيع الخروج من دائرة الصراع الصفري التي نعيش في كل مرة سيظهر لنا موضوع جديد مثير للفتنة. وكلما استعصنا احتواءه أو السيطرة عليها انبثق منه ومن خلاله موضوع آخر إلى ما لا نهاية من القضايا والمسائل والمشكلات التي بكل بساطة يمكن تحويلها إلى بؤر للفتن والانقسامات... الصحة، الحرائق، المياه، الشغل، السكن، توزيع الدخل الوطني، الفساد، الرشوة، الرياضة، الفن، التعليم، اللغة، المحيط، الثقافة، الرياضة... كلها مشاريع قائمة لصناعة فتن حولها، وبالإمكان ذلك.

ما لم نغير الوجهة تماما لبلادنا ومجتمعنا سنبقى ننقل من فتنة إلى أخرى، وسندخل كل فتنة من يغذيها، إلى أن يتهاك المجتمع وتتحوّل السلطة من وسيلة لبناء الدولة إلى وسيلة لإدارة الفتن، وأن يكون مصيرها بعد ذلك سوى الانهيار ومعه سقوط الدولة.

لذلك علينا تغيير الوجهة: تحديد غاية كبرى نسعى لتحقيقها وبإمكانها أن تشد الجميع إليها وتحوّل مركز ثقل المنظور الشعبي من الوضع لحالي الضيق والذي يكاد يختنق وبغرق في مشكلاته اليومية، إلى أفق أكثر اتساعا وأكثر رحابة وأكثر صناعة للأمل.

كان الاستقلال غاية كبرى ووجهة إستراتيجية فوّدتنا معركته رغم الاختلافات التي بيننا، وكانت الاشتراكية غاية كبرى للمجتمع ووجهة إستراتيجية لسلطة ما بعد الاستقلال فوّدتنا وجعلت الاختلاف حولها وليس حول الفتن.

وبعددها، دخل المجتمع في التعددية، التي تعددت معها الوجهات والغايات باسم الحرية والديمقراطية فحدث ما حدث ولم نتمكن من تحقيق أي غاية: لا الليبرالية ولا الاشتراكية ولا الإسلام ولا أي خيار وطني مستقل آخر. عكس ذلك كان تعدد الوجهات سببا في حرب أهلية، وفي حرب اقتصادية، ونهب لم تر بلادنا مثيلا له في تاريخها. وما نحن اليوم نبقى بدون وجهة حقيقية تتبناها السلطة بوضوح وتدافع عنها وتجنّد لتحقيق كل الطاقات ولا تأبه بمن يعارضها أو يقف ضدها. لذلك، علينا الإسراع ببلورتها وبناء مشروعنا الاقتصادي والاجتماعي حولها بعيدا عن كل غموض أو محاولة لتفريق وجهه لا لون لها.

هل نحن مع الشرق أم مع الغرب لتحقيق التنمية؟ هل حلفاؤنا هم الصين وروسيا مع كل المجموعة الشرقية، أم أمريكا وفرنسا مع كل المجموعة الغربية؟ هل نتطلع إلى نظام مركزي مفتوح على القيم الوطنية رافض لانهيارات الديمقراطية، أم سنجاري هذه الانحرافات بنظام مُلقّ باسم الحرية التي لا حدود لها؟

ينبغي أن نفصل في حوارنا الإستراني، إن كانت داخلية أو خارجية، ونحصل نتاج ذلك كما فعلنا من قبل. لأننا هكذا سنبقى نعتقد أننا أصدقاء الجميع ونحن في حقيقة الأمر إن لم تكن أعداء الجميع يطعم فينا الجميع. ونتيجة ذلك نعجز على مواجهة أي مشكلة تعترضنا بطريقة صحيحة ونعجز عن التقدّم. وبدل أن نكون مبدعي حلول، نستمر أرضا خصبة للصراع للفتن... فلنغيّر الوجهة، وسنعرف كيف نضع حدا للفتن.

*أكاديمي وباحث، عضو الهيئة الاستشارية العليا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

تعزية

فقدت الجزائر خلال الايام القليلة الماضية ثلة من الاعلام الكبار وهم: الشيخ بشير كاشة الفرحي. أحد قدامى تلاميذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ومن المناضلين المدنيين خلال ثورة التحرير. ومن إشارات وزارة الشؤون الدينية. والمؤرخ الجزائري الأستاذ الدكتور جمال قنان أستاذ تاريخ الجزائر في قسم التاريخ بجامعة الجزائر وأحد رواد المدرسة التاريخية الوطنية الجزائرية. والوزير الأول الأسبق في عهد الرئيس الشاذلي بن جديد -رحمه الله - الدكتور عبد الحميد براهيمى. أصغر أبناء العلامة المؤرخ الشيخ مبارك المبلى -رحمه الله - والدكتور عبد الحميد حاجيات أحد مؤسسي المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة وأستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الجزائر ثم بجامعة تلمسان. وبهذا المصاب الجلل يتقدم فضيلة الدكتور عبد الرزاق قسوم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأحرّ التعازي لعائلاتهم. سائلًا الولي سبحانه وتعالى أن يتغمدهم بواسع رحمته. وأن يسكنهم فسيح جنانه.

إنا لله وإنا إليه راجعون



يكتبه د. محمد قماري

محمد وشرلمان...

هذا عنوان كتاب كتبه المؤرخ البلجيكي هنري بيران، والرجل كان مهتما بتاريخ القرون الوسطى، ويصفه كتاب سيرته بأنه رائد مدرسة (الحوليات الفرنسية) في التاريخ، والعجيب أنه اعتباراً من سنة 1922 كتب مقالات عدة، رافع فيها عن فكرة شغلته تقول أنه لولا وجود التوسع الإسلامي فلا وجود للعصر الوسيط في أوروبا، وحمل أول مقال نشره في هذا الاتجاه عنوان: محمد وشرلمان في المجلة البلجيكية (الفلسفة والتاريخ)، وأثار في وقته حفيظ الكثير من الأوروبيين...

كانت خاتمة المقال عجيبة فقد قال فيها بيران: (لولا الإسلام، فإن إمبراطورية الفرنك ما كان لها أن تخرج للوجود، ولولا محمد فإن شرلمان لن يكن شيئاً (مذكوراً)، وتابع بيران في نشر سلسلة من المقالات تعزز فكرته حتى وقت قريب قبل وفاته في سنة 1935، وجمعت المقالات بعد موته ونشرت سنة 1937 في كتاب يحمل عنوان مقاله الأول: (محمد وشرلمان)...

والكتاب في حقيقته ليس كما يبدو تمجيدياً للحضارة الإسلامية، بل كان هم صاحبه إيقاظ الحس الأوربي خاصة لأهمية البحر المتوسط، فالبحر المتوسط ساهم في رومنة الشعوب البربرية، بعد أن أصبح يؤدي وظيفة (وحدة) اقتصادية وسياسية وثقافية، فالإمبراطورية الرومانية التي تأسست على أساس بنيتها مدن وكانت التجارة مركزاً فيها على البحر المتوسط الأمر الذي جعلها آمنة إلى حد كبير من غزوات البرابرة في القرن الخامس الميلادي، وضمن ذلك دهيومة الثقافة الرومانية على ضفاف المتوسط، وأخذت القسطنطينية إشعاع روما فيما بعد.

وكان لفنوحات المسلمين لشمال إفريقيا وبعض مناطق غرب أوروبا (إسبانيا وكورسيكا وسردينيا) وبعض الدول المطلة على المتوسط في الشرق... كان أن عملت على كسر تلك الوحدة المتوسطية (تحت شعار الرومنة!)، وفصلت المشرق عن الغرب، وأصبح المتوسط الغربي ليس منطقة تبادل أوربي وإفريقي ومشرقي لكنه أصبح بحيرة إسلامية، وأصبح الغرب مجبراً على العيش في فضاء معلق، وانتقلت السلطة السياسية إلى شمال غرب أوروبا، وهنا بدأت تتطور دولة الفرنك ونشأ اقتصاد يعتمد أساساً على الطرق البرية.

والحقيقة أن فكرة بيران التي انزع منها في وقتها بعض الأوروبيين، هي ذات الفكرة التي تكررت في كتابات لاحقة بأفلام أوربية، وهي تحتل على نحو مبطن صناع القرار في أوروبا إلى ضرورة الانتباه لخطر المتوسط، وتأتي الدعوة أحياناً في صورة نداء إلى روح (المتوسطية)، بوصفها ثقافة خاصة تجمع كل سكان حوض المتوسط، فإذا بحثنا في مقوماتها وجدناها نحن إلى فكرة إحياء (الرومنة)، وتسريب رسائل مشفرة أن سكان حوض المتوسط ما هم إلا روماناً...

وتأتي في أحيان أخرى في صورة دعوات مغلقة إلى ضرورة توحيد المتوسط، لكن لا تصرح تحت أي مسمى، وإن كان المضمهر هو مسمى إعادة بعث الرومنة من جديد؟

كل ذلك يأتي في سياق الدعوات الأفقية التي تحفل بها مراكز البحث، أما الخطوات الإجرائية فتأتي في صورة كتب تاريخ موجبة لعامة الناس والمتقنين من الصف الثاني، تغريهم بالانتساب للحضارة الغربية الغالبة في هذا العصر، وتشكك في كل المنجز القديم.

لقد جاءت محاولات شرلمان في مطلع القرن السادس عشر في استعمال القوة الخشنة، لاستعادة حوض المتوسط، وجاءت في حقد بعض الأوروبيين على العثمانيين بوصفهم المسؤولين على صد ذلك التمدد في العصر الوسيط، وما تزال مسالة الأتراك عن إيداء الأرمن تظل برأسها بين الحين والآخر في محاولة لتحديد الحكومة التركية عن التطلع من جديد للإطالة على المتوسط...

إن ما يحدث من توترات حديثة على ضفاف المتوسط، هو محاولة جديدة لكبح أي تطلع للدول المطلة على الضفة الجنوبية من المتوسط أن تخرج عن السيطرة، بعد أن مضت سنوات من خروجها من سيطرة الاستعمار العسكري الغربي...

المؤكد تاريخياً أن البحر المتوسط مهد الحضارة، سواء في العصر القديم ووجود أثينا والفراعنة وتأثيره في نقل اجتهادات حضارة الرافدين، وكل هذه الأرجاء انتقلت في حقب تاريخية إلى المد الإسلامي، فجنوب تركيا وشواطئ الإسكندرية والشواطئ السورية واللبنانية وشواطئ أقطار المغرب العربي، كلها كانت موانئ تستغل تحت حكم الحضارة الإسلامية... إن كل تفسير لا يرتكن إلى معطيات التاريخ وتجاذبات الحاضر، لا يمكنها أن يخلص إلى ما يمكن الاطمئنان إليه في فهم رسم الخرائط الجديدة على ضفاف المتوسط، ودون الاستئذاء بما دونه الرحلة المسلمون كابن بطوطة وابن جبير وابن حوقل وغيرهم كثير وهم يكتنزون بجرسة أحياناً مشاهداتهم من ذلك التاريخ حول جهود كبيرة تعمل على إعادة تشكيل البحر المتوسط، دون تلك الاستئذاءات مضافاً إليها ما يصدر عن مراكز بحثية في الغرب في الوقت الراهن لن نهتدي لتلمس تفسير ما وقع وما يقع وما سيقع...

حقيقة النجاح والفشل في الحياة⁽¹⁾



أ.د. ماسعود فلوسي

أبى هزيمة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنكم ستخربون على الإمامة، وستكون تامة يوم القيامة، فتعجز المُرُضعة وتشت الفاطمة» [رواه البخاري]. والنجاح عند بعض ثالث هو اكتساب الشهرة، من خلال الرياضة أو الفن أو السياسة أو الإعلام أو حتى الدين نفسه، معترين أن الشهرة كيفة بأن تجلب لصاحبها كل ما يريد من مال وجاه وقوة. وهناك فئة قليلة ترى النجاح في طلب العلم وتحصيل أعلى الشهادات العلمية والوصول إلى أعلى المراتب العلمية وتبوأ أرقى المناصب في المؤسسات الجامعية والبحثية. وهناك فئات أخرى ترى النجاح في مجالات أخرى غير هذه التي ذكرناها.

النجاح الدنيوي إما واقعي أو زائف

إن هذا النجاح الدنيوي، في أي مجال كان، ومهما بلغ فيه الإنسان ما بلغ، هو في الحقيقة إما نجاح فعلي مستحق لصاحبه في هذه الدنيا، أو هو نجاح زائف لا قيمة له فهو أقرب إلى الفشل بل هو سبيل الفشل إن عاجلاً أو آجلاً.

فالذي يحصل المال بالطرق المشروعة ويحسن توظيفه واستثماره وصرفه في الأبواب النافعة مما يعود بالفائدة والنفع عليه وعلى أفراد المجتمع ككل، هو نجاح فعلاً. بينما من يكسب المال من الطرق غير المشروعة ولا يحسن استثماره وتوظيفه بل يستعمله في الضرر والفساد ويبدئه تذبذبا في أبواب الشر، هو فاشل وليس بنجاح، ومصيره إلى فقدان هذا المال والوقوع بسببه في أسوأ الأعمال.

والذي يترقى في المناصب بكفاءة وجدارة واستحقاق ويحسن توظيف منصبه في كل مرة في تحقيق الصالح العام وخدمة أفراد المجتمع هو نجاح فعلاً، ويستحق ما يتولاه من مناصب. أما الذي يتخذ من المنصب وسيلة للسلط والظلم والابتزاز فهو فاشل وليس بنجاح ومصيره إلى أن يسلب منه منصبه ويصبح بلا قيمة ولا معنى في المجتمع.

والذي يكسب الشهرة من خلال ما يقدمه من خدمات للمجتمع وما يبذله من جهود لخدمة الصالح العام وما يسعى إليه من خير ونفع، هو نجاح فعلاً ومستحق لما يحصل عليه من شهرة. أما الذي يصل إلى الشهرة من الطرق العفنة وبالوسائل القذرة فهو فاشل حتى وإن تصور نفسه ناجحاً، وحتى وإن اعتبره الناس جميعاً ناجحاً، لأن مال هذه الشهرة إلى الزوال لا ارتباطاً بالبهارج الكاذبة التي سرعان ما تذهب وتزول.

والذي يترقى في مختلف مراتب العلم والمعرفة ويحصل أعلى الشهادات بالجد والعمل والاجتهاد والبحث والتفكير والتحصيل العلمي الرصين والمتين ويوظف ما تحصل عليه من علم في صالح الأمة والمجتمع ونفع الإنسانية بوجه عام، هو إنسان ناجح فعلاً ويستحق ما يناله من تقدير واحترام من الناس لعلمه ومرتبته. أما

النجاح في معناه العام هو تحقيق الأهداف المرسومة؛ فالإنسان الناجح هو من يضع لنفسه أهدافاً ويسعى لتحقيقها ويتوصل بالعمل والجد والاجتهاد إلى تحقيقها. أما الإنسان الفاشل فهو من ليس له أهداف أصلاً، أو له أهداف ولكنه يمتنى تحقيقها دون أن يسعى لذلك، أو يسعى لتحقيقها ولكن من خلال طرق ومسايل لا توصله إليها.. هذا هو مفهوم كل من النجاح والفشل بصفة عامة، وهو في عرف أغلب الناس في مجتمعنا وفي مختلف المجتمعات البشرية في الشرق والغرب والشمال والجنوب، ذو بعد دنيوي صرف، فالناجح في نظرهم هو من حقق النجاح في دنياه وعاش مستمتعاً به، والفاشل هو من لم يستطع تحقيق ما يريد في هذه الدنيا ولم يتمكن من الاستمتاع به. أما المفهوم الأخروي للنجاح والفشل فهو مجهول أو متجاهل أو مغفول عنه، بل هو ليس محل اهتمام عند معظم الناس..

اختلاف الناس في المراء بالنجاح الدنيوي

ثم إن الناس بعد ذلك متباينون في تقدير النجاح الدنيوي، حيث يختلفون في تحديده بحسب ما يهواه كل منهم وما يحبه وما تميل إليه نفسه من متاع الحياة الدنيا. فالنجاح بالنسبة لأكثر الناس يتمثل في تحصيل المال بمختلف صورته وأشكاله وأنواعه، من نقود سائلة، وحسابات بنكية، وعقارات من مختلف الأصناف، ومراكب من مختلف الأنواع، والاستمتاع بهذا المال إلى أبعد حد وفي مختلف مجالات الحياة؛ أكلاً وشرباً ولباساً ومسكناً وزواجا وسفراً وسياحة وكل ما تحدث به النفس وتشتيه، معتبرين المال وسيلة تفتح بها كل الأبواب. وفي هؤلاء يقول الله عز وجل: ﴿يُزِنُ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّيْئَاتِ مِنَ النِّبَاتِ وَالنَّاتِينِ وَالْقَاطِرِ الْمُقَطَّرَةِ مِنَ الزَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَلِيقِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخِرَاطِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ﴾ [آل عمران: 14].

والنجاح بالنسبة لفريق آخر من الناس يتجلى في الترفي في مختلف المناصب من أنداها إلى أعلاها، تحقيقاً للجاه والسلطة والنفوذ، واتخاذ هذا الجاه وسيلة لتحصيل ما تطلب النفس وما تريد، معتبرين الجاه هو الوسيلة المثلى لتحصيل أي شيء، ولذلك تجد كثير من هؤلاء لا يبالون في سبيل الوصول إلى هذه المناصب ببدل الأموال وسلوك كل الوسائل الممكنة مهما كانت وضعية، ومهما كانت قدراتهم محدودة ومهما كانت كفاءتهم ضعيفة. وهؤلاء هم الذين حدث عنهم النبي صلى الله عليه وسلم وأخير بظهورهم في الأمة، فعن

*كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1

الحق المر



يكتبه د. محمد قماري

في مليانة...

حظ المدن والأماكن من الشهود والحضور كما هو حظ البشر، فيعضها حاضر متجدد، وذائع الذكر، وبعضها خامل لا يكاد يعرفه إلا الأقباط منه، وكذلك حظها من الجمال واللاق فيعضها يخطف الأبواب بسبب نهر يسري في أرجائها أو مرتفع يسند ظهرها تكسوه خضرة مبرصرة، وبعضها تتخلله واحات غناء...

ومدينة مليانة من تلك المدن التي تقع في أحضان جبل زكار، وهو جبل مجاهد فلقد سخر الأمير عبد القادر مناجم الحديد فيه ليصنع منها سلاح المقاومة، وتاريخ مليانة عريق، فقد شهدت حضور الفينيقيين والنوميديين ودخلت تحت حكم موريثانيا القيصرية، واستعمرها الرومان وخربها الوندال واحتلها البيزنطيون، وعادت لها الحياة مع الدولة الزيرية، كما استطلت بحكم الحماديين والمرابطين، وناصرت الأمير عبد القادر، ومنها خرج الشهيد علي عمار (لابوانت) أحد أبطال معركة الجزائر.

وقد يظن بعض القراء أنني استدعي الحديث عن مليانة من وحي تلك الجريمة الشنيعة، جريمة قتل أحد أبناء مليانة منذ أسابيع خلت، وحق لهم أن ينساقوا وراء ميخيلتهم وهم يقرؤون العنوان، إذ قتل جمال بن إسماعيل على تلك الشاكلة البشعة المقرزة، بتعدي جريمة القتل إلى ما وراء المشهد المروع، ويجعلنا نشكك في هوية الجناة وإلى أي فصيل من المخلوقات ينتمون...

إن عقل الإنسان قد يتحول إلى (ناب أفعى وقرني ثور)، على حد تعبير عالم الاجتماع العراقي علي الوردي، لكن ناب الأفعى لا يبرز وقرني الثور لا تتطاحن إلا عند الاحتساس بالخطر!

والحقيقة أنني عدت للكتابة عن مليانة، ولم يكن هدفي الحديث عن ذلك الشاب الذي جعل منه جلاؤه رمزا، وكان سببا في تعرية مشهد مخيف يجري من وراء ستار صفيق، ولعل بقايا رماذ ذلك الجسم المحترق، قد هبت تلمس عيوننا كانت تتربص بما هو أقطع ما هو أبشع، وكما كانت مدما على عمار (لابوانت) تسيل في القصبة، وجسمه يتشظى بتفجير مخبئه تفكك آخر عقد الاستعمار، فرما ساهمت أشلاء جمال ودماها في فك عقد بقايا الاستعمار!

فعدت للكتابة وبين يدي كتاب صغير الحجم، كتبه صديقا الدكتور أحمد منور: (الجزائر في كتابات الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر)... واختار الدكتور منور نصوصا لكبار الأدباء الفرنسيين ممن زار الجزائر، وكما قال: (فيها الكثير من الحقائق مثل ما فيها الكثير من الأباطيل)، منها قصة (رقصة الجن) لتيوفيل، و(جمان) لبريسبر ميريمي، و(الجراد) و(سام الأغا) لدوديه، و(علومة) و(ذات مساء) و(السلسلة العربية) لغني دي مويسان...

ولعل قصة (في مليانة) التي كتبها ألفونس دوديه لها سحر خاص، فلقد ولع الكاتب الجزائري سنة 1861 بتوصية من أطبائه بعد أن أصيب بمرض السل الرئوي، وكان أطباء ذلك الزمان قبل اكتشاف دواء السل يرسلون المرضى إلى المناطق المرتفعة والمشمسة، ومنها في الجزائر جبال الشريعة في البليدة ومرتفعات مليانة، وجبال المشروحة في شريعة تبسة، كلها أقاليم وجهات ينصح بها الأطباء مرضى السل لاستشفاء... وعين الأديب كعسة الكاميرا اللقطه، ترصد المشاهد التي تمر بها، وسرعان ما تنقلص عضلات أصابع الكاتب، فيحوّلها إلى جمل مقروءة تصح بالحركة، وإذا بالقارئ وهو في مكانه يشم الروائح، ويرى من خلال الحروف المطر، وتفتح نسمات الرياح أو أشعة الشمس، ويسمع حفيف أوراق الشجر، ويضحك من مشاهد السخريّة، وينقبض لآلام وقهر نفوس لا يعرف أصحابها، وكأنه به يتلمس ببديه أشياء جميلة وأخرى قبيحة، وينتصر وينحاز لشخصيات، ويعادي ويتكرّر لأخرى، كل ذلك وهو يقرأ كلمات ليست كالكلمات...

ولقد أدرك الغربيون خطر الكتابة والقراءة، ورسدوا لكتابتهم ما يغنيهم عن الاشتغال بغير الكتابة، فالكاتب عندهم لا يضطر للتكسب بغير قلمه، وكل ما يكتبه في حله وترحاله تتلقفه الصحف، ويتلقى عنه الجزء الأوفى، وتعمل دور النشر على نشر ما كتب، فإذا اجتمع إلى الجزء المادي ذلك الاحتفاء والتكريم، عاش الكاتب بقلمه ولقلمه... ودوديه كتب عن مليانة بعين أمه فرنسا، ألم يقل البير كامو في آخر الخمسينيات من القرن الماضي يوم سل عن استقلال الجزائر: (لو خيرت بين الحرية وأمي لأخترت أُمي)، ومليانة في نص دوديه أرض خصبة ومعطاة، تتطلب من سلطات الاحتلال الاهتمام بها، وسكانها (العرب) غير حديريين بها، إذ اجتمع فيهم كل أقات التخلف، وحتى عبد القادر (الأمير) في نصه هو مجرد سفاك! وجعل من عمر حفيد الدابات عميلا لسلطات الاحتلال، ويشرب الخمر في بيته على حين غفلة من خدمه انتقاما من عبد القادر وجيشه...

يسوق دوديه كل ذلك في أسلوب قصصي مبطن، يصل إلى نفس المتلقي المسترخي، فيحتقر (العربي) المتخلف ورائحته العطنية، ويتطلع لبها وجمال المستعمر الأشقر الذي يذهب بلب الحسانات، ويلفت النظر إلى تلك الجنة والأرض الخصبة، وقد جاء من يخرج كنوزها ويبرز مفاتيحها...

حقيقة النجاح والفشل في الحياة (2)



أ. د. مسعود فلوسي

النجاح الحقيقي هو الفوز في الآخرة

إن النجاح المحصل في الدنيا لا قيمة له في الآخرة إلا إذا كان صاحبه مستحقا للنجاح الآخروي.

هذا النجاح الآخروي لا يُنال بالمال ولا بالمنصب ولا بالشهرة ولا بالعلم، وإنما يُنال بآمرين اثنين: الإيمان والعمل الصالح، فمن عاش حياته الدنيوية مؤمنا عاملا الصالحات، فهو من الناجحين في الآخرة، مهما كانت مكانته بسيطة ومتواضعة في الدنيا. ومن عاش حياته الدنيوية كافرا أو مشركا أو منافقا غير عامل للصالحات، فهو من الفاشلين في الآخرة، مهما حقق من أمجاد ومهما بلغت مكانته في الدنيا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: 11]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ نَجِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [القمان: 9-8]. والنجاح الحقيقي في طاعة الله وخشيته: ﴿وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُخِصِّهِ اللَّهُ بِرَبْحٍ كَثِيرٍ وَهُوَ الْغَافِلُونَ﴾ [النور: 52].

النجاح الحقيقي في الحرص على عمل الصالحات وترك المنكرات، قال سبحانه: ﴿يُؤْتِ أَفْضَحَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنْ ابْتِغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَازِلَهُمْ وَعَنْهُمْ رَاوُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ. الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: 11-1]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: 20].

النجاح الحقيقي يوم يخرج الإنسان من هذه الدنيا وهو يردد بلسانه: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» [رواه أبو داود].

النجاح الحقيقي عندما يأتي المسلم يوم القيامة بصلادة تامة غير ناقصة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنْ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ؛ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْضَحَ وَنَجَّى، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ» [رواه أبو داود والترمذي والنسائي].

النجاح الحقيقي يوم يوتى الإنسان كتابه بيمينه يوم القيامة، فيفرح ومن شدة فرحه يجرع الناس من حوله معلنا أنه كان في الدنيا موقفا بيوم الحساب، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ»

إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٌ حَسَابِيهِ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. قُطِرَتْهَا دَافِيَةً. كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفَتْ فِي الْآيَاتِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 24-19].

النجاح كل النجاح يوم يدخل الإنسان الجنة ويخرج عن النار، قال تعالى: ﴿فَمَنْ زَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُورُ﴾ [إل عمران: 185]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [التكليف: 108-107].

الفشل الحقيقي هو خسارة الإنسان لآخريته والفشل الحقيقي والخسارة الفادحة هي خسارة الإنسان نفسه وأهله يوم القيامة، ودخوله النار والعياذ بالله: ﴿قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: 15]. ﴿قُلْ هَلْ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ إِنْ كُنَّا خَاسِرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هُمْ يُخْسِرُونَ أَنَّهُمْ يُخْسِرُونَ صُنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا يَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرِثًا. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَخَّؤُوا آيَاتِي وَرَسُولِي هَؤُلَاءِ﴾ [الكيف: 106-103].

هذه الخسارة أو هذا الفشل نتيجة لاختيارات الإنسان وأعماله في الدنيا: فالكفر بالله سبب للخسارة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: 52]. والإعراض عن آيات الله وجحودها سبب للخسارة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: 63].

ونقص العهود وقطع الإرحام من أسباب الخسارة: ﴿الَّذِينَ يَنْفَضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 27]. والاستغفال بالأموال والأولاد عن ذكر الله وتضييع الواجبات الدينية من أسباب الخسارة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْبِسُوا آمُوكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9].

الحرص على النجاح الآخروي لا يمنع العمل لتحقيق النجاح الدنيوي

هذا، وإن حرص المسلم على النجاح والفوز في دينه وآخرته لا يعني أبدا التكاثر في طلب نجاحات الدنيا الصالحة الممكنة، بل سعي المسلم إلى نجاح الدنيا أمر مطلوب، قد يصل أحيانا إلى درجة الفرض العيني أو الكفائي، لكن هذا السعي لا بد أن يبتغي به وجه الله وأن يكون المقصود منه طاعة الله وخدمة دينه ونفع عباده والتسكين للخير ومحاصرة الشر وتضييق دائرته.

فالعمل الصالح في يد الإنسان الصالح نعمة عظيمة، قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم المال الصالح للرجل الصالح) [أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والحاكم، والبيهقي]. والمنصب النافع في يد الإنسان المؤمن النقي سبب إلى خير عظيم يعود على البلاد والعباد، عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «سبعة يظلمهم الله في ظلمه يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل -إرواه البخاري-. والشهيرة إذا تحققت لإنسان نقي كانت سببا

* كلية العلوم الإسلامية

- جامعة باتنة 1



يكتبه د. محمد قماري

الحق المر

لا حيلة مع الله...

كثّبت قبل سنوات مقالاً تحت عنوان (السياسة والعباد بالله)، وذكرت فيه تعليق الأدب الكبير توفيق الحكيم عن مسيرة سيد قطب، رحم الله الاثنين، وكان الحكيم قد نشر في إحدى مقالاته التي كان يكتبها من على فراش المرض أنه أعجب بما كتب سيد قطب حول (التصوير الفني في القرآن) ولو استمر على ذلك النهج لكان له شأن أدبي عظيم، لكن اختطفته السياسة والعباد بالله! والحقيقة أن توفيق الحكيم كان له جولات سابقة مع سيد قطب، حول قضية (موالاة) بعض الكتاب من درس في فرنسا لفرنسا، وذكر الحكيم تحديداً ووخزه بقلمه الحاد، إذ كان هؤلاء الكتاب يشيدون بفرنسا الحرية والإخاء والمساواة، واستحضر سيد في تلك السنوات معاناة المسلمين في الجزائر والمغرب تحت سيطرة فرنسا الحرية والديمقراطية، وربما لم ينس الحكيم ذلك السجال وهو في خريف العمر، فكلمات قطب كانت أشد من شواطئ النار...

ولعل توفيق الحكيم أدرك وهو في (الوقت الضائع) كما كان يوقع مقالاته الأخيرة على صفحات الأهرام، أن مأساة سيد قطب هي سياسية، بمعنى أنه دخل في سجال حول ما يدور من أحداث محلية ودولية، وما قضية كتاباته الإسلامية إلا أحد الأسباب الثانوية، فالرجل كان يركز حديثه عن معاناة الشعوب الإسلامية وصلتها بالمخططات الخارجية...

وحين كثّبت ذلك المقال، ذكرت قول الإمام محمد عبده: (لعمري إن السياسة وساس ويسوس وسائس وموسوس، وكل ما أشق من السياسة فإنها ما دخلت شيئاً إلا أفستته)، ومما أذكره أن أحدهم علق على ذلك الاستشهاد بالشيخ عبده ضال، فلا يجب أن تلعن السياسة وعليها تقوم شؤون الأمة، فإذا صلحت صلح شأنها وإذا فسدت فسد كل شيء فيها، والناس على دين ملوكهم، والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن...

لقد خفي على صاحبنا أن الإمام عبده لا يلعن السياسة، وهي الإمامة الكبرى، بل يلعن تلك التفاصيل والمهارات والسماتس

الدينية، التي تجعل من بعض محدودتي الكفاءات يصلون إلى القيام على الشأن العام، وهم أعجز عن القيام بخاصة أنفسهم، فيضيعون ويضيعون الأمة كلها بعجزهم، ولقد صدق حكيم المعرفة في قوله:

يسوسون الأمور بغير عقل

فَيَفْتَدِ أَمْرَهُمْ وَيَقَالُ سَاسُهُ

فَأَفَّ مِنْ الْحَيَاةِ وَأَفَّ مِنْتِي

وَمِنْ زَمَنٍ رِئَاسَتُهُ خَسَاسُهُ

تذكرت ذلك المقال، وتذكرت ضلالات السياسة، وأنا أقرأ نعي الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، فالرجل يوم جاء أبهر الناس بقدرة (على التنكيك)، وسعوا بعد سنوات صوتاً مفهوماً، وشاهدوا رئيساً نشيطاً، ملأ كل فراغ جولاته وخطاباته، وظنوا أن القدر قد أبدل حزن البلاد فرحاً، وخوفها أمناً، وعسرها رخاء، فهتفوا باسمه وغضوا الطرف عما يتناهى لأسماعهم من خطايا... وكانت أول خطيئة له أن اختزل البلاد في شخصه، وأن الرعد صوته والبرق سيفه، ففتك ما بقي من أمل في دستور البلاد، مرة بعد مرة، كان قاتمتها أنه رئيس مدى الحياة، وتناثرت العهودات الرئاسية، حتى في زمن مرضه وعجزه، فيفكي الناس أن يروا منه (الكادر)...

ويوم رجع الرئيس من رحلة العلاج الأولى قال: لا حيلة مع الله! وكنت ممن ظن أن المرض واعظ، وأن الرجل قد تعلم وعلم بأن البشر مهما بلغوا فهم محدودون، وأن قدراتهم لها نهاية، وألا حيلة مع الله الذي يأبى أن ينازعه أباً من مخلوقاته قدرته الأبدية، وسلطانه السرمدي، لكن الذي حدث أن الرجل آمن في (التنكيك)، وأظهر أنه كان يقصد ما يقول عندما شبه نفسه بموليير الذي يموت على خشبة المسرح!

هذا عن الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، أما عن الإنسان فلكل بداية نهاية، وكل من عليها فان، وفي موته عبرة، وكفى بالموت واعظاً، وإننا لنرجو من الله الكريم أن ينظر له بكرمه وأن يعظم له أعسن ما قدم، وسيدكر التاريخ أن ساحة بدت للجزائر لتأخذ طريقها نحو التقدم والتنمية أهدرها رجل لا يفقه الكدء ولا تنقسه التجربة، وأنه أفرط في فن (التنكيك) حتى نسي أحد أبجديات السياسة وهي الاستراتيجية، فالألم لا يمكنها التقدم بكنهها في سبيل بناء مجدهم الشخصي، لكن تعلق وتنمو وتتقدم بفعل استراتيجيات يخرجل بوتفليقة تكون صفحة جديدة من صفحات ما بقي من عصر ذلك الجبل قد سقطت، جبل تسنى له أن يخدم بلده في مقبيل العمر، وأخشى أن يأتي اليوم الذي نقول في الأجيال الصاعدة، أنهم جبل أكل الحلو وورثنا نحن سوس الإنسان!

في ظلال السنة النبوية الشريفة:

أصناف الناس تجاه الهداية التي بعث بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم



د. أ. مسعود فالوسي

والكلام، بل يعتبر نفسه غير مخاطب به كغيره من الناس، هو يسمع ظاهراً ولكنه في الحقيقة لا يسمع شيئاً، لا يفتح قلبه ليستقبل هذا العلم وليعمل به، فليس عنده استعداد ليسمع ولا ليعمل ولا ليلعب غيره.

هذا النوع من الناس هم الذين أنذرهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (وَيْسَلُ لَأَقْصَاعِ الْقَوْلِ) [أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والطبراني]. تجد إنساناً يسمع القول ولكنه لا يفتح قلبه للماء من جهة ليخرج من الجهة الأخرى دون أن ينتفع منه بشيء، يسمع كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ولكنه يعرض عنه ولا يلتقي له بالعلم فلا يستقبل هذا العلم ولا يعمل به ولا يعلمه لغيره.

هذا النوع من البشر يضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً بالأرض المساء التي إذا نزل عليها الماء زلق وانحدر بعدها فلم تمسك منه شيئاً، فهي لا يثبت الماء فوقها ولا تمتصه تحتفظ به في جوفها، فمهما ينزل عليها من الماء يضيع ولا تنتفع به في ذاتها ولا تحفظه لينتفع به غيرها.

هذا الصنف موجود حتى بين المسلمين أنفسهم، فجد - مثلاً - كثيراً من الناس يأتي أحدهم إلى المسجد، ويسمع درسا من دروس العلم، فكان الإمام أو الشيخ يتكلم عن آتاس آخرين أو يخاطب أناساً في أماكن أخرى، أم هو يعتبر نفسه غير مقصود وغير معني بالكلام الذي يُلقى. أدته تسمع ما يوجه إليه من خطاب، ولكن قلبه لا يستوعب منه شيئاً، فليس هناك اتصال بين الأذن وبين القلب. كما أن هناك قطاعاً كبيراً من المسلمين في هذا العصر يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله بالاستنهم إلا أنهم يرفضون عدداً كبيراً من أحكام الشرع وينكرون صلاحيتها لحكم حياة الناس في هذا الزمان، بدعوى تقدمها وتغير الظروف التي نزلت فيها. هؤلاء هم أقصاع القول، وقد حذرنا سبحانه وتعالى أن نكون منهم أو نحشر في زميرهم في قوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا رَسُولَهُ وَلَاتُؤْتُوا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ). ولا تكونوا كالدائن قالوا سمعنا وهم لا يسمعون [الأأنفال: 20-21].

تلخيص

هذه إذن هي أصناف الناس تجاه دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما بينه بنفسه عليه الصلاة والسلام، فكل مسلم عليه أن يجاسب نفسه ويحدد موقعه؛ فإن رأى نفسه في الصنف الأول فليحمد الله عز وجل وليسأله أن يعينه على المداومة على هذا الخير وهذه النعمة. وإن رأى نفسه في الصنف الثاني فليحمد الله عز وجل وليسأله أن يعينه على الترقى إلى المرتبة الأولى. أما إن وجد نفسه في الصنف الثالث فليستارح بعلاج نفسه، حتى لا يبقى في المرتبة الأولى، لأنها مرتبة أهل الضلال والعباد بالله، وليس هناك مسلم أو مؤمن يخاف صلى الله عز وجل ويعبده ويحب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - يرضى لنفسه أن يكون من أهل الضلال أو يكون من أقصاع القول الذين أنذرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالويل. نسأل الله العفو والعافية والمعاودة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

وعندما يُبلغ إليه حكم الله عز وجل وما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - يفتح قلبه وعقله ويستقبل أحكام الشرع ويتعلمها، ثم يوطن نفسه ويجاهاها ويخملها على العمل بتلك الأحكام، وبعد ذلك يجتهد في أن يعلمها لغيره.

هذا الصنف من الناس يضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً بالأرض الخصبة التي عندما ينزل عليها الغيث تتفتح وتستقبل الماء وتمتصه، ثم تعيد إخراجها نباتاً ينتفع منه الناس والدواب، وببيل كل الخلائق تنتفع منه: (وَيَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) [الحج: 5].

هذا الصنف من الناس - ممن يمكن وصفهم بالزبانيين أو المؤمنين المخلصين الصادقين - هم أهل الهداية الله عز وجل وتوفيقه في الدنيا وتقبله وتعيمه في الآخرة، وبذلك وعدهم ربه سبحانه وتعالى في قوله الكريم: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [النكبت: 69]، وقوله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأأنفال: 13-14].

الصنف الثاني: من ينقل ما يعلمه من الشرع لغيره دون أن ينتفع به

وهناك صنف ثان من الناس، حين يُلقى عليه العلم الشرعي أو يسمعه من الغير، يستقبله ويفتح له قلبه ويأخذ هذا العلم، ولكنه قد لا ينتفع به في حياته الشخصية كما ينبغي، نظراً لوف أو لأسباب في نفسه أو في محيطه تمنعه من الانتفاع به، ولكنه تجده حينما سئحت له فرصة ينقل ما لغيره ما سمعه من كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم. هذا الصنف موجود في الواقع في كل زمان ومكان، تجد إنساناً بسيطاً من عامة الناس، قد لا يكون مجتهداً في تدبيره في حياته الشخصية، ولكنه يحفظ الكثير من أحكام الشرع دون أن يعرف كيف يطبقها أو يعمل بها، فتجده حينما تسنح له مناسبة يبلغ ما يعرف من أحكام لمن يريد أن يعرفها، فعندما يبلغها شخص آخر له ذكاء أو وعي يعرف كيف يطبقها، وفي مثل هذا الصنف الناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَرُبُّ مُنْزِلٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ) [رواه البخاري].

هذا النوع من الناس يضرب له النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً بالأرض التي تخزن الماء ولا تثبت، عندما ينزل عليها الماء لا تضيقه بل تحتفظ به في جوفها حتى يأتي من يستخرج منها، وقد يخرج هذا الماء في شكل عَيْنٍ فينتفع منه الناس وتنتفع منه الحيوانات وغيرها من المخلوقات... هناك نوع من الناس هكذا، يخزن العلم والمعرفة الشرعية، ولكنه ربما لا يحسن الانتفاع به، حتى يأتي من يأخذ من عنده وينتفع به أفضل منه.

حتى هذا النوع من الناس فيه خير إن شاء الله، ولكن مرتبته دون مرتبة الصنف الأول بكثير.

الصنف الثالث: من يعرض عن الشرع ويرفضه وقد بحاربه

لكن هناك صنف ثالث من الناس، يُلقى إليه العلم ويسمع كلام الله - عز وجل - وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولكنه لا يشعر بأنه معني بهذا

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ مَثَلًا مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَتْ طَائِفَةٌ طَيِّبَةً، قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكُلَّ وَالنَّعْشَ الْكَثِيرَ. وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ امْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَفُتِرُوا مِنْهَا وَاسْفُتُوا وَزُرَعُوا. وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْحَانٌ لَا تَمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا. فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَهَمَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَتْ بِهِ) [متفق عليه].

مقدمة

رسول الله محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - أرسله الله عز وجل بدين ارتضاه سبحانه وتعالى لعباده دون سواه من المِلَل والنحل والديانات: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [آل عمران: 19]، (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [آل عمران: 85].

هذا الدين يتضمن أحكاماً وتعاليم، الإنسان الذي يتمسك بها ويحرص على تطبيقها عليها هو الذي سيجبى الحياة الحقيقية في الدنيا والآخرة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) [الأأنفال: 24]، ومن أعرض عنها وتكذب طريقها كان من الأشقياء في الدنيا ومن الهالكين في الآخرة: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى) [طه: 124].

فالدين هو الحياة، والإنسان الذي يتمسك بدينه ويعمل بأحكامه ويحرص عليها، يعيش حياة حقيقية، أما الإنسان البعيد عن الدين فهو ليس حياً في الحقيقة لأنه يعيش في ظلمات الجهل والضلال، فهو ميت ويحبب نفسه حياً، قال سبحانه وتعالى: (وَمَنْ كَانَ مِنْهَا قَائِيَةً وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأأنفال: 122].

وعندما عرض عليه الصلاة والسلام هذا الدين على الناس تبأبنت مواقفهم منه، وكانوا ثلاثة أصناف.

وهذه الأصناف الثلاثة موجودة في كل زمان ومكان، فالناس عندما يُلقى عليهم الدين من قبل العلماء والدعاة، أو عندما يأتيهم من يعرفهم بالدين ويدعوهم إلى العمل بأحكامه، ويقول لهم: هذا كلام الله رب العالمين وهذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه أحكام الشرع وتعاليمه وإرشاداته وتوجيهاته، تجدهم في مواقفهم من هذا الذي يُلقى عليهم ويذعنون إلى العمل به - ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من يقبل الدين ويعمل به

هناك إنسان، عندما يسمع العلم الشرعي،



يكتبه د. محمد قماري

الحق المر

إضعاف الدولة

شهر سبتمبر من أبغض أشهر السنة عندي، ويطلق عليه الغربيون (موسم الدخول الاجتماعي)، وفيه يرجع الناس من عطلم، وتعيد المدارس فتح أبوابها، ويتدافع الخلق على شيايبك الحالة المدنية في البلديات لاستخراج وثائق (البيروقراطية) المقيته، كل ذلك مستساغ، وأعتدنا عليه، لكن ذلك الهاتف العرين الذي لا يكف عن الرنين، هو سبب كابتي حقا، فأصباح الحاجات بتعلقن بأضعف الأسباب، لعل وعسى يجدون طريقا لقضاء حوائجهم...

وأنا لست وزيرا ولا مديرا، وكل ما أملكه هو تحويل قضية طالب الحاجة إلى شخص آخر، وهكذا نتدافع في طابور مقبت، لكن بعض المشكلات (مصطنعة)، وهنا يفر الدم في عروفي، وأكره نفسي التي بين جوانحي....

ومع نهاية الأسبوع اتصل بي شقيقي، يقص علي في البداية ما حدث معه، فأثناء العطلة الصيفية تحولت عن مسكنه القديم في بلدية باب الزوار إلى حي آخر، وترتب على هذا التحول ضرورة تحويل ابنه ذي الأحد عشر ربيعا إلى متوسطة تبعد عن مسكنه الجديد 30 مترا عدا، لكن ساحة المتوسطة الجديدة رفضت الطلب بحجة أن هذا الحي الذي يبعد 30 مترا عن المتوسطة لا يدخل ضمن مقاطعة مؤسسة! وزرت المديرية، وأضرت على رأيها، وقلت لها أيعقل أن ينتقل طفل عمره 11 سنة لمسافة تستغرق 45 دقيقة مشيا ونافذة مطبخ بيتهم تطل على ساحة المتوسطة؟ قالت هذه تعليمات! وما عليك إلا أن تأتيني برخصة من المديرية، وقصدنا المديرية فإذا أمام بابها أمه من الناس تتدافع في زمن (الكرونا)، قال شقيقي: والله إن تصرفات هؤلاء المسؤولين علموا أم لم يعلموا هي إضعاف للدولة، وتعبت من هذه العبارة التي جاءت من رجل غير (مسيب).

أي نعم، إن المواطن يعرف الدولة في تفاصيل يومه، يعرفها في حنية الماء، وطابور البلدية، ومدرسة أبنائه، ومصلحة النظافة، ومصدق العمارة... فإذا وقع خلل في هذه التفاصيل أشار إلى الأعلى، وكأنه يخاطب الحاكم بتلك العبارة التي وجهتها سيدة لأحد الخلفاء: أتتولى أمرنا وتغفل عنا؟

وأغلب سكان الدول المتقدمة لا يعرفون وزيرا ولا رئيسا إلا في مواعيد الانتخابات، لأن تفاصيل حياتهم اليومية تضيء سبلاسة، وكل الناس تؤدي واجبها فلا يوجد طالب للحقوق، والموظف يشعر بالسعادة إذا وفق في تقديم خدمة لمن يطلبها، وربما سالك هل أنت راضٍ عن خدمتي لك؟

وقبل سنوات، كنت في مصلحة الحالة المدنية ببلدية جسر قسنطينة، ووجدت غليانا وهرجا ومرجا، وسألت عن السبب فقيل لي إن العون الذي يصادق عن الوثائق غائب، وسألت عن رئيس البلدية فقولوني إلى مكتبته، ولم يكن موجودا، ووصل بعد مدة فتوجهت له قبل أن ينزل من سيارته، وسألني باستعلاء: ما بك تلهي؟

وشرحت له ما يدور في مصلحة الحالة المدنية، وأن الأمور توشك أن تتفكك، وأجابني ببرودة مقيته: وما دخلي أنا؟ قلت له: أنت رئيس البلدية والعون الغائب يوقع بتوقيض منك، وما دام حضر الماء غاب التيمم، وأفهمته إما أن يجد حلا أو نخرج هذا المشهد للرأي العام... ومعرفتي بالرجل قديمة، فهو كان موظفا بسيطا في إحدى المؤسسات، لكن فهمه للمسؤولية لا يتعدى فكرة (الاستعلاء) على (الغاشي)!

إن الانتخابات المحلية القادمة، يمكن أن تحسن من تفاصيل يوميات الجزائريين، وتجعلهم يستحضرون (هبة الدولة) لا بمفهوم صاحبنا (المير) الذي ذكرناه، ولا بذهنية مديرية المتوسطة، فهؤلاء وأمثالهم حين يجلسون على كراسي المسؤولية، ينتقصون من كرامة الناس لتعلو كرامتهم أو هكذا يتصورون، ولا يعرفون أن كرامتهم محفوظة متى سهروا على راحة غيرهم.

إن (غريبال السلطة) يجب أن لا يبحث عن (جماعة الولاء)، بل يجب دعم أصحاب الكفاءة والأخلاق، فترك الرضوض والانكسارات خطر على مستقبل البلاد، وإضعاف الدولة بتعميق يأس المواطنين وباء تداعياته مشؤومة، وإحداث المصالحة مع السياسة ممكن إذا نجحنا في تأمين هذا المستوى المباشر في الخدمة العمومية....

إن البلاد في مستقبل القريب في حاجة لتأمين جبهتها الداخلية، ورأب صدوع أذنتها ممارسات بائسة، وخيارات غير راشدة، أعلنت من مصالح (الأقلية الساحقة) وأغضبت (الأقلية المسحوقة)، ومن السفه أن تبني مصالح أفراد يهدم مصلحة بلد كله.

إن الوضع الإقليمي والوطني الراهن يقتضي التوجه بسرعة إلى الاستفادة (مصادقية) كثير من أفراد الأمة أثروا كل لحظة معينة العزلة والاعتزال عن الشأن العام، ومقاطعة السياسة بكل تفاصيلها، وحرمت البلاد من كفاءاتهم، وتقدم مغامرون ومقامرون، حسبوا المناصب ملهارة، تماما كما لا يفرق الأطفال بين لعبهم المجسمة لشاحنات وسيارات وشاحنات وسيارات الواقع، كلها في ذهنه لعب للتسلية.

في ظلال السنة النبوية الشريفة:

أفضل المؤمنين عملا وأحسنهم كياسة



د. م. ماسعود فيلوسي

وكل من صدق الله في عمله وأخلص نيته له عز وجل كان أفضل. فحن فتعلم من الصحابة الحرص على الخير، والحرص على بلوغ أسمى الدرجات وأعلاها.

أفضل المؤمنين أحسنهم أخلاقا

وقد أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم عن سؤال الصحابي جوابا بسيطا في لفظه إلا أنه عميق في مدلوله ومضمونه، فلما سأله الرجل عن أي المؤمنين أفضل؟ أجاب النبي صلى الله عليه وسلم: «أحسنهم خلقا».

هذا أفضل المؤمنين، أفضل المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة أحسنهم خلقا، فالخلق الحسن هو الذي يرفع المؤمن إلى أعلى الدرجات. والخلق الحسن مما يتفاوت فيه المؤمنون؛ فقد يكون الإنسان مؤمنا ولكن خلقه سيء، فهذا يؤثر في إيمانه ويضره، بينما المؤمن الذي خلقه حسن هذا ينفعه في إيمانه ويزيد فيه ويرفع درجته عند الله.

والخلق الحسن ليس فقط أن لا تؤذي الناس، الخلق الحسن على حقيقته؛ أن تتعرض للذلي وتحتمل؛ أي تكف أذاك عن الناس، وتحتمل الأذى الذي يأتيك من الناس أيضا، هذا هو الخلق الحسن.

الرسول هو المثل الأعلى في الأخلاق

الحسنة

وحتى نعرف درجة الخلق الحسن وقيمته عند الله عز وجل، نجد أن الله سبحانه وتعالى لم يمدح نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بشيء سوى بخلقه الحسن: «لَؤُاَنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ» [القصم: 4]، هذا دليل على الدرجة السامية والمنزلة العالية التي بلغها النبي صلى الله عليه وسلم في خلقه، وهي الدرجة التي أوضحتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما أوتيت من بلاغة الإيجاز، فقد جاء في حديث طويل في قصة سعد بن هشام بن عامر حين قدم المدينة، وأتى عائشة رضي الله عنها يسألها عن بعض المسائل، قال: فقلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: أَسَبْتُ بَقَرًا قَرَأَ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَتْ: فَإِنَّ خَلْقَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ. [رواه مسلم].

وقد مدح الله نبيه صلى الله عليه وسلم في آية أخرى يحمله وسمو أخلاقه فقال سبحانه: «فِيمَا رَحِمَهُ مَنَّ اللَّهُ لِمَنْ لَسَتْ لَهُمْ أَلْسُنُهُمْ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نَفَعُوا مِنْ حَوْلِكَ» [إل عمران: 159]، وهذه الآية تفسر لنا سر تأثير النبي صلى الله عليه وسلم في الناس وسر التفاف الناس حوله وإقبالهم عليه، فمرد ذلك إلى لينة، وطيبته، وسماحته، وسهولة التعامل معه، ويسر العلاقة به.

لقد جمع عليه الصلاة والسلام الأخلاق من جوانبها كلها، وبين لنا أن غاية رسالته وأن دينه كله يتلخص في الخلق الحسن: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» [رواه أحمد].

الخلق الحسن يبلغ بصاحبه ما لا

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خَلْقًا». قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْبَرُ؟ قَالَ: «أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أَوْلَاكَ الْأَكْبَاسُ» [رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم 4293. وحسنه الألباني].

حرص الصحابة على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم:

هذا الحديث النبوي الشريف الذي يرويه سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فيه فوائد جمة مما ينفع المؤمن في شؤون الدنيا والآخرة.

وأول ما نلاحظ في هذا الحديث وفي أحاديث أخرى كثيرة أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا دائمى السؤال لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كما نلاحظ أن أسئلة الصحابة كلها فيما ينفع المؤمن في الدنيا والآخرة، فإيمانهم العميق وصدقهم مع الله عز وجل كان يدفعهم إلى السؤال عما يرضي الله عز وجل عليهم لكي يعملوه، وعما يغضبهم سبحانه وتعالى لكي يجتنبوه ويتعدوا عنه.

فهذا الرجل لم يسأل عن الإيمان فقط، لأن الإيمان واضح ومعروف، وإنما كان يريد درجة أحسن وأعلى من مجرد الإيمان، كان يريد أن يعرف كيف يرتقي المؤمن إلى الدرجة العليا من الإيمان، أي أن يكون أفضل المؤمنين أو من أفضلهم.

الإيمان درجات

ذلك لأن المؤمن الصادق حريص على ما هو نافع في الدين والدنيا، يسابق ويسارع في الخيرات حتى ينال الدرجات العلا، لأنه في الآخرة عندما يدخل المؤمنون الجنة لن يكونوا في مستوى واحد، فالجنة درجات، وكل واحد ودرجته بحسب عمله في الدنيا، ولذلك من يكتفي بالحد الأدنى لا ينبغي أن يطمع أن يكون مثل من يجتهد ويجاهد نفسه ويحملها على عمل الصالحات... فليس من يكتفي بالصلاة المفروضة كمن يضيف إليها النوافل، وليس من يكتفي بصوم رمضان كمن يصوم معه الأيام الفاضلة، وليس من يكتفي بركاذه ماله كمن يتصدق ويبدل من ماله في سبيل الله... هي درجات،

يتبع



يكتبه د. محمد قماري

الحق الممر

مرض الذهان من الإسلام

هذا عنوان كتاب صدر في فرنسا سنة 2017، وعنوانه الكامل: (مرض الذهان من الإسلام: لماذا تعمل فرنسا على شيطنة المسلمين)، ويقع الكتاب في 220 صفحة، وفيه مرافعة قيمة تهتك ستر (العنصرية) التي تعمل كثير من الدوائر السياسية وأذرعها الثقافية والاستخباراتية على غرسها في المجتمع الفرنسي، كل ذلك ضمن مشروع كبير اسمه (الاسلاموفوبيا) أو التخوف من الإسلام.

ومؤلف الكتاب الدكتور توماس غينولي (Thomas Guénolé)، باحث من الجيل الجديد، وهو أستاذ علوم سياسية وتوجهه السياسي أقرب لليسار المعتدل، وانطلاقاً من صفحة الإهداء يعلن المؤلف تعاطفه مع ضحايا معركة غير متوازنة، تخوضها الدولة الفرنسية بكل ثقلها وأذرعها، مقابل جالية مسلمة أغلب أفرادها لا يعرفون وطناً آخر لهم غير فرنسا، ففهمها ولدوا وفيها درسوا وفي منها يتقاسمون المسكن مع غيرهم من الفرنسيين، يقول المؤلف: أهدى هذا الكتاب لملايين الفرنسيين المسلمين، الذين يجب عليهم أن يتحملوا في كل يوم تبعات مرض الذهان من الإسلام (Islamopsychose).

ولقد أحسن المؤلف صنعاً بنحت هذا المصطلح الجديد (Islamopsychose)، إذ مصطلح (الاسلاموفوبيا) الشهير لم يعد يصف حال الذي آلت إليه كثير من النخب الفرنسية من إعلان دعائها للإسلام، فالقوي (الرهاب) قد تكون مجرد غصاب عابر أما (الذهان) (psychose) فهو مرض عقلي ونفسي يتخطى صاحبه الواقع إلى الهلوسة والذهيان، وربما تحول إلى مجرم يصنع هزيانته وهوساته...

جعل المؤلف لاستهلال كتابه عنواناً ملقاً للنظر: (سوء نية)، ويعرض فيه نموذجاً من هذا الذهان (الآلبي)، ففي رواية (الأذعان: So-mission) وهي من تأليف ميشال هويليك، وصدرت سنة 2015 عن دار (Flammarion) وهي دار نشر عريقة في فرنسا، ويصف الكاتب مستقبلاً قريباً لفرنسا يظهر تماماً مرض الذهان من الإسلام، فالمجتمع بسبب تفككه وتخلفه، وتمزقه بسبب قلاقل داخلية يدخل في حرب أهلية لا تقي ولا تنز!

ومعارك الشوارع بين مناضلي اليمين المتطرف والإسلاميين المتطرفين كثيرة، وفي هذا السياق تجري الانتخابات الرئاسية سنة 2022 ويتنافس في دورها الثاني مارين لويان ومحمد بن عباس، المترشح الإسلامي الذي وصل لهذا الدور بفارق طفيف، وكل الأحزاب اتفقت على وجوب صد لويان مترشحة (الجبهة الوطنية)، وفاز ابن عباس برئاسة الجمهورية الفرنسية، وشرع في إحداث تغييرات، انتقلت بموجبها فرنسا إلى نظام سياسي يشبه نظام المملكة السعودية.

ولكي لا نذكر من التغييرات إلا الشهير منها: السماح بتعدد الزوجات، ومنع العمل على النساء، وعليهن ارتداء لباس يشبه النقاب السعودي أو التشاور الإيراني، ويجب أن تكون مسلماً لتولي بعض الوظائف، وتخصص الجامعات وتصبح إسلامية... هذا مقطع من رواية الخوض كما أورده مؤلف الكتاب... ويعلق على هذا الهذيان بعبارة مؤثرة قائلاً: بغض النظر عن قناعات المؤلف بصفته مواطناً أو ناخباً، وبغض النظر على الصعيد الشخصي إن كان ميشال هويليك يعتقد أو لا يعتقد فعلاً بالمستقبل الذي وصفه، وبغض النظر عن برنامج محمد بن عباس المفترض، فهو يلصق بالفرنسيين المسلمين تبني مواقف إسلاموية، بينما الواقع يقول إن 80 من المئة منهم يرفضون تطبيق الشريعة، أو يرفضون تطبيقها إذا لم يتم ملائمتها مع واقع المجتمع الفرنسي.

وبغض النظر عن توقعاته أن في أفق خمس سنوات (تاريخ صدور الكتاب)، سوف تقبل الجالية المسلمة على الانتخاب بالجملة، بينما واقعياً في سنة 2015، وبمناسبة الانتخابات الجبوية، أسس اتحاد الديمقراطيين المسلمين الفرنسيين من أجل المشاركة فيها، فلم يستطيعوا إلا التقدم بقائمة واحدة في باريس الكبرى، ولم تحصل إلا على 0.4 من المئة من أصوات الناخبين.

الكتاب في بقية فصوله لا يقل أهمية في فضح هذا (الذهان) المرضي، ففي فصل (الإسلام المبني)، يعضي المؤلف في فضح ما يقال وما ينسب للإسلام في النقاشات العامة، والمغالطات المتعمدة في تحقير الإسلام والمسلمين، وإرسال الأحكام المسبقة، وهو ما لم تسلم منه كتب (جادة ومتبسطة) مع أنها لا تتداول إلا بين يدي النخبة من الجامعيين، والقرآن نفسه لا يمكن قراءته إلا بمساعدة التفسير، والتفسير فيها خلافات واجتهادات...

واجتهاد المؤلف في عرض بعض الحقائق المرتبطة بتاريخ الإسلام، وركز على جوانب اجتماعية وسياسية من حياة النبي، صلى الله عليه وسلم، وكيف أسس لقواعد (حرية العقيدة) في وثيقة المدينة، وحرية العبادة والممارسات الاجتماعية.

والحقيقة أن المؤلف وضع يده على جرح نازف، فالمسلمون لم يحسنوا عرض دينهم سواء من جانب الكم إذ ما يكتب بأقلام المسلمين في اللغات الأخرى قليل، أو ما تعلق بممارسات بعضهم في المجتمعات الغربية حيث ينقلون عادات وأموراً فرعية، وتعرض على الناس على أنها هي الإسلام...

في ظلال السنة النبوية الشريفة:

أفضل المؤمنين عملاً وأحسنهم كياسة



أ.د. سعد موسى

ضارا. فأنت يمكنك أن تذكر الموت وتستعد له بطريقة إيجابية تتفكك في دينك وفي آخرتك، ويمكنك أن تتذكر من ذكر الموت ويكون ذلك بطريقة سلبية تضرك في الدنيا وفي الآخرة.

الموت حق لا ريب فيه، ومهما كره الإنسان الموت فهو آتية لا محالة، ولا أحد يملك أن ينجو من الموت، كما قال تعالى: {كل نفس ذائقة الموت} [آل عمران: 185]، {إنما تكونوا يذكركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة} [النساء: 78]، وقد خاطب سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم: {إنك ميت وإنتهم ميّتون} [الزمر: 30].

فالموت حق، ولا يدري الإنسان متى يأتيه، ولذلك فالعاقل هو من يذكره ويستعد له، لأن الموت يأتي بغتة، فكم من إنسان صحيح سليم ممثلي الجسم بالقوة والنشاط إذا به يفقد روحه ويصبح جثة هامدة، وكم من إنسان مريض يظل يعاني الآلام حتى يتمنى له أهله الموت ومع ذلك لا يموت، وقد يمتد به ذلك سنين طويلة ولا يموت، لأن الموت ليس ملازماً للمرض، فالمرض لا يقتل وليس هو الذي يأتي بالموت، الموت يأتي عندما يحين الأجل، لكن هذا الأجل لا أحد يعلم متى، قد يموت الإنسان كبيراً، وقد يموت صغيراً، وقد يموت شاباً، وقد يموت شيخاً، لا أحد يعلم.

المشكلة فيما بعد الموت، كيف سيكون حالك بعد الموت؟ هل تكون من المنعمين أم تكون من المعذنين؟ نسأل الله العافية، وكل مؤمن - طبعاً - يرجو أن يكون من المنعمين، ولكي يكون من المنعمين لا تكفي الأمانيات والأمنيات، بل لابد من العمل.

الأثر الإيجابي لذكر الموت هو المطلوب:

المؤمن العاقل الذكي الفطن الكئيب هو من يجعل الموت دائماً بين عينيه ويستعد لاستقباله ويتوقعه في كل لحظة. هذا الاستعداد قد يكون إيجابياً فيدفع الإنسان إلى العمل، وقد يكون سلبياً فيدفعه إلى الخمول والكسل.

والمطلوب من المؤمن هو الاستعداد الإيجابي؛ بمعنى أن يكون حريصاً على عمله، حريصاً على مصالحه وشؤونه، ولكن في إطار الاستعداد للموت، فأنت تذهب لعملك الدنيوي وتؤيد بصفة عادية، لكن لابد أن تضع في اعتبارك أنك ستموت وستلقى الله عز وجل وسيحاسبك على هذا العمل؛ هل كنت صادقاً فيه مثلاً له، أم غشيت فيه وخنت وأخذت المرتب وأنت لا تستحقه؟

التاجر وهو يمارس تجارته، ينبغي أن يضع الموت بين عينيه، وهو أنه سيقبى الله عز وجل وسيحاسبه هل صدق مع الناس في تجارته أم غشهم؟ هل أخذ ما يستحق من ربح أم أنه أربى وأخذ ما لا يستحق؟ وهكذا، في كل عمل تكون فيه؛

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل من الأنصار، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقاً»، قال: فأأي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس» إرواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم 4293. وحسنه الألباني.

سوء الخلق من صفات المنافقين:

من واجب المؤمن - كما سبق - أن يكون على خلق كريم ويعامل الناس بالأخلاق الحسنة، لأن سوء الخلق وسوء التعامل مع الناس من صفات المنافقين، ولذلك فإن المؤمن إذا رأى من نفسه أنه يتعامل مع غيره بالسوء، عليه أن يرجع إيمانه، لأن إيمانه فيه خلل يجعله يتصرف تصرفات المنافقين، والعياذ بالله، لأن المعاملة السيئة من صفات المنافقين التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «أبىة المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أتمن خان» إرواه الترمذي، وفي رواية أخرى: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر» إرواه الشيخان، «إذا خاصم فجر»؛ أي أنه إذا كانت بينه وبين غيره مشكلة بسيطة، فإنه يقيم لها الدنيا ولا يقعدا، يستدعي قومه ويجعل منها خصومة ذات طابع عنصري لا حل لها ولا مخرج منها، لأجل أمر بسيط لا معنى له.. فلماذا للمؤمن أن يكون عاقلاً سمحاً سهلاً ليئلاً كي يحقق مرضاة الله عز وجل ويكون من أفضل المؤمنين عند الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة.

أكيس المؤمنين من يذكر الموت ويستعد له:

السؤال الثاني الذي توجه به الصحابي للنبي صلى الله عليه وسلم: فأأي المؤمنين أكيس؟ والكئيب: العقل والفطنة، أي: من هو المؤمن الذكي الفطن الذي عقله يبصره بأحسن الأعمال؟

فكان جوابه عليه الصلاة والسلام: «أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس»، فالكئيب هو من يذكر الموت ويحسن الاستعداد له.

ذكر الموت إما أن يكون ذكراً إيجابياً نافعاً، أو يكون ذكراً سلبياً



يكتبه د. محمد قماري

الحق المر

المراوحة في التاريخ

تسري على السنة الناس عبارة لا يتفقون عندها، وأصبحت لكثرة تداولها كأنها حقيقة لا يرقى إليها الشك، تلك العبارة المغلوطة تقول: (أمريكا اكتشفها كرسstof كولمبس)، وإماتنا في ترسيخها أطلقوا على الولايات المتحدة الأمريكية (العالم الجديد)، والمصطلح مختار بعناية فروح العصر هي تلك الروح التي تحققي بر (الجديد)، فإذا أضفنا إليها تلك الفكرة التي حملت أمريكا لتصبح إمبراطورية العالم المعاصر، فقد يغدو من الخبل التوقف أمام مراجعة مصطلحات طاغية: الاكتشاف والجدة والقوة...

لكن مراجع التاريخ تحدثنا أن أمريكا قديمة، وأن سكانها الأصليين كانوا فيها قبل 15000 سنة من قدم كولمبس، وأن الرجل الذي أرسلته الكنيسة الحاققة من نشاط الإتراك إلى البحر المتوسط كان يأمل في اكتشاف طريق جديد يوصل سفن غرب أوروبا إلى الهند، وحين رست سفينته على اليابسة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، ظن أنه وصل الهند لكنه وجد أمة من الناس تميل سحتهم إلى الحمرة، فأطلق عليهم (الهنود الحمر)...

وقصة الفظان البشعة التي تعرض لها (الهنود الحمر) معروفة على أرض أمريكا، يضاف إليها ما تعرض له السود الذين اختطفوا عنوة من سواحل غرب إفريقيا، ومع ذلك فإن تراكم القوة المادية والأدبية جعلت دولة أمريكا هي رائدة العالم في هذا العصر، ومنذ وقت طويل والألماني تراود كثير من سائنة العالم بالعيش في أمريكا، فهي بلاد الجلال والجمال، وهذا حال الدنيا إذا أقبلت على قوم اكتسبهم محاسن غيرهم، وإن أدبرت على قوم سلبتهم محاسن أنفسهم...

إن الفقير الذي يبدد ثروته والده لا يعيا الناس بتاريخ ثروته، كما أن الشعوب التي يأكل خلفها رصيد سلفها المادي والأدبي لا يحتفل الآخرون بتاريخها، وربما طغونا في حقيقة ذلك التاريخ كله، والولد العاق لا يلحق بأبائه إلا السب والشتم!

وقد قرأت في الأيام الأخيرة تعليقاً لأحد الأصدقاء، يمتنى فيه أن لو كان له أمر وضع البرامج الدراسية إذن لألغى مادة التاريخ ووضع مكانها مادة تدرس المستقبل، وأنا لا أؤم الصدوق لأن تدرسي التاريخ في مناهجنا الدراسية ردى، فهو أقرب إلى قصص الحكواتي منه إلى منهاج يربط الماضي بالحاضر ويستشرف مستقبل (الأمة)، وهو الهدف من تدرسي التاريخ.

إن التاريخ المنبت عن الحاضر، ولا يستشرف المستقبل في حركة المجتمع، يغدو عبثاً وحشواً لا طائل من ورائه، والتاريخ الذي لا يتغلغل في وجدان الناشئة ويجعلهم يعتزون بماضى يحرك فيهم كوامن الانخراط في صنع الحاضر والمستقبل، لا يعدو كونه مادة ثقيلة يتمنى المتلقي الخلاص منها في أقرب الأجل...

ولقد عملت المدرسة (الكولونبالية) بتاريخ الجزائر، بكل ما أوتيت من جهد، في سبيل زرع فكرة (الوطن الجديد)، وحاولت زرع فكرة الأرض (الخالية)، ومنه والاستيطان الاستعماري جاء لملء فراغ وإنشاء مجتمع، وانطلق رواد تلك المدرسة في اتجاهين، الاتجاه الأول هو تدمير الموجود وعلى ضوء هذا الاتجاه نقرأ تهجير الشيخ محمد من الغابى أشهراً قليلة بعد الاحتلال، والحق الشيخ بن الكبابي به سنوات بعد ذلك.

إن اقدام السلطات الاستعمارية على نفي مفتي الحنفية الشيخ محمد بن الغابى أو مفتي المالكية الشيخ مصطفى بن الكبابي، مع آخرين أخرجوا من الديار الجزائرية، يصب في اتجاه كسر الحواضن الثقافية، وحفر خندق يقطع حبل التواصل بين الأجيال، وتغدو الرابطة المحلية هي عنوان كل تجمع بين السكان، وتعويضاً عن الرابطة الثقافية للمجتمع، ومن هنا نفهم تلك العبارة المنسوبة التي أطلقها الأمين العام للحزب الشيوعي الجزائري مع نهاية عقد الثلاثينيات من القرن الماضي.

فلقد قال موريس توريز: إن الجزائر أمة في طريق الانبعاث، وواقع الجزائر أنها مجموعات من السكان العرب والقبائل والشاوية... والحقيقة أن توريز لا يعدو أن يكون صدق لتلك المدرسة الاستعمارية والتي لا تزال تلوك تلك المصطلحات ذاتها، ولو أمعنوا النظر لعرفوا أن مصطلح (الأمة) في ثقافتنا يعنى ذلك المفهوم الهجين في الغرب (nation)، فالأمة رابطة ثقافية وعرقية، أما الوطنية فهي مفهوم مادي إجرائي، ولد في السياق الغربي للحد من سفك الدماء بين قبائل متناحرة.

أما الاتجاه الثاني، فقد عمل على إظهار قوة الغازي المحتل، فيعد تهجيل (الأهالي) وحرمانهم من ميراث بلادهم، ظهر الغزاة في أبهى حللهم المادية والأدبية، مع تركيز خبرات في غرس فكرة (التخلف بالوراثة)، وإن هؤلاء الأهالي لم يكونوا شيئاً قبلنا ولن يكونوا شيئاً بعدنا!

وهذا ما يجب أن ندرسه جميعاً ونحن نقرأ التاريخ، من كون الحاضر والمستقبل لا يبنى أبداً في ظل المدرسة الكولونبالية، وأن قطع الحبل السري الموصول إليها واجب يمليه التاريخ ويبرره الواقع، لأنها مدرسة تجدد ذاكرتها مع مر الزمان.

في ظلال السنة النبوية الشريفة: لا تحقرن من المعروف شيئاً (1)

الوفاة، وبعد نهاية الرحلة سيقدّم تقريراً حول رحلته هذه ماذا فعل فيها.

المؤمن في هذه الحياة مكلف بمهمة:

نحن نعرف أنه عندما يكون هناك موظف في مؤسسة معينة، قد يكلف بمهمة، فيرسل إلى مكان آخر للقيام بعمل معين، وعندما يعود إلى مؤسسته لا بد أن يقدم تقريراً إلى المسؤول يعرض فيه نتائج مهمته. فإذا وصل هذا الموظف إلى مسؤوله وقال له: منذ أرسلتني إلى ذلك المكان وأنا أتجول وأتسكع، فقد نسيت المهمة التي كلفتني بها، ماذا ستكون النتيجة في هذا الموقف وأمثاله؟ طبعاً المسؤول سيعاقب هذا الموظف بالعقوبة المناسبة.

إذا كان الإنسان في هذه الدنيا حياته كلها بهذه الصورة، فهو لا يصلح لأي مهمة، وبالتالي لن ينجح في حياته. نفس الأمر فيما يتعلق برحلة الحياة، نحن في هذه الدنيا مكلفون بمهمة، هذه المهمة واضحة هي عبادة الله عز وجل، وعبادة الله عز وجل اسم جامع لكل خير، لأن العبادة ليست فقط الشعائر المعروفة، وإنما كل عمل يقوم به الإنسان لا بد أن ينوي فيه أنه لله طاعة، الله يقول: **إِنْ صَلَّيْتَ وَنَسِيتَ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين [الأنعام: 162-163].

فما دامت هذه هي المهمة التي خلقنا لأجلها، وهذه هي الغاية التي جعلنا الله سبباً لتحقيقها في هذه الحياة، فينبغي أن نحرص عليها.

فالمؤمن مهمته الأساسية هي فعل الخير مهما كانت صورة هذا الخير، لماذا؟ لأن الثمن الوحيد للجنة هو فعل الخير، ليس هناك وسيلة يمكن أن تدخل بها الجنة سوى أن تفعل الخير، سواء في علاقتك بالله أو في حياتك الشخصية أو في علاقتك مع الناس، أي أن أعمال البر والخير لا بد أن تقوم بها لتحصل على مفتاح الجنة، وبدون ذلك ليس لك شيء، أي لا مطعم لك في الجنة، وأعمال الخير مطلوبة منك بقدر إمكاناتك، وقدر استطاعتك.

فعل الخير مطلوب يومياً ولو بمجرّد النية

والرسول صلى الله عليه وسلم يبين لنا أن عمل الخير ينبغي أن يكون نشاطاً يومياً، كل يوم لا بد لك من كم من الحسنات، فإذا مر عليك يوم لم تفعل فيه خيراً ولم تحصل فيه على حسنات، فقد ذهب عليك هذا اليوم هدرًا، وستحاسب عليه لأنه محسوب عليك، فهذا اليوم يندرج ضمن الوعاء الزمني لمهمتك، حيث ضيعت وقتاً من زمن المهمة، ولا بد أن تحاسب عليه.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«كُلُّ سَلَامَةٍ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ»** (السلامي هي قطعة العظم). فالمتعرض فيك، أنك كل يوم تفعل من الحسنات بعدد قطع العظام التي في جسمك، هناك حوالي 210 قطعة عظم في الجسم، فالأصبع مثلاً فيه ثلاث قطع، وهكذا كل عضو فيه قطعة أو أكثر من العظام. **«كُلُّ سَلَامَةٍ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ»** كل يوم تطلع فيه الشئ، أي كل يوم، لا بد لك كمؤمن أن تحرص على



أ. د. مسعود فلوسي

روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: **«لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»**. هذه وصية خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه أبا ذر الغفاري رضي الله عنه.. هي كلمات بسيطة ولكنها تحمل معاني عميقة، إنها وصية جامعة لكل خير وشاملة لكل معروف، من أخذ بها سعد في الدنيا وفاز في الآخرة.

معنى المعروف:

المعروف: كل ما هو خير، كل عمل يعمل الإنسان وفيه طاعة لله عز وجل، وفيه إحسان إلى المخلوقات فهو معروف، ففعل المعروف معناه أن الإنسان يعمل كل ما هو طاعة لله وفيه إحسان إلى الناس، بل إلى المخلوقات ككل وليس فقط البشر، هذا هو المعروف.

الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لأبي ذر ولكل مسلم من ورائه: لا تحقر أي معروف، كل ما هو معروف عمله، كبيراً أو صغيراً، عاماً كان أو خاصاً، ولا تحقرن شيئاً، لا تقل هذا العمل ربما ليس فيه حسنات أو أن حسناته قليلة، أو ما إلى ذلك، فإنك لا تدري ما هو العمل الذي يدخلك الجنة. إذ يمكن لشخص أن يتصدق بملبار ولا يدخل الجنة، ويمكن لشخص أن يتصدق بدينار ويدخل الجنة، لأن كل الأمور ترجع إلى النية والإخلاص والصدق مع الله عز وجل وحب الخير للمسلمين خاصة وللناس عامة.

فلا ينبغي للإنسان أن يحقر أي عمل فيه خير.

«وَأَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْق»؛ أي حتى لو كنت لا تملك شيئاً، ولا تستطيع أن تفعل أي شيء من الخير، يكفي أن تبسم في وجه كل من تلقاه، فهذا العمل من أعمال الخير التي تقع الإنسان في الدنيا والآخرة، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«كل معروف صدقة»** وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق [رواه الترمذي وأحمد].

الخبر محور حياة المؤمن:

ماذا نستفيد من هذه الوصية؟

نستفيد منها أن المسلم يجب أن تكون حياته كلها خيراً، أي أنك كمسلم وكمؤمن لا بد أن يكون محور حياتك كلها هو الخير، تفكر فقط في الخير، تعمل فقط الخير، لا تفكر في الشر أبداً، لأن المؤمن لا يفكر في الشر، لا لنفسه ولا للآخرين.. المؤمن يفكر فقط في الخير، ويحرص على عمل الخير، ويبحث عن المواقف التي يفعل فيها الخير، لأن المؤمن في هذه الحياة يعرف أنه في رحلة، هذه الرحلة لها بداية هي يوم ولد، ولها نهاية هي يوم



يكتبه د. محمد قماري

الحق المر

علم لا ينفع...

كنت خلال السنوات الماضية، يتردد في نفسي سؤال لم أجد له جواباً، بل كان يزداد إلحاحاً ورسوخاً مع مضي الأيام، ومعه تزداد حيرتي، وفحوى ذلك السؤال: لماذا يسارع أساتذة العلوم الانسانية والاجتماعية في ابعاد أبنائهم عن تلك العلوم، وأقصى ما يطمح إليه أحدهم أن يقذف بابنه أو ابنته في كلية الطب أو الصيدلة فإن لم يجد سبيلاً لذلك دفع به إلى طريق الهندسة أو أي طريق آخر يبعده عن الدراسات الانسانية والاجتماعية، حتى مع وجود رغبة عند الأبناء!

وهي ظاهرة قديمة، فأغلب من عرفت من أفراد جمعية العلماء المسلمين التاريخية هجروا تلك التخصصات أو أبعدهم أبائهم عنها، وهم يعرفون قبل غيرهم خطر تلك المعارف، ويدركون أهميتها في صياغة حاضر المجتمعات ومستقبلها.

ومنذ بدايات تشكل وعيي، أدركت أن الفقرات الكبرى في تاريخ الأمم إنما كانت نتاجاً لبنيات أفكار فلاسفة وأدباء ومفكرين، استطاعوا النفاذ إلى احتياجات أهمهم، وعبروا عنها بأقلامهم وجاءت إبداعاتهم وأبحاثهم، استجابة لسد ثغرات حيناً و طرح أفكار بانية حيناً آخر، فساهموا في تأطير حركية مجتمعاتهم نحو الوجهة المجدية، فالطبيب أو المهندس قد يفيد أسرته أو مجتمع الضيق لكن أثره يبقى محدوداً إلا في حالات نادرة كما يحدث مع بعض المكتشفين العبقريين.

لقد استطاع (فكتور هيجو) وهو أديب أن يستعمل جمهور الفرنسيين إلى كنيسة (نوتردام) بروايته الشهيرة (أدب نوتردام)، وقد شيدت قبل ميلاده بقرون عديدة، لكنه أدرك ضعف روح التدين التي بدأت تسري في المجتمع الفرنسي، وأدرك أن فرنسا يجب أن لا تغفل عن دورها التاريخي لأنها كانت طريقاً تأوي الحجاج القاصدين كنيسة القيامة في كنيسة (نوتردام)، وأن قس كنانسها في ليون كانوا الداعين الأوائل للحروب الصليبية.

وبعد خروج رواية هيجو بقليل تنادى المجتمع الفرنسي لإعادة تأهيل نوتردام، وجمعت لها أموال من تبرعات الفرنسيين وغيرهم، وأصبحت معلماً متميزاً في باريس ومحجاً لملايين السواح بقصصونها من القارات الخمس، وكادت قبل رواية (أدب نوتردام) أن تكون نمسا منسياً.

ولا تزال إلى اليوم إبداعات الأدباء، ومقالات الصحافيين النابهين، ونظريات الفلاسفة، واستشرافات المؤرخين مصدراً من مصادر صنع القرار ورسم الخطط الاستراتيجية، فقصص القرصان (مورغان) أشتعت في ذهن صانع القرار الأمريكي، أن الامبراطورية الحديثة تراقب ما يجري من أحداث وتجاهيات القوى الفرعية لتحولها لانتصارات (و غانم) تساق إليها بعد انهك تلك القوى!

والثقت حولي في كلياتنا الجامعية، وأحاول فحص محتوى ما يقدم لطلابنا، سواء في العلوم الانسانية أو الاجتماعية، فأرى فراغاً رهيباً يجعل الطالب يزهد في ذلك المحتوى، وينغمس في مسلك الظفر بشهادة لا تقر بالمستوى العقلي والإدراكي لحاملها، بل إنها تجعل الأجيال الصاعدة تنفر من الفخامة في ذلك الطريق الموحش...

إن ترددي نظريات فحفظها الأساتذة أو الطلبة، وعلى شاكلة مشوهة، في علم معين لا تجعل منهم علماء في ذلك الفن، بل تسهم في تضخيم جمهور (مسوخ) القدرات الفكرية والمعرفية، فلا يقدر على تجاوز ما عرّفه بـ (التقليد)، كما أنه لم يدرب على التفكير الحر الذي يرصد الظواهر ويحاول تفكيكها وتحليلها وتركيبها.

وذلك لعمرى، هو العلم الذي لا ينفع الذي استعاض منه نبينا، صلى الله عليه وسلم، حيث تقطع سنوات من أخصب سنوات عمر الإنسان في ما يشبه (دور حضانة الكبار)، فكل ما يرجى منها أن يشغل وقتاً داخلها حتى يرجع إلى بيته.

إن التعليم الذي لا يسهم في تشكيل العقول والعواطف، ولا يدفع في طريق الملاحظة والاختيار، ولا يغرس في المتلقي روح الاستثمار فيما تعلم بنية البناء عليه وتجاهلونه في تعليم (أعمى)، ربما أخرج بعض أجهزة التسجيل الدينية، لكن لا يبرجى منه نفع المجتمع أو الاسهام في رصد مشكلاته ومحاولة إيجاد الحلول لها...

وكم هو محزن حقاً مساهمة هذا النمط من التعليم في تكريس النفور من الكتاب، وزرع الخصومة بين المتعلمين ورفوف المكتبات، وتكريس روح (التكاذب) باسم العلم، ينتهي في الغالب بشهادة صاحبها يشهد حاملها قبل غيره أنها شهادة (زور) يتحلى بها في الظاهر ويرفضها في قرارة نفسه.

وإذا كانت الغاية قبل سنوات من التهوين من أمر العلوم الانسانية والاجتماعية مادية، فسوق العمل مفتوحة أمام التخصصات التقنية أكثر من غيرها، فإن الزهد فيها في السنوات الأخيرة مرده إلى ذلك الفراغ الرهيب في (المحتوى)، فأغلب الخريجين يشعرون بخواء فاضح يجعل منهم أمثلة لا تحتذى.

في ظلال السنة النبوية الشريفة:

لا تحقرن من المعروف شيئاً (2)



أ.د. مسعود قلوبسي

شيئاً».

يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن رجلاً كان يمشي ووجد غصن شجرة مكسور مرمياً في الطريق، ففطر إليه وقال في نفسه: أزيل هذا الغصن من الطريق حتى لا يؤذي أحداً من الناس، فهذا الموقف أو الفعل كان سبباً لأن يدخل هذا الرجل الجنة، عمل بسيط جداً، وقد يكون هذا الرجل له سيئات كثيرة ولكن هذا الفعل الخير الذي نواه الله عز وجل ونوى فيه النفع للآخرين، قرب العالمين احتسبه له وأدخله به الجنة، وقد يكون هو فعل الخير الوحيد الذي فعله في حياته، قال تعالى: **لَوْ مَا تَقَرُّوا لَأَفْسَدَكُمْ مِنْ خَيْرِ تَجَرُّوهُ عَنِ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا** [المزمل: 20].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لقد أريت رجلاً يثقل في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤدي المسلمين» [رواه مسلم]. وفي رواية: «مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأتجن هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة». وفي رواية لهما: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله له فغفر له».

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «كان تاجر يداين الناس، فإذا رأى مغسراً قال لفتاته: تجاوروا عليه لعل الله أن يجازو عتاً، فتجاوزوا عليه عنه» وفي رواية لمسلم: «قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوروا عنه» [رواه البخاري ومسلم].

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بينما كلب يطيف بركبة إبلرأ كاد يفتهل العطش، إذ رآه بغي من بغي بني إسرائيل، فزعت موقها فسقته، فغفر لها به» [رواه البخاري ومسلم]. فقد غفر الله أعمالها السيئة بهذا العمل، بهذه الرحمة التي في قلبها تجاه مخلوق من مخلوقات الله عز وجل.

فلا يبري الإنسان ما العمل الذي سيفعله من النار، والعاقلة هو الذي يسعى في إنقاذ نفسه من النار ودخول الجنة، قال تعالى: **فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** [إل عمران: 185]. السبيل الوحيد إلى ذلك هو فعل الخير وكف الشر، فإذا لم تستطع فعل الخير فعلى الأقل انوه، فإذا كنت فقيراً ولم يكن لك مال فقل في نفسك: يا رب لو ترزقي ما لا فسأصدق به وسأبذله في كل باب من أبواب الخير.

وإذا كنت ضعيفاً وليست لك قوة، فقل في نفسك: يا رب إذا منحتني القوة فسأفعل العمل الفلاني والعمل الفلاني مما يحتاج إلى القوة. ففعل الخير ونية الخير هما السبيل إلى نوال رضوان الله تعالى والفوز بجنته والنجاة من عذابه، قال تعالى: **لَوْ أَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** [الحج: 77].

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً.

لا يبري المؤمن أي معروف ينفعه

وكما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف

روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق». هذه وصية خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه أبا ذر الغفاري رضي الله عنه.. هي كلمات بسيطة ولكنها تحمل معاني عميقة، إنها وصية جامعة لكل خير وشاملة لكل معروف، من أخذ بها سعد في الدنيا وفاز في الآخرة.

فعل الخير شيمة المؤمن

المؤمن معني دائماً بفعل الخير، ولا يبري الإنسان المؤمن متى يحتاج إلى هذا الخير، فلا ينبغي له أن يقول مثلاً ما دمت أصلي فانا في الجنة، ليس هناك ضمان لأي أحد أنه سيدخل الجنة، والله تعالى يقول لنا: **لَوْ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَعَلُوا عَرْضُهَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اعْتَدُوا لِلْمُتَّقِينَ**، ولكي تكون مسارعاً لايد لك من التحضير، لايد لك من القوة والصحة، وكل ذلك إنما يأتي من فعل الخير، من كثرة الحسنات: **لَوْ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** [الواقعة: 10-11]، فليس من يسبق كمن يمشي مشية السلحفاة أو كمن يبقى في مكانه لا يتحرك ويكتفي بالأمانى أن يكون من أهل الجنة دون أن يقوم بأي عمل وليست له نية لفعل الخير إطلاقاً.

فالمؤمن حرص على فعل الخير، مشارك في أفعال الخير، مسابق إلى كل خير، ناو لفعل الخير دائماً.

المؤمن يتاجر مع الله

مشكلتنا نحن المسلمين اليوم أننا نقيم كل شيء بالمادة، فصار معظم الناس لا يفعلون الخير لأنهم لا يرون ما يرجع إليهم من هذا الخير إذا فعلوه، حتى إن أحدهم شكر أحداً وقال له: رحم الله والديك، فرد عليه: بكم يمكن تصرف هذه العبارة؟ فانا لا أريدها، أريد بدلا منها ما لا.

أريتم إلى أين وصلنا؟ هل هذا مؤمن؟ أين الإيمان؟

المؤمن يتاجر مع الله، وليس مع العبد، فإذا فعلت الخير مع إنسان فلا تنتظر منه أن يعيده إليك أو يكافئك عليه، بالعكس توقع منه الشر، لكن لا تتدن لأفك فعلت الخير، لأنك لم تفعله لأجل فلان، صحيح أن هذا الخير استفاد منه فلان، لكنك لم تقصد به هذا الفلان، إنما قصدت به وجه الله عز وجل، ولذلك اطلب ثمن عملك عند الله، وبما أنك بعت نفسك فتمن الخير الذي فعلته تجده عند الله عز وجل، لا تنتظر أن تجد فائدة عملك في الدنيا، ومع ذلك فإن هذه الفائدة تأتيك فعلاً في الدنيا، فانه سبحانه وتعالى يعطيك - في مقابل ما تفعله من الخير - خيراً كثيراً لا تعرفه أنت

في ظلال السنة النبوية الشريفة

شروط ضرورية لتذوق الحلاوة الإيمانية⁽¹⁾

مرؤى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن أنس بن مالك مرضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ».



أ.د. مسعود فلوسى

ثلاث خصال تحقق حلاوة الإيمان

الأولى: حب المؤمن لله ورسوله أكثر من أي شيء ومن أي إنسان مهما كان، حتى وإن كان الوثنيين أو النفس أو الزوج أو الأولاد.

الثانية: إذا أحب المؤمن إنساناً فهو يحبه الله فقط، وليس لأي مصلحة أو منفعة، وإذا أبغض إنساناً فهو يبغضه الله، وليس لأنه ليس له فيه فائدة أو منفعة، فهو يحب الله ويبغض الله.

الثالثة: أن يكره المؤمن أن يعود في الكفر كما يكره أن يرمى في النار، وهل هناك من يحب أن يرمى في النار؟

هذه الخصال الثلاثة من شعب الإيمان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرنا أن من لم تتوفر فيه هذه الخصال الثلاثة لن يجد حلاوة الإيمان، ومن توفرت فيه وجد حلاوة الإيمان.

«ثالث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان»، ولابد من وقفة مع هذه الكلمة «حلاوة الإيمان».

ما معنى حلاوة الإيمان؟

لكل شيء تستحبه النفس حلاوة، فكل ما يستلذ وتستهبطه النفس له حلاوة؛ الماء له حلاوة، الطعام له حلاوة، النسيم له حلاوة، الزواج له حلاوة، الذرية لها حلاوة، الصيد والسياحة وكل شيء مما يستمتع به الإنسان له حلاوة وله لذة يستشعرها الإنسان، كذلك الإيمان له حلاوة. لماذا يحب الإنسان شيئاً من الأشياء؟ لأن له حلاوة في نفسه، الإيمان كذلك له حلاوة لا يستشعرها من لا تتوفر فيه هذه الخصال. والحلاوة بطبيعتها لا يمكن لأحد أن يصفها لغيره، لأنها إحساس، والإحساس لا يوصف أو ينقل إلى الغير، فحلاوة شيء ما لا يدركها إلا من تذوق ذلك الشيء واستمتع به، فذلك الإيمان لا يحس حالته إلا من أدرك حقيقته.

وحلاوة الإيمان لا تدانها ولا تساويها ولا تماثلها ولا حتى تقاربها أي حلاوة أخرى؛ فأعظم حلاوة والد حلاوة هي حلاوة الإيمان، لأن الإيمان الحقيقي سكنة في النفس وراحة في القلب وانسجام مع الوجود كله. وهذه الحلاوة تعكس على حياة الإنسان وتظهر معاملاته، وتظهر في طريقة تفكيره، وتظهر

في طموحاته في الحياة، وفي كل شؤون حياته. ولا يدرك حلاوة الإيمان إلا من توفرت فيه خصال الإيمان.

وقد يكون الإحساس بشيء من الحلاوة الإيمانية متحققاً في نفس كل مؤمن، لكن هذا الإحساس درجات، فالتناس ليسوا جميعاً في مرتبة واحدة من الإيمان، وإنما يتفاوتون في مراتب الإيمان، ولذلك يتفاوتون فيما يستشعرونه من حالته، فكل منهم يستشعر منها بقدر درجته من الإيمان، والمرجو من الله عز وجل أي لا يحرم مؤمناً من شيء من هذه اللذة والحلاوة.

حب الله ورسوله أكثر مما سواهما

أول هذه الخصال: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما». أن يستولي حب الله عز وجل، ثم حب رسوله صلى الله عليه وسلم، على قلب الإنسان، فكل ما يتعارض مع حب الله عز وجل ومع حب رسوله صلى الله عليه وسلم، لا ينبغي للإنسان أن يحبه، بل يجب عليه أن يكرهه لأنه يتعارض مع حب الله. فكل ما هو مبغوض عند الله عز وجل، وكل ما يتسبب للإنسان في سخط الله فالمؤمن يكرهه لأن الله عز وجل يكرهه، وكل ما يحبه الله عز وجل ويرضاه من عبده ويثيبه عليه، فالمؤمن يحبه لأن الله عز وجل يحبه.

«أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»، هذا أمر منطقي، فليس غريباً أن المؤمن يحب رب العالمين ويحب الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من غيره؛ أكثر من نفسه، وأكثر من والديه، وأكثر من زوجته، وأكثر من أولاده، وأكثر من ماله، وأكثر من كل شيء في هذا الوجود.

منطق العقل ومنطق الفطرة ومنطق الواقع يوجب أن يكون الله عز وجل أحب إلى الإنسان من نفسه ووالده وزوجه وولده ومن أي شيء في هذا الوجود.

لماذا؟ لأن الإنسان يحب غيره بحسب فضل هذا الغير عليه، فكلما كان هناك من يسدي له الخير أكثر كان حبه له أكثر، المنطق يقول هذا، فلا يمكن أن يكون من أسدى إليك معروفاً مرة تحبه أكثر ممن يسدي إليك في كل يوم أنواعاً وألواناً من المعروف.

حب الله في الدرجة الأولى

من يسدي إلى الإنسان من الخير أكثر من رب العالمين؟ من في هذا الوجود له فضل عليك أيها الإنسان أكثر من ربك عز وجل؟ من خلقك؟ من أحسن صورتك؟ من أكمل أعضائك؟ من أكرمك بالحياة؟ من أغدق عليك نعمه حتى قيل أن تخرج إلى الدنيا وأنت في بطن أمك؟ ثم بعد أن خرجت

من بطن أمك إلى هذه الدنيا، ثم وأنت تتدحرج في مراحل النشأة والتربية وتكر شيئاً فشيئاً حتى تصبح إنساناً عاقلاً مميزاً قادراً على فعل ما تريد، من برعك بالحفظ والبرزق وبالستر والحماية طيلة حياتك؟ من يفعل ذلك غير الله عز وجل؟

الإنسان لو أراد أن يسجل نعم الله عليه، يجلس مع نفسه ويبدأ في عد هذه النعم في اليوم الواحد، سيملاً سجلاً كاملاً ولا ينتهي، لأنه في كل لحظة، في كل ثانية، هناك نعمة أو أكثر تكلل به، بل نعم متراكمة تحيط به في كل ثانية.

ينابيع من النعم مفتوحة ومتدفقة، نعم لا يمكن للإنسان أن يحصيها أو يحصيها. أفيمكن للإنسان العاقل أن يتصور أن هناك من له فضل عليه أكثر من ربه عز وجل؟ الإنسان لا يحتاج إلى براهين: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) [الذاريات: 21]، لا يحتاج إلى براهين أو أدلة على أن الله عز وجل صاحب الفضل الأول وصاحب النعمة العظمى عليه، والذي يطلب الأدلة هو الإنسان الذي يجحد نعم الله عز وجل ويكر فضل الله سبحانه وتعالى عليه في هذه الدنيا.

محبة الله عز وجل، إذن، مما فطر عليه الإنسان، فرب العالمين عز وجل عندما يخلق أي إنسان فطره على حبه سبحانه وتعالى، لأنه محتاج إليه، أي أن الإنسان يشعر بحاجته إلى ربه عز وجل.

لماذا ينسى الإنسان نعم الله عليه؟

ما الذي يجعل الإنسان ينسى نعم الله وفضل الله وحاجته إلى الله؟ إنه التعود على النعم، التعود ينسى، تعود النعمة ينسى مصدرها، فالإنسان عندما يتعود على نعمة تصبح بالنسبة له حقاً مكتسباً، بحسب أنه هو الذي يوفر هذه النعمة لنفسه، وينسى أن هناك من يمد بهذه النعمة وبهذا الفضل، فنحن من كثرة ما تمرغنا في نعم رب العالمين، ومن كثرة ما يغدق علينا عز وجل من النعم، من استمرار هذه النعم وعدم انقطاعها ننسى مصدر هذه النعم وحسبناها حقاً مكتسباً، وكأن كلا منا يقول في نفسه: ما دمت حياً وما دمت موجوداً فهذه النعم حق، وهي لابد أن تأتيني دون أن أطلبها.

هذا هو الخطأ الذي يقع فيه الإنسان ويجعله يجحد نعم الله عز وجل وفضله سبحانه وتعالى عليه.

ذكر الله وشكره وسيلة لتذكري نعمه

ولكي لا ينسى الإنسان نعمة الله وفضله سبحانه وتعالى عليه، شرع لنا ربنا عز وجل أن نذكره ونشكره: (فأذكروني أذكركم واشكروا

لي ولا تكفروني) [البقرة: 152]. ورب العالمين أنزل علينا القرآن لنذكر به، فتلاوة القرآن ذكر، وتسبيح الله عز وجل ذكر، حمد الله سبحانه وتعالى ذكر، تكبيره عز وجل ذكر، وما أكثر أنماط الذكر.

ومما يجعل الإنسان على ذكر دائم لنعم الله عز وجل عليه؛ أن يعرف أسماء وصفاته سبحانه وتعالى، قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف: 180] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مئة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة» [رواه البخاري]، لأن من يحصيها يعرف رب العالمين ولا ينساه أبداً ولا يجعل قدره سبحانه وتعالى، فهذه الأسماء تتضمن كلها نعم الله عز وجل على عباده، والإنسان عندما يحفظها ويحسن التصرف في هذه الحياة في ضوء كل اسم من هذه الأسماء، تصبح حياته كلها في رحاب الله عز وجل وفي إطار ذكر الله عز وجل وفي ظل طاعة الله سبحانه وتعالى.

حب الله ليس مجرد دعوى

ما أكثر الذي يدعون حب الله عز وجل، كل مؤمن يقول أنا أحب الله سبحانه وتعالى، ولكن معيار الصدق في هذا الحب هو الواقع، فإذا أردت أن تعرف مدى صدقك في حبك لله عز وجل فانظر موقفك من أومره ونواحيه في حياتك، زن نفسك بنفسك، انظر إلى أومر الله عز وجل هل أنت حريص على إنفاذه في حياتك؟ هل تسعى إلى أن تعرف ما يحبه الله عز وجل لكي تفعله؟ وهل تسعى إلى أن تعرف ما لا يحبه الله حتى تتعد عنه وتجتنبه؟ عندما تسمع قول الله تعالى: افعل كذا، هل تشعر أنه يجب عليك القيام مباشرة بإنفاذه هذا الأمر أم تبقى متردداً هل تفعل أم لا تفعل وتظل توازن بين ما يكون في ذلك من مصلحة دنيوية أو لا يكون. ونفس الأمر فيما نهى الله عز وجل عنه.

عندما تسمع النداء للصلاة وأنت مشغول بمشاعل دنيوية، هل تسارع إلى الصلاة وتترك أمور الدنيا بعد ذلك مؤملاً في تيسيرها من الله عز وجل، أم تقول في نفسك: الصلاة لها وقت فلا أقض أولاً مشاغلي حتى لا تذهب ثم أصلي؟

هذا هو الامتحان الذي نسقط فيه عادة، فمعظم الناس يسقطون في امتحان العمل. إن حب الله عز وجل ليس مجرد مشاعر، ولا مجرد عاطفة تشعر بها في قلبك ثم لا يكون لها تصديق في واقعك. حب الله عز وجل ينبغي أن يظهر في واقع الإنسان، وفي كل مجالات حياته.

يتبع



في ظلال السنة النبوية الشريفة

شروط ضرورية لتذوق الحلاوة الإيمانية (2)

مروى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يُعْودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا كَرِهَ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْكَلْبِ».



أ.د. مسعود فلوسي*

محبة الرسول تابعة لمحبة الله

محبة النبي صلى الله عليه وسلم، تأتي في الدرجة الثانية مباشرة بعد حب الله عز وجل، وسابقة على حب أي مخلوق أو شيء آخر، لماذا؟ لأن فضله صلى الله عليه وسلم على الإنسانية، سابق على أي فضل آخر بعد فضل الله عز وجل، محمد صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الذي كلفه ربه عز وجل بأعظم مهمة فأداها على خير ما ينبغي أن تؤدي عليه. فمنذ أن خلق الله عز وجل الناس إلى أن برث الله الأرض ومن عليها، لم يوجد في الناس مخلوق أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام، لأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي قدم للبشرية - بعد الله عز وجل - أعظم خدمة. البشرية قبل أن يُبعث محمد صلى الله عليه وسلم، كانت تعيش في ظلام دامس، والديانات السماوية كانت قد حُرقت تماماً ولم يبق فيها شيء من الدين الصحيح، عبادة الأوثان عمت الجزيرة العربية وغيرها، الناس صاروا يعبدون كل شيء إلا الله. فالبشرية كانت في موت، لأن الحياة ليست هي الأكل والشرب والنمو والتزاوج والتناسل، هذه حياة لا يفترق فيها الإنسان عن الحيوان. حياة الإنسان في علاقته بربه، وقبل أن يأتي محمد صلى الله عليه وسلم، كانت علاقة الناس بربهم قد انقطعت تماماً، وصاروا موتى، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة الخاتمة التي بعث بها ربه عز وجل، وأحيا بها الناس من جديد. لم يخي النبي صلى الله عليه وسلم قومه أو قبيلته أو قريته أو البلاد المحيطة بها فحسب، لقد أحيا الدنيا كلها.

وهنا نلاحظ أنه عليه الصلاة والسلام جمع في خصلة واحدة بين حب الله وحب نبيه صلى الله عليه وسلم، بمعنى أنهما لا ينفصلان؛ فالذي يحب الله عز وجل بالضرورة يحب محمداً صلى الله عليه وسلم، والذي يحب محمد صلى الله عليه وسلم هو بالضرورة يحب قبل ذلك ربه سبحانه وتعالى.

لا يجوز أن تحب مخلوقاً أكثر من محمد

محمد صلى الله عليه وسلم هو الأولي بحب الإنسان المؤمن بعد الله عز وجل، فالإنسان المؤمن لا يتصور منه أن يحب أحداً - بعد الله عز وجل - أكثر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى نفسه التي بين جنبيه.

وينبغي أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم أحب إليك من نفسك ومن والدك ومن زوجك ومن أولادك ومن أقاربك ومن سائر الناس، وأن يكون أحب إليك من كل شيء في هذا الوجود، لماذا؟

لأنه لا فضل لأحد بعد الله عز وجل على المسلم، كما لمحمد صلى الله عليه وسلم.. بفضل محمد صلى الله عليه وسلم وجدت هذه الأمة، وبفضل محمد صلى الله عليه وسلم اهتدى الناس إلى الحق، وبفضل محمد صلى الله عليه وسلم سيدخل المؤمنون الجنة وسينجيهم الله عز وجل من عذابه يوم القيامة، هل هناك أفضال أكثر من هذه؟

الإنسان عندما ينظر إلى فضل الله عليه وسلم يجده لا يقارن مع فضل محمد صلى الله عليه وسلم، مهما بذل والذاك في سبيلك، مهما وفرا لك، مهما أحاطاك بالعناية والرعاية، فضلهما لا يبلغ فضل محمد صلى الله عليه وسلم. وأولئك إذا أصلحهم الله، مهما أرادوا أن يكافئوك بعد ذلك على ما فعلته معهم أو من أجلهم، لن يبلغ فضلهم عليك فضل محمد صلى الله عليه وسلم.

فليس هناك من له فضل عليك، أيها الإنسان المؤمن، بعد الله عز وجل مثل ما لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

فنحن نحب محمداً صلى الله عليه وسلم لفضله علينا، وحتى إذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم فضل، لأن الفضل كله لله عز وجل فهو الذي بعثه وهو الذي هداه وهو الذي وفقه، فيكفي أن الله يحبه، وأمرنا بحبه، والمؤمن يحب من يحبه الله عز وجل، وهذا معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبوني بحب الله» [رواه الترمذي]؛ بمعنى أحبوا رب العالمين لما أحاطكم به من النعم، وأحبوا محمداً صلى الله عليه وسلم لأن الله سبحانه وتعالى يحبه.

حب محمد من صميم الإيمان

حب محمد صلى الله عليه وسلم من الإيمان، بل هو من شروط الإيمان، فلا يصح الإيمان ولا يصدق إلا إذا كان الإنسان يحب محمداً صلى الله عليه وسلم، والإنسان الذي يدعي الإسلام ولا يحب محمداً صلى الله عليه وسلم هو كذاب، وكل الدلائل قائمة على كذبه، إذ كيف تحب الله عز وجل ولا تحب من يحبه الله؟ كيف نقول أنا مسلم ولا تحب من جاءك بهذا الإسلام؟ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» [رواه البخاري]. فمحمد صلى الله عليه وسلم هو أجدر الناس بالحب، وحبه يجب أن يقدم على حب أي شيء

آخر، عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذَ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الآنَ يَا عُمَرُ» [رواه البخاري]، يعني الآن حَقَّقْتَ الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ، الْآنَ بَلَغْتَ الدَّرَجَةَ الْمَطْلُوبَةَ مِنَ الْإِيمَانِ وَهِيَ أَنْ تَحِبَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ نَفْسِكَ. حب محمد صلى الله عليه وسلم من حب الله، ولذلك المؤمن حريص على تقوية هذا الحب في قلبه، لا يكفي أن تقول إني أحب محمداً صلى الله عليه وسلم، عليك أن تقوي هذا الحب، وهذا الحب لكي تقويه يجب عليك أن تقرأ سورة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعرف أخلاق محمد صلى الله عليه وسلم التي قال محمد بها ربه عز وجل في قوله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [الفرقان: 4]، وتكفي شهادة الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولا تحتاج إلى شهادة أخرى تشهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بكمال الأخلاق.

محمد هو الإنسان النموذج

محمد صلى الله عليه وسلم أعطانا المثل من نفسه، وجعله الله عز لنا نموذجاً لنفهم أن الإسلام ليس مجرد مثاليات وإنما هو واقع تجسد في شخص اسمه محمد بن عبد الله، ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن ملكاً، لم يكن شخصاً استثنائياً، كان إنساناً بكل معاني الإنسانية، عاش كإنسان، لم يكن عنده شيء زائد على غيره من البشر، ومع ذلك استطاع أن يسجد هذا الدين في سلوكه وفي حياته وفي علاقته.

ورب العالمين سبحانه وتعالى جعل لنا هذا الرسول أسوة وقدوة لمن يقتدي، حتى لا يأتي أحد ويدعي أن الدين صعب، أو أن فعل الأوامر صعب، أو أن ترك المناهي صعب، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [الأحزاب: 21].

كما أعطانا نماذج من أصحابه، صحيح أنهم لم يبلغوا ما بلغه محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنهم بلغوا الدرجة العظمى؛ الصديق أبو بكر رضي الله عنه، الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه، علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعشرات، بل مئات من الصحابة الذين رباهم محمد صلى الله عليه وسلم وبلغوا ما بلغوا في العمل بهذا الدين.

فإن، محمد صلى الله عليه وسلم يستحق الحب لأن الله يحبه، وهو يستحق الحب أكثر من غيره لأنه لا فضل لأحد على الناس بعد الله عز وجل كما لمحمد صلى الله عليه وسلم، ومحمد صلى الله عليه وسلم جدير بالحب لأنه بلغ الغاية في أخلاقه وفي معاملاته.

حب محمد ليس مجرد عاطفة في القلب

حب محمد صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن يكون مجرد عاطفة، أو مجرد دعوى، لأن الادعاء بحسنه كل الناس، لابد من البرهان، لابد من دليل على الصدق في حب محمد صلى الله عليه وسلم، وأول دلائل هذا الصدق حب ما يحبه محمد صلى الله عليه وسلم وحب من أحبه محمد صلى الله عليه وسلم وحب كل تصرف كان يعمل محمد صلى الله عليه وسلم، فالحب سلوك وعمل وممارسة في الواقع.

لا يمكن لإنسان أن يحب محمداً صلى الله عليه وسلم ويكره سنة من سنته، أو يسمع كلام محمد صلى الله عليه وسلم ويقول دعونا من هذا الكلام فقد تجاوزه الزمن أو هذا كلام القرون الخالية أو ما إلى ذلك، ثم يقول أنا مسلم وأحب محمداً صلى الله عليه وسلم، أين حب محمد صلى الله عليه وسلم وأنت تنكر كلامه وتعتبره كلاماً لم يعد له معنى في هذا العصر؟

حب محمد صلى الله عليه وسلم يقتضي العمل بسنته، ويقتضي التمسك بما جاء به عليه الصلاة والسلام، محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن والسنة، وكلاهما وحى من الله عز وجل، والعمل بهما مطلوب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمَا بِهِمَا: كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ» والحديث مروى في موطأ الإمام مالك، فالكتاب والسنة هما الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، والمسلم لا يكون مسلماً حقاً إلا إذا عمل بما في القرآن وعمل بما في السنة، لا يكفي القرآن وحده ولا تكفي السنة وحدها، بل هما معا يكمل أحدهما الآخر، لأن الله عز وجل أنزل الذكر وهو القرآن، وأمر محمداً صلى الله عليه وسلم أن يبين هذا الذكر بالسنة: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل: 44]، (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [آل عمران: 31]. فإذا كنت صادقاً في دعوى حب الله عز وجل وفي دعوى حب محمد صلى الله عليه وسلم، فالشرط الأول لتصديق في هذه الدعوى هو أن يظهر ذلك في سلوكك وفي معاملتك وفي علاقاتك، وهو أن تتبع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

يتبع



في ظلال السنة النبوية الشريفة

شروط ضرورية لتذوق الحلاوة الإيمانية (3)

مرى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْفُرَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْفُرُ أَنْ يُثَدَّفَ فِي الْكَاثِرِ».



أ.د. مسعود فلوسي*

المؤمن محب لإخوانه المؤمنين

الخصلة الثانية الضرورية لتذوق الحلاوة الإيمانية: «أن يحب المرء لا يحبه إلا الله». فالمؤمن عندما يحب مؤمناً آخر، فهو يحبه لله، ليس لمصلحة ولا لمنفعة بينهم، وإذا أبغض شخصاً آخر فهو يبغضه لأنه يعصي الله أو لأنه يفعل فعلاً لا يرضاه الله عز وجل، قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: «إِنْ أُوْتِقَ غَرَى الْإِيمَانِ: أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ» [رواه أحمد]، وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: «من أحب في الله وأبغض في الله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان» [رواه أبو داود].

المؤمن يحب أخاه المؤمن لأنه مؤمن وفقط، ولا يتصور من المؤمن ألا يحب المؤمنين، لأن هذا أيضاً شرط في صدق الإيمان، فالرابطة التي تربط بين المؤمنين هي الإيمان، وهذه الرابطة جعلها الله عز وجل أقوى الروابط وأعظم الروابط وأوثق الروابط، لأنها الرابطة الدائمة والرابطة الجامعة بين المؤمنين، ليس في الدنيا فقط وإنما في الآخرة أيضاً، فهي الرابطة التي لا تنقطع. قد يفترق المؤمنان وقد يتباعدان وقد يطول الزمان على فراقهما لأسباب، ولكن تبقى المشاعر قائمة، مشاعر الحب على الإيمان، لأن كلا منهما يحب الله عز وجل ويحب رسوله صلى الله عليه وسلم، فكل واحد منهما يحب الآخر لأنه يحب الله وسوله ويحب الإسلام ويؤمن به ويطبق أحكامه ويدعو إليه ويرجو أن يؤمن جميع الناس به.

الإيمان رابطة عظيمة، ولذلك لا يتصور أن يكون الإنسان مؤمناً حقاً ولا يحب إخوانه المؤمنين، أو يبغض إخوانه المؤمنين، أين الإيمان إذن؟

الإيمان الصحيح هو الذي يجعل المؤمن يحب المؤمنين جميعاً، لأنهم يحبون الله عز وجل ويطيعونه، هذا فقط وهو أهم شيء وأعظم شيء، أما أمور الدنيا فمتغيرة ومتبدلة، قد تجمعك تجارة مع شخص أو يجمعك عمل ما مع آخر، أو تجمعك مصلحة منها المصالح مع غيرك، لكن هذه كلها ليست ثابتة.

العلاقة بين المؤمنين ليست علاقة قائمة على المتغيرات، هي علاقة قائمة على الثوابت، لأن المتغيرات كثيراً ما كانت سبباً في مصائب، لذلك، لا ينبغي للإنسان أن يربط مودته

ومشاعره بالمتغيرات، وإنما يجب أن يربطها بالثوابت، والثابت الأعظم هو ثابت الإيمان، لأنه وصف ليس للشخص، وإنما لسلك هذا الشخص ولوجوده في الحياة.

المتحابون في الله يحبهم الله ويكرمهم

وصف الإيمان إذن، وصف يستحق به المؤمن أن يكون محبوباً لإخوانه، وإذا أحب إخوانه وأحبه حباً خالصاً لله وليس وراءه قصد دينوي أحبه الله عز وجل، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «رَأَى رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَذْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَنْ تَرِيدَ؟ قَالَ: أَرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرِيهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي آلِهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَأَنَّى رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكَ، بَانَ اللَّهُ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» [أخرجه الترمذي].

ولذلك فإن من بين من يظلمه الله عز وجل في ظله يوم لا يظل إلا ظله؛ وهو يوم القيامة، هم المتحابون فيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشِبَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَخَافُ فِي اللَّهِ: اجْتِمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالَ فَقَالَ: إِيَّاهُ أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصِدَّقُ بِصَدَقَةٍ فَاجْهَرُهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ مِنْهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» [متفق عليه].

بل إن إكرام الله عز وجل يوم القيامة لعباده المتحابين فيه ليزيد ويتعد ويتنوع حتى يغبطهم عليه النبيون والشهداء.

عن أبي مالك الأشعري قال: ... إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى صلاته أقبل علينا بوجهه فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَعَقِلُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادًا لِيَسُوا بِأَنْبِيَاءٍ وَلَا شُهَدَاءٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَنْزِلَتِهِمْ، وَقَرِيبِهِمْ مِنَ اللَّهِ». فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس، وألوى بيده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ناس من المؤمنين ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم [من الله؟] انتمهم لنا، لهم لنا - يعني صفهم لنا - شكلهم لنا، فسر وجه النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الأعرابي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هم ناس من أفناء الناس، ونوازع القبائل، لم تصل بينهم أرحام مقاربة، تحابوا في الله وتضافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور، فيجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نورا، وثيابهم نورا، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» [رواه أحمد].

وسائل إشاعة المحبة بين المؤمنين

وحتى تنتشر المودة بين المؤمنين وتتوثق عراها، فعليهم أن يتخذوا الأسباب لذلك ويحرصوا عليها، ومن ذلك: تبادل التحية بالسلام بينهم، أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُوا، أَوْ لَا أَدْلُكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابْتُمْ؟ أَفْشَرُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» [الترمذي].

فإشاعة السلام من وسائل نشر المحبة بين المؤمنين، فانت ربما لا تعرف شخصاً ما ولم تتعامل معه، ولكنك تحبه لأنه يلقى عليك السلام دائماً، لماذا في واقعنا اليوم لا توجد مودة بين المؤمنين؟ لأنه لا أحد يلقى السلام على أحد، وقد تجد من يلقى السلام على غيره فلا يرد عليه، والبعض إذا سلمت عليه لا يرد السلام بمثلته وإنما بلفظ آخر، كأن يقول: بخير، هذه ليست تحية، التحية هي: السلام عليكم، وزدها هو: وعليكم السلام، أما (بخير) هذه فليست تحية وليس فيها أجر عند الله إطلاقاً، أما التحايا الأخرى المستوردة من الكفار، فهذه ليست من تحية الإسلام في شيء.

ومن وسائل المحبة بين المؤمنين كذلك: الاجتماع على الصلاة، صلاة الجماعة، فالمفروض كل مؤمن يحرص على حضور صلاة الجماعة حتى يشعر بدفع المودة والمحبة بينه وبين إخوانه.

ومن ذلك أن يخبر الإنسان المؤمن إخوانه المؤمنين بمحبته لهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ فَلْيَأْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ» [رواه أحمد]، وقال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فِي اللَّهِ فَلْيُعْلِمْهُ، فَإِنَّهُ أَبَى فِي الْأَلْفَةِ، وَأَثْبِتَ فِي الْمَوْدَةِ» (صحيح الجامع؛ برقم: [280]، حديث حسن).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي لِأَحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْلَمْتَهُ؟»، قَالَ: لَا. قَالَ: «أَعْلِمْهُ». قَالَ: فَلَحَقَهُ فَقَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُكَ أَبُو دَاوُدَ. فإذا كنت تحب إنساناً فأخبره بمحبتك وأظهر له مودتك، حتى يبادلك نفس المودة والمحبة، وبذلك تشيع المحبة بين المؤمنين، وتشيع الأخوة، وتشيع التراحم، وتشيع التعاون، وتشيع الشعور المتبادل بين الناس.

ومن هذه الوسائل: قيام المؤمنين لبعضهم البعض بحقوق الأخوة الإسلامية، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَاجِبْ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدْ اللَّهَ فَسَمِعْتَهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» [رواه مسلم].

وعن أبي عماره البراء بن عازب رضي الله

عنها قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسَمِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِقْشَاءِ السَّلَامِ. وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمٍ - أَوْ: خَتَمٍ بِالذَّهَبِ - وَعَنْ شَرْبِ الْبَلْفُسَةِ، وَعَنْ الْمِائِثِ الْخَمْرِ، وَعَنْ الْقَسْبِ، وَعَنْ لُبْسِ الْخَبَرِ وَالْإِسْتَبْرَقِ وَالْذِيَّاجِ» [متفق عليه]. ومنها كذلك: التَّوَارُّو والتَّجَالُّسُ والتَّجَالُّسُ في الله وإبتغاء مرضاة الله، عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَجِبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِي، وَالْمُتَجَالِّسِينَ فِي، وَالْمُتَوَارِّينَ فِي، وَالْمُتَبَادِّلِينَ فِي» [رواه مالك في الموطأ].

ترك ما يدعو إلى التباغض بين المؤمنين

ومن وسائل ثبات المحبة وتوثقها بين المؤمنين؛ أن يعرضوا عن كل ما من شأنه أن يفسد المودة بينهم ويؤدي إلى تسرب البغضاء والكراهية - تجاه بعضهم البعض - إلى أنفسهم، مثل السخرية والغيبة والنميمة والحسد وسوء الظن والتحسب والتجسس. قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَبَأَ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقَسُوفُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمُ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ وَإِنِ الْإِنْسَانُ لِرَبِّهِ لَكَنُورٌ [الحجرات: 11-12]. وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأَمَمِ قَلْبُكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلُقُ الدِّينَ» [رواه الترمذي وأحمد]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحْسَبُوا، وَلَا تَحْسَبُوا، وَلَا تَحَسَدُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» [متفق عليه]. وعن أبي هريرة، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «سُوسِيْبُ أَمْتِي دَاءُ الْأَمَمِ، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَا دَاءُ الْأَمَمِ؟ قَالَ: الْأَشْرُ وَالْبَطَرُ، وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّشَاحُنُ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّبَاغُضُ، وَالتَّحَادُّسُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ ثُمَّ الْهَرَجُ» [رواه الطبراني والحاكم]. إن الدين ليس كلاماً مجرداً أو دعاوى فارغة، ليس دعاوى، ليس مجرد عواطف في القلب، إنه سلوك واقعي وممارسة عملية.

فإذا كنت تحب الله فيجب أن يظهر حبك له في الواقع، وإذا كنت تحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي أن يظهر حبك له في الواقع، وإذا كنت تحب إخوانك المؤمنين، عليك أن تظهر هذا الحب في الواقع.

يتبع



في ظلال السنة النبوية الشريفة

شروط ضرورية لتذوق الحلاوة الإيمانية (4)

مروى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا كَرِهَ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ».



أ.د. مسعود فلسوي

المؤمن يكره الكفر

الخصلة الثالثة من الخصال المؤهلة لتذوق الحلاوة الإيمانية: «أَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ»، وفي رواية: «وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ». أي أن المؤمن الصادق لا يخطر في باله نهائياً أن يعود إلى الكفر، إطلاقاً، وحتى إذا خطر في باله هذا الأمر فلا يمكن أن تتفكر أن يتصور نفسه وقد أصبح في يوم من الأيام كافراً أو منقلباً إلى الكفر والعياذ بالله.

رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا يعطينا لفظة، يقول: «وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ» كما في الرواية الثانية.. الإنقاذ كيف يكون؟

عندما يكون إنسان على وشك التهلكة، أي مشرفاً على الهلاك، فيأتي من يأخذ بيده ويخرجه إلى بر الأمان هذا هو معنى الإنقاذ، إخراج إنسان مشرف على الضياع والهلاك من المأزق الذي وقع فيه والأخذ بيده إلى الأمان والسلامة. فذلك الكفر عبارة عن تهلكة، الكفر عبارة عن بئر عميقة لا قرار لها، الكفر عبارة عن بحر خضم هائج أمواجه متلاطمة لا يمكن للإنسان أن ينجو إذا بقي فيه.

هذه صورة الكفر، ولذلك فالإنسان المؤمن يعرف أن رب العالمين أنقذه من التهلكة، ويعرف معنى الإيمان، ومعنى أنه مؤمن وليس كافراً، يعرف أن الله أنقذه، يعرف أن الله أخذ بيده وسحب من حال الهلاك والضياع والغرق إلى حال السلامة والأمان والطمأنينة.

المؤمن يعرف معنى الإيمان، لأن الإيمان هو تعلق بالله عز وجل، هو تنعم بعبادته سبحانه وتعالى، هو عيش في رحاب الله عز وجل، هو شعور بالتواصل مع الله سبحانه وتعالى، هو إحساس بلذة الإيمان وبلذة العبادة وبلذة الطاعة وبلذة الذكر وبلذة مراقبة الله عز وجل وبلذة الخوف منه سبحانه وتعالى.

فالإيمان نعمة عظيمة ينعم الله عز وجل بها على من يشاء من عباده.

والدليل ما نراه في الدنيا، فليس كل الناس أعطاهم الله هذه النعمة، وليس كل الناس وفقوا لهذا الخير الذي هو الإيمان. فرب العالمين أنقذنا بهذا الإيمان وتفضل علينا بهذا الفضل، وعلينا أن نستشعره ونعرف قيمته.

بالضرر وبالمشقة فهو يصبر لله لأنه يعرف أن الله لم يقدر عليه هذا إلا وله فيه خير ومصلحة. ولذلك، قد تجد المؤمن فقيراً معدماً لا يملك قوت يومه، ومع ذلك تجده يستبشر ويقول: الحمد لله. تجد المؤمن مريضاً بداء عضال يعاني معه الأمل مبرحة، ومع ذلك عندما تسأله عن حاله يقول لك: نحن في رحمة الله.

من أين جاء هذا؟ من الإيمان. لكن عندما يكون الإنسان كافراً، تجده دائماً يشتكي، فإذا جاءه الخير من الله عز وجل تجده يتجبر ويتكبر لأنه لا يعلم أن هذا الخير من الله، وإذا جاءه الضرر تجده يشتكي ويبكي ولا يترك أحداً إلا واشتكى إليه أو مكاناً إلا واشتكى فيه، فهو يشكو ربه إلى الناس لأنه لا يعرف أن ذلك يمكن أن يكون خيراً بالنسبة له.

فرق كبير، إذن؛ بين المؤمن والكافر، المؤمن بآتيه البلاء فيحس معه بنعمة الله، أما الكافر فهو في كل الحالات يحس بالشقاء، لماذا؟ لأن الكافر لا يحس بالسند، لا يحس أن هناك من يسند في هذه الدنيا، حتى والديه وأولاده لا يثق فيهم، وعندما يحتاجهم لا يجدهم، وهذا أمر معروف ومشاهد في بلاد الكفر. ولأن الكافر يشعر أنه لا يوجد من يسند في هذه الحياة، فهو يشعر بنفسه أنه مجرد هباءة في مهب الريح، لا يطمئن لشيء، ولذلك تجده يلجأ إلى الخمر وإلى المخدرات وينغمس في المعاصي والمنكرات حتى يغطي ما يشعر به من خوف ومن ضياع وينسى الهموم التي تقض مضجعه وتزلزل كيانه.

الكفر أشنع أنواع الظلم

ثم إن الكفر ظلم، بل من أظلم أنواع الظلم، هو ظلم الله سبحانه وتعالى، الوجود كله يسبح بحمد الله، كل الكائنات تسبح بحمد ربه سبحانه وتعالى ماعدا الكافرين من الثقلين الإنس والجن فهم لا يريدون أن يسبحوا الله تعالى بل يتكبرون لحقه عز وجل عليهم، أليس هذا ظلماً؟ والكفر ظلم للنفس، فالإنسان عندما يكفر يكون قد أهان نفسه، فكيف ينتظر بعد ذلك الإكرام؟

الكفر إهانة للنفس، لأن الإنسان لا يجد كرامته إلا حين يعبد ربه، عندما يترك هذا الموقع يسقط في الإهانة، فيصبح مهاناً ومتعزلاً للإهانة.

الكون كله يتضرر من الكافر، فيسبب الكفر فساد الكون كله: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الروم: 41]، لأن الإنسان عندما يكفر سيرتك المعاصي، وكل معصية ترتكب تكون تشويهاً للكون وتشويهاً للبيئة. الكفر إفساد في كل شيء وتشويهاً لكل الحقائق وطمس لها، ولذلك المؤمن «يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

حتى لا تظهر، هذا هو الكفر. الكافر ماذا يخفي؟ ما هي الحقيقة التي يخفيها الكافر ويغطي عليها ويريد أن يطمسها؟ إنها الفطرة التي فطر الله عز وجل الناس عليها، والفطرة هي الإيمان الذي خلق الله عليه الإنسان.

عن مطرف بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي ضَعْفَاءَ حَقَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّمَا أَتَيْتُهُمُ الشَّيَاطِينَ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَشْكُرُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا...» [رواه مسلم]. فكل إنسان في أي مكان في هذا العالم، عندما يولد في هذه الدنيا، يولد مؤمناً، سواء ولد في بيت مؤمنين أو في بيت كافرين، ولكن الشياطين لم تتركهم على فطرتهم فسافت هذا إلى النصرانية، وقادت هذا إلى اليهودية، وجذبت هذا إلى المجوسية، وهكذا.

وفي الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجَّسِنَانِهِ» [رواه الشيخان].

فما من إنسان إلا ويولد مؤمناً، فالحقيقة هي حقيقة الإيمان بالله عز وجل، الحقيقة هي أن الناس كلهم فيهم الاستعداد للإيمان بالله عز وجل وعدم الكفر به، ولكن نتيجة التغطية التي تجري على هذه الفطرة، بالتربية، بالبيئة التي يوجد فيها الإنسان، بالمصاحبة، بما يعلم هذا الإنسان ويلقن، هذه الفطرة تغطي شيئاً فشيئاً حتى تنطمس، وهذا هو الكفر، الكفر هو تغطية الفطرة، الكفر هو طمس الاستعداد بالإيمان في قلب الإنسان، الكفر هو ستر الحقيقة عن عين الإنسان بحيث لا يراها فيتبع سبل الكفر ويبعد عن سبيل الصواب وسبيل الحق وهو سبيل الإيمان.

مظاهر احتراق الكافر في الدنيا

الكفر، إذن، هو تغطية للحقيقة وطمس للإيمان، الكفر سبب لاحتراق الإنسان في هذه الدنيا. أين ينشأ الميل إلى الانتحار في حياة الإنسان؟ ينشأ في ظل الكفر، الإنسان المؤمن لا يلجأ إلى الانتحار أبداً، لأنه يعرف أن كل ما يختاره له ربه عز وجل هو خير له، والحديث النبوي الشريف يقول: «عَجِبَا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهْ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهْ» [رواه مسلم]، لأنه يعرف أن كل ما يأتيه من الله عز وجل فهو خير له وهو مصلحة، ولذلك إذا جاءه ما يسره فهو يحمد الله عز وجل، وإذا جاءه ما يشعر معه

ولكي تعرف قيمة الإيمان والطاعة، عليك أن تتصور نفسك في حالة المعصية كيف تكون؟ فالإنسان يعرف قيمة نعمة الإيمان عندما يقارنها مع ما يكون فيه العصاة والضالون والمنحرفون. الإنسان، إذن إنقاذ من الله عز وجل للإنسان، ولذلك الإنسان المؤمن يكره بشدة أن يعود إلى ما كان عليه قبل أن ينقذه الله بالإيمان.

الكفر نار حارقة

النار تحرق، والإحراق أشد أنواع العذاب. المؤمن لا يقبل أن يرمى في النار، ولذلك لا يقبل أن يعود في الكفر، لأن الكفر نار. كما أن النار تحرق الجانب الحسي، الكفر يحرق الجانب المعنوي من حياة الإنسان.

الإنسان لماذا هو إنسان؟ بالإيمان، بالعيش في رحاب الله عز وجل، باتباع أوامر الله سبحانه وتعالى وترك ما نهى عنه. يحقق الإنسان إنسانيته عندما يحقق العبودية، لأن الله عز وجل خلقه ليعبده، فعندما يعبد الله يكون إنساناً على الحقيقة، وعندما يتخلى عن هذه المهمة ويعصي رب العالمين تغيب إنسانيته ولا يكون حينئذ إنساناً على الحقيقة، بل يكون مجرد كائن غافل عن مهمته وغافل عن حقيقته، فلا يعيش حقيقته كإنسان، لأن رب العالمين يقول: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: 56]، فمن لا يعبد الله لا يعتبر إنساناً على الحقيقة، وإنما يكون إنساناً حين يحقق وصف العبودية لله عز وجل.

الإنسان عندما يخرج عن إنسانيته يحترق، كالشيء الذي ترميه في النار فانت تحرقه، كذلك الإنسان حين يبتعد عن ربه عز وجل ويتبع الشيطان أو يتبع النفس الامارة بالسوء أو يخوض في شهوات الدنيا المحرمة فهو يحرق نفسه ويحرق شخصيته الإنسانية.

الكفر نار حارقة، ولذلك المؤمن لا يرضى لنفسه أن يحترق، خاصة الإنسان الذي جرب الكفر ثم أكرمه رب العالمين بالإيمان، هذا يعرف معنى الكفر ومعنى البعد عن الله عز وجل ومعنى أن يكون الإنسان تابعاً ذليلاً للشيطان، يعرف معنى ذلك كله، ولذلك يحس بأنه لما رجع إلى الله عز وجل ولما صار عبداً لله سبحانه وتعالى صار يحس بأنه ارتفع وصارت له قيمة ومكانة عالية، لأن الكفر حضيض والإيمان قيمة، ولا يقبل بالحضيض إلا السفلة الذين لا قيمة لهم والذين لا يشعرون بأهمية وجودهم في هذه الدنيا.

الكفر طمس للحقيقة

الكفر، إذن نار حارقة، لماذا؟ الكفر هو التغطية، هو الطمس، هو الإخفاء، فكلمة كفر في اللغة العربية معناها أخفى وطمس وستر وغطى الشيء حتى لا يظهر. فالكفر هو طمس للحقيقة، الحقيقة ظاهرة يريد الكافر أن يطمسها، فيأتي بغطاء يغطيها به



في ظلال السنة النبوية الشريفة

حقوق الأخوة بين المؤمنين¹

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ)، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَاجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدْ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعِذْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ) [رواه الأمام مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم من الإسلام، حديث رقمه: 4023].



أ.د. مودود فوسى

طبيعة العلاقات بين المسلمين

يتميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات البشرية، بنوعية العلاقات التي تربط بين أفرادها، تلك العلاقات التي لا تقوم على روابط النسب أو العرق أو البنية أو القبيلة، وإنما تقوم على أساس المبدأ الذي يدين به هذا المجتمع، ألا وهو الإسلام والإيمان.

فالمسلمون جميعاً إخوة، بمقتضى كونهم مسلمين، مهما تباعدت بهم الديار ومهما فرقته الأوطان ومهما تنوعت بهم الأعراق والأجناس، وهذا ما قرره الحق سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم، حيث قال جل جلاله: ((أَنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) [الحجرات: 10].

وقد وصف الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام طبيعة العلاقة التي تربط بين المسلم وأخيه المسلم، فبينها بالبنات التي لا يمكن لواحدة منها أن يعلو بها بنیان، ولكنها مجتمعة قد يرفع بها بنیان سامق أو صرح شامخ. فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنَانِ يُشَدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا))، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ [صحيح البخاري]. وهكذا، فالمؤمنون قلوبهم على بعضهم البعض، يفرح المؤمن لفرح أخيه وحزن لحزنه، يسعد بما يسعد ويألم بما يؤلم. وهذا ما يؤكد حديث الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مِثْلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاهُمُ وَتَرَاهُمْ وَتَعَاطَفُهُمْ مِثْلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى)) [صحيح مسلم].

إنه لتصور رائع وقيق يكشف عن مكانة المؤمن في قلوب إخوانه المؤمنين، وبيرز نوعية المشاعر التي تجمع بين قلوب أهل الإسلام والإيمان، ويظهر صورة المجتمع حين تسوده العقيدة الإسلامية وتصيب العلاقات بين أفرادها وفتاته. والحق أن هذه الصورة لا يمكن أن تتحقق، وهذه المشاعر الإيمانية لا يمكن أن توجد في الواقع إلا حين يؤدي كل مؤمن واجبه في إطار المجتمع المسلم، فيعيش في هذا المجتمع قائماً بواجباته مراعياً لحقوق غيره، مدركاً بأن الإسلام معاملة اجتماعية إلى جانب كونه اعتقاداً قلبياً.

وحتى تتحقق الأخوة الإيمانية بين المسلمين، فلا بد أن يؤدي كل منهم واجبه تجاه إخوانه فيحفظ لإخوانه حقوق الأخوة ويؤديها لهم كاملة غير منقوصة.

حديث جامع

وهذه الحقوق هي التي يجمعها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ)،

قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَاجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدْ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعِذْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ).

يحدد لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أهم حقوق الأخوة الإسلامية، ويشير إلى العلاقات التي يجب أن تسود بين المؤمنين حتى تأتلف قلوبهم على المودة والمحبة، وتتوافق مشاعرهم على التراحم والتعاون فيما بينهم. وهي حقوق بسيطة في صورتها، ولكنها عظيمة في معانيها، عقيقة في مدلولاتها، شديدة التأثير في نفوس المؤمنين وفي ريب العلاقات بينهم. وهي على الرغم من سهولة القيام بها، إلا أننا كثيراً ما نستعين بها ولا نقوم بحقها ولا نؤديها لبعضنا البعض، مما جعل العلاقات بين المسلمين يسودها الغفور واللامبالاة، بل كثيراً ما نتعرض للانقطاع.

وهكذا، فبدلاً من أن يعطي المسلمون المثل في التأخي والتعاون والتأزر في السراء والضراء، صاروا يعطون المثل في التحاسد والتباغض والتقاتل، كل ذلك بسبب استهانتهم بحقوق الأخوة الإسلامية وعدم حرصهم على القيام بها تجاه بعضهم البعض، ناسين أو متناسين أن هذه الحقوق جزء لا يتجزأ من الإيمان وركن ركين من أركان الإسلام.

الحق الأول: إفشاء السلام

(إذا لقيته فسلم عليه): هذا أول حقوق الأخوة الإسلامية؛ أن يحيي المسلمون بعضهم بعضاً بتحية الإسلام، وهي (السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته)، وأن يرد بعضهم على بعض التحية (وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته).

والحق أن التحية بالسلام هي أفضل التحايا، لأن فيها إشعاراً للمحيي بأنه في أمان وسلام وأطمئنان وأنه لا ينبغي أن يخشى أي خطر من أخيه ولا أن يتوجس في نفسه أي خيفة منه. وكذلك في رد السلام طمأنينة للمحيي بأن من حيّاه ببداية نفس الشعور، ويؤكد له أنه هو الآخر لا يحمل له أي حقد أو ضغينة وليس له في قلبه إلا كل مودة ومحبة واحترام. وحين تنتشر التحية بالسلام في المجتمع المسلم تسوده الطمأنينة ويشعر الناس بالأمان على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، فتسود بينهم مشاعر المودة والمحبة. عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلُمُوا)) [مسند أحمد].

لذلك كان إفشاء السلام من خير أعمال الإسلام، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (تَطْعَمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) [صحيح البخاري].

والرجل المؤمن المخلص الذي يحرص على إفشاء السلام وبذله لكل من يتوسم فيه الإيمان والإسلام، عرفه أم لم يعرفه، هذا الرجل هو أحب الناس إلى الله عز وجل وأقربهم إليه، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمُ بِالسَّلَامِ)) [سنن ابن ماجه].

فالسلم هو رسول المحبة والرابط الذي يوثق مشاعر الأخوة الإيمانية بين المسلمين ويرتقي بهم إلى الدرجة التي يستحقون معها أن يكرمهم ربهم

سبحانه وتعالى بجنته ورضوانه. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَّلَ أَدْلَكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابُّتُمْ)) [أفشوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ] [صحيح مسلم].

إن الابتداء بالسلام بين المسلمين سنة مؤكدة، ولكن رده فرض واجب لا يُعذر بتركه، فقد قال سبحانه وتعالى وقوله الحق: ((وَإِذَا حِيلْتُمْ بِخِثَّةٍ فَعُولُوا بِأَحْسَنِ مَنَآ أَوْ رُؤُوسًا)) [النساء: 86].

وإنه لمؤسف حقاً أن يشيع بين المسلمين التهاون في شأن السلام، فكثير منهم لا يلقون هذه التحية معتبرين ذلك دليل التقدم والتطور والانفتاح على الآخرين، كما أن كثيرين منهم يستكفون أن يردوا السلام إذا حيّوا به، معتبرين من يلقيه عليهم متخلفاً أو متطرفاً لا يستحق أن ترد تحيته. وهو ما أدى إلى أن تنتشر بين المسلمين أسباب الشقاق، وأن تنقطع العلاقات بينهم، وأن تعشش الآفات الاجتماعية في المجتمع المسلم.

الحق الثاني: إجابة الدعوة

ما أكثر الولائم في مجتمع المسلمين، بمناسبة زواج أو نجاح أو ولادة أو ما إلى ذلك، ومن العادة أن يدعو المسلم بعض إخوانه المسلمين إلى وليمته، ويسر كثيراً أن يجيبوا دعوته ويدخلوا بيته ويتناولوا

من طعامه، إنه حينئذ يشعر بأهميته في نفوسهم وقيمته في قلوبهم، فيزداد حبه لهم وتعلق بهم. والحق أن المسلم لا يدعو أخاه المسلم لدخول بيته وتناول طعامه إلا إذا كان يحبه ويحترمه ويحرص على مودته، ولتتمت هذه الروابط وتوثق هذه العلاقات بين المؤمنين، وترسيخاً لمشاعر المودة والمحبة بينهم، حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين على أن يجيب بعضهم دعوة بعض، وتشجع على من يرفض إجابة الدعوة أو يستعين بها، معتبراً ذلك سلوكاً يغضب الله عز وجل ودليلاً على نقص الإيمان في قلب المدعو، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيْمَةِ فَلْيَأْتِهَا) [أخرجه البخاري ومسلم].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيَجِبْ، فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ)) [صحيح مسلم].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيْمَةِ يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيَتَرَكُ السَّكَاةُ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ)) [موطأ مالك].

لذلك كان كمالاً أن إجابة الدعوة دليل المحبة والاحترام والتقدير، فإن عدم إجابتها بلا عذر ولا سبب معقول دليل على استهانة المؤمن بأخيه المؤمن وعدم شعوره بقيمته، بل وإحقاره له في نفسه. ولا شك أن شعوراً كهذا محرم شرعاً ومما يغضب الله عز وجل ويسخطه على عبده، وهو دليل على ضعف الإيمان في قلبه وعدم مراقبته الله عز وجل وعدم خشيته له. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى يَبِيعَ بَعْضٍ وَكُونُوا

عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْلَعُهُ وَلَا يَحْقَرُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُسْبِرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقَرُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَقُوَّةُ، وَلِذَلِكَ فَيُؤْخَرُ حَرِيصٌ عَلَى مَا يَرْبِطُهُ بِهِمْ، دَائِبٌ وَعَرَضُهُ)) [صحيح مسلم].

إن المسلم المخلص لربه عز وجل، الصادق في إيمانه، لا يرى لنفسه فضلاً على إخوانه المؤمنين، بل إنه يرى نفسه ألقهم شأناً وأدناهم مكانة وأضعفهم قوة، ولذلك فهو حريص على ما يربطه بهم، دائب فيما يقوي علاقته بإخوانه.

الحق الثالث: بذل النصيحة

لا يستطيع الإنسان أن يدرك وجوه الخير والفضل كلها بنفسه، ولا يكفّر النقص في غيره ممن يسترشد برأيه ويستهدي بتوجيهه، خاصة فيما لا علم له به أو ما ليس له به سابق خبرة.

لذلك إن الناس تفاوتت مداركهم وتتنوع مراتبهم في المعرفة بالنصح والبشارة بالواقع، وقد يكون لدى بعضهم من الاطلاع ما ليس لدى البعض الآخر، ولذلك يحتاج بعضهم إلى مشورة بعض فيما يتخذونه من قرارات أو ما يسلكونه في الحياة من مسالك.

والمؤمن بحاجة ماسة إلى إخوانه المؤمنين في كل ما يسلكه في الحياة وما يقرره من قرارات، ولذلك فهو يتوجه إلى إخوانه المودة ملتصقاً منهم التوجيه إلى أفضل السبل وأحسن المسالك وأفضل القرارات.

وحين يتوجه المؤمن إلى أخ له يطلب منه النصيحة، فذلك دليل على ثقته فيه ومحبته له وشعوره بأنه يبادهل هذه الثقة وبأنه سيخلص له في النصيحة ويبدل له ما يملك من رأي وخبرة ومعرفة **فَلْيَقُولْ لِحَبِيبِهِ**

لذلك كان من واجب من طلبت منه النصيحة أن يكون في مستوى الثقة التي وضعها فيه أخوه المؤمن، فيستقرغ وسعده وطاقته في قلب الأمر على وجوهه، ويخلص في أن يشير عليه بما سيصير به على نفسه لو كان هو في مكانه، فالمؤمن الصادق هو من لا يميز أخاه عن نفسه، بل ربما يدل له ما لا يبذله لنفسه، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَجِبَ لِأَخِيهِ مَا يَجِبُ لِنَفْسِهِ)) [صحيح البخاري].

إن نصيحة المؤمنين، والرغبة في تحقق الخير لهم، وكراهية أن يلحق بهم الشر والضرر، صفة من صفات المؤمنين وعلامة من علامات صدق الإيمان. كما أن عدم الرغبة في أن يلحق الخير بالمؤمنين والحرص على إلحاق الشر بهم، شعور لا ينطوي عليه قلب مؤمن صادق، لأن من كان قلبه متعلقاً بهذه المشاعر فلا شك أنه منافق كاتب في دعوى الإيمان.

عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الَّذِينَ النَّصِيحَةُ)) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: ((لِللَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَمَّةٍ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)) [صحيح مسلم].

وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِتْيَانِ الزَّكَاةِ وَالنَّصِيحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ [صحيح البخاري].

يُنَبِّع

الإشهار : الوكالة الوطنية للنشر والإشهار / 01 شارع باستور - الجزائر.

الطباعة : مطبعة الوسط الجزائري.

رقم الحساب البنكي لجريدة البصائر : البنك الوطني الجزائري

وKAB : 001006200200650061 / 41

سعر العدد : 300.00 ج

العنوان : 17 شارع محمد مربوطوش - حسين داي - الجزائر .

سحب العدد السابق : 6600

التحرير :

الهاتف والفاكس :

023.73.85.05

الإدارة :

الهاتف والفاكس :

023.73.86.84

023.73.85.11

سكرتير التحرير :

أ. عبد القادر قلاتي

المدير التقني :

أ. مصطفى كروش

مدير التحرير :

أ. ياسين مبروكي

المدير مسؤول النشر :

رئيس التحرير

أ.د. عبد الرزاق قيسوم

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

البصائر

لسان حال جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين

التوزيع : الوسط : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين : 0660.73.28.55 *** الشفرة : KDP 031.92.49.48 ***

هيئة التحرير غير ملزمة بتبرير عدم نشر المقالات المرسلة إليها.

في ظلال السنة النبوية الشريفة

حقوق الأخوة بين المؤمنين²

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ)؛ قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَاجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَسْجَلَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدْ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرَّ مِنْ قَعْدَةٍ، وَإِذَا مَاتَ فَأَتْبَعْهُ) [مرآة الأئمة، مسند أبي بصير، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم مرد السلام، حديث رقم: 4023].



أ.د. سعد فلوسي

الحق الرابع: تشميت العاطس:

المؤمن لا يستتفك أن يفعل الخير مهما كان قليلا، ومهما كان العمل الذي يقوم به بسيطا، المهم أن يكون في ذلك ما يرضي الله عز وجل ويفرح رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم. ومن هذا القبيل: تشميت العاطس، فهو عمل بسيط جدا، إلا أن الشارع الحكيم طلبه من المؤمنين وحثه على القيام به، وناط به الأجر والمثوبة.

والتشميت، معناها: الدعاء بالخير والبركة.

وتشميت العاطس؛ الدعاء له أن لا يقف موقفاً يشمت به فيه. وأفضل صيغة للتشميت شرعا، أن يقال له: يرحمك الله.

وقد حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تشميت العاطس، معتبرا ذلك حقا لكل مؤمن علي أخيه المؤمن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب العاطس وكبره التثائب، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سماعه أن يشمته، وأما التثائب فإنما هو من الشيطان فليرده ما استطاع فإذا قال ها ضحك منه الشيطان) [صحيح البخاري].

ولا شك أن دعاء المسلم لأخيه بالرحمة هو من خير الدعاء، وهو دليل على أنه يحب له الخير ويرجو له الرحمة من الله عز وجل.

لكن الشرط الوحيد لتعلق هذا الحق بركة المسلم تجاه أخيه؛ هو أن يسمعه يقول الحمد إذا عطس، فإذا لم يقل ذلك فلا يجب عليه أن يشمته، بل لا يسن ذلك أصلا، فعن أبي بردة قال: دخلت على أبي موسى وهو في بيت بنت الفضل بن عباس فعطست فلم يشمته، وعطست فشمته، فرجعت إلى أمي فأخبرتها، فلما جاءها قالت: عطست عندك ابنتي فلم تشمته وعطست فشمته، فقال: إن ابنتك عطيت فلم يحمد الله فلم تشمته وعطست فحمدت الله فشمته، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمته فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه) [صحيح مسلم].

غير أن واجب النصيحة يقتضي من المؤمن أن ينبيه أخاه إلى ضرورة حمد الله عز وجل حتى يشمت فينال بذلك بركة دعاء إخوانه، وذلك لأنه ليس كل من لم يحمد الله عز وجل بعد العطاس فعل ذلك متعمدا، فلعله نسي أو لا يعرف ذلك بالمرّة.

وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العبارات التي ينبغي أن يتبادلاها المؤمنون عند عطاس أحدهم وتشميت الآخرين له، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا عطس أحدكم فقل: الحمد لله، وليلق له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا

قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم) [صحيح البخاري].

الحق الخامس: عيادة المريض:

المرض حالة ضعف طارئة تنتاب الإنسان، وتجعله يشعر بالعجز وعدم القدرة على فعل ما كان يفعله حين كان بموهور صحته وكامل عافيته.

ولذلك فإن المريض عادة ما يحتاج إلى من يساعده ويعينه في قضاء حاجته. وقد يكون هذا المريض فقيرا لا يجد مالا يشتري به الدواء لنفسه، أو لا يجد ما يعول به أهله وعياله إن أوقفه المرض عن عمله.

لذلك كانت عيادة المريض من أهم الحقوق التي ينبغي على المسلم أن يؤديها لإخوانه المسلمين، وهي عند جمهور العلماء سنة مؤكدة، وقيل بل واجبة مرة واحدة على الأقل.

ذلك أن عيادة المريض من شأنها أن تشعره بأهميته عند إخوانه وتجعله يحس أن مرضه لم يسقط من مكانته ولم يذهب بحبته من نفوس إخوانه، ثم إن عيادة المريض تنبج لمن يزوره أن يطلع على أحواله ويعرف ما يحتاج إليه، فلهذه حاجة إلى المال فيعينه به، ولعله يحتاج إلى من يقضي له حاجة من حوائج الدنيا فيفقيدها له.

لذلك أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيادة المريض وعدم التأخر عن تفقد أحواله، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أطعموا الجائع وعوضوا المريض وفكروا العاني) [صحيح البخاري، والعاني هو الأسير].

إن عيادة المريض إلى جانب ما تتركه في نفسه من أثر طيب، وما تنتجه من توثيق لروابط المودة والمحبة بين المريض وإخوانه المؤمنين الذين لا يتأخرون عن عيادته وتفقد أحواله، إلى جانب ذلك لها أهمية عظيمة في الدين، وقد أقر الله عز وجل لمن يقوم بحق عيادة المريض أجر عظيم وثوابا جزيلا، قال علي رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من مسلم يعوذ مسلما غداة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن عاد غداة عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح) [صحيح مسلم].

وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل من نفسه، فكان يزور من يمرض من أصحابه، ويدعو لهم بالشفاء ويطبب خواطرهم ويوصيهم بتقوى الله عز وجل والصبر على ما يجدونه من آلام، رغبة فيما عند الله من الأجر والثواب.

عن عائشة بنت سعد أن أباهما قال اشكيت بكم فجاءني النبي صلى الله عليه وسلم يعوذني ويضع يده على جبهتي ثم مسح صدري ويطني ثم قال: (اللهم اشف سعاد وأتمم له هجرته) [سنن أبي داود].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أعرابي يعودته قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل على

مريض يعوده فقال له: (لا تأسن طهور إن شاء الله) [صحيح البخاري].

ولا شك أن المسلم الذي لا يؤدي لإخوانه هذا الحق، ولا يعبره أي اهتمام، إنما يدل بذلك على نقص إيمانه وضعف نداء الأخوة الإيمانية في قلبه، وهو لا محالة متعرض للوم من قبل الشارع الحكيم، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعوذك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أني عذيتي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عذده؟) [صحيح مسلم].

هذا وإن عيادة المريض لا تنفع المريض فحسب، وإنما تنفع العائد له أيضا؛ فالصحيح الذي يزور مريضا ويرى حاله من الضعف والوهن وعدم القدرة على أداء وظائفه المعتادة، يستشعر نعمة الله عز وجل وفضله عليه بالصحة والعافية والسلامة من الأمراض، فيحمد الله عز وجل على العافية ويستعيد به من المرض والضعف، ويرى في نفسه أنه ضعيف لولا فضل الله عليه، ذلك أن مشكلة الإنسان الكبرى في هذه الدنيا هي النسيان الذي يدعوه إلى الطغيان، كما قال الله تعالى: ((كل إن الإنسان لطيفي. أن رآه استغنى)) [العلق: 6-7]، هذا الطغيان يتزاحم ويتنافس عندما يدرك الإنسان أنه لا يملك من الصحة وثيقة إلا ما منحه الله عز وجل وتفضل به عليه.

الحق السادس: تشييع الجنازة:

إن حق المسلم على أخيه لا يتوقف عند حدود العلاقات الدنيوية، والروابط بينهما ليست روابط مصلحية خاصة للظروف والمتغيرات، إنها علاقة حميمة لحمتها وسداها طاعة الله عز وجل والمقصود منها مرضاته سبحانه وتعالى، ولذلك فإن علاقة المسلم بإخوانه لا تنقطع بموت أحدهم، إنها تبقى ممتدة مشفرة موصولة حتى بعد الموت.

وكما أن المؤمن بحاجة إلى أخيه وهو يعيش في هذه الدنيا، فهو كذلك بحاجة إليه وهو يغادر هذه الحياة ويرتحل إلى ربه عز وجل، إنه بحاجة إليه وهو يعاني سكرات الموت إذ المطلوب منه أن يحرص على تلقينه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) [صحيح مسلم].

وهو محتاج إليه بعد أن يفارق الحياة، وذلك عند تجهيزه وتكفينه.

وهو محتاج إلى دعائه له عند الصلاة عليه، فيسأل الله عز وجل له الرحمة والمغفرة والتجاوز عن ذنوبه وخطاياه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا صليت على الميت فاخلصوا له الدعاء) [سنن أبي داود]. وعن عوف بن مالك رضي الله عنه يقول: «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: (اللهم اغفر له وارحمه واقفه وأغفر عنه وأكرم نزهه ووسع مدخله وأغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب

الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجته وأدخله الجنة وأعدته من عذاب القبر أو من عذاب النار)، قال: حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت» [صحيح مسلم].

ثم هو محتاج إليه بعد أن يشيع إلى مثواه الأخير، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفّعهم الله فيه) [صحيح مسلم].

وفي اتباع الجنازة خير عظيم وثواب جليل عند الله عز وجل، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من تبع جنازة مسلم أخشابا وكان معها حتى يصلى عليها وفزع من كفنها فإنه يرجع من الأجر بقراطين كل قيراط مثل أحد. ومن صلى عليها ورجع قبل أن تنفخ فيه يرجع بقيراط) [مسند أحمد].

وكذلك هو محتاج إليه بعد أن يتم دفنه، إذ المطلوب منه أن يسأل الله عز وجل له الثبات عند السؤال. فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: (استغفروا لأخيكم وسلوا له بالثبوت فإنه الآن يسأل) [سنن أبي داود].

وهو بعد ذلك يظل بحاجة إلى دعائه واستغفاره له كلما ذكره ما دام في هذه الحياة، قال سبحانه وتعالى: ((والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)) [الحشر، الآية: 10].

خاتم

تلك هي حقوق الأخوة الإسلامية، وهي حقوق لا يحتاج المؤمن لأدائها لإخوانه المؤمنين إلا أن يلزم نفسه بها، ويحرص على فعلها في كل فرصة سانحة، فهي لا تكلف مالا ولا جهدا، ولا تنتج لفاعلا مشقة ولا حرجا. إلا أنها مع بساطتها ذات قيمة عظيمة، وتأثيرها في واقع المجتمع الإسلامي لا ينكر، إذ يساهم بتبادل بين المؤمنين في توثيق الروابط بينهم وترسخ مشاعر المودة والمودة والأخوة في قلوبهم.

وهو تتسع هذه الحقوق بين المؤمنين ويؤديها بعضهم لبعض ويحرص كل منهم عليها، تتحقق الأخوة الإيمانية بينهم كما يريد لها بهم سبحانه وتعالى، ويستحق ثقلانها نموذج المجتمع المسلم الذي يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتلاشى مظاهر التناحر من واقع المسلمين، وتذهب مشاعر التباغض والتحاسد والتنافس من قلوبهم.

حينئذ فقط ستعود للمسلمين هيبتهم، وتستشعر الأمم الأخرى قيمتهم، فحرص على كسب ودهم وانقاء بأسهم. أما إذا ظلوا على ما هم عليه اليوم من تنافس وتباغض وتصارع على الدنيا وشهواتها ومغرياتنا فلن تكون لهم في هذه الحياة قيمة ولن يحترمهم في هذا العالم أحد، مصداقا لقول الحق سبحانه: ((واطيعوا الله واطيعوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)) [الأنفال: 46].

الإشهار: الوكالة الوطنية للنشر والإشهار/ 01 شارع باستور - الجزائر.

الطباعة: مطبعة الوسط الجزائري.

رقم الحساب البنكي لجريدة البصائر: البنك الوطني الجزائري

ووكالة زغوت يوسف: 001006200200650061/41 RIB

سعر العدد: 30.00 دج

العنوان: 17 شارع محمد مبروش - حسين داي - الجزائر.

سحب العدد السابق: 6600

التحرير:

الهاتف والفاكس: 023.73.85.05

الإدارة:

الهاتف والفاكس: 023.73.86.84

023.73.85.11

سكرتير التحرير:

أ. عبد القادر قلاتي

المدير التقني:

أ. مصطفى كروش

مدير التحرير:

أ. ياسين مبروكي

المدير مسؤول النشر:

رئيس التحرير

أ. د. عبد الرزاق قسوم

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

التوزيع: الوسط: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 0660.73.28.55 *** الشقة: KDP 031.92.49.48 ***

هيئة التحرير غير ملزمة بتبرير عدم نشر المقالات المرسلة إليها.

حقوق الطريق في المجتمع المسلم

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَاكُمْ وَالْجُلُوسُ فِي الطَّرِيقَاتِ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بِدُنْ مِنْ مَجَالِسِنَا تَحَدَّثَتْ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَإِذَا أَتَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ). قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: (غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ) [رواه بهذا اللفظ الإمام مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، رقم: 3960. وهو كذلك في صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، رقم: 5761. وفي سنن أبي داود، كتاب الأدب، رقم: 4181].



أ. د. مسعود فوسى

الطريق مرفق مشترك

الطريق مرفق اجتماعي عام يشترك جميع أفراد المجتمع في استعماله والاستفادة منه، فهذا يسلكه إلى عمله، وهذا يتجه من خلاله إلى دراسته، وهذا يذهب منه إلى السوق لقضاء حاجاته، فكل فرد من أفراد المجتمع يحتاج إلى الطريق في كل يوم من أيام حياته، ويرجو دائما أن تكون الطريق آمنة ميسرة لا يتعرض فيها لأذى، ولا يعترضه خلال سيره عليها ما ينغص عليه يومه أو يهدد أمنه أو يفسد طمأنينته. وما دامت الطريق مشتركا اجتماعيا، فمن الطبيعي ألا يتولى أحد من أفراد المجتمع الاستحواذ عليها أو اعتراض مرور الآخرين عليها أو التسبب لهم فيما يجعلهم غير آمنين في أثناء سيرهم عليها.

ونظرا لحاجة الناس الماسة لاستعمال الطريق وحاجتهم إلى الشعور بالأمن والطمأنينة أثناء سيرهم عليها، يأتي هذا التوجيه النبوي الحكيم ليرشد المؤمنين إلى استعمال الطريق في المرور عليها، وعدم الوقوف أو الجلوس فيها، لأن الوقوف أو الجلوس يعني اعتراض الآخرين أو التسبب في شعورهم بعدم الأمان.. وقد جاء هذا التوجيه بصيغة التحذير الشديد (ياايكم والجلوس في الطرقات)، لئلا على خطر هذا السلوك وأثره في عدم استقرار المجتمع، لما يسببه لدى أفرادها من شعور بالخوف وعدم الأطمئنان.

فالأصل في المؤمن، إذن، أن يتخذ الطريق مسلكا إلى مقصده لا غير، فهو إما ذاهب من خلالها لقضاء مصالحه أو عائد عليها إلى بيته، دون أن يتخذ منها مجلسا أو موقفا. إلا أن ظروف الحياة وحاجات العيش ومقتضيات العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع، قد تفرض على الإنسان في يوم من الأيام أو ربما في كل يوم أن تكون له وقفة في الطريق أو مجلس على جانبها. وهو ما تسأل عنه الصحابة الكرام حين قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مالنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها.. في هذه الحالة يوجب الرسول صلى الله عليه وسلم على المؤمن أن يتحلى بأدب الإسلام ويحرص على الوفاء للطريق بحقه..

وحقوق الطريق كما بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، أربعة، هي: (غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

الحق الأول: غض البصر

المؤمن مطالب دائما بغض بصره وكف نظره عما حرم الله عز وجل، في كل الأحوال، قال تعالى: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَنْصَابِهِمْ وَحِفْظُوا فِرْجَهُمْ ذَلِكَ أَرْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَبِيرُ الْعِلْمِ) [النور: 30]. وقال عز وجل: (لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا دُعِيَ لَكُمْ بِهِ فَلْيَبْذُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَكُونُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا دُعِيَ لَكُمْ بِهِ فَلْيَبْذُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَكُونُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا دُعِيَ لَكُمْ بِهِ فَلْيَبْذُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)

إلا أن هذا الأمر يزداد تأكيداً في الطريق العام، لأن وقوف الإنسان في الطريق أو جلوسه على جانبها من شأنه أن يلفت إلى الاهتمام بالآخرين والانتباه إليهم، وعدم غض البصر في الطريق أو الجلوس على جانبها لمصره

سيؤدي لا محالة المارين من غادين ورائحين، ويسبب لهم الأذى ويشعروهم بعدم الطمأنينة. والأمر بغض البصر هنا ليس مقصورا على النظر إلى المحرمات فحسب، وإنما أيضا النظر إلى ما لا يعني، لأن المارين دائما ليسوا بالضرورة نساء يؤمر الرجل بغض النظر عنهن، وإنما قد يكون المار رجلا يحمل شيئا ولا يريد أن يطلع عليه الآخرون وخاصة إذا كانوا من معارفه، ونظر الواقفين في الطريق إليه يجرجه. ويزداد الأمر سوءا لو أن الواقف على الطريق سأل هذا الرجل عما يحمله، فربما أدى ذلك إلى الخصومة بينهما والنزاع الذي ينتهي إلى ما لا تحمد عقباه.

وإنه ليوَسِّفنا أن نسلج ما يعانينه مجتمعنا من خلل في هذا الجانب، فقد أدى عدم التزام المسلمين بهذا التوجيه النبوي الشريف إلى تقطع العلاقات الاجتماعية وفساد ذات البين وإحساس الأفراد بعدم الأمان وهم يسيرون في الطرقات ذاهبين منها إلى أعمالهم ومصالحهم أو عائدين منها إلى بيوتهم.

ولا شك أنه منظر مقرف ويثير التقرُّز، منظر الكثير من الشباب وهم يقفون على نواصي الطرقات أو في أبواب الثانويات والجامعات، لا لشئ إلا ليعترضوا طريق النساء ويحترشوا بهن ويتسببوا لهن في الإحراج والضيق. وهو كذلك منظر مقرف؛ منظر أولئك الذين يقفون على أبواب العمارات، بمعون النظر في كل داخل إليها أو خارج منها، يستطلعون إلى أين يذهب ومع من يذهب إن خرج من العمارات، ومع من عاد وماذا يحمل في يده إن دخل إلى العمارات. وغير ذلك من المظاهر السيئة التي يزعج بها مجتمعنا.

الحق الثاني: كف الأذى

والأذى المنهي عنه؛ هو كل ما قد يتسبب للغير في الحرج والضرر، ماديا كان أو معنويا. والواقع أن الوقوف في الطريق أو الجلوس على جانبها بلا سبب، هو بحد ذاته مدعاة لإذلاء الآخرين والتسبب لهم في الحرج والضيق. لذلك كان من حق الطريق على من يقف فيها؛ أن يكف أذاه عن الناس.

فهو في أثناء وقوفه لا ينبغي أن يشتغل بغير مصلحته، فإذا ما قضاه وجب عليه الانصراف والسير في حال سبيله دون اهتمام بما لا يعنيه. ذلك لأن الوقوف في الطريق بغير مصلحة، لابد أن يجعل الإنسان يهتم بما يراه ويلاحظه على المارين، وربما دعاه ذلك إلى التعليق على هذا والضحك على ذاك، وتعبير هذا والتشجيع على ذاك، ولابد لمن كان هذا حاله أن يصطدم بالآخرين ويتخاصم معهم، ويشتبك معهم في منازعات وخصومات لا مبرر لها ولا طائل من ورائها، ونتيجتها في النهاية تقطع أواصر المجتمع وتمزق شبكة العلاقات الإنسانية بين أبنائه.

وقد توعد الله عز وجل من يؤذي المؤمنين ويتسبب لهم في الحرج والضيق بالعقوبة الصارمة، في قوله عز من قائل: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا وَكُفْرًا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) [الأحزاب: 58]. ومن صور الأذى التي يترفعها الواقفون في الطرقات أو الجالسون على جنباتها في حق المؤمنين؛ سوء الظن بهم، والتجسس عليهم، واعتيايهم، وكليهما أمر منهني عنها، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنْ

الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم مِّمَّا بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْنَاهُ وَإِنَّمَا الْإِنَّمَا لَكُمْ فِي الْأَعْيَانِ مَا عَمِلْتُمْ فِيهَا فَتَوَّابٌ عَلَيْهِمْ غَثِ لَكُمْ فِي ظُحَاهِ إِنَّهُم قَدْ جَاءُوا بِعِدَتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْبَاسِ أَتُحَدَّثُونَ بِهِ فَإِنْ أَخْبَرُوا بِالْغَيْبِ لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهَا شَيْئًا وَالَّذِينَ لَا يَشَاءُونَ الْعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ) [النور: 12].

وقال صلى الله عليه وسلم: (يَاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْخَبَرِ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَخَابَسُوا وَلَا تَخَابَسُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ [إِخْوَانًا] [صحيح البخاري]).

الحق الثالث: رد السلام

رد السلام واجب مفروض شرعا، من تركه كان أشأ بسبب مخالفته لأمر الله عز وجل في قوله سبحانه وتعالى: (وَإِذَا جِئْتُمْ بِحَيَّةٍ فَخَبُّوا بِحَسَنٍ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) [النساء: 86]. والذي لا يرد السلام



عاص غير ممثل لأمر الله عز وجل في هذه الآية الكريمة. ولا شك أن من شأن الواقف في الطريق أو الجالس على جانبها أن يمر عليه الناس فيلقي عليه بعضهم السلام، فهو مطالب عند كل تحية بالرد على صاحبها، ولو تكررت عليه التحية ألف مرة لكان مطالبا بردها ألف مرة كذلك.

لكن الملاحظ أن كثيرا من الناس يردون مرة أو مرتين ثم يملون من رد السلام فيفكرون ويتجاهلون كل سلام يلقي إليهم بعد ذلك. وهذا السلوك إلى جانب أنه يسخط الله عز وجل، يؤدي كذلك إلى انتشار العداء والبغضاء والأحقاد بين المؤمنين، لأن من يلقي السلام على رجل يعرفه، ثم يفاجأ به يتجاهله ولا يرد على تحيته، لا محالة سيؤثر ذلك في نفسه، وسيجعله يتخذ منه موقفا سلبيا، وهكذا شيئا فشيئا تنتشر البغضاء وتشيع الأحقاد التي لا مبرر لها ولا داعي إليها.

لذلك كان رد السلام واجبا، وكان عدم رده إثما ومعصية، فإذا ما أراد المؤمن أن ينجو من هذا الإثم ولا يقع في هذه المعصية، فما عليه إلا أن يقلل من الوقوف في الطرقات، ويحرص على الانطلاق إلى عمله أو قضاء حوائجه أو يعود إلى بيته أو يزور أقاربه وذوي رحمه، أو يذهب إلى المسجد لعبادة ربه، فذلك أنفع له في الدنيا وأنجى له في الآخرة.

الحق الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الواقف في الطريق أو الجالس على جانبها، لا محالة يسير من الناس تقصيرا في بعض المسائل التي لابد من القيام بها، أو يرى منهم اعتداء على بعضهم أو إفسادا وإضرارا بحق مسلمة من المصالح العامة للمجتمع.

وهو إذا رأى شيئا من ذلك، كان من الواجب عليه أن يأمر بالمعروف في الحالة الأولى، وينهي عن المنكر في الحالة الثانية. وليس له خيار في أن يفعل أو لا يفعل، فهو إن لم يأمر بالمعروف كان مقصرا في حق المجتمع إذ لم يأمر بما فيه منفعة عامة للمجتمع كله، فيكون بذلك أشأ. وهو إن لم ينه عن المنكر،

يكون سببا في وقوع مفاسد يعود ضررها على المجتمع كله أو على بعض أفرادها، فيكون أشأ بسبب ذلك كذلك. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلْسَانَهُ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبَلَدِهِ، وَكَذَا أَصْنَعُ الْإِيمَانُ) [رواه مسلم]. وإنما كان المؤمن أشأ إن لم يأمر بالمعروف أو ينه عن المنكر، لأنه كما أنه مسؤول عن نفسه وعن مصالحه، هو كذلك مسؤول عن المجتمع كله وعن المحافظة على مصالحه كذلك، يقول الحق سبحانه وتعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [التوبة: 71]. ويقول عز وجل: (وَلَكِنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران: 104].

وتقصير الأفراد في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسعود على المجتمع كله بالضرر والوبال، يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُشْكَرَنَّ لِلَّهِ أَنْ يَتَّعَتْ عَلَيْكُمْ قَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ) [رواه الترمذي].

وما انتشر الفساد في مجتمعاتنا العربية الإسلامية اليوم، إلا نتيجة طبيعية لإحجام المسلمين عن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستغلال كل واحد منهم بمصالحه الشخصية دون أدنى اهتمام بالمصالح العامة للمجتمع والأمة، بل إن الكثيرين لا يتورعون عن الدوس على المصالح العامة وربما ارتكاف مفاصد تعود بالضرر على المجتمع كله، ما دامت منافعهم الشخصية تقتضي ذلك.

وكثير من الناس إذا رآوا وقوع منكر أمامهم، أو رأوا تقصيرا في معروف بحضورهم، انصرفوا غير مهتمين بالأمر وربما وقفوا متفرجين وكان الأمر لا يعينهم بالمرة، وهؤلاء وأمثالهم هم المعنيون بخطاب أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه إذ يقول: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا تَقْرَبُونَ هَذِهِ الْأَيَّةَ: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَعْمَلُوا فِيهَا فَتَطْلَمُ عَلَيْكُمْ وَتَنْصُرُوا مَن يَبْغِي] [إذا هتدبتم] [المائدة: 105].

وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَيْهِ يَدِيهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْصِمَهُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ) [رواه الترمذي].

خاتمة

تلك هي حقوق الطريق على المسلم إذا ما أراد أن يقف فيها أو يجلس على جانبها، ولا شك أن القيام بهذه الحقوق ليس بالأمر الهين ولا اليسير، ولذلك فإن العاقل هو من لا يقف في الطريق ولا يجلس على جانب من جوانبها إلا لضرورة قاهرة، أما فيما عدا ذلك من الأحوال فهو سائر في حال سبيله متجه إلى عمله أو طالب للعلم أو قاض لمصلحة من المصالح أو أصيل لرحمه أو عائد إلى بيته، فذلك وحده هو سبيل النجاة من كل ما قد يجلب له الإثم أو يعود عليه بالضرر في الدنيا والآخرة. ولا شك أن المسلمين لو عملوا بهذا التوجيه النبوي الكريم لالتفتت من مجتمعاتهم مظاهر الفساد والخرق، ولعادت العلاقات بينهم تسودها والأخوة والتراحم والتعاون بدل التخاصم والتنازع والتصارع.

الشيخ حسن رمضان فحلة .. مسيرة حافلة بالعطاء

فقدت الساحة العلمية والدعوية في الجزائر يوم الإثنين 30 جمادى الأولى 1443 هـ الموافق 3 يناير 2020 م، أستاذاً متمكناً وداعية متميزاً قضى حياته المديدة (82 سنة) في تدريس العلوم الشرعية والنشاط البحثي في الدعوة الإسلامية وتأليف الكتب العلمية والتربوية والدعوية، ألا وهو الأستاذ الدكتور الشيخ حسن رمضان فحلة، الحموي السوري مولداً ومنشأً وتكونياً، الجزائري تعليماً وإقامة ووفاء، حيث توفي بمستشفى مدينة قسنطينة متأثراً بمضاعفات إصابته بفيروس كورونا. وكان المرحوم قد تقاعد في السنة الماضية (2020) من عمله بكلية العلوم الإسلامية في جامعة باتنة 1.



أ.د. /مسعود فلوسي*

لمحة عن حياته

لأبوين حمويين؛ الوالد أحمد فحلة والوالدة بديعة البيطار، ولد حسن أحمد رمضان فحلة في حي باب الجسر من مدينة حماء بالجمهورية العربية السورية يوم 25 يناير 1940، وهي المدينة المعروفة من قديم بعلامتها الكبار وتضحياتها الجسام، فكان له من العلم والتضحية نصيب. ترعرع في هذه المدينة ونشأ فيها، وتلقى فيها تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي، حيث كان أول التحاقه بالتعليم الابتدائي حين سجله والده أحمد في مدرسة خاصة تسمى (دار العلم والثريّة)، وكانت هذه المدرسة ذات نظام تربوي صارم وتوظف أساتذة أكفاء متميزين وتتقاضى مبالغ مالية من أولياء وأباء التلاميذ الملتحقين بها، وعلى الرغم من أن والده (أحمد) كان رجلاً فقيراً عائلاً إلا أنه لم يدخر جهداً في توفير المال لتعليم ابنه. وبعد نهاية المرحلة الابتدائية واصل حسن تعليمه في نفس المدرسة إذ كان بها قسم إعدادي، حيث درس بها مدة أربع سنوات ليتخرج منها بشهادة التعليم الإعدادي مع التوفيق في نهاية السنة الدراسية (1955-1956). التحق بعدها بثانوية ابن رشد الرسمية، والتي درس بها في الفرع الأدبي مدة ثلاث سنوات ليحصل على الثانوية العامة في الآداب في نهاية السنة الدراسية (1958-1959). شارك بعد ذلك في مسابقة القبول للدراسة في الصف الخاص لسنة واحدة في دار المعلمين بحلب فكان الأول من بين الناجحين حيث درس بها سنة واحدة (1959-1960) تلقى خلالها تكويناً في التربية وطرق التدريس.

بعد نهاية التكوين، تم تعيينه معلماً في مدرسة قرية (القرين) الابتدائية بمحافظة الرقة حيث قضى سنتين (1961-1963)، انتقل بعدها إلى مدرسة قرية (الطماننة) الابتدائية في ريف حماء ودرس بها مدة أربع سنوات (1963-1968)، وفي العام الدراسي (1968-1969) عين مديراً لمدرسة «صوران» الريفية الابتدائية، مع إشراف إداري على إدارتها. وفي عام (1969-1970) نقل إلى مدرسة «كفر بهم» الابتدائية، وفي العام الموالي (1970-1971) وبناء على طلبه نقل إلى مدرسة الظاهرية الابتدائية. وفي مطلع العام الدراسي (1971-1972) صدر مرسوم وزاري بنقله إلى سلك مدرسي التعليم الإعدادي، فما كان من مدير التربية بحماة إلا أن عينه مديراً لمؤسسة (عقرب). وبعد سنة دراسية واحدة، أي في مطلع عام (1972-1973)، تم نقله إلى ثانوية «كفر زيتا» كمدير ومسير، ثم نقل في العام الموالي (1973-1974) ليعمل معاوناً لمدير ثانوية عثمان الحوراني التي تقع في قسم مدينة حماة الشمالي في منطقة الحاضر.

وبالتوازي مع عمله معلماً انتسب إلى كلية الحقوق بجامعة دمشق في العام نفسه الذي بدأ فيه التعليم (1962-1962)، لكنه حول منها بعد ذلك إلى كلية الشريعة في العام الجامعي (1962-1963)، حيث درس بها أربع سنوات وتخرج منها بشهادة الليسانس في نهاية السنة الجامعية (1965-1966)، وكان من أساتذته فيها فاطح المصاوي من أمثال مصطفى السباعي، مصطفى الزرقا، محمد المبارك، محمد فوزي فيض الله، فتحي الدريني، صبحي

الصالح، محمد أديب صالح، وهبة الزحيلي، وغيرهم من العلماء الأفاضل الذين تأثر بهم واستفاد منهم ونهج نهجهم. بعد تخرجه بشهادة الليسانس في العلوم الإسلامية من كلية الشريعة بجامعة دمشق، التحق خلال سنة (1966-1967) بكلية التربية في نفس الجامعة حيث حصل على دبلوم في علم النفس التربوي، كما حصل من نفس الكلية في السنة الموالية (1967-1968) على دبلوم في الإدارة والتفتيش.

في العام الجامعي (1968-1969)، طلب الإحالة على الاستدعاء وارتحل إلى جمهورية مصر العربية، وهناك التحق بالدراسات العليا في تخصص التربية، حيث بعد دراسة سنة واحدة كلت بالجراح في الدروس النظرية ثم تسجيل موضوع رسالته للماجستير بعنوان (وظيفة التربية الدينية في بناء المجتمع السوري الجديد) تحت إشراف الدكتور محمد أحمد الغنام، وقد أعد رسالته وأتم كتابتها، إلا أن الظروف حالت دون مناقشته لها في حينها، حيث توفي مشرفه، ثم توفي والده، فوجد نفسه عائلاً لأستنتين: أسرته هو حيث إنه كان قد تزوج سنة 1957 وهو تلميذ في الثانوية، وأسرة والده، مما جعله غير قادر على مواصلة المسيرة فتوقف في منتصف الطريق.

واصل عمله في التعليم، وقد أتيحت له في بداية العام الدراسي (1975-1974) فرصة السفر إلى الجزائر والعمل فيها بعد اختباره ضمن البعثة التعليمية السورية. وعند وصوله إلى الجزائر عين أستاذاً في ثانوية فاطمة الزهراء للتعليم الأساسي للبنات بمدينة قسنطينة، والتي درس فيها مدة أربع سنوات دراسية كاملة، ابتداءً من العام الدراسي الأول (1974-1975) وانتهاءً بالعام الدراسي (1977-1978).

عاد الشيخ حسن إلى سورية عام 1978م واستأنف عمله كمدير لإعدادية «ناصح علواني» في حي الظاهرية في الجهة الشمالية الغربية من مدينة حماة بداية العام الدراسي (1978-1979)، وبعد سنتين من العمل فيها انتقل إلى المملكة العربية السعودية مع مطلع العام الدراسي (1980-1981) حيث عين في ثانوية الأنصار بالمدينة المنورة، لكن مع نهاية العام رفضوا تجديد عقده فاضطر للعودة إلى سوريا ومنها ارتحل من جديد إلى الجزائر ليدرس في المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية بمدينة سيدي عقبة في ولاية بسكرة تحت الإدارة الحكيمة للشيخ عمر درور رحمه الله، وكان الأستاذ حسن قد ترك زوجته وأولاده في بيته في مدينة حماة على أن يلتحقوا به عند تهيئه الظروف لذلك، وفعلوا جاء إلى الجزائر ولده أحمد وأسن في ديسمبر 1981 لمزاولة دراستهما في المدارس الجزائرية على أن يلتحق بغيره أفراد الأسرة بعد ذلك..

لكن الذي حدث كان غير ذلك، حيث قدر الله أمراً آخر، فقد وقعت الأحداث المأساوية التي شهدتها مدينة حماة في فبراير من سنة 1982، وذهب ضحيتها الآلاف من المدنيين الذين كان من بينهم زوجة الأستاذ وأولاده الأربعة الذين بقوا معها، وكذلك أخوه وأولاده السبعة، وأيضا

أخته وزوجها وأولادها وحفيدها، ولم ينج من أسرته سوى ولديه أمجد وأنس اللذين كانا معه في الجزائر، وقد كانت محنة كبرى ومصيبة فادحة، لكن ما وجده من دعم ومساندة ومواساة من الشيخ عمر درور وأهل سيدي عقبة وكل من علم بمأساته من الجزائريين قد خفف من أزمائه والألم الذي أصابه.

لم تكن هذه المصيبة الأليمة الأستاذ حسن عن استئناف رحلته في الحياة ومواصلة أداء رسالته التعليمية والدعوية بكل عزم وإصرار، ففي مطلع العام الدراسي (1982-1983)، قرر أن ينشئ أسرة جديدة فتزوج مرة أخرى من سيدة سورية اختارتها له أخته واصطحبتها معها إلى الجزائر.

عاد الأستاذ حسن بعد ذلك إلى نشاطه الدؤوب ومشاركاته في الدعوة والنشاط الثقافي الإسلامي، وبالمحاضرات والدروس والخطب المسجدية، وفي تلك المرحلة بدأ نشر أوائل مؤلفاته الدعوية لدى دار البعث بقسنطينة تلك الدار التي أتاحت الفرصة للكثير من المؤلفين لنشر إنتاجهم العلمي والفكري وكانت مطبوعاتها تنتشر في كل روع الجزائر وتحظى بالإقبال من الشباب المتعطش للعلم والمعرفة في تلك المرحلة.

وفي بداية العام الدراسي (1985-1986) انتقل الأستاذ حسن إلى مدينة قسنطينة حيث شرع في العمل في المدرسة العليا للفنون الجميلة بها والتي ظل يعمل بها حتى نهاية سنة 1992-1993. وقد حصل في سنة 1990 على الجنسية الجزائرية هو وزوجته وأولاده.

في أوائل التسعينات من القرن العشرين التحق الأستاذ حسن بالدراسات العليا في معهد العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر، ليحصل على الماجستير في أصول الدين سنة 1994 عن رسالة بعنوان «تكوين مادة التربية الإسلامية في المدرسة الأساسية الجزائرية» أعدها تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى عشوي، وفي سنة 1995 سجل في دكتوراه الدولة بنفس المعهد.

عين الأستاذ حسن أستاذاً مساعداً بمعهد العلوم الإسلامية في جامعة باتنة بعد حصوله على الماجستير سنة 1994، ثم رقي إلى رتبة أستاذ مساعد مكلف بالدروس، وفي سنة 2000 حصل على شهادة الدكتوراه بعد مناقشته لرسالة بعنوان «مرونة الشريعة الإسلامية ومشكلات الأسرة الجزائرية المعاصرة: مشكلة انتشار الطلاق - دراسة ميدانية» أعدها تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد مقبول حسين، وتمت ترقيته إلى رتبة أستاذ محاضر، وفي 17 جويلية 2006 رقي إلى رتبة أستاذ التعليم العالي، وبعد ستة وعشرين عاماً من التدريس الجامعي أحيل على التقاعد بناء على طلبه وذلك بداية من 1 مارس 2020.

تفرغ الأستاذ بعد ذلك للدعوة والتدريس في مساجد قسنطينة، وقد ألمت الأمراض بجسده المرهق، ومنها أنه أصيب مؤخراً بوباء فيروس كورونا الذي عم العالم في السنتين الأخيرتين، والذي أدخله العناية المركزة بمستشفى قسنطينة،

أين جاءه أجله ففاضت روحه إلى بارئها، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته. أشير هنا إلى أن أكثر هذه المعلومات التي تتعلق بمسيرة حياة فقيدنا العزيز استقيتها من زميلنا الأستاذ الدكتور أحمد عيسوي الذي سجلها سماعاً منه مباشرة.

مؤلفاته وأبحاثه

إلى جانب عمله في التعليم ونشاطه في الدعوة، اهتم الأستاذ حسن رمضان فحلة بالتأليف، حيث بدأ يصدر منذ أوائل الثمانينات من القرن الماضي جملة من المؤلفات الدعوية والعلمية في مجال العلوم الإسلامية، والتي نشرتها له دار البعث بقسنطينة، ومنها: الصلاة المشروعة وأنكارها (1983)، السنة النبوية لا البدعة (1984)، الإيمان والإسلام (1984)، منهاج الصائم في رمضان (1986) وقد أعاد طبعه (2017)، الأمانة: أسسها ومبادئها في الإسلام.

وفي أواخر الثمانينات وبعد تراجع نشاط دار البعث إثر وفاة مؤسسها السيد عبد الحميد عياط رحمه الله، ظهرت بمدينة عين مليلة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع وبدأت في نشر الكتب التربوية والدعوية، فالتحق بها الأستاذ فحلة متعاوناً ومستشاراً علمياً، وواصل من خلالها إصدار مؤلفات أخرى، منها: حقيقة الذكر والدعاة في القرآن والسنة (1989) وقد أعيد طبعه في دار الخلدونية بالجزائر (2011)، مقومات الحضارة الإنسانية في الإسلام (1989)، الحكم الجاز في تشييع الجناز على مذهب الإمام مالك ونبذ البدع المستحدثة فيها (1989)، الأهداف العامة في سورة الحجرات (1990)، الخطر الداهم على العرب والمسلمين (1991)، علم ابنك الصلاة والسلوك الإسلامي (1991)، بهجة الطرف في فن الصرف (1993)، التداوي بالقرآن (1995)، الأحاديث القدسية (1997)، فقه الزكاة الشرعية على مذهب السادة المالكية، سلسلة قصص الأنبياء (ثلاثون قصة موجبة للأطفال تتناول سير الأنبياء بطريقة حوارية) (1998).

وفي السنوات الأخيرة واصل إصدار مجموعة أخرى من الكتب، منها: إليك أختي: دراسة فقهية في أحكام الدماء والنقاء عند النساء مع الإشارة إلى رأي العلم والطب الحديث وتوجيهات ونصائح تحفظ بها المرأة كرامتها وتضمن عقبتها (2009)، حقيقة الصنانية (2013)، شرح أسماء الله الحسنى (2016)، أحاديث نبوية في الآداب والأخلاق (2017).

إلى جانب هذه المؤلفات نشر الأستاذ رحمه الله عدداً معتبراً من البحوث العلمية المتخصصة في مجلة الإحياء التي تصدرها كلية العلوم الإسلامية بباتنة، والتي تولى رئاسة تحريرها فترة من الزمن، من عناوينها: البحث العلمي في الجامعة بين النظرية والواقع دراسة نقدية في واقع الجامعات الإسلامية، أمّتا في معركة دائمة لتحقيق الذات، مفاتيح التقدم الحضاري بالعلم، اتباع الآخر وأثره على الأمة تجاه التحديات المعاصرة، بؤر الفساد في الأرض وعلاجها في الإسلام، أثر السنة النبوية في توجيه العلوم التربوية والاجتماعية، ظاهرة الغشوة وأثارها في المجتمع أسبابها مظاهرها علاجها، ترشيد استثمار الوقت لتأكيد فاعليته التثمينية.

ثم إن الشيخ حسن قد أشرف على إنجاز عدد معتبر من رسائل ومذكرات الماجستير وأطروحات الدكتوراه التي أعدها باحثون في كل من كلية العلوم الإسلامية بباتنة وجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، كما ناقش أيضاً العشرات من الرسائل التي طلب منه الاشتراك في تقييمها.

○○○

جامعة قسنطينة (1969 - 1975) بمناسبة مرور نصف قرن على تأسيسها

نتائج إصلاح التعليم العالي في السنة الجامعية (1975/1971م) بإشراف الوزير محمد الصديق بن يحيى (رحمه الله)



أ.د. محمد عيلا

2 - مجلس استشاري لتطوير جامعة قسنطينة:

وكعادة جامعة قسنطينة في الإنجاز والتفوق في مستوى التكوين، تأسس في نهاية السنة 1972م مجلس استشاري من أساتذة الكليات (جزائريون ومتعاونون أجانب)، رأسه الدكتور عبد الحق برارحي مدير الجامعة، يتكون من مجموعة من اللجان، مهمتها تطوير الجامعة والانفتاح على المؤسسات الاقتصادية والتكفل بانشغالاتها، وتقديم الرأي والخبرة، في إطار الخارطة الجغرافية لجامعة قسنطينة، عهدت أمانته الإدارية للسيد (محمد ديدوي) مدير المكتبة.

أذكر من اللجان؛ لجنة العلاقات الخارجية التي انتخبت رئيسا لها، ولجنة العلاقة بالمؤسسات الاقتصادية والصناعية التي رأسها الزميل يوسف غيوم من ففقتا، التحق بالكلية ليصبح في 1974 أول مدير لمعهد الأدب والثقافة العربية، ولجنة تطوير الجامعة وتحسين الأداء البيداغوجي، ولجنة البحث العلمي، ولجنة التعريب، ولجنة المكتبة، وغيرها من اللجان.

في إطار عمل اللجان أذكر ما قامت به لجنة العلاقات الخارجية المنبثقة عن هذا المجلس، فاقتُرحت في سنة 1973م إرسال وفد إلى

بعض البلدان العربية للتعاقد المبدئي مع بعض الأساتذة في تخصصات الآداب والحقوق والعلوم الاقتصادية لاقتراحهم على الوزارة من أجل التعاقد الرسمي معهم، إلى جانب إمكانية مساعدة الجامعة بالكتب والدوريات التي تصدر بالجامعات العربية، فانتخبني للقيام بهذه السفيرة مع أستاذ سوري الجنسية هو الدكتور إسماعيل آغا إسماعيل، من كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية، وكان التكليف بالمهمة ومستلزماته المالية يتم الحصول عليه عبر ملف تعدد إدارة الجامعة يقدم للموافقة من الوزارة بحكم مركزية التسير.

وعند اقتراب موعد السفر قدمنا للسيد مدير الجامعة برنامج السفيرة متضمنا اقتراحات اللجنة فوافق عليها وقال: (أنا لا أملك إلا أن أعطيكم تذكري السفر، وأما ما يتعلق بمصاريف التكليف بالمهمة بالعملة الصعبة فإنكم تحصلون عليها بالجزائر العاصمة)، ولم يكن بإمكانه فعل أكثر من ذلك؛ لأن توظيف الأساتذة الأجانب يتم مرة في السنة عبر لجان من الوزارة تذهب إلى البلاد العربية والأوروبية والأكلو سكسونية للتعاقد معهم. وقبل ذهابنا أعلن عن طريق السفارة الجزائرية في البلد الذي تزوره في الصحف التي تصدر به عن حاجاتها من الأساتذة، والتخصصات المختلفة التي ترغب الجامعات الجزائرية في سد حاجاتها من الإطار التدريسي، ثم تحدد فترة منتهى أسبوعا لاستقبال الراغبين من الأساتذة في التوظيف؛ تحاورهم وتطلع على مؤهلاتهم العلمية، ثم تتعاقد معهم.. لكن هذه اللجان أغلب أعضائها إداريون من الجزائر العاصمة؛ لذلك كنا نفاجا

ببعض من تعاقدت معهم ليس لهم التخصص الذي نرغبه للتدريس. وحين موعد السفر ولم نحصل إلا على تذكرة الطائرة من الجامعة، وسافرنّا، ولحسن الحظ كانت الجامعات التي زرنّاها قد تكفلت بإقامتنا، وهي: جامعة القاهرة، جامعة بغداد، جامعة دمشق، جامعة حلب، وأذكر في هذه السفيرة السفير الجزائري بالعراق الدكتور عثمان سعدي، الذي استقبلنا ومهد لنا اللقاء مع مدير جامعة بغداد.

ومن طرائف هذه الرحلة أنني كنت أشرح للسيد رئيس جامعة بغداد ومساعدته؛ نظام التعليم الجديد الذي وضعته الجزائر، وهو نظام السداسيات بالنسبة لمرحلة الليسانس، ولست أدري كيف سمع لحظتها بدل السداسيات (سدسات)، فقال بشيء من التعجب والحدة العراقية: (إش لون؟، مسدسات بالجامعة!!).

منه ما حدث بعد انتقالنا إلى جامعة عنابة (1980/1981م) سافرت في وفد إلى المملكة الأردنية الهاشمية، في موضوع تعريب رئيس الأساتذة، فاستقبلنا السيد رئيس الجامعة الأردنية، وأثناء الحديث في موضوعات جامعية متنوعة تطرقنا إلى الاستفادة من خبرة الجامعة الأردنية، ومساعدتها في حركة التعريب بـ (جامعة عنابة)، وجرى الحديث عن إمكانية التوقيع مبدئيا على (محضر للتعاون) نعرضه على الوزارتين، بمهد لاتفاقية تبادل الخبرات في مجال الموارد البشرية والوثائق، فسألني: كيف يتحقق ذلك؟ فقلت له نحن نرغب من الأستاذ الذي يدرس باللغة الفرنسية في بعض التخصصات التي ستعرب أن يعيش في المحيط الجامعي ذي

الطابع العربي، ويحضر بعض المحاضرات مع زملائه الأردنيين في اختصاصاتهم، تمكنه من الانخراط في التدريس باللغة العربية، فسألني وما المدة الزمنية التي تقترحونها؟، فقلت: في المبدأ يمكن أن يترصد بعض الأساتذة في جامعتكم مدة شهر، ويستكشف جامعتنا من طريق وزارة التعليم العالي الجزائرية بمصاريف إقامة الأساتذة طيلة وجودهم مترددين، فلاحظت ملاحمة قد تغيرت وسألني بحدة تلقائية: (يترصدون بمن؟) وفي اللغة العربية؛ التريص بالمكان لا يكون إلا بالأعداء. ثم قال يا أستاذ محمد نحن على جبهة ساخنة وأنت تريد أن تترصد أساتذتنا عندنا..

دعوة جامعة قسنطينة لحضور المؤتمر العربي الثاني للتعريب:

في ديسمبر 1973م كلني مدير الجامعة الدكتور عبد الحق برارحي لتمثيل الجامعة في المؤتمر العربي الثاني للتعريب برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقد انعقد بالجزائر العاصمة بقصر الأمم تحت شعار: (تعريب المصطلح العلمي)، وما تمخض عن المؤتمر؛ إنشاء المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي مقره (مدينة الرباط)، وكان من مهامه توحيد المصطلحات العلمية لدى الباحثين العرب، وذلك من خلال معالج متفق على تداول مصطلحاتها، قدم منها إلى المؤتمر ستة مشاريع لأساتذة من جامعات عربية، كان للجامعات السورية الحضور المتميز، وهي باللغات الثلاث (الانكليزية والفرنسية ومقابلها بالعربية) - مشروع معجم الحيوان، (مشروع معجم الطبيعة والفيزياء)، (مشروع معجم الكيمياء)،

(مشروع معجم النبات)، (مشروع معجم الرياضيات)، (مشروع معجم الجيولوجيا). وأما دعوة الجامعات الجزائرية لحضور المؤتمر فقد كان حضورا تمثيلا أكثر منه إنجازا للمشاركة؛ لأن ما قدم للمؤتمر إنجاز أخذ سنوات من الفرج والبحث في المعاجم اللغوية باللغات الثلاث، وقادته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالقاهرة، من خلال مكتبه بالرباط، الذي تحول في مؤتمر الجزائر إلى مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي).

دعوة جامعة قسنطينة لحضور المؤتمر العاشر للأدباء العرب بالجزائر عام 1973م:

كلفني بتتمثيل الجامعة في مؤتمر الأدباء العاشر الذي يشرف على تنظيمه اتحاد الكتاب الجزائريين برعاية وزارة الثقافة بالجزائر العاصمة. وكان الاتحاد وقتها منظمة جماهيرية أسسها في 1963م كتاب وشعراء باللغتين العربية والفرنسية أذكر منهم: مولود معمري، مالك حداد، أحمد طالب الإبراهيمي، عبد الله شريط، مفدي زكريا، محمد العيد آل خليفة، كاتب ياسين، محمد الميلي، وآخرون.

وكان أبرز شخصيات المؤتمر الشاعر العراقي (الجواهري) الذي أهرم الحضور بقصيدته: (أم عوف)، سواء في العاصمة أو عندما انتقل المؤتمر لعقد جلسيتين تعريفيتين بمديني عنابة وقسنطينة.

الحلقة القادمة: تيارات فكرية بالجامعة

كلية الآداب جامعة باجي مختار- عنابة.

Ailafolk@hotmail.com

موضوعات تهتم كل الناس وليس المتخصصين فقط.

وفيما يخصني شخصا، كنت دائما أسمع منه التشجيع والنبهة والدعاء لي بالتوفيق والسداد في كل الأعمال التي قمت بها، وخاصة عندما أسندت إلي عمادة الكلية، حيث ظل يزورني في كل مرة يأتي فيها إلى الكلية ويشجعي على الثبات والتحمل ويحثي على حسن التصرف ويقدم لي النصائح المرة تلو الأخرى، ولا يكف عن الدعاء لي بالتوفيق والنجاح في أداء كل المهام على أحسن وجه، بل إنه لم يكن يكتفي بذلك وإنما يكلمني أحيانا بالهاتف من بيته ليسمعني من كلامه الطيب الجميل ما لا يمكنني الوفاء بحقه، وحتى بعد إحالته على التقاعد ظل على تواصل مستمر بي، وكان يحدثني عن مشاريعه العلمية والدعوية والكتب التي ينوي إصدارها، ومما أخبرني به مؤخرا أنه بصدد وضع المسائل الأخيرة على كتاب بعنوان (النظام السياسي في الإسلام)، وأنه عند انتهائه منه سيرسله لي لآكتبه له تقديما أو تقريبًا، وأرجو أن يكون الأستاذ قد انتهى فعلا من الكتاب ولعل أبناءه أن يقدموه للنشر قريبًا إن شاء الله.

رحم الله أساتذتنا وشيخنا وأخانا الأكبر الأستاذ الدكتور حسن رمضان فحله وجمعنا به في الفردوس الأعلى من الجنة: (إخوانا على سر مقابطين)، (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم).

حيث توليت رئاسة المجلس العلمي لكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية وتولى هو رئاسة اللجنة العلمية لقسم العلوم الإسلامية، كما تولى رئاسة تحرير مجلة الكلية وكنت أحد أعضاء هيئة التحرير، وناقشنا معا العديد من رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه، منها ما أشرفت عليها، ومنها ما كان هو مشرفا عليها، ومنها ما أشرف عليها غيرنا من الزملاء وكنا عضوين في لجان مناقشتها.

في كل هذه المجالات التي جمعتها، كان الأستاذ حسن دائما مثالا للرجل اللامح اللبق الذي يحسن التصرف مهما كان الموقف الذي يجد نفسه فيه. وأذكر أنني كنت عضوا في لجنة مناقشة أطروحة الدكتوراه التي تقدمت بها زوجته زميلتنا السيدة (ف.ل)، وقد وجهت لها بعض الانتقادات والملاحظات التي ربما بدت لبعض الزملاء والمتابعين حادة وقاسية حينئذ، إلا أن الرجل لم يحر ك ساكنا ولم يبد أي تصرف يمكن أن أشعر منه برفضه لتلك الملاحظات أو امتعاضه منها، بل إنه شكرني وثنى ملاحظاتي.

وعندما أصدر كتبه الثلاثة الأخيرة: شرح أسماء الله الحسنى، منهاج الصائم في رمضان، أحاديث نبوية في الآداب والأخلاق، جاءني بعد كبير من النسخ من كل كتاب وطلب مني أن أوزعها وأعطيتها لمن يرغب في قراءتها، وقد لقيت صدق طيبا عند كل من قرأها، لسهولة عبارتها وموضوعات التي تناولتها فهي

طالباً في معهد العلوم الإسلامية ببائنة ما بين سنة 1987 وسنة 1991، حيث كنت أشتريها من مكتبة النهضة الجديدة لصاحبها الحاج عبد الكريم قرفي، وقد شدني إلى هذه الكتب بساطة عبارتها وسهولة فهمها مع ما تتضمنه من فوائد جمة ومعلومات غزيرة.

أما اللقاء المباشر بالأستاذ فلم يتم إلا في شهر نوفمبر من سنة 1994 حين التحق بمعهد العلوم الإسلامية ببائنة أستاذًا مساعدًا، ومنذ ذلك الحين أصبحت ألتقي بالأستاذ حسن كل أسبوع تقريبا عندما يأتي من مدينة قسنطينة للتدريس في معهدنا، وقد ربطت بيننا وشائج المودة والمحبة على الرغم من فارق السن بيننا فهو في عمر والدي حفظه الله وأنا في عمر أجدانه.

وأذكر أننا حضرنا معا مقابلة التسجيل في دكتوراه الدولة في معهد العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر في نفس اليوم من سنة 1995، حيث عرض كل منا مشروع الدكتوراه الذي اختاره للبحث فيه أمام هيئة علمية مكونة من مجموعة من الأساتذة، وقد سجل هو في تخصص أصول الدين، بينما سجلت أنا وزميلي الأستاذ صالح بوشيش في تخصص أصول الفقه. وخلال سنة وعشرين سنة من الزمالة لم أر من الأستاذ حسن إلا كل خير ولم أسمع منه غير الكلام الطيب ولم أجد منه إلا كل مودة ومحبة، وذلك في كل الأعمال التي جمعتها، وهي كثيرة جدا؛ فقد اشتركتنا معا في الهيئات العلمية،

معرفتي بالأستاذ وعلاقتي به

عرفت الأستاذ أولا من خلال مؤلفاته التي قرأتها عندما كنت تلميذا في المرحلة الثانوية ما بين سنة 1984 وسنة 1987، ثم بعد أن أصبحت



مدينة باتنة تودع أحد أعلامها أستاذي الدكتور عبد العزيز شوحة كما عرفت



أ.د/ مسعود فلوسي*

فقدت مدينة باتنة، وكلية اللغة والأدب العربي في جامعة باتنة 1 بالخصوص، أحد رجال التربية والتعليم فيها الذين قضوا عشرات السنين من أعمارهم مسخرين أنفسهم ومضحين بكل ما يملكون من جهد وطاقة في سبيل تعليم الأجيال وتربية الشباب على حب العلم والحرص على تحصيله والانتفاع منه ونفع الناس به. إنه الدكتور عبد العزيز شوحة رحمه الله الذي التحق بالرفيق الأعلى في ساعة باكرة من يوم الثلاثاء 21 جوان 2022م، وتر دفن جثمانه بعد صلاة الظهر من نفس اليوم في مقبرة المدينة بحضور جمع غفير من إخوانه وأحبابه وأصدقائه وزملائه وتلاميذه.

علاقتي بالأستاذ

عرفتُ أستاذنا عبد العزيز شوحة رحمه الله منذ ثمان وثلاثين سنة (أي منذ سنة 1984)، وذلك حين جاء ليدرسنا المواد الشرعية المقررة علينا نحن التلاميذ الموجهين لتخصص العلوم الإسلامية في سنتنا الأولى بتأنيو عائشة أم المؤمنين في حي بوزوران بمدينة باتنة، وكان حينئذ حديث عهد بالتخرج بشهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي من معهد الآداب بجامعة باتنة. لقد لاحظت من أول يوم أن هذا الأستاذ يختلف عن كثير من الأساتذة الذين عرفتهم من قبل اختلافا كبيرا، فهو إضافة إلى تدينه الصادق الذي استشعرته - رغم صغر سني - من مظهره وكلامه وتصرفاته، كان حريصا على تحضير دروسه تحضيراً جيداً وشرحها شرحاً مستقيماً وتقديمها في قالب يجعل التلاميذ يقبلون عليها ويهتمون باستيعابها، ثم هو لم يكن يكتفي بالتعليم فقط وإنما كان مريباً مخلصاً وناصحاً أميناً وموجهاً مرشداً.

وبالنسبة لي شخصياً فقد انبهرت بهذا الأستاذ وأعجبت بأسلوبه في التدريس وتأثرت بشخصيته المتميزة، وهو ما جعلني أولى المواد التي كنا ندرسها عنده اهتماماً خاصاً، فكانت أحضرُ الدرس قبل أن يلقيَ علينا وأشارك بالسؤال والمناقشة، مما لفت انتباهه إليّ وجعله يهتم بي ويوليني رعاية خاصة ويقريني إليه، فكانت في كثير من الأحيان - عندما نخرج في نفس الوقت من الثانوية - أرافقه في طريقه إلى الجامعة - التي انتمى إليها من جديد بعد نجاحه في مسابقة الماجستير - والذي كان هو نفس طريقي إلى البيت، فأسمع منه الكثير من المعلومات والأفكار التي كانت تطرق سمعي لأول مرة، فقد حدثني كثيراً عن مالك بن نبي وأفكاره الحضارية وسرد لي - من ذاكرته - الكثير من فقرات كتبه التي كان يحفظ أكثرها عن ظهر قلب. كما حدثني عن غيره من العلماء والمفكرين والدعاة الذين كانت تعج بهم الساحة الإسلامية في تلك المرحلة الزاهرة من ثمانينيات القرن الماضي وشجعني على قراءة كتبهم ومقالاتهم. ولما رأى اهتمامي وحرصني أصبح يعيّرني الكتب والمجلات ويشجعني على قراءتها، ويسألني عما استفدته منها ويحاورني في بعض ما

تضمنته من معلومات وأفكار. ثم تطورت علاقتي به، حين صرت أتابع نشاطه الدعوي في الأحياء الجامعية، حيث كانت له دروس ومحاضرات ومشاركات في مختلف الندوات التي كانت تعقد في مساجد الأحياء الجامعية بمدينة باتنة، وكان له فيها حضور قوي ونشاط حثيث، كما كنت أحضر وأتابع خطبه التي كان يلقيها كل جمعة. وفي شهر رمضان كان يؤم الطلبة في مسجد الحي الجامعي عمار عاشوري أو في مسجد الحي الجامعي دواي صالح فكانت أحرص على الصلاة خلفه، وقد كانت له نبرة خاصة في قراءة كتاب الله الذي كان يحفظه عن ظهر قلب.. كانت خطب أستاذنا ودروسه ومحاضراته ومشاركاته في المناسبات المختلفة، تحظى باهتمام الكثير من الطلبة حينئذ، وتستقطب حضوراً كبيراً، لما كانت تتميز به من حسن اختيار الموضوعات وعمق الأفكار وبلاغة الأسلوب وفصاحة العبارات وتنوع المعلومات وغزارتها، وأكثر ما كان يميزها هو حضور القرآن فيها، إذ كان الأستاذ يغرف منه ما شاء الله له أن يغرف من نصوص يقوي بها حججه ويدعم أفكاره، بل إن الأستاذ كان يتقن في تفسير القرآن وتقليب الآيات القرآنية على وجوهها المختلفة والتعمق في معانيها بما حياه الله من علم غزير وفهم عميق وبما استفاده من قراءاته الواسعة في كتب التفسير ومنها خاصة «في ظلال القرآن» لسيد قطب. درسنا الأستاذ خلال السنوات الثلاثة للمرحلة الثانوية، وقد أتيح لي أن أحصل على شهادة البكالوريا وألتحق بالجامعة، وفي نفس تلك المرحلة التحق هو بالخدمة الوطنية، لكن العلاقة بيننا لم تنقطع، فكان كلما جاء في عطلة يتصل بي ونلتقي ونجدد العهد مع العلم والفكر. وبعد انتهائه من أداء واجبه الوطني عاد إلى باتنة ملتحقاً من جديد بالتعليم الثانوي، فكانت الفرص كثيرة ومتاحة للقاء والتواصل. كانت تلك العلاقة هي المرحلة الأولى لعلاقة طويلة ربطتني بالأستاذ منذ تلك الأيام؛ علاقة تلمذة واستفادة أولاً، ثم علاقة صداقة عميقة وأخوة متينة ومحبة قوية لم تردها الأيام إلا رسوخاً وثباتاً واستمراراً ومتانة.

نشاطه وابتلاؤه

كان النشاط الدعوي غالباً على أستاذنا، ولذلك لم يتردد في الاستجابة للاقتراح الذي قدم له من قبل مديرية الشؤون الدينية بولاية باتنة في تلك المرحلة للانتداب إلى قطاع الشؤون الدينية، وفعلاً توقف عن التعليم الثانوي والتحق بسلك الإمامة، وتم تكليفه بالإمامة والخطابة في المسجد العتيق بمدينة تازولت، وهناك كنت أزوره كل يوم جمعة لأستمع إلى خطبته وأصلي خلفه. لكن هذه التجربة لم تدم طويلاً، فقد قرر الأستاذ التوقف عن مواصلة هذه المهمة والعودة إلى التعليم الثانوي، بعد أن بدأت أزمة التسعينيات وصار الأئمة والخطباء محل ضغوط وتهديدات. إلا أن انسحاب الأستاذ من الإمامة والخطابة والدروس المسجدية لم يعصمه من الأذى فقد طاله ضمن كثيرين ممن طالهم في تلك المرحلة الحرجة من مسيرة البلاد.

وقد كان لذلك الأذى الذي تعرض له أثرٌ عميق في نفسه، حيث تسبب له في أمراض وآلام نفسية ومشكلات اجتماعية ظل يعاني منها طيلة ثلاثين سنة. لقد تقلبت الأيام بأستاذنا، وأرثته من وجهها الكالح ما لا يمكن وصفه، وألحقت به محناً وابتلاءات ظلت ملازمة له إلى آخر يوم في حياته، ابتلاءات متتابعة

كان من أبرزها الأمراض التي أصيب بها وجعلت حياته تتحول إلى كتلة من المعاناة التي واجهها بكل صبر وثبات وتسليم لأمر الله. تلك الابتلاءات والمحن التي عطلت



إتمامه لرسالة الماجستير سنوات طويلة، وهو ما حرّمه من الالتحاق بالجامعة كأستاذ إلا في مرحلة متأخرة جداً. وحتى بعد التحاقه بالجامعة أستاذاً لم يساعداً لم يتمكن من إنهاء أطروحته لنيل الدكتوراه إلا بعد عدة سنوات، وهو ما حرّمه من الترقى في الرتب العلمية التي يستحقها.

ومما زاد آلام أستاذنا حدة ومعاناته شدة؛ أنه لم يجد إلا القليل من معارفه ممن وقف معه في مواجهة تلك المحن والابتلاءات، فقد أعرض عنه الكثيرون ممن كانوا يتمسحون بأعتابه ويستفيدون من علمه وأفكاره، وتجاهلوا معاناته في عز أزمتهم ومرضه وحاجته إلى

شيمه وخصاله

لقد حبا الله أستاذنا عبد العزيز شوحة بخصال فذة وشيم نادرة قل أن تجتمع في شخص واحد؛ يأتي على رأسها إيمانه العميق بالله عز وجل ورضاه بما قضاه له وقدره عليه، وتسليمه لأمره في كل شؤنه. ومنها؛ صبره وثباته وتحمله وتحملة وعدم سخطه على ما حل به. ومنها؛ وفاؤه لأسانئته وذوي الفضل عليه. ومنها؛ حبه لإخوانه ومودته لهم - على الرغم مما لحقه من بعضهم - حيث لم يحمل يوماً حقداً أو ضغينة لأحد. ومنها؛ عفة لسانه وكفه له عن إيذاء غيره، فلم أسمع يوماً يخوض في عرض واحد من معارفه أو زملائه أو غيرهم، أو يخاطب أحداً بما يجرح إحساسه أو يترك أثراً في نفسه. ومنها؛ كرمه غير المحدود - على الرغم من معاناته المادية - المتمثل في إعارة كتبه لمن يطلبها منه رغم ما أنفقه من مال في سبيل الحصول عليها ورغم حبه الشديد لها وحرصه عليها، مما كان سبباً في ضياع الكثير منها وعدم إرجاعها إليه. ومنها؛ تقانيه في عمله واجتهاده في إتيان ما يسند إليه من أعمال وما يكلف به من مهام، حتى وإن كانت أعمالاً تطوعية كدروس مسجدية أو محاضرات في مناسبات.

أشاره العلمية والفكرية

هذا، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهها أستاذنا والمعاناة التي ظل يكابدها، إلا أنه كان حريصاً على أن تكون له مشاركاته الفكرية المتميزة التي كان دائماً على نشرها في شكل مقالات في جرائد مطبوعة أو في مواقع إلكترونية، ففي النصف الثاني من التسعينيات نشر الكثير من المقالات تحت عنوان عام هو «الإسلام ومشكلاتنا المعاصرة» في جريدة «رسالة الأطلس» التي كانت تصدر في مدينة باتنة. كما نشر في السنوات الأخيرة مقالات عديدة في جريدة «الأوراس نيوز» اليومية التي تصدر من باتنة كذلك. أما إلكترونياً فقد نشر مقالات كثيرة في عدة مواقع منها بصفة خاصة موقع الشهاب وموقع الحوار المتمدن وغيرها من المواقع الإلكترونية. وإذا جُمعت هذه المقالات فيمكن أن تشكل ثلاثة كتب أو أكثر.

وأما الآثار العلمية فتتمثل في رسالته التي نال بها درجة الماجستير وكانت في موضوع «منهج ابن عطية في ضبط الألفاظ في تفسيره المحرر الوجيز»، وقد أعدها تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم عوفي. وأطروحته التي نال بها شهادة الدكتوراه وكان عنوانها «منهج الاحتجاج للغوي للقرآءات القرآنية وتوجيهها»، والتي أشرف عليه في إعدادها الأستاذ الدكتور بلقاسم ليبارير. وكل من العملين رسالة علمية متميزة بذل الأستاذ في جمع مادتها وتحريرها كل ما توفر له من جهد وطاقة. إضافة إلى بحث علمي نشره في مجلة «الإحياء» التي تصدرها كليتنا والتي أُرأس تحريرها، وكان عنوانه «ظاهرة الأحرف السبعة في القرآن الكريم ودورها في الحفاظ على اللسان العربي».

تواصل علاقتي به إلى آخر لحظة

كان أستاذنا كثير الاتصال بي، فلا يكاد يمر يوم إلا ويهاتفني ويحدثني في موضوعات مختلفة ويفضي إليّ بأشجانه وهمومه، لكنه في المدة الأخيرة انقطع عن الاتصال لحوالي أسبوع، ثم لما خطر في بالي أن أكلمه لأسأل عن أحواله إذا به يبادر إلى مكالمتي مساء يوم الأحد 19 جوان، وقد لاحظت أن كلامه كان منقطعاً وصوته متهدجاً وأخبرني أنه مريض، ومما قاله لي: «إنني أطلب منك أن تسعى في نشر رسالتي في الماجستير وأطروحتي في الدكتوراه».. وبما أنني كنت مشغولاً بعمل في ذلك الحين فقد استأذنته في معاودة الاتصال فيما بعد إن شاء الله. لكن شاء الله عز وجل أن تكون تلك هي المكالمة الأخيرة وأن يكون طلبة بمثابة وصية حَمَلْنِها، وأسأل الله عز وجل أن يُعيني على تحقيقها، إذ فوجئت بالخبر الفاجع برحيله عن الدنيا الفانية إثر نوبة قلبية ألمت به، هذه النوبة التي لم تكن سوى سبب ظاهري انطوى فيه الأجل المحتوم الذي لا يملك أي إنسان أن ينفك عنه، قال تعالى: (وَلِكُلِّ أَمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) [الأعراف: 34].

رحم الله أستاذنا عبد العزيز شوحة، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، والهم والدته وزوجته وأولاده وإخوته وكل محبيه الصبر والسلوان، ووفقنا إلى السير على نهجه واقتفاء أثره فيما كان عليه من إخلاص لله وحب لإخوانه المؤمنين وحرص على إتيان عمله ونفع طلبته وخدمة دينه وإصلاح مجتمعه.. إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن وإننا لفراقك يا أستاذنا الحبيب لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل:

إنا لله وإنا إليه راجعون.